# الإشعاع المغربي في المشرق



## دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام



سهيل الخالدي



الأستاذ سهيل الخالدي

# الإشعاع المغربي في المشرق

## دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام



شركة دار الأمــة
للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع

ص.ب. 109 برج الكيفان
120 16 الجزائر

الهاتــف: 04 22 20 (02)
الفاكس: 04 24 20 (02)

تصميم الغلاف
محمــــد سنوســــي

الطبعة الأولــى
1417 هـ / 1997 م

ايداع شرعي
97 / 2

ISBN. 9961-67-017-5

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

الى أمي المرحومة
«عايشة بنت الشيخ محمد الخالدي»
التي ألّفَت هذا الكتاب شفوياً
وأهدتنيه فاتحة على قداسة روحها

سهيل

# تقـديم

**بقلم: الدكتور أبو القاسم سعد الله**

لو سألت أحد المهاجرين الجزائريين خلال النصف الأول من القرن الماضي، لم تتوجه الى المشرق بينما غيرك يتوجه الى أمريكا بحثا عن الرزق والأمن والفرص، لربما قال بانه يكفيه أن يعيش في أرض الاسلام ويساكن أهل العروبة، اذ معهم هم الـرزق والامن والفرص.

تبادر الى ذهني هذا التساؤل وأنا اتصفح تاريخ الهجرة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي 1830 الى الحرب العالمية الأولى. ذلك أن معظم الهجرة كانت نحو الشرق العربي والاسلامي، أما منذ الحرب العالمية الأولى فقد أصبحت نحو فرنسا بالخصوص، وهي الهجرة التي ما تزال الجزائر تعاني نتائجها غربة وأخلاقا ودينا وتبعية أيضا.

نعم، كان الأوروبيون يتوجهون الى الولايات المتحدة (العالم الجديد) هروبا من الاضطهاد الديني والصليبي السياسي وضيق العيش. وقد لحق بهم أيضا عدد من المهاجرين العرب المسيحين من بلاد الشام وما حولها، ونشأ بينهم التجار والساسة وأصحاب المال، كما نشأ الأدباء والشعراء والفنانون، وأصبح لدينا في المهاجر الأمريكية أدب عربي له طعمه وأسلوبه الخاص، ولكن المسلمين ظلوا متحفظين فلم يهاجروا من أوطانهم رغم تخلفها سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

وقد عمل الفرنسيون بعد احتلالهم للجزائر على جلب الهجرة الأوروبية اليها، فنادوا في العواصم الأوروبية الى الهجرة الى الجزائر، بلاد الفرص والمغامرات والعيش الرغد، وأرض الشرق الذي أنجب شهر زاد وابدع ألف ليلة وليلة، وعرف بلاط هارون الرشيد وملوك الطوائف. فتدفقت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر من مدن البحر الأبيض ومن ألمانيا وسويسرا وبلجيكا وحتى من هولندة والبلاد الاسكندفانية، وأقام المغامرون الأوروبيون في الجزائر الخصبة وطوروا زراعتها وعمروها واستصلحوها ومدوا فيها الطرق البرية والحديدية وأنشأوا القرى على الطراز الأوروبي المتميز بالكنيسة والساحة والمدرسة

والشكنة والمقبرة. وهكذا أصبحت الجزائر مستعمرة (استيطانية) قطعة من أوروبا في رقعة من الشرق، كما كانوا يقولون.

أما أهل الجزائر فقد هاجروا وهجروا معا. هاجر منهم عدد كبير من المدن والأرياف يوم استولى العدو على البلاد، وأيقنوا أن البقاء تحت «حكم الكافر» لا يجيزه الشرع. وتذكر المصادر ان مدينة الجزائر وحدها قد نقص عدد سكانها بأكثر من النصف سنة 1836. وخلت مدن عنابة ووهران وبجاية والمدية وتلمسان ومستغانم من سكانها، كذلك قبل أو أثناء احتلال العدو لها. وبالطبع فانه ليس كل من خرج من مدينة قد هاجر منها الى المشرق. فقد تفرق السكان في البداية خارج المدن انتظارا لما ستسفر عنه الحرب، ولجأ آخرون الى المدن والمراكز التي سيطر عليها الأمير عبد القادر، ولم يهاجر فعلا الى خارج الحدود إلا عدد محدود، وهم أولئك الذين لهم المال أو لهم العلم أو لهم امكانات الاستقبال، وبذلك هاجر عدد من المثقفين والبرجوازيين الجزائريين الى المشرق وهاجر بعضهم أيضا الى المغرب وتونس. ومن الأكيد انه لم يهاجر منهم أحد الى أمريكا أو حتى فرنسا عندئذ.

أما التهجير أي حمل الأعيان والقادة والسياسيين على مغادرة بلادهم فذلك هو المقصود هنا. وهذه العملية قد بدأ تنفيذها منذ الوهلة الأولى للاحتلال. لقد بدأت باتهام العناصر الفاعلة في الساحة الدينية والسياسية بالتآمر ضد الفرنسيين أو بالارتباط بالاتراك أو بالانضمام الى مقاومة الأمير عبد القادر، ونحو ذلك من الاتهامات. ومن هؤلاء رجال عثمانيون كانوا متقلدين لسلطات قضائية أو سياسية أو ادارية، مثل البايات وأعوانهم، ومثل القضاة والمفتيين، وهكذا، فان الاسكندرية وازمير والحجاز قد استقبلت الباي مصطفى بومزراق، والباي حسن بن موسى، والمفتي محمد بن العنابي، والمفتي مصطفى الكبابطي، كما استقبلت باريس حمدان خوجة، ومصطفى بن عمر وحمدان بن أمين السكة، وغيرهم. وهم أولئك الذين شكلوا (لجنة الحضر) لمعارضة الاحتلال ثم طردهم الحاكم الفرنسي الجديد كلوزيل ثم خلفه رفيقو.

وقد أمتاز عهد بوجو (1841 ـ 1847) بتهجير من نوع آخر لأعيان الجزائر، وهو النفي والطرد خارج الوطن. فقد حكم على كل مشبوه وكل زعيم سياسي أو اداري من الجزائريين لم يتعاون صراحة مع العدو، وأجبره على مغادرة وطنه وعائلته، ثم نقله قسرا الى سجون نائية في جزر بعيدة مثل كاليدونيا الجديدة وكايان والمارتنيك وسانت مرغريت وغيرها، بالاضافة الى سجون فرنسا نفسها، مثل سجن (الهام). ان هؤلاء الجزائريين لم يخيروا في منفاهم ولكنهم أجبروا اجبارا على الهجرة من جهة وعلى الاقامة بعيدا عن أرض الشرق والاسلام والعروبة من جهة أخرى.

وأثناء عهد بوجو بالذات فكر الجزائريون وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في

الهجرة الجماعية نحو الشرق. لعل ذلك كان مجرد خاطر، ثم أصبح هما سياسيا. انهم استحضروا تاريخ المسلمين الاوائل وهجرتهم بدينهم الى الحبشة ثم الى المدينة المنورة. وقاسوا على ذلك ضرورة الهجرة بالدين من الارض التي تغلب عليها الكفار. وجاء بعضهم بفتاوي العلماء بالهجرة أو عدمها من الاندلس عند تقدم الاسبان ضد المسلمين. وتدخل علماء الجزائر الذين دخلوا في خدمة الادارة الفرنسية يقولون ان ذلك قياسا مع الفارق وأفتوا بضرورة البقاء في الوطن ولو تغلب عليه الكفار مادام هؤلاء قد سمحوا للمسلمين باداء شعائرهم.

واحتدم النزاع الديني والسياسي في الموضوع، وخافت السلطات الفرنسية من الفضيحة الدولية ومن اضطراب الجزائر وخلوها من السكان، فسارعت الى تدبير مؤامرة تجعل المسلمين يعدلون عن التفكير في موضوع الهجرة أصلا، فأرسلت الجاسوس الشهير (ليون روش) متنكرا في الزي العربي الاسلامي الى أهل القيروان والازهر ومكة، وجاء من علماء هذه الاماكن المقدمة عند المسلمين (بفتوى) أعدتها مسبقا مصالح الاستخبارات الفرنسية وختمت عليها أيدي علماء الاسلام (الاعلام) في الاماكن المذكورة، ورجع بها ليون روش الى الجزائر، فعلقت على جدران المساجد وقرئت في الخطب ونشرت في جريدة (المبشر) وسارت بها الركبان الى الارياف والآفاق، ونادى بها البراحون في الاسواق، وكلهم يقولون: لا للهجرة الجماعية للمسلمين ولا لحمل السلاح في وجه الكفار ما داموا لم يتعرضوا للدين بالاذى وما دام المسلمون عاجزين عن اخراجهم من الجزائر بالقوة.

ولكن الهجرة والتهجير لم يتوقفا. ففي نهاية عهد بوجو (1847) وقعت الهزيمة بالامير عبد القادر. والواقع، انه منذ حادثة الزمالة (1843) وسقوط المدن في أيدي العدو، وضياع عاصمة الامير بالذات، والهجرة مستمرة، ولاسيما من الاعيان والقواد والعلماء. فبين التاريخين المذكورين هاجر قدور بن رويلة وأحمد بوضربة، والكبابطي، وأحمد الطيب بن سالم، والمهدي السكلاوي، ومحمد الخروبي، وصالح السمعوني، كما أرغم على الهجرة بومعزة وحسين بن عزوز وابراهيم بن أبي فارس (شريف ورقلة مستقبلا)، وأخيرا خرج الامير نفسه من الجزائر ورفقته عشرات من أتباعه وقواده. وتوجه بعضهم مباشرة الى المشرق، وأجبر الباقي على البقاء معه في سجون فرنسا الى أن أطلق سراحهم سنة 1852 فواصلوا رحلتهم الى المشرق ولاسيما بلاد الشام.

وكلما نشبت معركة أو انتفاضة أو تغيرت السياسة الدولية أو الداخلية حدث تنشيط الهجرة الى المشرق، (ولا نتحدث الآن عن تونس والمغرب). وهكذا، كان الحاج عمر زعيم الطريقة الرحمانية الثائرة في بلاد القبائل اذ هاجر بأهله وبولد الشريف وبنت الشريف مولاي ابراهيم الى المشرق، بعد ثورة 1857 وهاجر أيضا من جرجرة سي الجودي الزعيم الشهير الذي عاصر بوجو وعهد راندون في الجزائر. أما ثورة 1871 فقد

أدت الى تهجير زعمائها وخصوصا الشيخ سي عزيز الحداد الذي حمل الى كاليدونيا وبعد سنوات طويلة هناك هرب الى الحجاز، والشيخ الونوغي.

وكانت سياسة الدولة العثمانية الاسلامية وخوف فرنسا على الوضع الداخلي بالجزائر قد اجبرت الحاكم العام جول كامبون على تزوير فتوى جديدة تثبط المسلمين الجزائريين ضد الهجرة وتقاوم تأثير السياسة الاسلامية أو الدعاية العثمانية في الجزائر، وجول كامبون هذا (1891 ـ 1897) هو الذي أمر بدراسة نفوذ الطرق الصوفية ولمعرفه ما كان منها (وطنيا) أي نابعا من الجزائر وليس له فروع أو أصول في المشرق، وما كان منها (عالميا) أو مشرقيا له فروع وأصول أخرى.

ولكن هذه المحاولات كلها لم تمنع من الهجرة الجماعية القوية التي حدثت سنة 1911. حقا أنه قد سبق لعائلات وأفراد أن هاجروا الى الحجاز أو الشام منذ أواخر القرن الماضي، مثل عائلة الشيخ الطيب العقبي، أو منذ أوائل هذا القرن، مثل عائلة الشيخ البشير الابراهيمي وعائلة الشيخ حمدان الونيسي (شيخ ابن باديس)، ولكن الهجرة التي هزت وجدان الجزائر وأثارت مخاوف الفرنسيين هي هجرة تلمسان (1911) وما صاحبها من تداعيات أخرى في شرق البلاد ووسطها أيضا. ومن أشهر المهاجرين عندئذ الشيخ محمد بن يلس زعيم الطريقة الدرقاوية.

ان السبب الظاهري لهذه الهجرة هو قانون التجنيد الاجباري الذي فرضته الادارة الفرنسية على الشباب الجزائري استعدادا للحرب العالمية التي كانت على الأبواب، كما حدث فعلا. لقد جاء ذلك القانون أثناء الحرب العثمانية ـ الايطالية على ليبيا (1911 ـ 1912) وقيام فرنسا باحتلال المغرب الأقصى (1912)، بل أنه جاء على اثر سقوط نظام السلطان عبد الحميد الثاني وانتصاب (لجنة الاتحاد والترقي) التي كانت مدعومة وموجهة من الحركة الصهيونية.

وهكذا، لم تحن الحرب العالمية الأولى حتى كانت حركة الهجرة مع الجزائر نحو المشرق قد بلغت أوجها وبدأت تأتي أكلها في شكل حركات سياسية ونواد ثقافية وأدوار قيادية وصلات وتواصل من الوطن. ونحن نعرف أن طريق الحج كان أيضا طريقا للتواصل والتوصيل، كما نعرف من الوثائق أن علماء جزائريين آخرين قد زاروا الشام ثم رجعوا منه بأفكار ظلت محفوظة الى حينها، ومن هؤلاء الشيخ سعيد بن زكري وعبد الحليم بن سماية ومحمد سعيد الرواون، والأمير خالد، وعبد الحميد بن باديس وأحمد بن عليوة. ولكل من هؤلاء دوره في الحياة الفكرية والسياسية في الجزائر بعد ذلك.

ماذا فعل الجزائريون في الشام عبر رحلتهم الطويلة؟ وأين سكنوا وتوظفوا؟ وما

علاقاتهم السياسية والاجتماعية، وما الدور الذي قاموا به من أجل وطنهم الأصلي ووطنهم القومي؟ ان هناك عدة دراسات حاولت أن تجيب على هذه الأسئلة وغيرها، ومنها في العهود الأخيرة دراسة الاستاذ عمار هلال [1]، والاستاذة نادية طرشون [2]. ولاشك أن هناك دراسات أخرى. وقد تعرضنا نحن الى نفس الموضوع في كتابنا الحركة الوطنية الجزء الثاني.

ولكن الاستاذ سهيل الخالدي فاجأنا بعمل شامل حول الموضوع سماه: «دور المهجّرين الجزائريين الى بلاد الشام في حركة التحرر القومي العربي، 1847 ـ 1987». ومما يلفت النظر فيه هو أنه لا يتناول المهاجرين من تلقاء أنفسهم وأنه لا يتحدث عنهم في جميع المشرق العربي وانما في بلاد الشام فقط، وبالاضافة الى ذلك هناك قيد آخر للموضوع وهو دورهم في حركة التحرير القومي العربي. أما التاريخ فهو ممتد ليشمل دورهم حتى اللحظة التي انتهى فيها من التأليف تقريبا.

ان تغطية موضوع بهذا الحجم الزمني من جميع جوانبه أمر يكاد يكون مستحيلا. فالهجرة الجزائرية الى بلاد الشام سارت سيرا متعرجا وحصلت لظروف داخلية وعربية واسلامية ودولية. وقد تعددت اطرافها ومصادرها وأدوارها ولذلك احتاج الأمر الى استعداد قوى والى اطلاع واسع، والى وثائق عديدة، وأخيرا الى قدرة كبيرة على التحليل والاستيعاب والاستنتاج والتفسير. والاستاذ الخالدي، الذي هو نفسه سليل أسرة جزائرية مهاجرة استوطنت عمق بلاد الشام، يعتبر أفضل من يتناول الموضوع من جوانبه المذكورة، خلافا للذين تناولوه حتى الآن. فبينما عالج الآخرون الموضوع بشكل ربما محايد أو بطريقة خارجية هادئة، وجدنا الاستاذ الخالدي قد عالجه كطرف فيه، فهو يختار المادة التي تؤيد وجهة نظره، وهو يتبنى الموضوع ويتمثله داخليا، ثم يقوم بعرضه على القاريء في صورة مشوقة ومباشرة.

لقد سلك الاستاذ الخالدي في كتابه الضخم طرق التبويب المعروفة اليوم في الأبحاث الجادة. فقسمه الى أبواب وفصول وفقرات. ورجع الى مصادر عربية عديدة، منها المخطوط والشفوي، بالاضافة الى الصحافة والتقارير، وجاء بالنصوص التي تؤيد وجهة نظره في شيء من الطول أحيانا، محيلا على العديد من التعاليق. ومن أهم ما أنجزه أيضا هو وضع بطاقات شخصية لعديد من الشخصيات، كما وضع قوائم للمؤلفات التي ألفها المهاجرون (المهجرون) وأحفادهم. وقد تتبع المهجرين في استقرارهم بالارض وحصولهم على الوظيف واختلاطهم بالناس وصراعهم مع الحياة والمجتمع الجديد، وتفاعلاتهم

---

(1) الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، 1847 ـ 1918)، الجزائر 1986.

(2) رسالة ماجستير بعنوان (الهجرة الجزائرية الى المشرق العربي.) كلية الآداب، دمشق، 1985.

السياسية والفنية والثقافية، وتلاطم زعمـائهم في خضم السياسة الدولية والاحداث الكبرى التي عرفتها المنطقة.

وكان من الطبيعي أن يبرز هنا دور الأمير عبد القادر وأبنائه وأحفاده. فقد جعلت منهم الاقدار ممثلين بارزين على مسرح الجزائر وسورية وفلسطين ومصر واليمن وطرابلس والمغرب الأقصى واسطانبول. وسواء أكانوا مع الدولة العثمانية أو مع القومية العربية فانهم كانوا هم المحركين للاحداث ابتداء من حادثة سنة 1860 في سورية. وهكذا وجدناهم وراء مشروع المملكة العربية في سورية والجزائر، وقناة السويس، وبحر قابس، وحرب طرابلس، والثورة العربية والجمعيات السرية القومية، والحكم العربي في سورية، وثورة المغرب الأقصى، وثورة فلسطين منذ الثلاثينات. ان الناس اليوم يعرفون الكثير عن الأمير عبد القادر في الشام، ولكنهم لا يكادون يعرفون شيئا عن دور أبنائه: علي ومحي الدين وعمر وعبد المالك، ودور حفدائه: خالد وعبد القادر. ولكن الأستاذ الخالدي قد أبرز دور هؤلاء جميعا بما يستحقون من العناية، رغم أن الضوء الذي سلطه عليهم لم يكن في نظرنا، متوازنا، اذ نجد معلومات غزيرة عن الأمير سعيد مثلا وحضورا يكاد يكون دائما له في الكتاب وهو أمر لم يحظ به غيره.

ولم تكن أسرة الأمير وحدها في الميدان. فقد ظهرت الى جانبها اسماء لامعة من المهاجرين، ساهم أصحابها في عدة ميادين تهم القضية العربية. ومن أبرزهم، بدون منازع، الشيخ طاهر بن صالح الجزائري المعروف بالطاهر السمعوني. فقد كان لهذا الشيخ فضل عظيم في بعث الثقافة العربية وتكوين جيل من الادباء والمفكرين والسياسيين، بالاضافة الى دوره في حزب اللامركزية وانشائه وادارته لعدة مؤسسات، مثل المكتبة الظاهرية. وكان والده صالح السمعوني قد هاجر من قرى سمعون من نواحي بجاية، فولد له الشيخ طاهر في دمشق التي فيها نشأ وعاش وأعطى لها من جهده وعلمه الشيء الكثير.

ومن أسرة السمعوني أيضا يبرز الضابط الشجاع سليم السمعوني (ابن اخ الشيخ الطاهر). وكان سليم من أنبل وأهم قادة الحركة العربية التي كانت تعارض الحكم العثماني، فكان جزاؤه الشنق على يد جمال باشا المشهور بالسفاح سنة 1916 ضمن قائمة من شهداء القومية العربية.

أما عائلة المبارك التي هاجرت من دلس، فقد اقتصر نشاطها على علوم الدين واللغة. فكان منها ثلاثة أو أربعة على الأقل من نوابغ الادباء واللغويين في هذا العصر، اشتهروا ببحوثهم ومؤلفاتهم وعضويتهم في المجامع اللغوية.

وبقدر ما أفاض الأستاذ الخالدي في الحديث عن هذه الشخصيات بقدر ما كان شحيحا حول بعضها الآخر. ذلك أننا لا نكاد نجد ذكرا لمصطفى بن التهامي صهر الأمير

وخليفته على معسكر ورفيقه في امبواز ومؤدب أولاده في المهجر. وكان ابن التهامي من الادباء أيضا، وله شعر مخطوط، وكان من مدرسي الجامع الأموي. كما أننا لا نكاد نجد ذكرا لدور أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر على حمزة (البويرة) وكان ابن سالم قد هاجر الى المشرق قبل هزيمة الأمير بعدة شهور. وقد ظل دور البشير الابراهيمي في سورية غير واضح، رغم قصر المدة التي قضاها هناك قبل رجوعه الى الجزائر (1920)، وتذهب بعض الروايات الشفوية الى أنه كان قد دخل في أحد المحافل الماسونية، وهو ما فعله أيضا الشيخ طاهر الجزائري في فترة سابقة.

وهناك نقاط مر عليها الأستاذ الخالدي مرور الكرام، تاركا الذهن ينتظر المزيد، ومن ذلك الاشارة الى أن الأمير شكيب أرسلان قد ضمن للأمير سعيد بن الأمير علي بن الأمير عبد القادر، بان عمه عمر لن يعدمه جمال باشا، وان الأمير ارسلان كان يضمر الحقد للأمير عمر وانه كان على اتفاق مع جمال باشا في التخلص منه (الأمير عمر)، وان الأمير ارسلان قد رافق الشرطة التي جاءت للقبض عليه وقيادته الى حبل المشنقة. ان هذه دعوة كبيرة تحتاج الى دليل أكبر. فالمعروف بعد ذلك ان الأمير ارسلان كان من أبرز دعاة الفكرة القومية العربية وحركة الجامعة الاسلامية، وأنه لم يكن على وفاق مع قادة الدولة العثمانية لاسيما بعد أن أضاعوا ليبيا وقمعوا الحركة العربية وألغوا الخلافة ووقعوا تحت تأثير الصهيونية. وكان للأمير شكيب ارسلان علاقات هامة بقادة الحركة الوطنية الجزائرية، خاصة زعماء المغرب العربي عموما خلال الثلاثينيات والاربيعنيات.

وبهذ الصدد نذكر أننا تطلعنا في شغف الى معرفة نقطتين ولو معرفة قليلة، الأولى: علاقة الأمير عبد القادر بالحركة الاسلامية، والثانية: علاقته بالحركة العربية. ونقصد الحركة الاسلامية تلك الهزة التي أحدثها جمال الدين الأفغاني في السبعينيات والثمانينيات تحت اسم الجامعة الاسلامية. واذا كان الأمير عبد القادر قد توفي سنة 1883 فان نشاط الأفغاني خلال عقد السبعينيات لم يكن ليخفى عليه. فقد تنقل الأفغاني بين مصر والهند وفارس واوروبا وكانت بلاد الشام أقرب فكريا الى مصر منها الى فارس. وكان الأمير قد حضر شخصيا افتتاح قناة السويس (1869)، وكان الأفغاني عندئذ لاجئا لا يستقر به مكان. أما تلميذه محمد عبده فقد كان يتنقل بين مصر والشام (بيروت) واوروبا، وقد التقى بالأمير عبد القادر عدة مرات، كما التقى بولديه محمد ومحي الدين. ويبدو ان الشيخ طاهر الجزائري وابن أخيه سليم السمعوني كانا من تلاميذ الشيخ عبده. ان البحث عن هذه العلاقات الحميمة والشخصية بين قادة الرأي عندئذ هو الذي كان سيعطي لبحث الاستاذ الخالدي قيمة خاصة وسبقا علميا لو أنه استطاع ان يرضي تطلعنا وشغفنا.

اما عن الحركة العربية فقد أشار الاستاذ الخالدي الى الضجة التي انطلقت تدعو الى

اقامة كيان عربي في بلاد الشام تحت زعامة الأمير عبز القادر. وكان منطلق الضجة في نظره هو دور الأمير في انقاذ آلاف الضحايا أثناء فتنة الشام سنة 1860. فقد استقطب الأمير بفعله الانساني المنسجم مع روح الحضارة الاوروبية أيضا، أنظار ورؤساء أوروبا بالاضافة الى زعماء الكنائس والمفكرين والديبلوماسيين. وكان التجاذب حول شخصية الأمير قويا جدا على المستوى الدولي. فكل دولة كانت تريد أن تظفر منه (بلفتة) لتتخذ منه وسيلة لترسيخ نفوذها في المنطقة. وكان الثالوث الظاهر لهذا التجاذب يتمثل في الدولة العثمانية وفرنسا وبريطانيا. وقد تعرض الاستاذ الخالدي الى ظهور فكرة الكيان العربي عندئذ (الستينيات من القرن الماضي) ومعاداة التسلط العثماني، ولكنه لم يشر الى المشروع الفرنسي أيضا، وهو المشروع الذي يرى في الأمير عبد القادر وسيلة ناجحة لاقناع القوميين العرب بحماية فرنسا لهم ضد الدولة العثمانية. وكان لذلك ثمن آخر أيضا، وهو شراء الهدوء في الجزائر وذلك بجعل الأمير منشغلا عنها بقضايا الشرق. ولعل ذلك هو بالضبط الذي جعل الأمير يتريث في الاستجابة، ثم يرفض الدخول أصلا في تلك المغامرة الخطرة.

ان عمل الاستاذ الخالدي من التأليف الجمعي لا التحليلي. فقد جمع فيه الكثير من المعلومات من المصادر العربية المتوفرة حول أوضاع المهجرين. وفي سبيل ذلك كان يلجأ أحيانا الى النقل الطويل من بعض المصادر، دون ضرورة، وتارة كان يقحم فصلا أو أكثر كالذي عالج فيه الثقافة في العهد المملوكي أو الحديث عن الثقافة في الجزائر قبل العهد الفرنسي. ولعله من الأفضل لبطاقات التراجم وقوائم المخطوطات أن تأتي في شكل ملاحق للكتاب. ومن علامات الجمع في الكتاب أيضا اتساع جوانبه ومحاولة الاحاطة بكل نشاط المهجرين. واذا كان هذا يصح في نوع التذكرات والكشاكيل، فانه لا يصح في الأعمال العلمية التي تتطلب الضبط وحسن الاختيار وطرح الغث وتناسق المادة وتغليب روح النقد. كما نلاحظ ان «الدور القومي» كان، رغم ابرازه في العنوان، مضببا في الواقع. فلا يكفي لابرازه ذكر شهداء الثورة العربية من الجزائريين وأعضاء الجمعيات السرية العربية منهم، والصراع بين الأمير فيصل من جهة والأميرين عبد القادر واخيه سعيد حفيدي الأمير عبد القادر من جهة أخرى، ولا المقاومة الفلسطينية الباسلة منذ الثلاثينيات. ان الدور القومي للمهجرين يتمثل أيضا في الأفكار والتوجيهات والكتاباتوالتنظيم.

ولعله من فضائل هذا الكتاب انك تقرأه وكأنك تقرأ قصة أو مقالا أدبيا عذبا. ولا غرو في ذلك فمؤلفه أديب ماهر وصحفي لامع في ميدان الصحافة الأدبية، التي نفتقر

اليها نحن في بلادنا . اننا نقرأ في هذا الكتاب رحلة المهاجر الجزائري عبر الزمن والأرض وداخل الايديولوجيات والعقائد ، انها ملحمة انسانية شاملة. اين منها رحلة التيه التي عاشها العبرانيون؟ واين منها رحلة الاوديسه وأسفار كولومبس؟ لقد جاب الانسان الجزائري الأقطار قسرا بينما الآخرون قد جابوها بمحض ارادتهم. وحيثما حل كان يعمر الأرض ويألف الناس ويبني الحضارة.

وما علينا الا أن نجزل الشكر للاستاذ سهيل الخالدي على هذا الجهد الضخم الذي سيكون بدون شك، مرجعا لكل من يتحدث عن هجرة الجزائريين أو تهجيرهم نحو المشرق في الوقت الذي كان فيه الاوروبيون يتوجهون الى أمريكا ، أو الى الجزائر بحثا عن الرزق والحرية، ليغتصبوا أرضا ليست أرضهم ووطنا محتلا بالحديد والنار. ليغتصبوا الحياة ان يظل الانسان الجزائري ينسج خطواته من المشرق الى المغرب ثم من المغرب الى المشرق، متتبعا آثار أجداده الكنعانيين والفنيقيين والعرب. وقد آن لهذا الجزائري ان يعرف ما بني الأجداد وان يربط حاضره بماضيه ليدخل معركة المستقبل وهو شامخ الرأس ثابت الخطى.

أبو القاسم سعد الله
الجزائر في 1991/7/9

## - إلى القارئ أولاً-

رغم ماهو مؤكد لدى قرائي منذ سنين، إلا أنني أعتقد بأن عليّ - هنا - واجب التوضيح: بأني لست مؤرخاً، ولا باحثاً في التاريخ، فهذا شرف لاأدعيه. وسأشعر حقاً بالابتهاج إذا مارأى القراء أو المؤرخون أو الباحثون شيئاً من ذلك في كتاب يكتبه صحافي متواضع مثلي.

وأود أن أقرر بسرعة وجلاء أن علاقتي الشخصية بالموضوع لعبت دوراً في دفعي لخوض غمار هذه التجربة، فأنا من عائلة زرقين قبيلة أولاد سيدي خالد التي هجرت أوائلها عام 1860 من وادي البردي /دائرة عين بسام/ ولاية البويرة الى المشرق العربي وسكنت فلسطين، وتصادف أن يكون جدي لوالدتي هو قاضي الجزائريين في الشام المسؤول عن أحوالهم المدنية، وقد عني ذلك لي ضرورة البحث في مجموعة من الأوراق التي احتفظت بها الوالدة طويلاً، وكذلك التأكد من معلومات هذه المرأة التي تمتلك ذاكرة تفصيلية خارقة للعادة.

وأما الدافع العام فهو استيائي من المعاملة غير المناسبة التي كان يلقاها العرب المشارقة من طرف الادارة الفرانكو - شيوعية الشديدة التخلف في الجزائر خلال السبعينات فأردت أن أبين أن الجزائريين في الشام ماكانوا ضيوفاً غرباء بل انهم انتقلوا من شق التمرة العربية الى شقها الثاني، وأن كل ماتدعيه كتب الغرب وماتختلقه من اقليميات وأثنيات وقطريات، ماهو إلا كيد وتضليل له علاقة بالاستعمار وخططه، أكثر مماله علاقة بالتاريخ والحقيقة، أو بمستقبل الشعوب والأمم.

كذلك أردت أن أبين للقارئ الجزائري خصوصاً أن إقامة الدولة العربية الواحدة المستقلة، وفكرة التحرر القومي العربي والتضحية من أجلها، هي الحلم الذي جاهد الجزائريون من أجله، بل هم الذين وضعوا أسس هذا الحلم قبل أن يتبناه أي حزب سياسي، وبالتالي فإن دعايات وأفكار الادارة الفرانكو - شيوعية الاقليمية الانفصالية في الجزائر وأساليبها لاتنبع من شخصية وطننا الجزائري ولاتخدمه.

وفي عام 1987 حط بي طائر الأقدار في دمشق فبدأت على الفور التنقيب في أوراقي واستعين بذاكرة والدتي التي تعرف العائلات الجزائرية في دمشق معرفة موثوقة، وبدأت بزيارة بعض هذه العائلات التي عرضت عليها مشروعي فرحبت أيما ترحيب.

وهكذا يلاحظ القارئ أني في هذا الكتاب تخففت من الصرامة الأكاديمية وإن لم أبتعد عن الانضباط، وذلك حتى أتمكن من وضع إطار عام للموضوع، قد يرجع الى تفاصيله الباحثون والمؤرخون المهتمون ويدققون فيها بما شاء لهم من صرامة الأكاديميين.

وفي عام 1991 عدت الى وطني الجزائر، بهدف عرض أبحاثي هذه على الرأي العام الجزائري والالتقاء بالمؤرخ الدكتور أبو القاسم سعد الله الذي كان قد وافق بأريحية على تقديم ماكتبه هذا الصحفي متطفلاً على علم التاريخ وبالفعل كتب الأستاذ الدكتور التقديم المنشور في الصفحات الأولى من هذا الكتاب، وقد لفت هذا التقديم نظري لعدد من النواقص. ولما تعثر طبع الكتاب في الجزائر خلال تلك الفترة رغم الجهود التي بذلها الدكتور الباحث أحمد بن نعمان، ولما أتيحت لي فرصة العودة الى دمشق منتصف عام 1995 ولما كان الدكتور عبد الله ركيبي قد عين سفيراً في دمشق وبدأ يحل مشكلة إعادة الجنسية الجزائرية لهؤلاء المهجرين وجدتها فرصة سانحة، ليس فقط بالتقليل قدر الإمكان من النواقص التي أشار اليها مشكوراً الدكتور سعد الله بل أيضاً لمعايشة وتسجيل وقائع الفصل الختامي الذي يضعه على أرض الواقع الدكتور ركيبي، ولا يكفي القول أني مدين بالكثير لهؤلاء الأساتذة الأصدقاء، لأنهم في الأصل قدموا جهداً علمياً وعملياً من أجل قضية الجزائر وشخصيتها الوطنية والقومية.

وإني مدين أيضاً لوالدتي المرحومة عائشة بنت محمد الخالدي التي كانت تتمنى أن ترى هذا الكتاب الذي أسهمت فيه بكثافة، مطبوعاً، لكنها تركتني وحيداً معه في 1995/8/24 في ليلة تظل محفورة في الذاكرة.

ومدين أيضاً لعائلة المبارك، الأستاذ الدكتور مازن وأشقاؤه ممدوح وهاني وعدنان والى الأستاذ أحمد سهيل الفضيل والأستاذ الشيخ محمد ابراهيم اليعقوبي ومختار حي السويقة السيد رابح مزيان وأحفاد الأمير عبد القادر كالسيدة بديعة والسيد طاهر، فقد أعطوني جميعاً ساعات ثمينة من أوقاتهم.

كما أني مدين أيضاً للعائلات الجزائرية في السويقة وجمعيتهم الخيرية، ومخيم اليرموك للفلسطينيين، وفي حوران، فقد زودوني بمعلومات وصححوا لي أخرى.

كما أن مدين للباحث القومي المعروف الصديق الأستاذ ناجي علوش الذي فتح لي مكتبته الضخمة على مصراعيها وزاد على ذلك بأن زودني بوثائق هامة ولفت نظري الى قضايا تستحق العناية.

وأما في البويرة ووادي البردي فإني مدين لإبن عمي مدرس التاريخ الأستاذ محمد زرقين والقاضي محمد سحنون والقاضي حسين شلوش والقاضي السعيد بوحلاس والمحامي دالي شارف ساعد والمحامي لمين العجايليه والى كبار السن في وادي البردي ومدير وأساتذة وطلبة معهد المعلمين في البويرة.

وكذلك فإني مدين للأستاذين الصديقين كمال عياش وعز الدين ميهوبي فقد فتحا لي صفحات يومية الشعب لنشر أبحاث هذا الكتاب، مما كان له أثر كبير ليس فقط في طرح موضوع المهجرين الجزائريين على الرأي العام، بل بورود رسائل من القراء من مختلف جهات الوطن كان لبعضها فائدة مهمة في تدقيق المعلومات.

إذن فإن كل فضل في هذا الكتاب هو نتيجة جهد بذله هؤلاء في المغرب والمشرق من جزائريين وغير جزائريين، كدليل إضافي على وحدة التاريخ والوجدان والأمل، وإن كل نقص فيه هو نتيجة تقصيري فقط ومسؤوليتي عنه لا جدال فيها.

*سهيل زرقين الخالدي*

*دمشق 1996/5/15*

# هجرة الجزائريين السياسية إلى بلاد الشام

## أولا: الأسباب و المواقف

**مدخل:**

حتى الآن لانكاد نعثر على بحث شامل متخصص وموضوعي دقيق عن الهجرة الجزائرية الى المشرق العربي التي بدأت مع إستئمان - وليس استسلام - الأمير عبد القادر الجزائري الى فرنسا عام 1847م، بحث يجيب على مجموعة الأسئلة: لماذا، كيف، متى، أين، من، وكم. فمعظم ماهو موجود من أبحاث كتبها فرنسيون، ولاتخرج عن إطار «العقدة الجزائرية» التي يعاني منها كل فرنسي تقريباً، وتناولوها كماهي عادتهم في تناول التاريخ الجزائري، بطريقة لاتبعث على الإحترام، وإن كانت هناك كتابات فرنسية نادرة جداً خرجت عن إطار العنصرية الفرنسية ومافيها من عنجهية وأكاذيب، لذلك فإن هذا البحث لايهتم كثيراً بتلك الدراسات.

ولعل من أهم الدراسات - في نظري - التي أجريت باللغة العربية الوطنية حتى تاريخ الشروع في هذه الدراسة، وبأيدي باحثين جزائريين، وخصصت كامل جهدها لهذا الموضوع، الدراسة الموسومة. «الهجرة الجزائرية الى المشرق العربي» وهي أطروحة ماجستير مقدمة الى جامعة دمشق من الطالبة الجزائرية نادية طرشون عام 1985، نشرت مقاطع منها في مجلة دراسات تاريخية. وفي عام 1986 نشر الدكتور عمار هلال كتابة الموسوم **«الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847 - 1918»**، ويعتمد فيه على الوثائق الفرنسية الكثيرة جداً، ولكن هذه الوثائق مثلها مثل معظم الوثائق الفرنسية تفتقر الى كثير من فضيلة الصدق، الأمر الذي يفسر لماذا لم يبرز حتى اليوم مؤرخون فرنسيون ذوي وزن عالمي!.

وقد أهملت الدراسات الفرنسية ومعظم الدراسات الأوروبية الأخرى وجهة نظر الطرف الأساسي في الموضوع وهو الجزائري المهاجر نفسه الذين تنظر اليه هذه الدراسة «كمهجّر» رغماً عنه. وتسعى الى سد هذه الثغرة الخطيرة بالرجوع الى وجهة النظر هذه.

ومن كتابات المهجرين الجزائريين الى الشام حول هجرتهم:

1- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، الذي نشره الأمير محمد بن الأمير عبد القادر عام 1903م في الاسكندرية وحقق ثانية في دمشق عام 1964م.
2- تاريخ الزواوه، لأبي يعلي الزواوي الشيخ الذي عاش فترة في دمشق وطبع كتابه فيها حوالي عام 1340 هجرية.
3- مذكرات الشيخ محمد الهاشمي عن هجرته مع شيخه محمد بن يلّس من تلمسان.
4- ملاحظات سريعة وردت في كناشين مخطوطين للشيخ طاهر الجزائري.

ويبدو أن هناك كتابات أخرى حول الهجرة من طرف المهجرين أنفسهم وردت هنا وهناك، كما في بعض شجرات نسب بعض العائلات التي اطلعت عليها. وقد قيل لي أن الشيخ المرحوم ابراهيم يعقوبي كتب رسالة* في الموضوع، لكني لم أطلع عليها.

تذكير:

وفي كل الأحوال يجب النظر الى الهجرة الجزائرية الى الشام على أنها جزء من الهجرات الداخلية في الوطن العربي، هذه الهجرات التي لم تتوقف تقريباً منذ عصور قديمة، وتحديداً منذ انهيار سد مأرب في اليمن، وكان العربي المهاجر من جهة عربية الى أخرى عربية يلقى دائماً الترحيب ويحتل مركزاً يمكنه من الإبداع والإضافة الى مجتمع الجهة التي هاجر اليها، فالهجرات العربية «السامية» الى المغرب العربي، هي التي أدخلت هذه المنطقة التاريخ ولذلك فإن في دمشق وبيروت وغيرهما شهدت قبل عام 1847 العديد من العائلات الجزائرية والمغربية عموماً التي انتقلت داخل الوطن الذي كان تحت الحكم العثماني مثل عائلة البيطار الجزائرية في دمشق وعائلة العريسي الليبية في بيروت وأعطت الكثير لهذا الجزء من الوطن، لكنها خارج إطار بحثنا.

وفي حدود فترة هجرة الجزائريين السياسية الى الشام «منتصف القرن التاسع عشر الميلادي» موضوع بحثنا نجد هجرة أخرى من الشام الى مصر، وقد أضاف الشوام الى الحياة الثقافية والسياسية في مصر، إذ يقول د. أحمد طاهر حسنين:

«خدم الشاميون المهاجرون الى مصر نهضتها الأدبية الحديثة في أكثر من ميدان، وقد رأينا كيف كانوا جادين في كل ماقاموا به من ترجمة أو صحافة أو تأليف، ولاشك أن كل هذا أو بعضه يصلح لأن يكون «بداية» اصيلة وعميقة لفهم التاريخ الأدبي الحديث».(1)

فماذا أضاف الجزائريون إلى الشام؟ هذا هو السؤال الذي شغلت نفسي في الإجابة عليه لأن الدراسات الأجنبية أهملته بخبث واضح، فقد تجاوز الجزائريون في الشام الدور الأدبي والثقافي الى الأدوار السياسية والعسكرية وهي أدوار درسناها في أبحاث أخرى، إذ خصصنا هذا البحث لأسباب الهجرة وموجاتها وأماكن استقرار الجزائريين في الشام، والموقف العثماني الرسمي والموقف العربي الشعبي منهم.

أسباب الهجرة:

منذ بدء جهاده ضد الاحتلال الفرنسي، لم يكن الأمير عبد القادر جاهلاً بميزان القوى العسكرية والسياسية والعلمية والاقتصادية، لذلك لم يكن لديه وهم بالنصر، بل كان يقوم بواجبه الديني والوطني كما يليق بأي رجل سوي العقل شريف.

وقد عبرت رسالته من سجنه الى الأسقف دوبيش عن أن الأمير لم يكن صاحب أوهام إذ قال:

«منذ ثلاث سنين كنت أحارب الفرنسيين وليس لي أن أرى نهاية حميدة لي في هذه

الحرب مع أني كنت معتقداً أني لم أقم إلا بالواجب الديني وحفظ بلادي وأخشى أن ألقى شبه الملامة من قومي الذين وثقوا بي وحلفوا ألا يتركوني».(2)

ومع ذلك فإن قوة شكيمة ومعنوية الأمير والشعب الجزائري كادت على مدى 17 سنة أن تهز ميزان القوى وتسخر منه، فالرجل انتصر في معظم معاركه التي خاضها مع العدو الفرنسي الذي يزداد ميل الميزان لصالحه على مدار الساعة عسكرياً وعلمياً واقتصادياً وسياسياً، مما منع الأمير والشعب من تتويج تلك الانتصارات اليومية والمرحلية بانتصار نهائي وحاسم. مما عزز قناعة الأمير بأن مواصلة القيام بالواجب الديني والوطني في ظل تزايد الاختلال في ميزان القوى المختل داخلياً واقليمياً ودولياً، سيتحول الى انتحار ديني ووطني. فآثر لهذه الأسباب الداخلية والاقليمية والدولية الاستئمان لفرنسا، مقروناً بالسماح له بالهجرة الى المشرق العربي، ويمكن رصد هذه الأسباب كالتالي:

**1- الداخلية:**

**أ- حرب الإبادة والاستئصال:**

لم يكن الجيش الفرنسي يملك أية صفة من أخلاقيات الحروب التي كانت معروفة آنذاك، ولايملك ضباطه وجنوده شيئاً من أخلاق الفرسان أو الأخلاق المسيحية إذ يقول حمدان عثمان خوجه، الذي عاصر الاحتلال الفرنسي، في كتابه الهام «المرآة»:

«وفيما يخص فضائل القائد كلوزيل نكتفي بنقل بعض أعمال ادارته المشهورة بافريقية الجزائر: ففي عهده أخرجت جثث الأموات من قبورها وسمح بالاتجار بعظام البشر، وبيعت أحجار القبور ونقلت الى باب الوادي، لتفكك هناك بالحرارة وتجعل جيرا أو كلساً، واستولى على آجر المقابر، وهلم جرا..».(3)

ويضيف خوجة:

«ولم يتردد بعض مشاهير القواد في أن يقترحوا استئصال أمة بكاملها، وقد بنوا اقتراحهم على عدد قليل من السكان، لكونهم قد افترضوا أن هذا العدد القليل لايتجاوز مليونين نسمة».(4)

وكتب المارشال أرنو الى زوجته:

«أكتب اليكم ويحيط بي أفق من النيران والدخان، لقد ذهبت الى أفراد قبيلة البراز فأحرقتهم جميعاً ونشرت حولهم الخراب وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق واسع».(5)

ولعل الأجيال الفرنسية اليوم تشعر بكثير من المهانة والاحتقار للذات وهم يتذكرون ضابطهم كافينياك الذي فشل في مواجهة الأمير.

«فأغار على قبيلة أولاد سيدي يحيى فاضطرهم الى التشتت والتشرد في البلاد، وكان من سوء الحظ أن لجأ بعضهم الى كهف غائر هناك يعرف باسم غار العقبة البيضاء وهو قريب منهم فتجمع فيه نحو السبعمائة نسمة أكثرهم من النساء والصبيان والشيوخ ولم

يكن عمل الفرنسيين تجاه أصحاب الغار إلا أن أخذوا في جمع الحطب والتبن فسدوا به مدخل الغار ثم أضرموا فيه النيران حتى احترق واختنق كل من في الغار وقد ظلت النار مستمرة من الظهر حتى صباح اليوم التالي».(6)

ولم تكن هذه المجزرة التي وقعت عام 1845 هي الأكثر بشاعة أو حادثة منفردة، بل سبقتها وتلتها طوال الـ 132 سنة من الاحتلال مجازر أكثر بشاعة، واحتفل الجيش الفرنسي بذكرى مرور قرن على «بطولته هذه» فنظم عام 1945 مجازر أكثر بشاعة في قالمة وسطيف وخراطه وسعيدة وغيرهما من مدن وبلدات وطننا، بقصد استئصال شعبنا برمته.

ومن المؤكد أنه لم يكن للأمير أية مصلحة في مواصلة حرب فقد فيها الخصم «المتفوق أساساً» أية معايير وأية قيم أخلاقية.

**ب- تفكك الوحدة الوطنية:**

لم تمر هذه الوحشية الفرنسية دون أن تؤثر على الوحدة الوطنية للشعب الجزائري، فهذا البطش والارهاب والاستئصال لعروش بكاملها، ليس له أن يمر دون أن يؤثر في النفس البشرية، كما أنه أردف بإغراءات ورشوات واسعة لبعض البايات وشيوخ العروش، فخافت زعامات وطمعت أخرى، وترددت قبائل، وارتدت عشائر وكان الأمير يستعمل كل مواهبه لتمتين الوحدة الوطنية للشعب.

«لقد ألقى أفضل خطبة له في جامع معسكر فمكنته هذه الخطبة من أن يضم قبيلة بني عامر الى صفه بعد أن كان شيوخها قد قرروا الخروج عليه فأصبحوا منذ ذلك الحين من أخلص أتباعه».(7)

وكان الأمير يضطر في بعض الحالات الى تأديب بعض القبائل التي تخرج عن الصف الوطني ومنها مرة ما

«.. بلغه أن أولاد شعيب وهم قبائل عظيمة كثيرة البطون والعشائر، عازمة على الاتحاد مع الفرنسيين فعدل في طريقه عن التوجه الى وجهته التي كان قاصداً اليها، وسار اليهم. ثم هجم عليهم وكانوا في خمسة آلاف فارس، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وألقى القبض على رؤسائهم ومشايخهم».(8)

وقد بلغ تفكك الوحدة الوطنية للشعب الجزائري أن بعض العروش دلت الغزاة الفرنسيين الذين أغروهم بالأموال على عاصمة الأمير المتنقلة «الزمالة»

«وكان من جملة من تعهدهم بترصدها ودلالتهم على موقعها المتنصر عمر العيادي فجعل يتتبع مراحل الزمالة من موضع الى موضع حتى احتلت في كوجيله من نواحي الجنوب الشرقي من تاهرت فطير الخبر الى ابن الملك».(9)

وقد قامت بعض القبائل فعلاً بمحاربة الأمير عبد القادر لحساب المحتل الفرنسي

سواء مباشرة أو بالنتجية، وقد وصل هذا الخلل الى ذروته حين أخذ بعض رؤساء العروش يظهرون الصداقة للأمير، بينما هم قد وقعوا في الفخ الفرنسي. إذ أن الأمير:

«.. لما وصل الى بني خالد نزل على أستاذهم الشيخ (مختار بودشنيش) في بلدة (تفجيرت) وكان قبل ذلك من أصدقاء الأمير فظن فيه أنه يقوم بشأنه، فإذا به رأى منه ماأنكره. وبلغه عن قومه، ماأنذره وحذره، وتبين له أنهم داخلون في الجملة المنحرفة والفئة المتطلعة الى الغالب..»(10)

وحين يصل تأثير الاستئصال والذهب الرنان الى احداث مثل هذا الشرخ في الوحدة الوطنية، فليس من مصلحة أي قائد حصيف أن يواصل المقاومة لأنها ستتحول الى حرب أهلية، فلا يطرد المحتل ولا يحافظ على أرواح الناس.. وكان الأمير عبد القادر كما أثبتت الوقائع فيما بعد يملك الكثير من الحصافة، والرجل لم يكن عسكرياً أو سياسياً محترفاً.. وهو لم يؤهل نفسه أو يؤهله أبوه لغير العمل الديني.. لذلك ظل ملتزماً قواعد الجهاد الذي أبدع فيه كما أبدع في إدارة الدولة إبداعا لم يسبقه إليه المحترفون العسكريون والسياسيون

**2- الاقليمية:**

لم يكن - كما أثبت التاريخ فيما بعد - العقل السياسي لكل من سلطان مراكش «عبد الرحمن» وباي تونس وحتى باشا مصر المملوكي محمد علي بمستوى وعي والمعية العقل السياسي للأمير عبد القادر وقدراته على استشراف المستقبل، لذلك فإن أي واحد من هؤلاء لم يستطع أن يرى أن الأمير يحارب - جوهرياً - بالنيابة عنه، واتخذوا منه مواقف متباينة، أدت في النتيجة الى سقوط القلعة التي تدافع عنهم، فاجتاحهم الغزو الأوروبي، بمافيه الفرنسي، ولعل أخطر هذه المواقف جاءت من الجار المراكشي والجار التونسي.

**أ- موقف سلطان مراكش:**

أمام التهديدات والاغراءات الفرنسية تخاذل عبد الرحمن سلطان مراكش وتراجع شيئاً فشيئاً عن مساندة الأمير وصولاً الى محاربته نيابة عن فرنسا ولصحالها، بل أنه قتل «البوحميدي» الذي بعثه اليه عبد القادر رسول سلام ووقعت بين الأمير والسلطان عدة معارك. وكان الأمير في أول عهده يكن احتراماً وتقديراً للسلطان المراكشي، لذلك لم يلقب نفسه بسلطان، وإن كان قد أظهر هذا اللقب في وقت لاحق خاصة حين انضمت اليه قبائل مراكشية.

ويقول عبد الرحمن الجيلالي عن أسباب تراجع موقف السلطان المراكشي وانضمامه الى معسكر الغزاة:

«.. لعله كان يرى في عبد القادر مزاحماً تجب مقاومته ودفعه عن تراب المغرب، اعتماداً منه على معاهدة أبرمت سلفاً بين الأتراك العثمانيين بالجزائر وحكومة المغرب حول ولاية وهران التي كان ينظر اليها السلطان كجزء من أرض المغرب، لاسيما وقد

أشيع أن بريطانيا كانت ترى في الأمير خلفاً صالحـاً للسلطان عبد الرحمن على عرش المغرب الأقصى في حالة ما إذا أدى الأمر الى خلعه».(11)

**ب- موقف باي تونس:**

أما بايات تونس، فقد تطور موقفهم من الحياد بين الأمير وفرنسا الى الدخول في المعسكر الفرنسي:

«وبلغ بعضهم الى حد التعاون مع الغزاة الفرنسيين، وفعلاً نجد البـاي يتغاضى عن إمداد التونسيين لجيش الحملة الفرنسية بتبايع المؤن، كما استخدمت تونس طريقاً لإرسال المنشورات المكتوبة بالعربية في حث الجزائريين على الاستسلام».(12)

وهكذا لم يتفهم الجيران تحذيرات الأمير عبد القادر من أنهم لن يـأمنوا على بلادهم إذا ماحتلت الجزائر، فقد كانت حساباتهم ضيقة ولم يصدقوا حكمة الثيران الثلاثة، فمـا أن وضع الأمير حداً لحربه الشريفة حتى التهمت فرنسا تونس ثم أتبعتها بالمغرب. وكان لابد للأمير ان يتجنب القتال المفروض عليه من طرف سلطان مراكش، والمحتمل مع باي تونس، فهذه لعبة لايستفيد منها سوى الخصم المشترك ولا يجر اليها إلا رجل كثير الطمع ضعيف العقل، مشبوه في دينه، ناقص في وطنيته وقوميتـه، وهـي صفات مناقضـة تماماً لصفات الأمير عبد القادر.

أما موقف باشا مصر محمد علي، فقد كان واضحاً منذ موقفـه مـع الـداي حسين، إذ كان متأكداً من أن فرنسا لن تخرج من الجزائر، فهو مع الصلح، لأن محمد علي كان يميل دائماً الى مهادنة الغرب بعكس الأمير المتحدي وقـد استعمله الأمير عبر أحمد بن سالم ليجس نبض فرنسا في موضوع الاستئمان.

**3- الدولية:**

ما أن بايع شعبنا الأمير تحت شجرة الدردار لقيادته في مقاومة الغزو الفرنسي، حتى تصرّف هذا الشاب بحنكة وكفاءة واضحتين على عدة جبهات ومنها الجبهـة الديبلوماسية حيث حرص على أن يظهر كل ود للسلطان العثماني.

وحرص من خلال معتمد سري له في المغرب أن يفتح قنوات مع اسبانيا وبريطانيا وأمريكـا، فـاتخذت هذه الأطـراف مواقف براجماتيـة ضيقـة تظهر فـي التحليـل الأخير واعتماداً على مجريات أحداث المائة سنة التي تلت، إن العقل السياسي للأمير وقدراته على الاستشراف كانت أوسع من عقول وقدرات أصحاب تلك المواقف.

**أ- الموقف العثماني:**

لم يكن الشعب الجزائري على وفاق مع الحكم التركي سواء في الجزائر العاصمـة أو في قسنطينة أو في وهران. فمنذ مطلع القرن التاسع عشر بدأت حركة القومية العربيـة في الجزائر تعلن عن نفسها على شكل هبّات ريفية ضد الحكم التركي، كمـاهو الحـال فـي المشرق أيضاً، فاندلعت ثورة ابن الأحـرش 1218هـ في الشرق الجزائـري، وكـان ابن

الأحرش قد حارب في مصر ضد نابوليون الأول وأبلى في الدفاع عن مصر بلاءاً حسناً واكتسب شهرة.

وفي الغرب الجزائري كان ابن الشريف قد أعلن الثورة بعام واحد 1217هـ قبل ابن الأحرش، وإذا كان ابن الأحرش قد سيطر ردحاً من الزمن على الشرق الجزائري، فإن الغرب الجزائري من المدية حتى تلمسان قد دخل في طاعة ابن الشريف.

وحين استعاد الحكم التركي سيطرته على المنطقة قال باي وهران لجلسائه بحضور محي الدين والد الأمير عبد القادر ومشيراً اليه، نحن لانخشى ابن الشريف وأمثاله، وإنما نخشى من صولة هذا. فقد بدأت بوادر الصراع العربي – التركي تظهر في المغرب العربي، وبدأت القومية العربية تعبر عن نفسها على شكل هبات فلاحية مشرقاً ومغرباً.. وكانت في الجزائر أسبق من المشرق العربي.. وكان الحكم التركي يتخوف أن يقود محي الدين هذا الحزب وهو أمر حدث لكن ضد الغزو الفرنسي. وقد كتب د. أبو القاسم سعد الله ملمحاً الى ذلك:

«.. وأن هناك علامات قوية لظهور تيار عربي اسلامي في الجزائر بين 1830 – 1837 تيار كان أسبق بعدة عقود من ظهوره في المشرق على يد أنصار الجمعيات السرية العربية المضادة في أساسها لسياسة التتريك العثمانية».(13)

إنني لاأستطيع إلا أن أعتبر ثورة ابن الأحرش وابن الشريف بداية تاريخية لهذا التيار، فإذا كان ولاء ابن الأحرش لمحمد علي، فهذا كان يعلن رغبته في توحيد البلاد العربية، وإذا كان ولاء ابن الشريف لسلاطين مراكش، فهؤلاء كانوا منافسين لسلاطين الأستانة. ثم أن الجمعيات السرية العربية المناهضة للأتراك في المشرق العربي كانت بشكل أو بآخر من صنع الجزائريين الذين هجروا مع الأمير عبد القادر والذي بايعه أهل الشام عام 1877 ملكاً عليهم لينفصل بهم عن تركيا.

وبلغة أخرى فإن الريادة الجزائرية لحركة القومية العربية المعاصرة لم تكن لتخفى عن الأتراك بل كانوا يتوجسون خيفة منها، وصح توقعهم وتأشيرهم لرجلها محي الدين بن المصطفى، خاصة وأن مسألة وجود الخلافة الاسلامية في العنصر التركي قد بدأت تجد من يهمس بعدم صحتها، سواء من بين رجال الدين أو بين المثقفين الجدد، لذلك كانت الاستانة تخشى من ظهور شخصية عربية يتجمع حولها التيار القومي العربي المواجه للتيار الطوراني.

وحين ظهر عبد القادر كشخصية عربية جزائرية تنتمي الى السلالة النبوية التي ينتمي اليها أيضاً سلطان مراكش في المغرب وشريف مكة في المشرق، لم يكن بوسع الباب العالي أن يرحب بظهورها، لكنها ظهرت دون أن تبدي عداء للباب العالي بل بالعكس تعلن له كل الود، وظهرت في كفاح قوي ضد الغزاة الفرنسيين الذين غزوا مصر لفصلها نهائياً عن الباب العالي.. لذلك اضطرب الموقف العثماني من الأمير عبد القادر

وكفاحه، وكانت الظروف الموضوعية التي يمر بها الرجل المريض - الدولة العثمانية - لاتسمح بأن يقدّم العثمانيون - إن رغبوا - أية مساعدة حقيقة للكفاح الجزائري، إذ يقول صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام:

«فأما الدولة التركية فإنها كانت يومئذ في شغل شاغل بقضاياها المتعددة المشاكل الملتوية الطرق مع دول أوروبا الغربية والشرقية».(13)

لكن المؤرخ عبد الرزاق البيطار الذي يمكن اعتباره ووالده الشيخ حسن من جملة حاشية الأمير عبد القادر في دمشق، يشير بفقرة غفل عنها الباحثون حتى الآن الى أن ثمة مؤامرة عثمانية - فرنسية حيكت ضد الجزائر لأن الداي حسين رفض تحديث نظام الجيش

«فقيل أن السلطان محمود هو الذي سلط عليه الفرنسيين لتأديبه، فجاؤوا بجيوش كثيرة وحاصروا الجزائر الى أن قبضوا على الباشا المتولي عليها، وذهبوا به الى بلادهم، وتملكوا الجزائر، وخصوصا بالعساكر، فلما تملكها الفرنسي لم يرجع تلك الجزائر لحكم الدولة بل استولى عليها وبقي فيها الى عصرنا هذا».(15)

إن هذه الفقرة تجعلنا نسأل هل فضّل الباب العالي بعد تآمره مع فرنسا، تسليم الجزائر على أن يساعد رجلا من التيار العروبي قد يزاحمه في مابعد؟!

وفي كل الحالات فإن الدولة التركية العثمانية التي كانت تتآمر عليها أوروبا في موضوع «المسألة الشرقية» التي تورقها وتصف هذه الدولة «بالرجل المريض» وتتريث لتصفية واقتسام تركته، هذه الدولة «المسلمة ظاهرا، الطورانية باطنا» كانت تشترك في هذه المؤامرة مع الدول الأوروبية على العرب أنفسهم، لأن العرب هم مركز المسألة الشرقية، وهم مادة الاسلام الأساسية الذي تحاربه أوروبا.. وإلا لن نجد تفسيراً لما أثبته التاريخ في مابعد من تسليم ليبيا الى ايطاليا والغدر بالأمير علي بن الأمير عبد القادر الذي قاد المقاومة الليبية، كما لن نجد تفسيرا لموقف الطورانية من فلسطين، لن نجد تفسيراً عن عدم احتلال الحلفاء العاصمة العثمانية التي انهارت مقاومتها تماماً عام 1918، بينما احتلوا كل العواصم العربية، وفي عام 1945 احتلوا برلين.

**ب- الموقف البريطاني:**

في اتصالاته الدبلوماسية البارعة حاول الأمير عبد القادر أن يسبق زمانه ويخترق جدار التفاهم الأوروبي حاول المسألة الشرقية من خلال أية كوة تلوح بالأفق، ويبدو أنه كان عارفا بصراع الدول الأوروبية حول مناطق النفوذ فحاول الاتصال ببريطانيا عبر قائد قاعدتها في جبل طارق

«وكان السير روبرت ويلسن قائد قاعدة جبل طارق من أشد أنصار عبد القادر بمحاولة مساعدة الأمير وإنما بصورة سرية وغير متصلة، بغية تجنب كل صراع مكشوف مع فرنسا وفي إطار هذا الحرص رفضت الملكة فكتوريا استقبال سكوت الذي

كلفه الأمير بمهمة لدى الملكة».(16)

فقد عرض الأمير مقابل مساعدته تقديم تسهيلات لبريطانيا في أحد الموانئ الجزائرية، لكن لندن التي زارها الأمير في وقت لاحق، من الشام، لم تحسن قراءة مصالحها مع الأمير الذي أتاح لها فرصة نفوذ في جنوب المتوسط، وعانت ولاتزال تعاني من ضياع هذه الفرصة.

ج- الموقف الأمريكي:

وشاركت أمريكا في هذه المعاناة البريطانية، واتخذت نفس الموقف المجامل لفرنسا، رغم أن القنصل الأمريكي في الجزائر «شاليمار» كان دائب البحث عن الثغرة التي يمكن أن تحتل منها الجزائر، ورغم التحرشات الأمريكية بالداي وهي تبحث لها عن موقع في جنوب المتوسط إلا أن واشنطن رفضت العرض الذي قدمه لها الأمير عبد القادر بتمليكها ميناءا (لاحظ تمليك وليس تسهيلات وحسب) على طريقة هونج كونج في الصين، وقد قدم الأمير عرضه أثناء وقوع خلاف بين فرنسا وأمريكا، لكن العرض جاء متأخراً من جهة ولم تدرسه البراجماتية الأمريكية استراتيجياً من جهة أخرى فقد كتب رفائيل وانزيجر ماترجمه د. سعد الله:

«ومن سوء حظ عبد القادر أن المسألة قد انتهت ودياً في نفس الوقت الذي كان فيه يكتب رسالته الى الأمريكيين».(17)

وهاهي كل من أمريكا وبريطانيا في نهاية القرن العشرين تحاول إفساد الاستراتيجية الفرنسية المعروفة «بالمتوسطية» والتي تهدف الى تحويل المتوسط عبر النفوذ في المغرب العربي إنطلاقاً من الجزائر الى بحيرة فرنسية وإغلاقه في وجه الانجلوساكسون.

لم ترغب الدول الأوروبية رغم خلافاتها الجزئية من التخلي عن تفاهماتها حول المسألة الشرقية، ومساعدة أمير عربي كان بإمكانه لو تمكن من اختراق هذا الجدار العنصري الاستعماري تغيير تاريخ العلاقة بين العرب، وربما المسلمين جميعاً، والغرب من علاقة استعمارية ومافيها من جشع واستغلال ودم ودوس على القيم البشرية النبيلة، الى علاقة تعاون وفائدة مشتركة للطرفين الغربي والعربي، وهي العلاقة التي يحاول الغرب جاهداً - في نهاية هذا القرن العشريني - إقناع العرب بالعودة اليها، لكن هؤلاء العرب لديهم الآن الكثير من الدروس التي تجعلهم يفقدون الأمل بحصافة الغرب، كما فقده من قبل الأمير عبد القادر أول أمير عربي امتشق الحسام لمقاومة جنون إحدى دول الغرب، والذي لم يجد بعد خذلان العالم لقضيته الجوهرية، قضية الحرية الإنسانية والوطنية، التي يقر هذا العالم اليوم بصحتها، بُدّاً من الاستئمان لعدوه وينقل كفاحه الى موقع الداء ويواصل هذا الكفاح بطريقة أخرى.

استئمان الأمير لفرنسا:

من الواضح جداً أن أسباب وقف القتال مع فرنسا في ذهن الأمير عبد القادر هي

نفسها أسباب الهجرة، ولعل هذا الربط الذكي يدل على أن الرجل كان يدير عملية الاستئمان، الذي يحلو للبعض أن يسميه استسلاماً، كواحدة من أعقد وأطول العمليات العسكرية والسياسية التي أدارها.

فعبد القادر كان جاداً في القيام بواجبه الديني والوطني واستطاع أن يقيم دولة مقاومة فريدة من نوعها في التاريخ البشري، وإن لم يدرس، بعد، الباحثون الجزائريون وغيرهم بالجدية اللازمة هذه الدولة التي امتدت من التخوم المغربية الى الحدود التونسية، وحصرت الاحتلال في أضيق مساحة ممكنة، وكادت أكثر من مرة أن تنجح في قلب موازين القوى وتغيير شروط التاريخ. بفضل حنكة الأمير السياسية والعسكرية التي يجب أن تدرس بعد مرور كل هذا الوقت بكثير من الجدية والشرف وأن يستبعد الباحثون الكثير من الدراسات الفرنسية التي تخلو عادة من الشرف.

وقد تجلت حنكة الأمير السياسية والعسكرية هذه في إدارة معركته الأخيرة، معركة الاستئمان لفرنسا وهي معركة كان يدرك أنها اشتباك مباشر ليس بين سيفين بل بين شرفين، شرفه الشرقي العربي وشرف فرنسا.. وكان على وعي تام بأن الجنرالات الذين أمامه في الميدان يفتقدون الى كثير من معاني الشرف، فأدار معركته بطريقة فذة. ولتكون جزءاً لايتجزأ من حربه الوطنية الدينية.. لذلك حرص أن يحقق هذا الاستئمان النقاط التالية:

أ- مطابقة هذا الاستئمان لحكم الدين الاسلامي.

ب- موافقة أهل الحل والعقد في دولته.

ج- حفظ حقوق الشعب الجزائري الأساسية.

د- الحفاظ على رجال دولته.

هـ- أن لايكون بعد هزيمة واضحة في معركة مع الجيش الفرنسي.

و- أن لايكون استسلاماً مهيناً.

ومن المؤكد أنه أحسن التوقيت، فالملكية الفرنسية كانت في معاناة، تجعلها ترحب باقتراح كهذا يقويها، وتجعل الأمير يفاوض عدواً ماثلاً أمامه ويعرفه.

**أ- الاستئمان وحكم الدين الاسلامي:**

لم يكن الأمير ليجهر بنية دون أن يوضح أسبابها أولاً، لذلك تجنب الإشارة لها من بعيد أو قريب، لكنه راح يستفتي رجال الدين الاسلامي من المذهب المالكي في المغرب والمشرق في فاس والقاهرة حول تصرفات سلطان مراكش، وكان من قبل يستفتيهم في موضوع القبائل التي يستميلها العدو، فقد كان الأمير يطلع رجال الدين في المغرب والمشرق على الأحوال في دولته ويستفتيهم في بعض الأمور مثل رسائله الى قاضي فاس عبد الهادي بن عبد الله الحسني(18) ورسالته الى شيخ الأزهر محمد عليش وكان يومئذ مفتي المالكية، حول تصرفات سلطان المغرب، فيها اشارات ذكية عن شروط الصلح مع

العدو وترك الجهاد(19).

ويبدو أن الأمير عبد القادر قد حصل على فتاوى بالهجرة من رجال الدين الجزائريين وفي طليعتهم الشيخ محمد المهدي السكلاوي شيخ الطريقة الرحمانية الكثيرة الأتباع في الجزائر والذي هاجر الى دمشق فعلاً إذ يقول د. هلال عمار:

«.. إن الشيخ المهدي، أحد الطرقيين ببلاد الزواوة، قد استطاع بمفرده أن يبعث عشرات العائلات الجزائرية الى الهجرة الى سوريا، وذلك عندما أبدت فرنسا نواياها واضحة في احتلال بلاد القبائل سنة 1847.

ويضيف:

في أواخر سنة 1847 هرع سكان وادي سبدو الى الشيخ المهدي مقدم الطريقة الرحمانية، مستنجدين به، طالبين منه أن ينصحهم ويرشدهم الى طريقة تخلصهم من مصيبة للاستعمار الفرنسي الذي سيداهمهم عن قريب، فما كان من الشيخ المهدي إلا أن نصح الأهالي بكل بساطة، أن يغادروا هذه الأراضي المضطهدة، وأن يهاجروا الى الأراضي الاسلامية ليحافظوا على دينهم ودنياهم.

وفي رواية أخرى يدعي صاحبها أن الشيخ المهدي، قد نصح الأهالي بمغادرة هذه الأرض «الملعونة» التي مات فيها الاسلام، على أيدي الكفار – للتقرب من ديار الاسلام الأصلية التي لم يدنسها الكفار بأقدامهم القذرة.

وهكذا غادر الشيخ المهدي نفسه الجزائر في أواخر سنة 1847، واستقر بسوريا متبوعاً بعشرات العائلات الجزائرية وببعض تلامذته..». (20) ولاتزال عائلة السكلاوي تقيم في حي السويقة بمدينة دمشق.

وكان الأمير قد حصل على الفتوى التي أوردها محمد بن عبد الكريم في كتابه.(21)

وقد هاجر في وقت لاحق (1911) الشيخ محمد بن يلس ونفر من أتباعه(23) الى الشام ذاتها بعد فتوى أصدرها.

وقد أورد الهاشمي بن بكار – مفتي معسكر في كتابه مجموع النسب والحسب شيئاً عن حكم الهجرة متطرقاً الى الأمير عبد القادر وهجرته وهو نص يتضح منه أن الهجرة مقرونة بالجهاد الأمر الذي فعله المهاجرون المسلمون دائماً.

وهكذا يكون الأمير قد حصل على السند الشرعي الاسلامي لاستئمانه وهجرته.

**ب – موافقة أهل الحل والعقد في دولته وزعماء مصر واستانبول:**

يبدو أن الأمير قد أخذ موافقة أهل الحل والعقد في دولته على الشروع في الاستئمان لفرنسا، حيث نجد أن خليفته في منطقة القبائل، أحمد بن سالم قد شرع في هذا الاستئمان قبل حوالي عشرة أشهر من الأمير، ثم أن الأمير بعد الذي رأى من «مختار بودشنيش» في «تفجيرت» وخيانته جمع خاصته:

«ثم أخذوا يتداولون الرأي بينهم. الى أن قر القرار على أن يكون التسليم الى

الفرنسيس»(25). ويبدو أن كان هناك رأي بالتسليم الى سلطان المغرب تم استبعاده. ويؤكد لنا إجماع أهل الحل والعقد على هذا الاستئمان أن ليس فيهم من بقي في الجزائر، حيث أن «معظمهم» قد هاجر الى المشرق، وقلة منهم ذهبت الى المغرب، إذ يترجم صاحبة حلية البشر لمجموعة من هؤلاء الرجال الذين كانوا حول الأمير مثل الطيب بن محمد المبارك وصالح بن أحمد السمعوني ومحمد بن عبد الله الخالدي وغيرهم كما يترجم صاحب المنتخب في تواريخ دمشق لطائفة أخرى من هؤلاء. ومما يؤيد هذا الإجماع أن المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي، لم تتواصل على يد أي من رجالات الأمير البارزين، بل ظهرت قيادات أخرى في خمسينات القرن التاسع عشر.

ثم أن الذي بدأ بالتحرك في هذا الاتجاه وبتكليف من الأمير هو أحد أهم خلفاءه ذلك أن أحمد بن سالم هو الذي كتب الى محمد علي يستنصحه حول الصلح، فكتب اليه محمد علي بالصلح، وأحال رسالة أحمد بن سالم الى الحكومة الفرنسية،(26) فقام هذا بالاستئمان الى حاكم سور الغزلان فأمنه على شروط(27) سنرى فيمابعد أنها نفس شروط الأمير عبد القادر.

ويظل السؤال القائم حتى الآن حول موقف استانبول، وهل فعلاً وافقت للأمير على القدوم الى الشام.. إننا نشك في أن استانبول رحبت بقدوم الأمير الى الشام، إذ لابد أنها تساءلت لماذا لم يختار الاستانة نفسها.. ليكون تحت أنظارها ورقابتها.. وهل كان موقف استانبول واضحاً أمام الأمير عبد القادر كما كان موقف القاهرة؟

**ج- حفظ حقوق الشعب الجزائري:**

إن المدقق لإتفاق الأمير مع فرنسا يلاحظ أنه يدور حول نقاط ثلاث هي سفره الى عكا أو الاسكندرية، وعدم التعرض لمن يريد السفر معه من جيشه، وأن الذي يبقى منهم يكون آمناً على نفسه وماله. ومن المعروف أن جيش الأمير الذي دوخ به فرنسا لم يكن قد تجاوز في أكثر الحالات 12 ألف رجل، عشرة آلاف منهم مشاة، بينما بلغ تعداد جيش فرنسا 106 آلاف رجل.

وبلغة أخرى أن الأمير وقع اتفاقية الاستئمان بصفته العسكرية والشخصية ودون أن يقدّم أي تنازل سياسي، فليس هناك أي اعتراف بالاحتلال الفرنسي، من بعيد أو قريب أو أي حق لفرنسا في الجزائر.. ولا حتى عن تنازل الأمير عن إمارته.

إن حصر اتفاقية الاستئمان بالأمير وجيشه وجعله موقفاً شخصياً هو الذي حفظ حق الشعب الجزائري في استمرار المقاومة فقد ظل الاحتلال غير معترف به..

وحتى الآن لم تعرف تفاصيل المفاوضات في تلك الأيام الثلاثة والرسل المتبادلة بين الأمير والجيش الفرنسي. فلم ترد في الاتفاق مثلا كلمة وقف القتال، فتسليم الأمير لسيفه جاء مفاجأة لابن الملك.

وهذه البراعة من الأمير هي التي جعلته يشير الى أن الشعب الجزائري سيواصل

القتال والمقاومة حين قال وهو على ظهر السفينة لأحد جنرالات فرنسا أنكم لن تعمروا في هذه البلاد فأنتم كطيور هذا البحر تلمسون الموج بأجنحتكم ثم ترحلون.. لقد كان الأمير واثقاً من قدرة شعبه وأن موازين القوى ليست ثابتة.. وقد كان ذلك فعلاً.

د- الحفاظ على رجال دولته:

تمكن الأمير عبد القادر من الحفاظ على رجال دولته في عملية شديدة الدهاء، فهو حين استأمن فرنسا كان معظم رجال دولته قد وصلوا دمشق مع أحمد بن سالم وحتى قبله وذهب بعضهم الى الحجاز وتدلنا الوثيقة التي رفعها بن سالم الى السلطات العثمانية في دمشق بعيد وصوله على كثير من الأسماء.

لماذا فعل الأمير ذلك؟

من المؤكد أنه فعل واجبه بالحفاظ على أطر دولته، لكن طبيعة تحرك هؤلاء السياسية والعلمية في دمشق وقيادته لهذا التحرك تشير في نظري الى أن الأمير أرسلهم لأنه كان ينوي التحرك قريباً من بيت الداء، فالاستقبال الذي حظى به هؤلاء في دمشق، ثم الاستقبال الأسطوري الذي حظى به هو يوحي بأن كان للرجل أتباع كثر في المشرق العربي. وهو الأمر الذي سنلاحظه جيداً حين يصل به الأمر الى قيادة حركة سرية عام 1877 للإنفصال عن تركيا وحوله من بقي من هؤلاء الرجال أنفسهم.

هـ- استئمان بلا هزيمة أو إهانة:

لعل الأمير عبد القادر لم يكن ليستطيع إملاء شروطه والابتعاد عن توقيع اتفاقية سياسية مع فرنسا لو أن استئمانه هذا جاء بعد هزيمة واضحة أمام الجيش الفرنسي. فساعتئذ سيملي الجنرال الفرنسي كل شروطه العنجهية بما عرف عن فرنسا وجنرالاتها في مثل هذه الحالات، بل إن معركته الأخيرة مع سلطان مراكش لم تكن معركة حاسمة ونهائية توجب على الأمير الاستسلام فقد كان بإمكانه خوض معركة أخرى نهائية سواء مع السلطان المراكشي أو مع الجنرال الفرنسي لكن الرجل كان يحتفظ بطلقته الأخيرة ليتمكن من المساومة، وقد نجح في ذلك فعلاً وظل سيفه معه، وحتى الآن لايتحدث المؤرخون الفرنسيون عن يوم انتصار لهم على الأمير بينما أقامت فرنسا أقواس نصر حين انتصرت على ملوك وأمراء آخرين في أوروبا.

وهكذا فإن استئمان الأمير لفرنسا لم يحقق لها من وجهة نظري مكسباً استراتيجياً، فلا الجزائر انهزمت واستسلمت ولا فرنسا انتصرت وأمنت. لقد كان الرجل فذاً وصاحب عقل سياسي أوسع من معاصريه فعلاً.

تجنب الأمير عبد القادر في طريقته بإدارة الاستئمان عدة نقاط فهو:

1- لم يوقع أية اتفاقية سياسية أو بالتعبير الآخر اتفاقية صلح بإسم الشعب وبالتالي تجنب إهانة الشعب الجزائري وإهانة نفسه.

2- ربط استئمانه بشرف فرنسا إذ تدرج في الاتفاق والتوثيق من جنرالاتها الى ابن الملك

شخصياً.

3- قدّم سيفه ومسدسه على سبيل الهدية، واستلم هدية مقابلها في نفس الجلسة من ابن الملك «مسدس وساعة هذا الأمير دومال».

وحين أرادت فرنسا أن تحول هذا الاستئمان الى إهانة بإختطاف الأمير وتحويل باخرته ثم سجنه «وهو الأمر الذي كررته فرنسا عام 1956 بإختطاف طائرة قادة الثورة الجزائرية» كان إهانة لشرف فرنسا نفسها. ولانعتقد أن الأجيال الفرنسية الآن تشعر بالفخر أمام هاتين الحادثتين. ولكنها بالتأكيد تشعر بالرضا عن سلوك نابوليون الذي حاول أن يستدرك الأمر ليس بإطلاق سراح الأمير فحسب بل وبالسعي لكسب مودته، ليكون صديقاً لفرنسا في الشرق، فقد اقترب موعد اقتسام تركة الرجل المريض، وأهدى نابوليون سيفاً للأمير لكن الأمير لم يقع في هذا الفخ أبداً!

**لماذا الشام؟**

اختار الأمير الاسكندرية أو عكا مكاناً لمنفاه، ولم يقف الباحثون ملياً عند هذين الخيارين وأيهما الهدف، بل لماذا لم يختار الأمير الاستانة (استانبول) عاصمة العثمانية؟

في تقديري أن الأمير عبد القادر كان خياره الأول يتمثل في عكا وليس الاسكندرية بدليل أن خليفته أحمد بن سالم اختار الشام وحين وصل دمشق كان أول مافعله هو الحصول على أراض في سنجق عكا، وبالذات في مدينة صفد وسنرى أن هذا السنجق والذي سيعرف بلواء الجليل هو المنطقة التي ولدت فيها قوى الجزائريين في الشام.

وعكا منطقة استراتيجية، في منطق الحروب حتى القرن التاسع عشر، والذي يسيطر عليها يسيطر على بلاد الشام، ومنها أقام واليها الدموي أحمد باشا الجزار دولته التي كادت أن تمتد الى الشام كله وعلى أسوارها اندحر نابوليون.. وفي ذات المنطقة التي سكنها الجزائريون - صفد - حاول الصهاينة إقامة أول مستوطنة لهم في فلسطين، وحدث أول صدام مسلح في تاريخ القضية الفلسطينية بين الجزائريين واليهود. وقد أفسد الجزائريون بالقوة - كما سنبين في موقع آخر - هذه الخطة، فاختار اليهود منطقة أخرى لإقامة أول مستعمرة لهم في فلسطين لكنها فشلت في تلك المرحلة.

«وفشلت المستوطنات التي حاول مونتغيوري اقامتها قرب يافا وبجوار صفد»(28).

ومن المعروف أيضاً أن من بين الأسباب الداعية لإقامة كيان صهيوني في فلسطين:

1- إقامة كومنولث يهودي في فلسطين بحماية انجلترا يشكل جداراً فاصلاً بين السكان العرب في آسيا والعرب في شمال افريقية.

2- أن تصبح فلسطين حصناً للدفاع البريطاني عن قناة السويس المنتظر افتتاحها قريباً في ذلك الوقت.

فهل أراد الأمير عبد القادر أن يكون في موقع قريب من محمد علي في مصر الذي يكن له الإعجاب وأن يكون حاجزاً بينه وبين الدولة العثمانية؟ ومامعنى عدم اختياره

لاستانبول، بل ولماذا سعت فرنسا (بعد سنوات من سجنه) لدى استانبول لأن يكون منفى الأمير بعيداً جداً عن اختياراته. وبعد زلزال بروسه، لايسمح له بالإقامة في عكا، بل في دمشق، وبعد أن تزداد أهمية الرجل وتعتقد فرنسا أنه أصبح صديقها، ولظهور خلافاتها مع بريطانيا حول مصر، يقوم فردناند ديلسبس الفرنسي بإهدائه قطعة أرض على ضفاف قناة السويس، لكن الأمير لايكترث بالهدية وأبعادها السياسية، وهو الذي كان قد جعل الاسكندرية خياراً معلناً له؟

ثم ماهو هذا الدور السياسي السري والعلني الذي لعبه الأمير في الشام، لدرجة أن الشوام اعتبروه ملكهم غير المتوج، بل وطلبوا إليه عام 1877 الانفصال بهم عن تركيا وتأسيس مملكة عربية مستقلة.

هل كل ذلك لايمكن بناؤه على علاقات الأمير بأهل الشام وعموم المشرق ومعرفته بالحالة السياسية والاجتماعية معرفة دقيقة أثناء رحلته الى الحج مع والده قبل الاحتلال الفرنسي ولقاءاته مع العديد من شخصيات المشرق العربي الهامة سياسياً وثقافياً في مصر والشام والعراق.؟

ثم لماذا عدلت الحركة الصهيونية بعد وجود الجزائريين في فلسطين عن خطتها في أن يكون يهود البربر رأس الحربة في الاستيطان الصهيوني بفلسطين، كما قال بذلك هرتزل في كتابه الدولة اليهودية؟

من وجهة نظري أن الأسباب الدينية لاتكفي وحدها لأن تكون دافعاً نهائياً لاختيار الأمير منطقة شامية(29) ومدينة فلسطينية بالذات لتكون منفاه فقد كان بإمكانه اختيار الحجاز مثلاً أو حتى القدس؟! وعليّ أيضاً أن ألاحظ هنا متسائلاً: هل هي الصدفة التي جعلت شيخ الطريقة الشاذلية التي يتبعها الأمير يهاجر في خمسينات القرن التاسع عشر من تونس الى عكا بالذات؟ وتبدأ هذه المدينة تضيف الى صفاتها الحربية والتجارية صفة دينية تصوفية..

إن السؤال لم يزل مطروحاً لماذا اختار الأمير عبد القادر الشام في الوقت الذي بدأت تغلي فيه بحركة القومية العربية المعاصرة؟ فالأسباب الاقتصادية منعدمة لأن الشام كان في أسوإ أحواله الاقتصادية خلال تلك الحقبة، والأمن مفقود فيه، وحكومة الاستانة تشدد قبضتها عليه بعد أن أيد أهله انضمامهم الى محمد علي في مصر الذي لم ينسحب جيشه عام 1840 إلا بتدخل وضغط شديد من الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا.

ويقول بحث متخصص في الحالة الاقتصادية لمدينة دمشق حاضرة الشام في تلك الفترة:

«وكما تأثر اقتصاد دمشق بمنافسة البضائع الأجنبية، فقد تأثرت الزراعة أيضاً بتناقص عدد السكان، والأغذية حول المدينة بسبب التجارة الخارجية، وكانت سابقاً لاتتأثر بالاضطرابات».(30)

**ويقول في موضع آخر:**

«كانت المحاصيل تزرع للغذاء العادي لدى الفلاحين، وكان غذاء الفلاح من محاصيله الزراعية، كالقمح والعدس، والشعير، والبرغل مع اللبن. أما اللحوم والحلوى فلا تؤكل إلا في المناسبات والأعياد. أما الملابس فكانت من الصوف والشعر والجلد».(31)

وفي الواقع فإن سياسة التتجير، وتحويل اقتصاد الشام من تصنيع منتجاته الأولية الى تصديرها على يد العثمانيين أنفسهم والدول الغربية قد حطم البساتين وخاصة بساتين التوت التي ضربت صناعة الحرير لصالح الحرير الليوني، ومن ثم زراعة وصناعة القطن لصالح مصانع مانشستر وزراعة القمح وغيرها من المحاصيل، وتشديد القبضة التركية، وضرب اقتصاد البوادي وإفناء المواشي وتحطيم الغابات، والتجنيد الإجباري العشوائي الذي أفرغ البلاد من شبابها المنتج، كل ذلك جعل الحياة الاقتصادية - فضلاً عن السياسية - جحيماً لايطاق، إذ يقول باحث آخر عن حياة الناس في حوران وفلسطين:

«أجمع الرحالة على ذكر شظف العيش عند هؤلاء الناس وقناعتهم في شؤون المأكل والمشرب وقالوا: إن أغنياءهم يعيشون عيش فقرائهم، فلا يتجلى ثراؤهم إلا عند استقبالهم الضيوف ولاريب أن مستوى العيش بالنسبة للشيخ متميز على مستوى سائر الفلاحين بسبب مايرده من خيرات ومستلزمات حياته، بينما كان الفلاحون في مرتبة أدنى الى جانب من التواضع والتبعية، والحق أن Burchardr قد وصف هؤلاء الفلاحين قبل Delbt بنصف قرن، فكانوا أتعس حظاً واقتصروا على وجبتين من الطعام في كل يوم، وتناولوا خبز الشعير أكثر من خبز القمح، ولم يكن نصيبهم من اللحوم إلا مرّة واحدة أو مرتين في العام».(32)

ولاشك أن الأمير عبد القادر كان مطلعاً على هذه الأوضاع على الأقل منذ أن زار المنطقة للحج ومكث فيها مدة عامين قبل الاحتلال الفرنسي لذلك فإن السبب الاقتصادي لإختيار الأمير هذه المنطقة غير وارد إطلاقاً.

## المراجع والهوامش


1. حسنين، د. أحمد طاهر: دور الشاميين المهاجرين الى مصر في النهضة الأدبية الحديثة، ط1 - دمشق 1983 ص258.
2. مجاهد، مسعود: تاريخ الجزائر، ج1- د ت ط ص370.
3. خوجة، حمدان: المرآة.
4. المصدر نفسه. ص
5. مجاهد، مسعود: المصدر السابق ص340.
6. الجيلالي، عبد الرحمن محمد: تاريخ الجزائر العام، بيروت 1983/ط6/ ج4/ ص211.
7. دودو، د. أبو العيد: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855م، ط1 الجزائر 1989 ص104.
8. عبد القادر، الأمير محمد: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، تحقيق ممدوح حقي ط2 دمشق 1964 ص.
9. المصدر نفسه ص428.
10. المصدر نفسه ص 497.
11. الجيلالي، عبد الرحمن محمد: مصدر سابق ص223.
12. المصدر نفسه ص224.
13. سعد الله، د. أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 ط1 بيروت 1992 ص184.
14. الجيلالي، عبد الرحمن محمد، مصدر سابق ص230.
15. البيطار، الشيخ عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، بيروت 1993 ط2 ج3 ص1464.
16. تشرشل، شارل هنري: حياة عبد القادر السلطان السابق لعرب الجزائر، عربه عن الفرنسية اللواء جبرائيل بيطار، نسخة مرقونة في مكتبة الأسد بدمشق تحت رقم و9679 ص4، علماً بأن الكتاب ترجمه عن الانجليزية ونشره د. أبو القاسم سعد الله في الجزائر.
17. سعد الله، د. أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ق1، الجزائر 1981 ط2 ص146.
18. عبد القادر، الأمير محمد، مصدر سابق ص384.
19. المصدر نفسه ص471.
20. هلال، د. عمار: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918، الجزائر 1986 ط1، ص

21. بن عبد الكريم، د. محمد: حكم الهجْرة في ثلاث رسائل.
22. ترجمنا للشيخ محمد بن يلّس في مكان آخر.
23. ترجمنا للشيخ محمد الهاشمي في مكان آخر.
24. بكار، الهاشمي: مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب، تلمسان 1961، ص
25. عبد القادر، الأمير محمد، مصدر سابق ص499.
26. طرشون، نادية: الهجرة الجزائرية الى المشرق العربي من منتصف القرن التاسع عشر الى مطلع القرن العشرين، نموذج سورية، أطروحة ماجستير/ في مكتبة الأسد بدمشق تحت الرقم ط8 ص18.
27. عبد القادر، الأمير محمد، مصدر سابق ص482.
28. قهوجي، حبيب: استراتيجية الاستيطان الصهيوني في فلسطين المحتلة، دمشق 1978 ط1 ص155.
29. هناك عدة كتب تناولت فضائل الشام في الأحاديث النبوية الشريفة.
30. صياغة، نايف: الحياة الاقتصادية في مدينة دمشق في منتصف القرن التاسع عشر، دمشق 1995، ط1/ ص128.
31. نفسه ص35.

## ثانيا: الموجات، المواقف الرسمية و الشعبية، الأعداد و السكن

**توطئة:**

نعتقد أن من المهم لتاريخنا السياسي والثقافي والاجتماعي رصد وتتبع موجات المهجرين الجزائريين الى بلاد الشام التي بدأت منذ عام 1847، وذلك للإجابة على مجموعة من الأسئلة التي يثيرها تتابع هذه الموجات، بعد أن أجبنا على أسئلة الأسباب والمواقف التي أثارها قرار الهجرة قبل أن يغادروا أرض الوطن.

وهنا محاولة منا لتتبع هذه الموجات ودفعاتها، فمن أي مناطق الوطن جاءوا وكيف، ومتى وصلوا وكم كان عددهم، كيف استقبلوا وأين سكنوا. ثم ماهي مستجدات المواقف بعد أن صارت الهجرة أمراً واقعاً، ما الذي تبدل في المواقف وما الذي لم يتبدل؟ وغير ذلك من أسئلة لا أزعم أني أجبت عليها تفصيلاً، ولكني واثق أنها إجابة أحاطت بالموضوع بقدر لايخلو من فائدة للقارئ. ومن الموجة الأولى نبدأ:

**أ- الموجات:**

### 1- موجة التهجير الأولى 1847-1860:

بعد استئمانه للحاكم العسكري الفرنسي في سور الغزلان، رحل أحمد بن سالم خليفة الأمير عبد القادر، بحراً الى بيروت ووجهته دمشق، ومعه حوالي خمسمائة نفر من أتباعه وعياله من بينهم شيخ الزاوية الرحمانية المهدي السكلاوي، والمبارك الطيب، وتشهد الباخرة قبل أن تلقي مرساتها في ميناء بيروت حدثاً بسيطاً لكنه بالغ الدلالة للأجيال الجزائرية القادمة، فقد ولد على ظهر تلك الباخرة الفرنسية، في مياه بيروت العربية الفينيقية طفل جزائري للشيخ المبارك نفسه.

وتصل المجموعة دمشق، فلا نملك غير ضبط عواطفنا التي تتأجج ونحن نرى دمشق كلها تستقبلهم كأخوة أبطال وليس «كلاجئين يستحقون الشفقة»، وندهش من معرفة الدمشقيين بالشيخ المبارك إذ يقول البيطار الذي عايش الحدث: [وخرج لملاقاته جملة من أشراف البلدة وعلمائها وتجارها وعظمائها] (1).

والسؤال الذي يطرحه هذا الاستقبال، وليس بين أيدينا إجابة موثقة عنه، هو: هل كان هناك ثمة تنسيق مسبق بين الأمير أو بن سالم والقيادات الشعبية في دمشق؟! وفي كل الأحوال فإن هذا الاستقبال الرائع لايكاد يذكر أمام الاستقبال الأسطوري الذي حظي به الأمير بعد ذلك عام 1856، ممايؤكد أن اختيار الشام لم يكن عملاً غير مدروس ومع أهل حاضرته دمشق بالذات.

ولم تلبث هذه المجموعة إلا أياماً حتى قدمت عريضة الى الوالي العثماني في دمشق، وبدراسة هذه العريضة يتبين لنا الآتي:

1- أن بن سالم لم يصطحب معه أفراد عائلته وحاشيته فقط حيث ظهرت تواقيع على هذه العريضة ينتمي أصحابها لعائلات في شرقي الجزائر وغربها، مثل عماره، اعراب، الوغليسي، العيساوي، الصغير، الطيب، بل أقرباء الأمير «فريحة»، وقد عرضت هذه الوثيقة على بعض جزائريي دمشق فعرف بعضهم اسم جد أبيه، أو لايدل هذا على أن الأمير رتب اتصال ابن سالم مع محمد علي أصلاً.. سؤال يحتاج الى توثيق إجابته.

2- إن الضرورة ألجأتهم الى الهجرة بسبب دخول فرنسا للجزائر أي أنهم يعلنون هجرة سياسية إجبارية إذ تقول الوثيقة [فبهذه الدخلة ألجأتنا الضرورة الى المهاجرة من بلادنا].(2)

3- إنهم على خصام مع فرنسا الى الأبد، هم وذراريهم ولايقبلون أية حماية أجنبية، ومن ادعى ذلك من ذراريهم أو منهم فلا يقبل منه ذلك الادعاء، وإن ولاءهم للدولة العثمانية، إذ تقول الوثيقة:

[نحن وأولادنا وذرياتنا الذين يتولدون من الآن وصاعد (...) فهم من تبعية ورعية الدولة العلية الأبدية الدوام ولانبرح من تحت ظلها الى المنتهى وقد اتفقنا واتحدنا جميعاً من صميم القلب على هذه الكيفية المشروحة حتى إذا حصل أو من أحد مأمورين (...) الدول الأجنبية مما ذكر منه فلا اعتبار له قطعاً وأصلاً مطلقاً وبمقتضى حقوق الملل فالشخص الذي يحصل عليه أو منه ادعاء بالحماية لساير الدول الأجنبية فلا يقبل منه قط بل يبقى تحت تبوعية السلطة السنية].

4- إنهم يريدون مبادرة معاشهم بأنفسهم دون الاعتماد على أحد فيطلبون منحهم محلات وأراض لزراعتها إذ تقول الوثيقة:

[فيرجوا ويتضرعوا (...) عبيدكم من مراحم والطاف دولتكم تترحموا (...) بأحوالنا وتكرموا (...) علينا بترتيب واحالة بعض محلات لايقة ومناسبة لإقامتنا في حوالي الشام لأجل مبادرة وتعاطي ادارة معاشنا بالفلاحة والزراعة كما هو مألوفنا القديم ومثلما هو حصل معامله ومساعدة بحق أمثالنا المهاجرين].

وخلال ذلك سكن الجزائريون في منطقة الخيضرية والحيواطية والسويقة من منطقة الميدان في دمشق، الى أن استجابت الدولة العثمانية ومنحتهم «بسرعة مثالية» أراض زراعية في مناطق حوران جنوب دمشق وفي غوطتها واللاذقية وحلب والجليل الفلسطيني.

لكن السؤال الذي يحتاج الى إجابة دقيقة هو: لماذا يصر أحمد بن سالم أن تكون ممتلكاته في صفد /الباب البري لعكا/؟

ومنذ وصولها بدأت هذه المجموعة بقيادة بن سالم، السكلاوي، المبارك تبشر بقرب وصول الأمير عبد القادر الى الشام، وتشن حرباً اعلامية قوية ضد فرنسا، وتتقرب بقوة من جمهور الشام وقياداته، حتى تحول والي دمشق «أحمد عزة» الى مريد من مريدي السكلاوي الذي تنبأ له بالشهادة. وكذلك يسافر على الفور الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي (خليفة الأمير في مجانه) الى الحجاز وعسير حيث قبائل حرب ورجال الطريقة السنوسية، ولايغادر الحجاز إلا عام 1852 حين وصل الأمير الى بروسة، وفي عام 1864 يحج الأمير فتقدم له قبيلة حرب المعادية للأتراك مايكفي من علامات الولاء.!!

وفي نفس عام 1852 يصل الى عكا من تونس شيخ الطريقة الشاذلية لتظهر في فلسطين طريقة صوفية ذات محتوى عربي عميق ومستتر بجانب الطريقة البكرية - الخلوتية التي ينشرها المهدي السكلاوي في دمشق، وهما طريقتان لاتحظيان بدعم السلطات التركية العثمانية كما تحظى به الطريقة النقشبندية مثلاً. إن أحداً حتى الآن لم يكتب بحثاً جدياً عن الصراع العربي - الطوراني داخل الطرق الصوفية، في المشرق العربي خلال القرن التاسع عشر، وعن موقع الصوفيين الجزائريين والمغاربة في هذا الصراع، ولماذا كانت طرقهم تستقطب عامة الجمهور الى زواياهم كزاوية المغاربة في القدس وفي الخليل وفي غزة.. ومن المؤكد أن البحث العلمي في تفاصيل تاريخنا مشرقاً ومغرباً يحتاج الى دراسة هذا الصراع الخفي والقوي في آن واحد، فحتى الآن مثلاً لم تكشف الأسباب الحقيقية لمقتل الصوفي الشهير محي الدين العربي في دمشق، ذلك الصوفي الذي يكن له الأمير عبد القادر واسع الاحترام.

وفي نفس العام 1852 يصل الأمير الى تركيا قادماً من سجنه في امبواز فيلتحق به على الفور في زيارة لم يذكر عنها الكثير كل من أحمد بن سالم، ومحمد الخروبي القلعي، ومحمد بن عبد الله الخالدي، ويعودون الى دمشق لايكادون يغادرونها، وما أن يصل الأمير دمشق عام 1856 (حسب تشرشل) حتى يعين قاضياً للمهجرين الجزائريين(3) كإشارة تكفي لنوايا الابتعاد عن الادارة العثمانية بل إننا نرى نشاطاً لهذه المجموعة في الاتصال بالجزائر والطلب الى رجالاتهم هناك الالتحاق بهم في الشام.

إذ يقول د. عمار هلال أن أحمد بن سالم وجه من دمشق نداء:

[الى سكان مدينة دلس وضواحيها ليلتحقوا به في منفاه فاستجاب له حوالي 80 شخصاً ونزلوا في بيروت سنة 1853] (4) فهل كان هذا النداء بعيداً عن رأي الأمير الموجود في بروسه منذ 1852. بل نجد في وقت لاحق أن الأمير عبد القادر نفسه يكتب - خاصة بعد ثورة المقراني 1871- لحكام تونس بأن يهتموا بالمهاجرين الجزائريين أو أن يلحقوهم به في الشام.

وفي مطلع عام 1860 يذهب «سراً» محمد بن عبد الله الخالدي خليفة الأمير في مجانة (ولاية برج بونريريج قرب سطيف الآن) الذي ولد في جبل هلال(5) من سلسلة

جبال متّان الى عرشه وادي البردي التابع في ذلك الوقت لسور الغزلان وليقنع عدداً من قبائل هذا العرش المحيطين بقبة سيدي خالد بالالتحاق بالشام، فتغادر الجزائر في شهر ماي أيار 1860 باخرة تحمل أعداداً من قبيلته «أولاد سيدي خالد» و «العميرات» و «سيدي عيسى» وقبل أن يغادروا دمشق الى سنجق عكا، كانت سيوفهم وبنادقهم مع الأمير عبد القادر تحمي المسيحيين من الفتنة التي دبرتها تركيا والدول الأوروبية في جويليه تموز 1860 ولتبدأ المحاولة الأولى لتكوين جيش جزائري في المشرق كما سنتحدث في بحث آخر.

وكانت الجزائر قد شهدت عدة انتفاضات شعبية بعد استئمان الأمير لفرنسا، كثورة لالا فاطمة، وبوبغلة، والأغواطي وغيرها(6) من الانتفاضات التي شهدتها في الفترة 1847-1860، وقمعتها فرنسا بوحشية بالغة، فكانت سبباً في تدفق هجرات الى تونس فالمشرق التحاقاً بالأمير عبد القادر..

## 2- موجة التهجير الثانية 1860-1883:

مع وصول قبائل عرش وادي البردي عام 1860 الى الشام ومشاركتهم مع غيرهم من الجزائريين الذين سبقوهم، في حماية النصارى وتوجه السلطات العثمانية المحلية لتشكيل قوة عسكرية منهم يقودها الأمير، بدأت قضية المهجرين الجزائريين تطرح نفسها على كل من تركيا وفرنسا كقضية سياسية لابد من التعامل معها على عدة مستويات ومن مختلف الزوايا، وهكذا رفضت سلطات استانبول المركزية بدسيسة من قنصل فرنسا اقتراح السلطة المحلية بتكوين قوة عسكرية بقيادة الأمير، الذي طلب اليه والى دمشق الجديد تسليم سلاحه فرفض معتمداً على نقطتين أولاهما عدم اساءته استخدام هذا السلاح وثانيتهما نفوذه ونفوذ رجاله المتزايد.

ويقول د. عمار هلال:

[بتكاثر المهاجرين الجزائريين في سورية قوي نفوذهم وأصبح لهم تأثير هام في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، خاصة منذ سنة 1860، فهو الشيء الذي أقلق كثيراً الحكومة الفرنسية من جهة وجعل الحكومة العثمانية تتساءل عن مصير الهجرة والهجرة الجزائرية مبدية في كثير من الأحيان عدم ارتياحها أمام تزايد أعداد المغاربة في سورية من جهة أخرى].(7)

لقد تدخل الأمير لحماية المسيحيين عام 1860 بألف رجل، وكان بقاؤهم في دمشق يعني لكل من تركيا وفرنسا أن الرجل مسيطر لا محالة على بلاد الشام، فقد أصبح ملكها غير المتوّج إذ التف حوله رجالها وعوامها بكل أديانهم وطوائفهم وفئاتهم.. في حالة من وحدة القومية العربية النموذجية، التي لم تكن أي من هاتين الدولتين ترغب في وجودها. ويبدو أن تركيا اختارت أهون الشرين وسمحت بتواجد مكثف للجزائريين في ريف عكا، دون المدينة نفسها، فأبعدتهم بذلك عن دمشق فمنذ عام 1860 بدأ يظهر

مايسمى بقرى المغاربة وهي: في لواء الجليل الأعلى /صفد - أكراد الخيط. قرى: ديشوم، عموقه، الحسينية، التليل، ماروس. ويلاحظ أن سكانها من مجموعة أحمد بن سالم من دلّس والبليدة وتقزيرت. وتكاد تكون هذه القرى مغلقة على الجزائريين وإن سكن بعضهم قرى أخرى في منطقة مثل علما، الجاعونة، دلاتا وهي في لواء الجليل الأدنى /طبريا - الشفا، قرى: عولم، معذر، كفرسبت، شعاره، ويلاحظ أن الغالبية العظمى من سكانها هم قبائل عرش وادي البردي الذين أشرنا اليهم وأولاد سيدي عيسى وأولاد يونس من منطقة حمزة التي تمتد بين سور الغزلان والبويرة شاملة عين بسام وبئر غبالو. وفي وقت لاحق سكن الجزائريون سمخ وطبرية نفسها فضلاً عن صفد، كما ظهرت في حيفا قرية هوشه، وسكنوا مدناً وقرى أخرى في القدس والناصرة.

وأي دارس للفكر العسكري للأمير عبد القادر يمكنه أن يدرك أن الأمير سيطر على وسط بلاد الشام من دمشق حتى ميناء عكا وبما تحويه من مصادر المياه في بحيرتي الحولة وطبريا ونهري الأردن واليرموك.

وكان ثمة امتداد آخر مابين حلب واللاذقية، فلاتزال بعض العائلات الجزائرية تسكن منذ ذلك الوقت مناطق حمص وحماه وحلب واللاذقية.

وفي هذه الفترة بالذات 1860-1882 تشهد المنطقة 3 أحداث أخرى نجد للأمير عبد القادر فيها صلة:

1- في 1863 يجري تصادم بين رجال الأمير في التليل /صفد وبين الصندوق البريطاني الصهيوني لاكتشاف فلسطين الذي حاول بناء أول مستوطنة، وتكون نتيجة هذا التصادم استشهاد ثلاثة جزائريين، ويتدخل الأمير ويفشل الصهاينة في بناء مستوطنتهم الأولى في فلسطين /منطقة عكا.. الى أن يعاودوا الكرة في منطقة يافا فينجحون. ولعل هذا يثير شهية الباحثين لمعرفة مدى وعي الأمير بأبعاد الخطط الصهيونية آنذاك، والتي لم تكن قررت رسمياً استيطان فلسطين.

2- في نفس الفترة ينجح الجزائريون في هذه القرى في وقف حال الاقتتال الداخلي بين الأرياف والبدو في شمال فلسطين هذه الحالة التي تعرف بالغزو، وتقدّر الدولة العثمانية ظاهرياً للأمير صنيعه هذا، لكنها تكيد له باطنياً، ويعزو باحث أمريكي نجاح رجال الأمير في إنهاء عادة الغزو الى أن قراهم كانت كالقلاع.

3- قام عرب الشام عام 1877 بمبايعة سرية للأمير عبد القادر ليكون ملكاً عليهم وينفصل بهم عن تركيا ويؤسس مملكة مستقلة فيبدأ برحلة الى لبنان وفلسطين تحت ستار زيارة قرى الجزائريين(8) ويبني مقراً له في قرية عولم القريبة من طبرية والناصرة، ظل يعرفه سكان قرية عولم حتى 1948 باسم قصر الأمير.

وفي هذه الفترة نشهد تحركات واسعة للأمير عبد القادر سواء لجهة استقبال دفعات من المهجرين الجزائريين أو لجهة رحلات الى الحجاز ومصر وبريطانيا وفرنسا. وتنتهي

هذه الموجة من المهجرين الجزائريين بوفاة الأمير عبد القادر 1882م.

ولعل الحدث الأبرز الذي شهدته الجزائر في هذه الفترة وزاد عدد المهجريين الجزائريين وميز نوعيتهم هو ثورة المقراني 1871 حيث دمرت فرنسا تدميراً واسعاً البلدات القرى والمداشر والدواوير في جبال جرجره والصحراء ومنها مافعله الجنرال لالماند من [تدمير وحرق جميع القرى التي يمر بها ومنها أولاد اينتان تيزي أولاد بوعلي، وتالاميمون](9) وقد دمر جنرالات وضباط آخرون: جمعه ساريح، فراوسن، اسباخن، مقله، ايراثن، عيسي، تاكسفت، دلس، وبني جعد، وبني سليمان، صدوق، بني خلفون، بني معاند، أولاد مقران، أولاد العزيز، بني يعلا، الأصنام، العجيبة، مشداله، ايت يحلف، الشرفا، أولاد زيان، تيغيرلت، تاوريت، وسيدي رحمون، والأخضرية، وفورناسيونال، وغيرها كثير.. لذلك فإن نوعية المهجرين في هذه المرحلة تختلف عن نوعيتهم في الموجة الأولى التي كانت تتصف بأنها هجرة مثقفين علماء، فهذه هجرة فلاحين وجنود مقاتلين لذلك نجد اليوم في الشام عائلات جزائرية من هذه المناطق، مثل عائلة ساريح، خليفاوي، شرفاوي، يعقوبي، الخ.

كما شهدت جزيرة كاليدونيا قدوم عدد من العائلات الجزائرية التي نفتها فرنسا لمشاركتها في ثورة المقراني 1871، وأهملتها الادارة الفرانكوفونية في الجزائر بعد الاستقلال إهمالاً يثير الشبهة.

## 3- موجة التهجير الثالثة 1883-1900:

كانت فرنسا تواصل في الجزائر حملتها لإبادة الدواوير والعروش وتهجير السكان ودفعهم الى الجبال، وكانت القوى السياسية والعسكرية الفرنسية مختلفة حول تهجيرهم الى المشرق العربي، نظراً لنشاط الموجات السابقة المعادي لفرنسا في المشرق، وقد طرح في هذه الفترة الخلاف بين فرنسا وتركيا حول جنسية الجزائريين. فوجدنا أن هؤلاء المهجرين يحمل بعضهم أوراق سفر رسمية وبعضهم لايحمل.

ويقول د. عمار هلال:

[ويلاحظ هنا أن هؤلاء الجزائريين الذين نزلوا في ميناء بيروت في سنتي 1882-1884، والذين سينزلون في السنوات الآتية كانوا كلهم يسافرون بطريقة قانونية ولدى كل واحد منهم جواز سفر أو رخصة خروج تسلمها من الادارة الفرنسية في الجزائر].(10)

كان هدف فرنسا من تسليم هذه الجوازات هو استعمال هؤلاء الجزائريين كحصان طرواده داخل الدولة العثمانية وبسط حمايتها عليهم حسب قانون الحماية الذي كان معمولاً به، فهي في الجزائر تعاملهم كأجانب وفي الشام تعتبرهم من رعاياها.

لكن هؤلاء فوتوا الفرصة على فرنسا، إذ ما أن تطأ أقدامهم أراضي الشام حتى يعلنوا أنهم رعايا الدولة العثمانية ولا علاقة لهم بفرنسا.

وقد التحق عام 1886 بقريتي الحسينية والتليل 169 جزائرياً وعام 1892 التحق بقرية هوشه 150 شخصاً معظمهم من أولاد سيدي ارغيس (أم البواقي) وأما عائلات عريب وادريس وساسي وحميده التي هجرت سراً الى تونس، فقد التحق منها عام 1894 حوالي 150 شخصاً سكنوا قرية عولم.

وفي هذه الفترة بدأت تلوح في الأفق نوايا الادارة الاستعمارية [التي كان بعضها ضد تهجير الجزائريين بغية استخدامهم كأيدي رخيصة وبعضها مع التهجير للتمكن من الأراضي]، نواياها في إدخال النظام البلدي الى الجزائر، مما يترتب عنه تسجيل الجزائريين وأراضيهم وممتلكاتهم، فلمسنا ضغطاً بإتجاه ترحيل الفلاحين الذين تضرروا من حالة الجفاف والمجاعات المتعددة التي آلمت بالجزائر منذ عام 1848، فقد وصل الى دمشق مطلع 1888 حوالي 116 شخصاً، وتزايدت على مدى شهور ذلك العام أعداد المهجرين الجزائريين ويعرف هذا العام في الأوساط الشعبية الجزائرية خاصة في منطقة القبائل والشرق الجزائري بـ «عام الشام» ويقول د. عمار هلال:

[ومهما يكن من أمر هجرة سنة 1888 لم تشمل فقط الأهالي الذين أذنت لهم الادارة الفرنسية بالهجرة وإنما اتسعت لتشتمل كثيراً من الفلاحين الصغار الذين تضرروا كثيراً من القحط والجفاف وخاصة شرق البلاد].(11)

وهكذا ظهرت في الشام عائلات من منطقة المديه وجبل عمور وسطيف وعنابه وقسنطينة وخنشله والأوراس وسكيكدة ولازالت بعض العائلات تحمل اسم القسنطيني والأوراسي.. الخ.

وقد التقيت في حي السويقة بالحاج المعمرّ عمر سايغي الذي هاجر من تبسه وعمره 5 سنوات في عام 1895 وسألني كيف يمكنه أن يحصل على أوراق أبيه ليتمكن من ربط الصلة بين أولاده وأحفاده في دمشق وعائلتهم في تبسه، فنصحته بالكتابة الى البلدية، وبعد حوالي شهر أخبرني أحد أحفاده أن البلدية أرسلت لهم نسخة من السجل المطلوب.

كما سلمني بعض الجزائريين في السويقة وغيرها صوراً عن جوازات سفر أجدادهم تعود الى هذه الفترة.

في هذه المرحلة وصلت عدة عائلات من عرش سلاّوه في منطقة عين الزيتون/أم البواقي الى قرية هوشه/حيفا عام 1890 ولايزالون يحتفظون بصور عن جوازات سفرهم الفرنسية.

وقد طرح موضوع الجنسية في هذه الفترة بالذات محاولة من فرنسا مد نفوذها، فقامت بعرض إغراءات واسعة بعد وفاة الأمير على أولاده، وفعلت تركيا الشيء نفسه، وقد انقسم أولاد الأمير وأولاد اخوانه وأقاربه بين فرنسي وعثماني..

**4- موجة التهجير الرابعة 1900-1920:**

كانت فرنسا قد صادرت من الجزائريين خلال الفترة 1880-1900 مامساحته 242000 هكتار من أجود أراضيهم وتركتهم دون مورد رزق غير الهجرة، ثم بدأت مع الدول الأوروبية من مطلع القرن العشرين تتهيأ جدياً لخوض غمار الحرب ضد الرجل المريض وتصفيته واقتسام ممتلكاته، وكانت هذه الدول تخطط لخوض الحرب بأبناء الشعوب التي استعمرتها تدفع بهم الى اتون تلك الحرب الاستعمارية، وهكذا رتبت بريطانيا جيوشها في الهند وغير الهند، بل إن تركيا نفسها بدأت تجند العرب في المشرق العربي.

وأما فرنسا فبعد أن كانت قد أوجدت فرقة «الزواف» و «الصبايحية» وأدخلت الجزائريين في قتال ضد بعضهم لتشق الوحدة الوطنية لهذا الشعب العريق فقد رأت أنه أن الأوان لفرض التجنيد الاجباري على الجزائريين لخدمة العلم الفرنسي والزج بهم في حرب ليس لهم فيها ناقة ولا جمل، ولم يمر هذا القانون دون اعتراض، بل ومقاومة خاصة بقيادة الشيخ محمد بن يلّس في منطقة تلمسان وأخذ الجزائريون يلتحقون من جديد بالشام الحنون، وبالجزائريين والتونسيين الذين سبقوهم.

فقالت جريدة المقتبس في عددها رقم 11 ليوم الاثنين 28 كانون الأول /ديسمبر/ 1908 مانصه:

[بلغ عدد العائلات التي هاجرت الى ولاية سورية بعد اعلان القانون الأساسي 145 عائلة منها 28 من المغاربة عدد نفوسها 130 وسترسل الى حوران بعد عدة أيام].

ويعتقد البعض أن الجزائريين جبنوا عن الخدمة العسكرية لكن الحقيقة أنهم أرادوا القتال ضد أوروبا وليس معها وسرعان ماأعلنوا موقفهم هذا إذ تقول المقتبس:

[إن جماعة كبيرة من مهاجري تونس والجزائر أتوا الى الولاية لاحتجاج على عصاة كريت يحملون محضراً كبيراً بأختام المهاجرين في هذه الحاضرة يقسمون الايمانات المغلظة بأنهم على استعداد للزحف على العدو الذي يريد غصب حقوق دولتنا العثمانية، بمجرد صدور الأمر، ولا غرو، فهم عضو متين من أعضاء هذه الجامعة بارك الله فيهم].(12)

وعلى أثر الزلزال الذي ضرب سور الغزلان عام 1910 وعدم اسعاف فرنسا المتضررين اسعافاً جدياً، حدثت هجرة أخرى، وكانت تركيا قد غيرت موقفها من المهجرين الجزائريين نتيجة لنشاطهم القومي العربي، وتقول المقتبس في العدد 440 تاريخ 16 آب - اوت - 1910:

[اتصل بنا ان اثني عشر ألف جزائري خرجوا من بلادهم قاصدين دمشق، فياليت شعري كيف تستقبلهم الحكومة وهي نراها قد ضاقت ذرعا بإعالة من لديها بإخوانهم الذين سبقوهم بالهجرة. وأخبرنا بعضهم أن عشرات من أصحاب الخانات طردوا المهاجرين من خاناتهم لأن الحكومة لم تدفع لهم الأجرة منذ شهرين فعساها تتدارك الأمر].

وامام ذلك نجد أن الجزائريين في دمشق كما في استانبول أسسوا جمعية لاستقبال المهجرين من الجزائريين وبلدان المغرب العربي بإسم جمعية مهاجري شمال افريقيا، برئاسة الأمير علي بن عبد القادر، واصدرت صحيفة بإسم «المهاجر» وهو ماسنتحدث عنه في بحث خاص لكن يجب أن نذكر أن حركة القومية العربية وصحفها في ذلك الوقت - ومنها المقتبس- اقترحت اسكانهم في منطقة الدلي بحوران إذ قالت المقتبس يوم 25 آب - اوت - 1910 بتوقيع أبو تمام:

[رأيت مهاجري الجزائر في دمشق يشكون ماحل بهم من الجوع وطول مدة اقامتهم بلا إسكان.. فلو أرسلت الحكومة المهاجرين من نزلاء دمشق الى قرية يقال لها الدلي في تلك الأراضي المحلولة يعني في متن أرض «إزرع» وعلى ضفاف نهر الهرير الوحيد في لواء حوران الجاري على الأرض وخصصت لهم مايواليها من تلك الأرض لايمضي عليهم مدة قليلة حتى يستفيدوا ويفيدوا الدولة والوطن فوائد شتى].

وقد كانت الصحف القومية تتابع حركة التهجير من الجزائر وتونس في هذه الفترة متابعة تكاد تكون دقيقة.(13)

وقد توقف بعض الكتاب الفرنسيين عند هجرة 1911 بقيادة الشيخ محمد بن يلس ليقولوا أنها نتاج هلع حقيقي أو وباء حقيقي، وكأن فرنسا لم يعتريها الهلع ويكتسح الوباء أخلاقها قبل ذلك وقد رد الدكتور أبو القاسم سعد الله على ذلك بقوله:

[ولكن المؤرخ الذي يتبع التاريخ الجزائري منذ سنة 1830 سوف لاتصدمه هذه الحوادث، كما صدمت ديمونتي، والحق أن موجات هجرة متواصلة، أو هلع، أو وباء أخلاقي قد حدث منذ سنة 1830.

ويضيف د. سعد الله:

والسبب الرئيس لهذا الهلع هو ملامح الحكم الفرنسي: إذ لم يكن تعاونياً ولا متقبلاً للوضع الجزائري، بل كان قاسياً واضطهادياً، وهناك أسباب مختلفة للهجرة الجزائرية، قبل كل شيء كان هناك عدم الحرية، فمادام القانون كان يعتبر الجزائريين رعايا، فإن الفرنسيين لم يعترفوا بحقهم في التمتع بكامل الحرية المدنية والسياسية كمواطنين، وبالإضافة الى ذلك فإن الملامح الاضطهادية للحكم الفرنسي «قانون الأهالي، كان أسوأها» مع فقدان وسائل التعبير، قد جعلت الجزائريين يكتشفون بأنه لايمكنهم البقاء في وطنهم بأية حال].(14)

وقالت المقتبس بتاريخ 2 تشرين أول - اكتوبر - 1910:

[أحسنت الحكومة بإعطاء 16 رأس بقر للمهاجرين الجزائريين ليستعينوا بها على فلاحة الأراضي التي خصصت لهم في قرية كفرناسج في لواء حوران، وقد رفعوا للحكومة عريضة يشكرونها على ذلك الاحسان]. ولأن أهل حوران حافظوا على عادات العرب قبل الاسلام الذين لم يختلطوا بالأجانب، حيث لم يمنعوا الاختلاط، دون أن يعتدوا

على تعاليم الدين الاسلامي، فلم يعجب هذا الاختلاط المهجرين الجزائريين المتشددين عادة بخصوص المرأة، فما لبث أن غادر كثير منهم كفرناسج واشتروا أراض في غوطة دمشق، لازالوا فيها حتى الآن وتعرف بإسم نوله كما أخبرني بذلك الحاج أبو عمر.

وقد غادر الشيخ بن يلّس .تلمسان على متن باخرة إذ يقول تلميذه الشيخ محمد الهاشمي في مذكرات له:

[الحمد لله في يوم الخميس 20 رمضان 1329 الموافق 14 سبتمبر ايلول 1911 خرجنا من تلمسان مهاجرين، وأقمنا بطنجة شهر شوال بتمامه ننتظر البابور، ومنها بلغنا خبر هجوم ايطاليا على طرابلس الغرب خيب الله سعيها ونصر الاسلام عليها.. ويضيف: وفي 5 ديسمبر كانون أول وصلنا الى مرسين، وكان إذ ذاك مضت 27 يوماً من ذي الحجة، فحصل من هذا أننا مكثنا في السفر والاقامات شهرين وواحداً وعشرين يوماً والسلام].(15)

ومنح الوالي العثماني الشيخ محمد بن يلس «زاوية الصمادية» المهملة منذ قرون وصارت مخزناً للتبن، لإعادتها الى سابق عهدها كمدرسة دينية، وقد فعل بن يلّس ذلك وبدأ هو وتلميذه يكتسبان مكانة اجتماعية ودينية، حتى اعتقدهما الناس، وشارك بن يلس في مقاومة فرنسا حين احتلت سورية عام 1920 ويقول تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري:

[هاجر الى دمشق سنة 1911/1329م بعد مضايقات الفرنسيين.. ولما دخل الفرنسيون دمشق قارعهم وكان مَراً عليهم رغم كبر سنه، فكان يقارعهم وهو فوق الثمانين، فألقوا القبض عليه وحبسوه في سجن القلعة.. توفي بدمشق سنة 1346هـ/ ودفن في مقبرة الباب الصغير].(16)

وقد توقفت الموجات الجزائرية المهجرة الى المشرق العربي مع اندلاع الحرب العالمية الأولى.. لكن يجب أن نذكر أنه منذ وصول الجيش الفرنسي الى دمشق واحتلالها عام 1920 وفي صفوفه أعداد من المجندين الجزائريين شهد هذا الجيش حالة واسعة من فرار هؤلاء الجزائريين والتحاقهم بالعائلات والقرى الجزائرية رافضين قتال اخوانهم العرب والمسلمين، وقد شارك هؤلاء في الثورة السورية الكبرى 1925-1927 ضد فرنسا، وقدّم الذين بقوا منهم في صفوف الجيش -ومن بينهم الضابط عطاف-(17) مساعدات هامة لهذه الثورة كما سنتحدث في بحث خاص.

ويجب عليّ القول هنا أن الشام استقبلت في هذه الفترة بحفاوة وترحيب أيضاً مهجرين آخرين من المغرب العربي خصوصاً من مراكش بعد الاحتلال الفرنسي وليبيا بعد الاحتلال الايطالي. وقد تعاون هؤلاء مع الجزائريين الذين سبقوهم، تعاوناً وثيقاً -كما ورد في كتاب الليبيون في سورية- وكان جميع هؤلاء المغاربة يقرون بقيادة أبناء الأمير عبد القادر لهم.. وإن كان بعض هؤلاء الأبناء والأحفاد لم يحسنوا القيادة في بعض

**الحالات.**

**ب- المواقف الرسمية والشعبية:**

مع تزايد أعداد وموجات المهجرين الجزائريين الى الشام، شاهدنا -وخاصة بعد وفاة الأمير عبد القادر- مايمكن تسميته بإضطراب مواقف كل من فرنسا والدولة العثمانية من هذه الموجات، تبعاً لتكتيكات ومصالح هذه الدول، وحسب نشاط هؤلاء المهجرين وموقفهم السياسي. والموقف الوحيد الذي لم يتغير هو الموقف القومي العربي كما عبرت عنه الجماهير العريضة أو فئات المثقفين والصحفيين.

**1- الموقف العثماني:**

كان الموقف العثماني من الجزائر منذ 1827 لايتسم ببعد النظر، سواء بموقفها من الداي حسين أو من الأمير عبد القادر، فبالإضافة الى خشية الأستانة من بروز شخصية عربية قوية قد يتجمع العرب حولها [فإنه من الواضح أن ضعف الدولة العثمانية جعلها لاتستطيع أن تحقق أهدافها، فحروب محمد علي، وخضوعها للدول الأوروبية الكبرى، وضعف ساستها، وتفككها الداخلي، كل ذلك جعل موقفها من قضية الجزائر موقف المتردد الخائف].(18)

ويمكن القول أن هذا الموقف التركي المتردد الخائف قد استمر تجاه الأمير في المشرق العربي، فمن جهة كان السلطان عبد المجيد يغدق على الأمير ويظهر له كل الود، بينما كانت الحكومة تحصي عليه أنفاسه. ولعل هذه النقطة، نقطة اختلاف موقف السلطان عن حكومته من الأمير، أثرت في سلوك الأمير تجاه الطرفين، بل في مواقفه السياسية في المشرق العربي كقائد لحركة القومية العربية. وأعتقد أنها نقطة بحاجة الى دراسة أكثر دقة من المختصين.

وما أن توفي الأمير حتى ظهرت قضية جنسية الجزائريين والموقف من المهجرين الجزائريين، وقدمت الدولة العثمانية اغراءات لأولاد الأمير، ولعائلته ليظلوا على جنسيتهم العثمانية. ويرفضوا عروض فرنسا ومن الذين رفضوا العرض الفرنسي وقبلوا العثماني ولده الأمير محي الدين إذ يقول عنه الفرفور:

[ولما توفي أبوه 1300 هـ أرادت فرنسا منحه ماكانت تعطي أباه على أن يكون هو وأخوته من رعيتها فامتنع، وجعل له السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد راتباً شهرياً جيداً..].(19)

أما أحمد شقيق الأمير فيقول عنه تاريخ علماء دمشق:

[انقسمت الأسرة الى قمسين: قسم بقي على أنه من تابعية فرنسا، وقسم أصبح في تابعية الدولة العثمانية، ورتبت كلتا الدولتين لمن كان على تابعيتهما الرواتب الكافية وكان

المترجم -يقصد أحمد- ممن بقي على تابعية فرنسا التي عينت له ألف قرش أيضا مشاهرة ومنحتين في كل عام في عيدين تبلغ كل منحة نحواً من خمس وعشرين ليرة فرنسية].(20)

وهكذا أصرت الدولة العثمانية على المهجرين الجزائريين أن يعلنوا عن عثمانيتهم حتى لايشملهم نظام الحماية وبالتالي يكونون كحصان طرواده فرنسي في الجسم العثماني

ويقول الدكتور عمار هلال:

[بوفاة الأمير فسح المجال واسعاً أمام العثمانين لبسط سلطانهم على المهاجرين الجزائريين في ولاياتهم، خاصة وأن الدولة العثمانية قد قررت أن تمنحهم نفس الامتيازات التي تمنحها للمهاجرين الآخرين غير المسلمين].(21)

وقد ظلت العثمانية على خلاف مع فرنسا في هذا الموضوع حتى القرن العشرين، رغم مسودة الاتفاق بينهما عام 1889 هذا الاتفاق: [الذي اشترط اعتبار جماعات اللاجئين التي غادرت الجزائر للإقامة في سورية مواطنين عثمانيين ماعدا أولئك الذين اختاروا الاحتفاظ بالجنسية الفرنسية، وعلى هؤلاء مغادرة الأراضي العثمانية في غضون فترة معينة، أما الذين قدموا بموجب جوازات سفر فرنسية يعتبرون فرنسيين إذا كانت جوازاتهم موقعة من السفارة الفرنسية، ولكن يحق لهم اكتساب الجنسية العثمانية والذين اختاروا الاحتفاظ بالجنسية الفرنسية فلا يحق لهم الزواج بنساء عثمانيات الجنسية والذي يخالف هذا الحظر يبعد خارج الأراضي العثمانية ويسمح له باصطحاب زوجته. وكل حامل للجنسية الفرنسية يطلب اليه مغادرة البلاد إذا ماأخل بالنظام العام].(22)

وفي الواقع أن كل الجزائريين الذين كانوا يصلون الى الشام كانوا يعلنون -باستثناءات نادرة- عن عثمانيتهم، لذلك فان الدولة العثمانية لم تكن تعترف بجوازات سفرهم الموقعة من الادارة الفرنسية في الجزائر.. غير أن إبطاء الادارة العثمانية بمنحهم أوراقاً جديدة كان يشجع قناصل فرنسا على إعادتهم لفرنسا، كما فعل قنصلها في حيفا مما جعل السلطة العثمانية تتدخل بقوة.

[وفي الوقت الذي كانت فيه الترتيبات الأخيرة تتم لنقل أكثر من 198 مهاجراً جزائرياً الى وطنهم من ميناء حيفا بفلسطين، وذلك في سنة 1891، تدخلت السلطات العثمانية المحلية بأمر من نظيف باشا والي سورية ومنعتهم من الركوب على السفينة التي كانت تنتظرهم، مدعية أن هؤلاء المهاجرين الجزائريين، قد قبلوا شهادات جنسية عثمانية مقابل تنازل الحكومة لهم عن قطع أراض، التي لم يتحصلوا عليها حتى الآن بسبب الاجراءات الادارية المعقدة وبعضهم سيتحصلون عليها في المستقبل].(23)

ومن الواضح أن الادارة العثمانية كانت تسوء مواقفها من الجزائريين بنفس المقدار الذي يسيطر الطورانيون على هذه الادارة، وقد خفت استفادة هؤلاء المهجرين من معونات لجنة المهاجرين، هذه اللجنة التي ثبت في وقت لاحق أن فيها اختلاسات واسعة.

كما أن هذه الادارة كانت تغير موقفها ليس فقط في طريقة استقبالها لهؤلاء المهجرين بل وفي طريقة التعامل معهم على أرضها، فمرة تستدعيهم الى الخدمة العسكرية ومرة تعفيهم، ولعل آخر إعفاء كان في عام 1910 حيث كتبت المقتبس في عددها يوم 21 آب/اوت/1910 مانصه:

[تقرر أن يستثنى هذه المرة مهاجرو الجزائر من معاملة الزجريين في العسكرية].

ولعل موقف الادارة العثمانية من الأمير علي بن الأمير عبد القادر الذي منح لقب باشا «الذي لم يمنح لوالده» كان نائباً لرئيس البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) يلخص موقف هذه الدولة من المهجرين الجزائريين فحين كان يقاتل ضد الاحتلال الايطالي لليبيا عام 1911، وحين كان يخمد الفتن بين الدروز والحوارنة كانت تشكره «علناً» وتسلم ليبيا لايطاليا وتشعل الفتن «سراً» الى أن اعتقلته ونفته عام 1915 وشنقت شقيقه الأمير عمر بن عبد القادر مع من شنقت من رجال حركة القومية العربية وكذلك موقفها من الشيخ طاهر الجزائري مؤسس الحركة العلمية الحديثة في الشام ومطاردتها له.

وبتاريخ الأول من كانون الأول /ديسمبر/ 1910 نشرت المقتبس الخبر التالي: [تم الوفاق بين الدولة وفرنسا على الرعاية العثمانية للجزائريين المقيمين في بلاد الدولة بأن هذه الرعاية تشملهم]. ويبدو أن هذا كان مقابل أن تتنازل الآستانة عن عثمانية الجزائر والجزائريين وتعترف بسيادة فرنسا على الجزائر وأهلها إذ كتبت نفس الجريدة في الخامس من نفس الشهر والعام:

[قالت الفيغارو أن الحكومة العثمانية اعترفت بتبعية أهل الجزائر لفرنسا].

وأمام تراجع موقف وممارسات الادارة الطورانية في الدولة العثمانية من المهجرين الجزائريين والتونسين والمراكشين والليبيين واحتمالات تزايد أعدادهم قام الجزائريون بدمشق بتأسيس جمعية برئاسة الأمير علي بن عبد القادر سميت جمعية مهاجري افريقية الشمالية كما أسس المقيمون منهم في استانبول جمعية مختصة بهم إذ قالت المقتبس في عددها 462: [اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الآستانة وقرروا تأسيس جمعية مختصة بهم][(24)] وسنفرد بحثاً خاصاً عن نشاطهم «الجمعوي» هذا وتكوينهم لمختلف أنواع الجمعيات في الشام.

وهكذا يتبين أن العقل السياسي للدولة العثمانية سواء لدى سلطانها «الباب العالي» الذي كان يعتبر نفسه خليفة المسلمين أو لدى رئيس حكومتها «الصدر الأعظم» ودخوله متاهة المناورات التي أصابته بالشلل وعدم القدرة على الرؤيا، لم يتمكن من معرفة حقيقة موقف المهجرين الجزائريين، وبالتالي موقف حركة القومية العربية كما حدده الأمير عبد القادر بأن لاتحالف مع الدولة العثمانية ضد العرب وأن لاتحالف مع الدول الأوروبية ضد العثمانية المسلمة، وكان الشد والجذب بين السلطان العثماني وحكومته الطورانية، ينعكس على هؤلاء المهجرين، فإن كان السلطان هو الأقوى كان الانعكاس ايجابياً، وإلا فسلبياً.

2- الموقف الفرنسي:

لم يكن الموقف الفرنسي تجاه المهجرين الجزائريين أقل اضطراباً وتردداً وخوفاً من موقف الدولة العثمانية وإن كان لكل دولة أسبابها. فبعض المستوطنين الفرنسيين كان يرى فتح باب التهجير على مصراعيه ليتخلص من الجزائريين ويستولي على أرضهم، وبعضهم كان يرى اغلاقه أو تضييقه لاستخدام الجزائريين كأيدي رخيصة وأجراء في ذات الأرض التي انتزعت منهم وكانت الحكومة الفرنسية ترى خطراً في نشاط هؤلاء المهجرين ضدها في الشام الذي تخطط لاحتلاله، بل ترى خطراً في عودة هؤلاء الى الجزائر نفسها إذ:

[اعتاد هؤلاء الجزائريون أن يشنوا خلال أحاديثهم واتصالاتهم، حملة مسمومة ضد السياسة الفرنسية في الجزائر، فصحافتهم اعتادت أن تصف فرنسا بأنها أسوأ مضطهدة للجزائريين، فكانت هجوماتهم مركزة على القوانين الاستثنائية التي يقولون بأنها قد أحالت الجزائريين الى عبيد وبؤساء..].(25)

وما أن توفي الأمير حتى فعلت فرنسا مافعلته تركيا من استمالة لأولاد الأمير وعائلته، فإذا كان أبناؤه مثل محي الدين ومحمد وعلي قد مال نحو تركيا فإن عبد المالك والهاشمي مالا نحو فرنسا، وانتقل عبد المالك الى مراكش (طنجة) ليحارب فرنسا في وقت لاحق ويعلن استقلال فاس، ولينتقل الهاشمي الى الجزائر نفسها «بوسعادة» ليؤسس ولده خالد الحركة الوطنية الجزائرية الفرنسية، وبلغة أخرى أن اللعبة الفرنسية كاللعبة العثمانية لم «تجز» على الجزائريين سواء أولاد الأمير أو غيرهم.

وظلت فرنسا سنوات طويلة تراوح بين التغاضي عن وصول الجزائريين الذي لم تترك لهم خياراً غير ترك بلدهم، الى المشرق العربي، وبين منع هذا الوصول ومطاردتهم حتى حين يصلوا الى تونس أو غيرها من الأقطار المغربية وفي نيتهم مواصلة الرحلة. وأحياناً كانت تمنح للراغبين جوازات سفر وتحدد لهم فترة المغادرة. وكانت تسعى دائماً للسيطرة على أراضي الجزائريين المهجرين سواء أذنت لهم أم لم تأذن فمثلاً حين سمحت [في شهر ماي من عام 1860 بهجرة أولاد سيدي خالد وبني عمر وهم فرع من وادي البردي وهاجر هؤلاء الى بلاد الشام تاركين وراءهم 2600 هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة] (26) استولى عليها المعمرون.

ومع كل ذلك كان المهجرون الجزائريون في الشام يجدون الطرق للاتصال بالوطن سواء عبر المكاتبات التي لاتزال كثير من العائلات الجزائرية في الشام وفي الجزائر تحتفظ بها، وقد لعبت هذه الرسائل دوراً هاماً في تعريف أحفاد متبادليها على بعضهم البعض، خاصة بعد الاستقلال.

وكذلك عبر السياح وخاصة الحجاج منهم، ويبدو أن موسم الحج كان فرصة مثالية لالتقاء شخصيات مؤثرة، إذ نجد أن فرنسا حاولت أكثر من محاولة لمنع الجزائريين من

أداء هذه الفريضة ولمدة طويلة.

والواقع أن اتصال المهجرين بالوطن لم ينقطع، فهم الذين أسسوا في سبعينيات القرن التاسع عشر «جمعية ايالة الجزائر المحمية» هدفها تزويد ثورة المقراني بالسلاح، وكانوا يجدون الطريقة المناسبة لايصال السلاح والمال للمقراني، الذي أعلن في وقت من الأوقات أن له صلة بالأمير عبد القادر، وسيتكرر هذا الأمر من الجزائريين في الشام مع الثورة الجزائرية 1954-1962.(27)

ومن المواقف الفرنسية ضد المهجرين الجزائريين، منعهم من زيارة الجزائر ثانية، وقد طال ذلك شخصيات سياسية مثل الأمير علي وشخصيات فكرية مثل الشيخ طاهر الجزائري.

وبعد إلحاح سمحت السلطات الفرنسية الاستعمارية للأمير علي بزيارة سرية وقصيرة جداً للجزائر التقى فيها بابن أخيه الأمير خالد.

أما الشيخ طاهر الجزائري، فإنه على مايبدو زار مدينته بجاية دون علم السلطات الفرنسية التي لم تسمح له بمثل هذه الزيارة.

وطبعاً فإن فرنسا التي تسعى في الشام لاعتبار الجزائريين من رعاياها، وتعتبرهم أغراباً في وطنهم، كانت تخشى تأثيرهم خاصة حين دخل الأمير محي الدين الجزائر خلسة ليلتحق بثورة المقراني.(28)

ومنذ مطلع القرن العشرين ورغم التواجد الفرنسي الكثيف في لبنان بدأت تنتاب فرنسا مخاوف من أن السلطة العثمانية تسعى لاستقبال المهجرين الجزائريين الذين يصلون الى ميناء بيروت بقصد الاخلال بالتركيبة السكانية من أغلبية مسيحية الى اسلامية.

وقد كتب محمد طه الولي يقول:

[وقعت مضاعفات خارجية أدت الى إلقاء بعض الظلال العارضة على توازن النسبة العادية بين السكان المسلمين وبين النصارى في بيروت، وهذه المضاعفات هي الأحداث العسكرية التي وقعت في شمال افريقيا.

الى أن يقول:

فلقد اختار هؤلاء المغاربة المسلمون بلاد الشام داراً لهجرتهم واستقروا في دمشق حول زعيمهم الأمير عبد القادر الجزائري الذي اختار هذه المدينة لاقامته في منفاه. غير أن عدداً منهم آثر البقاء في بيروت الى جانب اخوانهم المسلمين. وكما فعل النازحون الجزائريون فعل كذلك التونسيون من بعدهم ومازال أسماء الجزائري والمغربي تطلق على العديد من العائلات البيروتية حتى اليوم].(29)

**3- الموقف الشعبي العربي:**

ومقابل تقلبات الموقف العثماني الرسمي والموقف الفرنسي من المهجرين

الجزائريين نجد الموقف الشعبي العربي هو الموقف الثابت والأصيل، فهو ضد أن يجبر الجزائريون على ترك بلادهم، وضد أن لاتقدم لهم الدولة العثمانية أقصى ماتستطيعه من مساعدات حين وصولهم، وضد أن يعاملوا كغرباء في الشام.

وقد عبرت عن ذلك بوضوح كافة القوى الشعبية العربية عبر مايتاح لها من قنوات للتعبير، وخاصة جريدة المقتبس الدمشقية والمفيد البيروتية وكذلك الحضارة التي تصدر في الاستانة.(30)

وقد جاء في تاريخ علماء دمشق حول هؤلاء المهاجرين وموقف دمشق منهم:

[وقد سعدت دمشق بهجرة المغاربة اليها كما سعدت من قبل بهجرة بني قدامة المقادسة. وكان على رأس المغاربة الشيخ الأمير عبد القادر الجزائري الذي اهتم بالعلم والعلماء والتصوف والمتصوفة. وصحبه علماء كانوا معه، ولحق به آخرون في هجرة ثانية، فإذا بالمدينة المباركة يسرى فيها دم جديد، ويشتد فيها اشتعال جذوة الفكر.. لم يكونوا جسماً غريباً يرفضه الجسم، بل صاروا عضواً لايمكن الاستغناء، صاروا دمشقين لهم ما لأهل دمشق، وعليهم ماعليهم].(31)

ويقول صاحب كتاب منتخب التواريخ في ترجمته لـ «محمد السعيد بن محي الدين» شقيق الأمير: [وكان محل اعتقاد واعزاز علماء دمشق حين هاجر اليها].(32)

ويقول عن أحمد بن محي الدين شقيق الأمير أيضاً: [محبوباً عند الخاص والعام ألوفاً متواضعاً مقصوداً لحل المشكلات وقضاء حوائج الناس].(33)

ومن حسن الحظ أننا لسنا بحاجة الى أن نورد استشهادات عن الموقف الشعبي العربي من المهجرين الجزائريين إذ يكفي القول أن زعامات الشعب العربي في الشام بايعت الأمير عبد القادر عام 1877 ليكون ملكاً على العرب وينفصل بهم عن تركيا ويقول عادل الصلح عن ذلك الاختيار:

[وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم أنه ليس من أهل المشرق، وأن المشرقي أولى منه بهذه الولاية لأن النزعات الاقليمية لم يكن لها أي اعتبار في ذلك الزمن فكان ابن الجزائر وابن دمشق وبغداد وبيروت وسائر بلاد العرب مواطناً عربياً قبل أي شيء آخر].(34)

ومن المعروف أن أهالي دمشق انتخبوا الأمير علي بن الأمير عبد القادر ليكون نائبهم في البرلمان العثماني، كما أنهم أطاعوا سعيد بن علي بن عبد القادر حين أعلن الحكومة العربية المستقلة عام 1918 بعد انسحاب العثمانيين.

وفي عام 1966 خرجت دمشق عن بكرة أبيها لتودع رفات الأمير عبد القادر(35) كما كانت قد استقبلته عن بكرة أبيها عام 1856 حين قدم اليها، فقد ظل الموقف الشعبي العربي في الشام ثابتاً لم يتغير رغم كل الدسائس السياسية للادارة الطورانية وثم الاحتلال الفرنسي.

وعلى مستوى المعتقدات الشعبية فإن أكثر العائلات الدمشقية حتى منتصف القرن العشرين الميلادي كانت تتخذ لها رجل دين تكون كمريدة من مريديه، وكثيراً مايكون هذا الشيخ من الجزائريين، فمن الأمير عبد القادر نفسه الى الشيخ محمد الهاشمي الذي توفي في الستينات مروراً بالمهدي السكلاوي وبن يلس والطيب المبارك واليعقوبي والينيوي وغيرهم كثير ممن كانت العائلات الدمشقية تعتقدهم.. وكان تأثر الشعب بهم وتأثيرهم في الشعب قوياً.

ويجب أن نذكر هنا أن الشعب العربي في سورية أو فلسطين لم يعترض اطلاقاً حين منحت الدولة العثمانية أراض للجزائريين، بينما اعترض بشدة على فتح أراض لليهود ولو بطريق البيع كما هو معروف، كما أن اللاجئين الأوروبيين من شركس وأرناؤوط لم يتمكنوا من التأثير في المجتمع وأما الأرمن فظلوا على بعد منه، وإن كان هذا المجتمع قد منحهم حق الضيافة بسخاء.

وحين أسس الجزائريون جميعاتهم الخيرية منها أو السياسية لصالح أبناء المغرب العربي كان الشوام من أوائل المتبرعين والمساندين لهذه الجمعيات.

وكذلك يجب أن نذكر هنا أنه إذا كان الشوام قد ارتضوا أن يكون الشيخ «تاج الدين الحسني» المغربي الأصل أول رئيس للجمهورية السورية، فإن الحكومات السورية المتعاقبة لم تكن تخلو من وزير من أصل جزائري مثل محمد المبارك وأسعد العربي درقاوي وعبد الرحمن خليفاوي الذي شغل منصب رئاسة الوزراء مرتين كما شغل عدد منهم مناصب المحافظين «ولاة» ومناصب رفيعة أخرى، سفراء، مديرين عامين.

وقد خصص عدد من الباحثين السوريين واللبنانيين كتباً عن الجزائريين مثل:

1- سطور من الرسالة /تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877/ لعادل الصلح.

2- تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر / لمحمد سعيد الباني طبع عام 1920.

3- الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام واعلام من مدرسته /للدكتور عدنان الخطيب.

4- جهاد نصف قرن لسمو الأمير سعيد الجزائري/ أنور الرفاعي.

5- الأمير عز الدين الجزائري/ الذي أصدره المؤتمر السوري 1928.

6- صفحات مشرقات وظلال وارفات من حياة العلامة الشيخ ابراهيم اليعقوبي/ لمحمد عبد اللطيف الفرفور.

وليس هناك كتاب في التراجم والسير مثل حلية البشر، روض البشر، الاعلام، علماء دمشق، أعلام دمشق، معجم المؤلفين، أعيان دمشق، أو في التاريخ مثل منتخبات التواريخ لدمشق تاريخ سورية، تاريخ الثورات السورية، الحرب العالمية الأولى، تاريخ الثورة العربية الكبرى، أو أي كتاب صدر في سورية منذ منتصف القرن التاسع عشر

وحتى الآن ويتناول الحالة السياسية أو الثقافية، ألا ويذكر هذا الجزائري أو ذاك في مجال من مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والنضالية. ويسجل كل الكتاب كما المواطنين الاعتياديين جزائرية هؤلاء المهجرين، لكن دون أن يقول أحد أنهم غرباء.

وللأسف فإن الادارة الفرانكوفونية في الجزائر بعد الاستقلال، لم تحاول الاستفادة من هذه المكانة المتميزة لهؤلاء، بل وقفت موقفاً سلبياً ومشبوهاً من الأمة العربية جميعاً وليس من هؤلاء فحسب.

### ج- الأعداد والسكن:

أسكن الجزائريون وبترتيب من لجنة المهاجرين التابعة للسلطة العثمانية مدينة دمشق في بادئ الأمر، في أحياء مثل السويقة، (حي المغاربة التاريخي)، والحيواطية، والخيضرية، وغيرها من المناطق الى أن تم توزيع الأراضي عليهم في غوطة دمشق نفسها وفي حوران جنوب سورية الحالية والجليل شمال فلسطين، بل في مناطق أخرى مثل القدس ونابلس وحيفا والخليل وحلب وحماه وحمص واللاذقية، ومع وصول الأمير في عام 1856 ظهر حي العمارة الراقي كسكن للأمير وحاشيته، وبدأ الأمير يشتري ضياعاً في أنحاء متفرقة من الشام إضافة الى ماتمنحه إياه الدولة العثمانية فيمنحها بدوره للجزائريين، ولم يكن يتشدد عليهم في تزويده بحصة من الانتاج، كما فعل أولاده وأحفاده من بعده ويمكن رصد المناطق التالية التي سكنها الجزائريون:

#### 1- دمشق والغوطة:

سكن الجزائريون في مدينة دمشق أحياء: السويقة، الحيواطية، باب سريجة، سوق ساروجة، الشاغور، العمارة ولازال بعضهم فيها حتى الآن.

أما قرى الغوطة فكان بعضها أو جزء منها ملكاً شخصياً للأمير عبد القادر، إما بالشراء المباشر أو منحتها له الحكومة العثمانية كما منحت المهجرين أتباعه مثل قرى قرحتا وحوش بلاس ودير العصافير وغيرها، وقد بيعت معظم هذه الأملاك من قبل ورثة الأمير عبد القادر ولازال في بعضها عائلات جزائرية حتى الآن.

أما القرى التي سكنها المهاجرون الجزائريون في غوطة دمشق ولم يكن للأمير أو ورثته أملاك فيها فهي قرية «نوله» التي لاتزال قائمة حتى الآن. وأما القرى في وسط وشمال سورية فسرعان ماتركها الجزائريون الى المدن.

#### 2- منطقة حوران:

هناك عدة قرى سكنها المهجرون الجزائريون في منطقة حوران مثل عالقين وكفرناسج وغباغب، كما أنه كانت للأمير بعض القرى مثل معرية، بيت ارا، كوية، وعابدين وحدث حين باع الأمير سعيد أراضي قرية شعاره في فلسطين أن أعطاهم بديلاً لها في عابدين.

وقد أخذ ورثة الأمير عبد القادر يبيعون أراضيهم في حوران شيئاً فشيئاً كما أخذ

المهجرون الجزائريون في القرى ينزحون مع نزوح الأرياف الى المدن ومن أهم القرى التي يسكنها الجزائريون في حوران الآن قرى عالقين، عابدين وكفرناسج. أما المناطق التي سكنوها في حلب وحمص واللاذقية فسرعان ماتخلوا عنها والتحقوا بالمدن وعملوا بالتجارية حتى الآن ومن أهم عائلاتهم في حلب عائلة درويش، وفي حمص عائلة الهواري.

**3- الجليل:**

سكن الجزائريون مجموعة من قرى منطقة صفد ذات الأهمية الاستراتيجية، فهي تتصل بمدينة عكا من جهة وبالجنوب اللبناني من جهة أخرى وبمنطقة القنيطرة الجولان من جهة ثالثة وتتصل بمنطقة طبرية من جهة رابعة، وتسمى هذه المنطقة أكراد الخيط نسبة الى بعض القبائل الكردية التي تسكن بيوت الشعر واخوانهم أكراد البقارة الذين يعيشون من تربية الجواميس ورعي البقر حيث اكتسبوا اسمهم.

وهذه القرى القريبة من منابع المياه في شمال فلسطين الجليل الأعلى هي: ديشوم - العموقة - التليل - الحسينية - ماروس. وسكن بعضهم قرى أخرى مثل «علما»، الجاعونة، دلاتا لكن سرعان ماغادروها الى حيث اخوانهم في هذه القرى.

منطقة طبرية: أما في منطقة طبرية، فقد سكن الجزائريون منطقة الشفا التي تطل على غور الأردن الشمالي من جهة وتتصل بالناصرة من جهة أخرى وبصفد عبر طبرية من جهة ثالثة ومن جهة رابعة تتصل بمنطقة الزوية وحوران في سورية عبر بلدة سمخ الواقعة على بحيرة طبرية وأول بلدة في غور الأردن وتسمى المنطقة الجليل الأدنى وهذه القرى هي:

كفرسبت - معذر - عولم - شعاره والقرية الأخيرة بيعت الى اليهود في عام 1926(36) وانتقل سكانها الى عابدين في حوران كما بيعت أجزاء من القرى الأخرى كما سنذكر في حينه وأما في منطقة الغور فقد سكنوا بلدة سمخ، بالإضافة الى أن بعض العائلات الجزائرية سكنت مدينة طبريا نفسها ومدناً أخرى.

منطقة حيفا: سكن المهجرون الجزائريون في منطقة حيفا بفلسطين قرية هوشة.

أما من حيث القبائل والعائلات الجزائرية التي سكنت هذه القرى فمعظمها من الشرق الجزائري ويمكنني أن أحدد الأمر كالتالي:

| القبيلة | المنطقة الجزائرية التي | القرى الشامية التي سكنتها |
|---|---|---|
| أولاد سيدي خالد | وادي البردي / البويرة | معذر |
| أولاد سيدي عمر | وادي البردي / البويرة | معذر، كفرسبت |
| أولاد سيدي يونس | عين بسام / البويرة | عولم |
| أولاد سيدي عيسى | سيدي عيسى / المسيلة | كفرسبت - عولم - شعاره - عابدين |

| | | |
|---|---|---|
| عائلات شرفاوي وفليس | الشرفا/تيزي وزو | - كفرناسج - عالقين - نولة |
| عائلة درويش | | حلب |
| عائلة الهواري | | حمص |
| أولاد سيدي رغيس | أم البواقي | هوشه |
| أولاد بلوارث | دلس | العموقة - ماروس |
| عائلة بلكبير | سيدي موسى / البليدة | التليل - الحسينية |
| ايت يحيى | تقزيرت | ديشوم |

هذه هي بعض القبائل والعائلات الجزائرية.. ويبدو أن أكبر هذه القبائل من حيث العدد هي قبائل سيدي عيسى، سيدي خالد، سيدي عمر.

أما المهجرين الجزائريين من الغرب الجزائري مثل وهران وتلمسان فقد سكن معظمهم مدينة دمشق وضواحيها كما يتضح ذلك من السجل العثماني.

لم تكن سكنى هذه القرى مسألة سهلة على المهجرين الجزائريين، فقد كانت الأحوال مضطربة في بلاد الشام، وكانت السلطة العثمانية تسلح القبائل البدوية لتشن غزواتها على بعضها بعضاً حيث كانت عادة الغزو لم تزل سائدة وتحظى بتشجيع الأتراك غير العلني.

ففي الجليل كانت قبائل البدو وخاصة بني صخر تشجع من الأستانة نفسها وقناصل أوروبا، أما في منطقة صفد فقد كان الصراع محتدماً بين المتاولة الشيعة جنوب لبنان والدروز والأكراد وبعض المسيحيين، ثم ظهر الصراع الأخطر بين العرب والاستعمار الاستيطاني الصهيوني.

وأما في حوران فقد كان الصراع على أشده بين عرب اللجاة والدروز وبين الدروز والحوارنة خاصة عشيرة المقداد، أما عشيرة الرولة فكان لها غاراتها وصراعاتها مع عشيرة الزعبي والحوارنة والفضل.

وكانت المنطقة الواصلة بين الجليل في فلسطين وحوران في جنوب سورية هي منطقة الجولان، وكانت هذه المنطقة تعيش صراعاً دموياً آخر فعشيرة الفضل أقوى قبائل هذه المنطقة تخوض صراعاً مع المهاجرين الأوروبيين من الشركس والشيشان، وتخوض صراعاً آخر مع الحوارنة والرولة والدروز.

ولعله من طبيعة الأمور أن ينال الجزائريين شرر هذه الصراعات التي وجدوا أنفسهم وسطها، فكيف إذا كانت تغذيها الحكومة التركية!! التي اكتشفت فيما بعد أن هؤلاء المهجرين هم جند الاحتياط للأمير عبد القادر المشكوك في ولاءه للحكومة الطورانية، فتعرض الجزائريون لعدد من الغزوات البدوية.. وكانت أوامر الأمير على مايبدو بعدم الانجرار وراء هذه المعارك.. بل وأكثر من ذلك إقامة علاقات أخوية مع هذه القبائل.. وهكذا استخدم الجزائريون البدو والفلاحين المحيطين بهم بالمزارع والحقول ولم

يمنعوهم الماء وأعطوهم حق المرور وحق الرعي، ومنعوهم فقط من دخول القرية السكنية ذاتها.. حفاظاً على النساء.. ولكن مع تزايد تحريض تركيا والقناصل لهؤلاء البدو أمر الأمير عبد القادر رجاله بقمع حركة الغزو هذه في الشمال الفلسطيني قمعاً نهائياً وأعلن أنه يسدي بذلك خدمة للدولة العثمانية التي تظهر استياءها العلني من هذه الغزوات، فوضع الأمير وجماعته الدولة العثمانية أمام الأمر الواقع ويقول باحث أمريكي:

«بعد السيطرة على الجبال التفت العثمانيون الى المناطق الريفية، فبدأوا أولاً بدفع القبائل الى الضفة الشرقية من نهر الأردن حتى مشارف الصحراء، وفي الوقت نفسه أقاموا مواقع حصينة على الحدود تسلمها أتباع القائد عبد القادر الجزائري الذي وهب عدداً من القرى حول صفد وطبريا خلال الخمسينات، وخلال الستينات بدأت الحملات العسكرية الناجحة ضد هذه القبائل وفي طليعتها قبيلة بني صخر بحيث استقر الأمن نهائياً في سهل مرج ابن عامر، وبالتالي أمكن للمزارعين استغلال أراضيهم بأمان. ومع أن بعض البدو استمروا في العودة لمضايقة السكان خصوصاً خلال الحرب بين تركيا وروسيا في العامين 1877 و1878، حين تضاءل الوجود العسكري في فلسطين».(37)

وبعد ذلك أقام الجزائريون علاقة ممتازة مع البدو والمتاولة والأكراد وبدرجة أقل مع الشركس، لكن صدامهم الأكبر كان مع اليهود.

فقد فطن الجزائريون أن الصهاينة يريدون تهجيرهم مجدداً وإخراجهم من سنجق عكا. ومع أول رصاصة خرجت من مستوطن يهودي في منطقة صفد انقض الجزائريون على أولى المستوطنات الصهيونية في صفد وأبادوها حتى تخلى عنها الصهاينة فعلاً.(38)

وقد كانت النتائج التي حققها الجزائريون في الجليل خلال الفترة 1860-1900 مذهلة حقاً، فقد انتهت الى الأبد عادة الغزو وتراجعت حركة الاستيطان الصهيوني تراجعاً كبيراً.

وأما في الفترة 1900-1948 فقد لعبت هذه القرى دوراً كبيراً في الثورات الفلسطينية المتعاقبة رغم الاحباط الشديد الذي تعرضوا له حين باع الأمير سعيد وولده الأمير عبد الرزاق ورثة الأمير علي أراضي شعارة المسجلة باسمهم ونقلوا سكانها الى حوران.. لقد تم ذلك في صفقة غامضة سنشير اليها في حينه لكن رغم هذا الاحباط الشديد من جهة والمغريات الموجهة للجزائريين لبيع أراضيهم إلا أنهم هجروا من فلسطين عام 1948 وليس في يد الصهاينة سوى أقل من 10٪ من أراضي الجليل وكان ذلك انجازاً رائعاً غير أنهم دفعوا ثمنه غالياً من دمائهم وبكيفية انتقامية همجية إذ قامت اسرائيل «على الفور» بتدمير كل القرى الجزائرية في الجليل عن بكرة أبيها!!

وفي ذات الفترة 1900-1948 تلعب قرى الجزائريين في الغوطة وحوران دوراً هاماً في الثورة العربية الكبرى 1916-1918 وفي الثورة السورية 1925-1927 الأمر الذي لابد من ذكره خلال الحديث عن دورهم السياسي.

## 4- فهرس القرى الجزائرية في بلاد الشام: ملحوظة: الدونم يساوي 1000م2.

**القرية: نولة. "1"**

**القطر: سورية / دمشق / الغوطة الشرقية**

1. المصدر : الاسم محمد شعيد ابراهيم يماش - مكان الولادة: قرية نولة. تاريخ الولادة 1935- تاريخ المقابلة 1990/6/10
2. جغرافية القرية: الموقع: الغوطة الشرقية.
   المدينة: دمشق على بعد 18كم.
   المساحة: سكن - زراعة
   الأنهر والأودية: 4 أنهر صغيرة: حاروش - السخنة - النحاسية.
   الآبار والينابيع: 140 بئر ارتوازي.
   التلال المحيطة: سهول الغوطة فقط ولايوجد تلال.
   القرى المجاورة: مرج السلطان - دير سلمان - دير العصافير.
3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: الحنطة والشعير والخضار والفواكه والزيتون
   الثروة الحيوانية: الأبقار الحلوب.
   الحوانيت والتجارة: لايوجد.
   أهم الملاكين: العائلات الجزائرية نفسها.
4. السكان: عدد سكان القرية: 1500 نسمة.
   العائلات الجزائرية: 25 عائلة.
   العائلات غير الجزائرية: 15 عائلة.
   عدد مساكن القرية: 40 مسكناً
   وصف مساكن القرية: من الاسمنت المسلح وبعضها خشب وطين.
   التعليم: فيها مدرسة ابتدائية ومسجد.
5. تاريخ القرية: بدأت القرية حين سكنها المهاجرون الجزائريون.
6. نضال القرية: أهم المعارك: كان لها مشاركة واسعة في الثورة السورية 1925-1927 حيث كانت مخبأ لرجال الثورة والأمير عز الدين الجزائري، وكانت الطائرات الفرنسية تقصفها يومياً..
   أهم المناضلين: سعيد عمر الجزائري - على نايت - مولود أحمد - محمد مقران - عمر الأسود وأولاده.
   أهم الشهداء: محمد عكور - عمر الأسود
7. العلاقة مع الوطن - **العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

**الأم:** كانت العلاقة جيدة مع عائلة الأمير عبد القادر في دمشق.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962:**

كانت علاقتنا مع الجزائر متواصلة عبر الرسائل والمسافرين والحجاج ومن الناحية الرسمية كانت علاقتنا مع السفارة الفرنسية وحين اندلاع الثورة عام 1954 قمنا بواجب الدعم عبر مكتب جبهة التحرير.

**- العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962:**

علاقة جيدة، وقد نقلت قيودنا من السفارة الفرنسية الى السفارة الجزائرية بدمشق، ومازلنا على الجنسية الجزائرية، غير أننا منذ خمس سنوات بدأنا نلاحظ تغيراً في موقف السفارة حيث لاتجدد لنا بطاقات التعريف وجوازات السفر، مما بدأ يعرقل أعمالنا وتنقلاتنا.

**القرية: عابدين**

**القطر: سورية / حوران - محافظة درعا**

1. المصدر: الاسم الأخضر بن أحمد الأخضر - مكان الولادة: شعارة/ فلسطين تاريخ الولادة 1926- تاريخ المقابلة 1990/5/10

2. جعرافية القرية: الموقع: على ضفة نهر اليرموك
المدينة: درعا
المساحة: سكن 15 دونم - زراعة 24دونم.
الأنهر والأودية: القرية تقع على ضفة نهر اليرموك - وبجانبها وادي الرقاد
التلال المحيطة: - سهول
القرى المجاورة: معرية، العارضة، وأصبحتا جزءاً من عابدين نفسها وهناك قريتا كوبة - بيت ارا.

3. اقتصاد القرية: الثروة الحيوانية: الأبقار وسائر المواشي والدواجن.
الثروة الزراعية: القمح - الشعير - العدس - الفول - الحمص - الذرة والخضراوات.
الحوانيت والتجارة: 4 حوانيت والتجارة مع درعا.
أهم الملاكين: قبيلة أولاد سيدي عيسى ومنهم: الأخضر محمد - الميهوب - محمد الحاج - حافظ عبد العزيز.

4. السكان: عدد سكان القرية: 300 نسمة.
العائلات الجزائرية: قبيلة سيدي عيسى بجميع فرقها.
العائلات غير الجزائرية: المشالحة - الهلالات - المناظرة.
عدد مساكن القرية: 220 مسكن.
وصف مساكن القرية: حجر وطين وقناطر واسمنت
التعليم: مدرستان ابتدائية ومتوسطة.
أهم المخاتير والشخصيات: مختار القرية هو حافظ عزيز عبد القادر عن الجزائريين.
أهم المضافات: الميهوب بن محمد الأخضر - حافظ عزيز عبد القادر

5. تاريخ القرية: كانت القرية خالية من السكان قبل عام 1926 عبارة عن أراضي زراعية كانت تحرثها عشيرة المناظرة للأمير عبد القادر الجزائري وورثته حسب نظام الخمس، وآخرهم الأمير

محمد سعيد، الذي أعطى هذه الأرض لقبيلة أولاد سيدي عيسى وسجلها باسمهم رسمياً بدلاً عن أراضيهم في شعاره بفلسطين التي باعها للصهاينة.

**6. العلاقة مع الوطن الأم:**

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

كانت العلاقة جيدة جداً مع الأمير وأولاده وأحفاده ولم تزل حتى الآن.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962:**

لم تنقطع علاقاتنا بالجزائر وخاصة مع أقاربنا من أولاد عيسى، سواء عبر الرسائل أو عبر المسافرين، كما كان يزورنا أقاربنا من القبيلة الذين كانوا مع الجيش الفرنسي إبان احتلال سورية، وهناك بعض الأشخاص عادوا الى الجزائر قبل عام 1962 مثل الشيخ الطيب حمود، والبشير محمد وسعيد بن يطو.

**- العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962:**

عاد بعض الشبان الى الجزائر واستعادوا جنسيتهم الأصلية وكثير من شباب القبيلة ذهب الى الجزائر للمساهمة في التعليم، وبعضهم تزوج هناك من نفس القبيلة أو غيرها واستقر نهائياً.

**القرية: كفرناسج "3"**

**القطر: سورية / حوران**

1. المصدر: الاسم يوسف مناد مناد - مكان الولادة كفرناسج - تاريخ الولادة 1940 - تاريخ المقابلة 1988/11/20

2. جغرافية القرية: الموقع في المنطقة الجنوبية من سورية
المدينة: درعا
المساحة: سكن 14 دونم - زراعة 1800 دونم
الأنهر والأودية: وادي كفرناسج
الآبار والينابيع: بئر ارتوازي وينابيع العليق، الغربي، أم جردة.
التلال المحيطة: تل قرين - تل حمد - تل قلاعيه
القرى المجاورة: دير عدس شرق - سبسبا شمالاً - المال غرباً - كفر شمس جنوباً.

3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: القمح - الشعير - البقول - الخضار.
الثروة الحيوانية: المواشي والدواجن
الحوانيت والتجارة: 4 حوانيت صغيرة
أهم الملاكين: عبد الرحمن وخليل ومحمود وحسين حمدان

4. السكان: عدد سكان القرية 1500 نسمة
العائلات الجزائرية: حمدان - علام - رقيق - فليس
العائلات غير الجزائرية: صبح - نصر - قشقوش
عدد مساكن القرية: 300 مسكن
التعليم: مدرسة ابتدائية
أهم المخاتير والشخصيات: محمود حمدان - سعيد علام.

5. تاريخ القرية: سكن الجزائريون القرية عام 1910، بترتيب من السلطات العثمانية لكن بعضهم لم يتآلف مع حياة الاختلاط بين الرجال والنساء السائدة في حوران، فباعوا أراضيهم واشتروا أراض في الغوطة وتحديداً في قوية نولة ومن بين هؤلاء عائلة «فرحات» مثلاً.

6. العلاقة مـع الوطـن الأم:

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

كانت العلاقة جيدة مع أولاد وأحفاد الأمير عبد القادر لأن الجزائريين لم يسكنوا هذه القرية في عهد الأمير.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1962:**

عبر رسائل وزيارات متقطعة.

**- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:**

صارت الرسائل والزيارات أكثر اتساعاً وانتظاماً وعاد البعض الى الجزائر واستقر فيها نهائياً.

**القرية: هوشة "4"**

**القطر: فلسطين - حيفا**

1. المصدر: الاسم: محمود بن علي ارغيس - مكان الولادة: هوشة - تاريخ الولادة 1929م - تاريخ المقابلة: 1989/8/29م.

2. جغرافية القرية: الموقع 14كم شرق حيفا - 115م عن سطح البحر

المدينة: حيفا/ لواء الجليل

المساحة: سكن 100دونم تقريباً. زراعة 50.000دونم تقريباً

الأنهر والأودية: وادي الملك.

الآبار والينابيع: في وسط القرية صهريج ماء أثري، نبع شعبان - شرق القرية.

التلال المحيطة: جبال شويكة، المضابع، الكزابر.

القرى المجاورة: خربة الكساير، بلدة شفا عمرو، وعرة سريس، سعسع.

المستوطنات: «أوشا» المجدل، كفراتا، بنيامين

3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: الزيتون، الفواكه، الحبوب

الثروة الحيوانية: الخيول العربية الأصلية، المواشي.

الحوانيت والتجارة: عدد من الحوانيت والتجارة مع بلدة شفا عمرو.

أهم الملاكين: الحاج أحمد بن ارغيس، عمر الصالح، يوسف كوجيل، الشيخ أحمد الصديق، الحاج وحش بن حمزة ارغيس، أحمد السلامي.

4. السكان: عدد سكان القرية 1922 (165 نسمة) 1931 (200 نسمة) 1945 (400 نسمة)

العائلات الجزائرية: 90 عائلة من قبيلة أولاد سيدي رغيس (عرش سلاوه) هاجروا من منطقة أم البواقي في الجزائر عام 1890 وعائلات مثل كوجيل، عبودي، بوروبه، الطاهر علي، النوي العربي، احمد الصديق، عبد الرحمن لخضر التهامي، بوبكري السلامي، بو عطية، بن ناصر، الحمادي.

العائلات غير الجزائرية: عائلتان فقط، العبليني، القباطي.

عدد مساكن القرية: 35 مسكناً.

وصف مساكن القرية: حجر كلس أبيض

التعليم: كان في القرية كتاتيب فقط والتعليم الرسمي في بلدة شفا عمرو.

أهم المخاتير والشخصيات والمضافات: المختار الحاج أحمد ارغيس، يوسف كوجيل، حمادي بن أحمد لرغيس، عمر بن الصالح، وغيرهم.

**5. تاريخ القرية:** ذكرها الرومان باسم «اوشا» وفيها آثار أعمدة

**6. نضال القرية:** **أهم المعارك:** أذاقت قرية هوشة الصهاينة طعم الهزيمة مرات ومرات، وذلك عبر أتباع التاكتيكات العسكرية للأمير عبد القادر التي توارثها الجزائريون، وفي 1948/4/15 خاضت القرية معركة استمرت من السادسة صباحاً حتى منتصف الليل فقدت فيها 35 شهيداً وطرد الصهاينة الى أن هجر الأهالي في 1948/5/15.

**أهم المناضلين:** الحاج وحش بن حمزة ارغيس «قائد فصيل في ثورة 36» يوسف كوجيل، رشيد حسين بن ناصر، الحاج الطيب عبد الله بوزيد، على السلامي وغيرهم. أما المناضلون بعد عام 1948 فهم كثير سواء في تكوين العمل الفلسطيني المسلح قبل عام 1965 أو بعد.

**أهم الشهداء:** محمد بن أحمد بن الأخضر الملقب حمادي الشيخ (استشهد عام 1938)، أبو زيد بن الطيب (اعدام 1945) موسى بن عيسى بن ناصر، الحاج أحمد بورغيس وعمره 10 سنوات واستشهدوا جميعاً في معركة 1948/4/15. ويصل مجموع شهداء هذه القرية الى 30 شهيد.

**7. العلاقة مع الوطن الأم:**

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

لم تكن للقرية علاقة مع الأمير عبد القادر شخصياً لأنها هاجرت (1890) بعد وفاته لذلك فعلاقتها تحددت مع أولاده.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948:**

كانت تتم بعض المراسلات بين عائلات القرية التي هاجرت الى فلسطين والتي بقيت في الجزائر وكانت القرية كلها على صلة بالقنصليات الفرنسية في القدس وفي بيروت أو دمشق حيث يتم تجديد بطاقات التعريف لأفراد القرية وما الى ذلك من أوراق قنصلية. وبعد الهجرة من فلسطين تم تسجيل أفراد القرية في السفارة الفرنسية بدمشق وظلت علاقتهم بها حتى اعلان الثورة

الجزائرية 54-62 فتحولوا الى مكتب جبهة التحرير.

8. الوضع بعد عام 1948:

دمر الصهاينة القرية تماماً عام 1948 وأحاطوا أراضيها السكنية بسياج، بينما ضموا أراضيها الزراعية الى مستوطنة أوشا التي بنوها عام 1936 ويسكنها يهود بولنديون، هاجر أهالي القرية الى لبنان ثم الى دمشق. اتصلت بهم السفارة الفرنسية في بيروت عبر عبد الرزاق بن الأمير سعيد الذي اتصل بالحاج وحش ارغيس في مخيم الميه وميه بيروت وأوفده الى دمشق لعرض اقتراح السفارة الفرنسية بتعويضهم تعويضاً سخياً ومنحهم أراضي في منطقة البقاع بلبنان مقابل بيعهم أراضيهم في فلسطين. رفض أهالي القرية العرض بشدة واتصلوا بوزير الداخلية السوري ومؤسسة اللاجئين الفلسطينيين «سليم اليافي، موفق الجندي» وتم تسجيلهم في المؤسسة كمهاجرين فلسطينيين من أصل جزائري، لايتنازلون عن أراضيهم في هوشة ولا عن جنسيتهم الأصلية الجزائرية.

المساهمة في الثورة الفلسطينية:

يعتبر أهال هوشة والمهاجرون الجزائريون من فلسطين هم المؤسسون الأوائل للكفاح الفلسطيني المسلح ضد الصهاينة فقد اتصل السيد حمادي ارغيس بواسطة السيد فوزي القطب بالسيد برهان بولص من وزارة الدفاع السورية وتم تشكيل أول نواة للعمل الفدائي الفلسطيني في الخمسينات سمي «فرع العمليات الخارجية» وكان التشكيل في معظمه من أبناء القرى الجزائرية في فلسطين مثل محمد أحمد ارغيس، عمر أبو زيد، «هوشة» عمر العريضي «ديشوم» عبد الله الأخضر «كفرسبت» وغيرهم كثير وتدربوا تدريباً فنياً وقاموا بمهمات عسكرية وتنظيمية داخل الكيان الاسرائيلي واعتقل حمادي ارغيس على يد القوات الصهيونية داخل أحد البيوت الفلسطينية في قرية نمره وسجن لمدة عام ونصف.

وظل هذا حالهم وحال المهاجرين الجزائريين من فلسطين حتى تم الاتفاق مع السيد أحمد جبريل «الضابط الفلسطيني في الجيش السوري» عام 1962 على تأسيس جبهة التحرير الفلسطينية التي أعلنت عام 1964 وكان من المشاركين في التأسيس عمر ارغيس، محمود الأخضر، سعيد بن الوحش بن حمزة، محمود كوجيل، وغيرهم كثير، حيث كان يتم التدريب في منازل الجزائريين المهاجرين الكائنة في مخيم اليرموك، وحدثت تطورات كثيرة لجبهة تحرير فلسطين، ويعرف جزء منها الآن باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة.

- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:

تم نقل قيودهم من السفارة الفرنسية في دمشق الى السفارة الجزائرية. وتم الاتفاق مع الملحق الثقافي «محمد سعيد الشريف» وأرسل عدداً من شبان القرية الخريجين

للمساهمة في حركة التعريب بالجزائر وزارهم السفير «الوزير فيما بعد» عبد الكريم بن محمود في مخيم اليرموك وحضر الاجتماع وجهاء وشبان من القرى الجزائرية بفلسطين دار الحديث فيه حول أوضاعهم من مختلف النواحي.. وهم حتى الآن على صلة بالجزائر وأقاربهم في رسائل وزيارات متبادلة، حيث أن معظم قبيلة سيدي ارغيس هي من منطقة واحدة في الجزائر بلدية عين الزيتون في ولاية أم البواقي.

مراجع أخرى:

- الموسوعة الفلسطينية م4 ص550
- معجم بلدان فلسطين ص799
- بلدانية فلسطين المحتلة ص40
- بلادنا فلسطين
- حرب فلسطين 1947-1948

**القرية: ديشوم "5"**
**القطر: فلسطين / صفد**

1. المصدر: الاسم: أحمد محمد الصالح - مكان الولادة: ديشوم - تاريخ الولادة 1911- تاريخ المقابلة: 1989/9/2

2. جغرافية القرية: الموقع: 600م عن سطح البحر شمال صفد/ قرب الحدود اللبنانية.
المدينة: صفد.
المساحة: سكن 20دونم
زراعة: 23044دونم.
الأنهر والأودية: وادي الحنداج.
الآبار والينابيع: نبع ديشوم، نبع تعويشت، نبع الملاّحة.
التلال المحيطة: جبل رأس الخربية، جبال الكرسي.
القرى المجاورة: علما، المالكية، قدس، الملاحة (عشيرون - لبنانية)
المستوطنات الصهيونية: الزبيد، الهراوى

3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: الزيتون، الفواكه والخضار الحبوب الأشجار الحرجة.
الثروة الحيوانية: اهتمام خاص ومشهور بالخيول العربية، المواشي
الحوانيت والتجارة: بعض البقاليات. والتجارة مع بنت جبيل في جنوب لبنان.
أهم الملاكين: عبد الرحمن المزاري، محمد الصالح، محمد على البشير وغيرهم.

4. السكان: عدد سكان القرية: 376 نسمة سنة 1922، 438 نسمة سنة 1931، 540 نسمة سنة 1945.
العائلات الجزائرية: ايت يحيى، الطيب، مزيان، الربيع، زرود، واضى، الصالح، القاضى، حقون، وناس الحداد، سليمان، الوحيد، سعد، قاسى، خليفاوي، عرب، بوجمعة، ايت أحمد، موح المنوّر، الدريدي، اوقاسم، بوحيبر، بوودو، زروق، المزاري، ومعظمهم تعود أصولهم الى منطقة تيزي وزو.
العائلات غير الجزائرية: لايوجد.

عدد مساكن القرية: 130 بيتاً.
وصف مساكن القرية: آجر تراب وحجارة متراصة.
التعليم: ألغت بريطانيا المدرسة الابتدائية الرسمية، فحولها السكان الى أهلية.
أهم المخاتير والشخصيات: أحمد مزاري، عبد الرحمن مزاري، عيسى واضي، أحمد مزيان، محمد الصالح.

**6. نضال القرية:**
- أهم المعارك: معارك كثيرة منها معركة وادي عروس ومعركة رأس المرج وغيرها.
- أهم المناضلين: سعيد الصالح، محمد الصالح.
- أهم الشهداء: موح جمعة، الهادي مزيان، سعيد العريفي

**7. العلاقة مع الوطن الأم:**
- **العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**
كانت علاقة القرية بالأمراء سعيد، حسن، صلاح، خالد.
- **العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948:**
كانت الرسائل مع أهلنا في عدة نواحي من الجزائر لاتنقطع، ولازالت لدينا رسائل تعود الى عام 1935.. انقطت المراسلات بسبب ظروفنا في فلسطين ثم ظروفهم في الجزائر، حتى عادت في عام 1962.

**8. الوضع بعد عام 1948:**
دمر الصهاينة القرية تماماً وأقاموا مكانها مستوطنة ديشون وقد هاجرنا الى لبنان ثم الى سورية ولازال قسم منا في مخيم نهر البارد.. وكنا على اتصال بمكتب جبهة التحرير الجزائرية بدمشق وزارنا الكولونيل عمران والشيخ الغسيري، والسيد عبد الحميد المهري، وكان يتردد علينا الطالبان محمد شريف خروبي وأحمد الغزالي «الوزيران فيما بعد» وسجل منا متطوعون للثورة الجزائرية، وبعضنا كان يشترك في بواكير العمل الفدائي الفلسطيني فبل اعلان الثورة 1965.

**- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:**

بعد استقلال الجزائر مباشرة لم نكن نعرف من بقي على قيد الحياة من أهلنا فأرسلنا رسالة الى أمام القرية، وسلمها فعلاً الى أقاربنا وجرى تدقيق الأسماء وأعيدت المراسلة بيننا، وذهب بعض الشبان الى الجزائر واستعاد البعض جنسياتهم.

**المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة:**

يشارك شبان القرية في الثورة الفلسطينية في فصائل عديدة مثل فتح والقيادة العامة وقدموا العديد من الشهداء.

مراجع أخرى:

- الموسوعة الفلسطينية ج2 ص436.
- بلادنا فلسطين ج1 ق2 ص221.
- معجم بلدان فلسطين ص398

## قريتا: العموقة وماروس "6 و 7"
## القطر: فلسطين / صفد

**1. المصدر:** الاسم: خالد عبد القادر صالح – مكان الولادة: عموقة، تاريخ الولادة: 1923، تاريخ المقابلة: 1989/11/7

**2. جغرافية القرية:** الموقع: شمال شرقي مدينة صفد على بعد 6كم.

المدينة: صفد

المساحة: سكن 25 دونم للعموقة – زراعة 2049دونم للعموقة 8 دونمات سكن ماروس – 3183 زراعة لماروس

الأنهر والأودية: وادي الوعر ووادي الصغير وادي بربرة وادي الشبابيك

الآبار والينابيع: نبع عين قصيبة، نبع عصقول، نبع عين الفوقا، نبع عين البلد، نبع عين البقر، نبع عين الغنم، نبع عين التينة.

التلال المحيطة: جبل الأسود، جبل النطاح وشقيقلح

القرى المجاورة: القباعة، بيرية وفرعم وطيطبا ودلاتا

**3. اقتصاد القرية:** الثروة الزراعية: الزيتون 66دونم في العموقة 3دونم في ماروس والحبوب والخضار والفواكه في القريتين

الثروة الحيوانية: الغنم والبقر والدواجن

الحوانيت والتجارة: لايوجد

أهم الملاكين: أولاد محمد صالح بن نعمان وهم الحاج علي والحاج شريف والحاج صالح والحاج عبد الرحمن وأولادهم في العموقة، سعيد عمر وعائلة عمر في ماروس.

**4. السكان:** عدد سكان القرية: في عام 1945 بلغ عدد سكان العموقة 140نسمة وبلغ سكان ماروس 80 نسمة.

العائلات الجزائرية: نفس العائلات المالكة والتي تعود أصولها الى منطقة دلس وتيزي وزو.

العائلات غير الجزائرية: لايوجد

عدد مساكن القرية: 17 منزلاً عام 1948 للعموقة 12 بيتاً لماروس في نفس العام

وصف مساكن القرية: عبارة عن مساكن مبنية من الحجر والاسمنت وتحوي على دور للسكن وللضيافة وللعمال وكذلك للمواشي

التعليم: كان في القرية مدرسة ابتدائية في العموقة ولاتوجد مدرسة في ماروس

أهم المخاتير والشخصيات: المختار سليم صالح، وطالب أحمد شريف وكامل عبد الرحمن وأحمد الحاج علي ومحمود الحاج شريف وسعيد عمر.

أهم المضافات: مضافة سليم صالح ومضافة الحاج شريف.

5. تاريخ القرية: يبدو أن العموقة كانت معروفة في عهود قديمة فاسمها الحالي تحريف لاسمها السرياني «عميقاً» أي العميق، كما أن بقربها خرائب أثرية من العهد الروماني والعهد الوسيط، أما ماروس فيبدو أنها ظهرت مع قدوم الجزائريين اليها.

6. نضال القرية: أهم المعارك: في عام 1917 هجوم على مستعمرة «عين البرانية» وفي عام 1929 هجوم على مستعمرة كعوش وفي عام 1936 جرت عدة معارك منها (وادي الطواحين - وادي عروس معركة حرفيش، معركة جب يوسف وشارك مناضلوها في معركة طبرية، ومعركة دخول حارة اليهود) وفي عام 1948 جرت عدة معارك منها: معركة العموقة وماروس وشارك مناضلو القريتين في عدة معارك في أنحاء مختلفة من فلسطين مثل معركة النبي يوشع، الهراوي، كفركما، وفي معركة الشجرة التي استشهد فيها محمود سليم صالح.

أهم المناضلين: سليم صالح، محمد سليم صالح، محمود سليم صالح، طالب أحمد شريف، صبحي أمين شريف، وغيرهم.

أهم الشهداء: حسن عبد الرحمن، حسني عبد الرحمن، محمود سليم صالح - «أبو عاطف»

7. العلاقة مع الوطن الأم: كانت العلاقة من خلال جمعية تحرير المغرب العربي والجمعية الخيرية المغربية بدمشق والجمعية الخيرية المغربية بفلسطين.

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

كانت العلاقة وطيدة مع أحفاد الأمير مثل الأمير سعيد والأمير صلاح والأمير كاظم والأمير جعفر وكانت القريتان على علاقة وطيدة مع جميع المهاجرين الجزائريين من خلال المجاهد أبو عاطف - محمود سليم الصالح.

**- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:**

تجددت المراسلات وعاد بعض شبان القرية الى الجزائر للتعليم

والعمل وبعضهم استعاد جنسية أباءه واستقر نهائياً في الجزائر.

**8. الوضع بعد عام 1948:** هاجرت معظم العائلات الجزائرية مرة ثانية من فلسطين الى لبنان ثم. الى سورية وقسم ذهب الى الأردن وبقوا على هذا الحال حتى يومنا هذا ولكن بعض الجزائريين لم يغادر فلسطين وبقوا فيها حتى الآن.

وذكرت الموسوعة الفلسطينية أن الصهاينة دمروا القريتين في عام 48.

مراجع أخرى:

- بلادنا فلسطين ج6 ق2 ص195
- الموسوعة الفلسطينية ص341
- معجم بلدان فلسطين ص548

ملحوظة: اعتبرت هاتين القريتين قرية واحدة كما هو الحال مع قريتي التليل والحسينية.

## قريتا: التليل والحسينية "8 و 9"
## القطر: فلسطين/ صفد – كواد الخيط

1. المصدر: الاسم: نصوح موسى الحاج حسين، مكان الولادة: التليل، تاريخ الولادة: 1915، تاريخ المقابلة: عدة مرات في تواريخ مختلفة من عام 1988.

2. جغرافية القرية: الموقع: 15كم شمالاً شرق صفد، 145م عن سطح البحر
المدينة: صفد
المساحة: سكن 48دونم زراعة: 5324 دونم
الآبار والينابيع: عين عدس، بير الحسينية
التلال المحيطة: تقع البلدتان على تلة تبعد أمتاراً عن بحيرة الحولة
القرى المجاورة: مستوطنة الزبيد، كعوش

3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: الحبوب، الخضار
الثروة الحيوانية: السمك، الجواميس
الحوانيت والتجارة مع صفد في فلسطين والقنيطرة في سورية
أهم الملاكين: الحاج حسين، أحمد العباس بوسكين، الحاج طاهر الزاير، حسين عمار، وتظهر سندات التمليك في التليل اسم محمد الخالدي

4. السكان: عدد السكان: 340 نسمة عام 1945 في القريتين
العائلات الجزائرية: الحاج طاهر (حقون) الكبير، عمار، الزاير ومعظمهم تعود أصولهم الى منطقة البليدة في الجزائر.
العائلات غير الجزائرية: عشيرة الهيب وبدو أكراد الخيْط وكلهم يعيشون في الخيام
عدد المساكن: 64 مسكناً في القريتين
وصف المساكن: حجر وطين
التعليم: أغلق الانتداب البريطاني المدرسة في التليل وكان قد أسسها مع المسجد محمد بن عبد الله الخالدي في أواخر عهد الأمير عبد القادر.
أهم المخاتير والشخصيات: موسى الحاج حسين، ناصر الحاج حسن.
وأهم المضافات: أحمد بوسكين، عثمان الزاير حسن عمار.

**5. نضال القرية:** أهم المعارك: كانت القريتان هما الشريان المغذي للثورات الفلسطينية 36-39، 48/47 بالأسلحة المهربة من دمشق وبيروت.

أهم المناضلين: موسى الحاج حسين، وولداه محمد نصوح ومحمد لطفي، وناصر الحاج حسين وولده منصور.

**6. العلاقة مع الوطن الأم:**

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

كانت علاقة القرية وثيقة بعائلة الأمير عبد القادر عبر موسى الحاج حسين.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948:**

لم تنقطع المراسلات مع الأهل في الجزائر وحمل آل الكبير الجنسية الفرنسية الجزائرية وظلوا كذلك حتى سنة 1951 حين منحوا الجنسية السورية في مرسوم جمهوري وتنازلوا عن جنسيتهم الأصلية.

**- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:**

تجددت العلاقات مع الأهل وتبادل الرسائل.

مراجع أخرى: الموسوعة الفلسطينية
بلادنا فلسطين
معجم بلدان فلسطين

ملحوظة: هاتان القريتان الصغيرتان اعتبرتا دائماً كقرية واحدة مثلهما مثل العموقة وماروس بفعل التلاصق الشديد بينهما سواء من ناحية الأراضي أو من ناحية القربى بين العائلات الجزائرية.

## قرية كفر سبت "10"

## القطر: فلسطين - طبرية الشفا

1. المصدر: الاسم: أحمد بن محمد بن عيسى - مكان الولادة: كفر سبت، تاريخ الولادة: 1908 - تاريخ المقابلة 1989/11/28

2. جغرافية القرية: الموقع: 21كم جنوب قرب طبرية ترتفع 225م عن سطح البحر

المدينة: طبرية

المساحة: سكن 30 دونم زراعة 9850 دونما الأنهر والأودية وادي داميه

الآبار والينابيع: عين كفرسبت السفلى، عين البعيدة، بير عين البعيدة.

القرى والمستوطنات المجاورة: الشجرة غرباً، لوبيا شمالاً كفركما جنوباً سارونه جنوب شرق.

3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: حبوب خضار

الثروة الحيوانية: المواشي والخيول

الحوانيت والتجارة: كان هناك 3-4 حوانيت والتجارة معظمها مع الناصرة وطبرية.

4. السكان: في عام 1922م 247نسمة، وفي عام 1931 بلغوا 340، 169ذ و171ث، وفي عام 1945 قدروا بـ 480.

أهم الملاكين: من قبيلة أولاد سيدي عمر «العميرات» الطيب الحاج رابح، الصنديد، لخضر بوشيخة، ومن قبيلة أولاد سيدي عيسى: الطيب السعدي، عبد الرزاق السعداوي مصطفى بن عيسى، صالح عبد القادر السعيد.

العائلات الجزائرية: أولاد سيدي عيسى وأولاد سيدي عمر «العميرات» بمختلف عائلاتهم وانتقل بعضهم في العشرينات الى حوران بسورية.

العائلات غير الجزائرية: سعيد الحامد، حسن المحاحي، عبد الرحمن السرساوي. أما عرب المشارقة وغيرهم من البدو فكانوا يضربون خيامهم خارج القرية.

عدد مساكن القرية ووصفها: 71 مسكناً من حجر وطين وقناطر والسقف من القصب.

أهم المخاتير والشخصيات والمضافات: الطيب الحاج رابح، محمد عيسى السعدي عبد القادر العيسى، صالح عبد القادر.
التعليم: لم يكن في القرية مدرسة وكان الأطفال يذهبون الى كفركما.

**5- تاريخ القرية:** يبدو أن القرية ذات تاريخ عريق يستدل على ذلك من كثرة الخرائب والآثار التي حولها من جهة، ومن ورود ذكرها في أكثر من كتاب مثل كتاب المقدسي أحسن التقاسيم والحموي معجم البلدان وقد عرفت أيام الرومان وباسم كفر سيباي.

**6. نضال القرية:** اهم المعارك: تعتبر قرية كفرسبت من احدى أهم القرى المناضلة في فلسطين قاومت عبد الرزاق ابن الأمير سعيد من جهة وكافحت الصهاينة الذين أحاطوها بالمستوطنات لذلك كان الصدام يومياً مع اليهود منذ العشرينات كما كان قائد الفصيل الجزائري في المنطقة محمد بن عيسى (والد هذا المصدر) يقوم بنسف البترول وتدمير طرق المواصلات خلال ثورة 1936.. يمكن القول أن قرية كفرسبت لم تهدأ منذ عام 1920 حتى عام 1948 وظلت الدوريات البريطانية تداهمها طيلة الفترة. وللأسف فإن بعض عائلاتهم باعت جزءاً من أراضيها للصهاينة.
أهم المناضلين: سعيد الحاج رابح، أحمد عيسى قويدر، محمد عيسى السعدي، محمود صالح عبد القادر.
أهم الشهداء: محمد بن عيسى (راجع بحثنا حول دور الجزائريين في الكفاح ضد الانتداب البريطاني والصهيونية).

**7. العلاقة مع الوطن الأم:** توترت العلاقة توتراً ملحوظاً مع الأمير السعيد بعد بيعه بعض أراضي القرية للصهاينة وانتقال جزء من أهالي القرية الى حوران في سورية.
**- العلاقة مع الجزائر بعد عام 1962:**
نشطت بعض المراسلات والزيارات وعاد بعض الشبان للتدريس في الجزائر واستقروا فيها.

**8. الوضع بعد عام 1948:** دمر الصهاينة كفر سبت تماماً والتجأ أهالي القرية الى أقاربهم في حوران وبعضهم يعيش الآن في مخيم اليرموك بدمشق وفي الأردن.

9. المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة:

ساهم بعض رجال القرية بتأسيس الكفاح الفلسطيني المسلح قبل عام 1965 وكثير من الشبان الآن ينخرطون مع فصائل الثورة الفلسطينية وقدموا عدداً من الشهداء مثل عدنان حسين مناد، عبد الله عبد القادر السعدي.

مراجع أخرى:

- الموسوعة الفلسطينية ج3 ص650
- بلادنا فلسطين ج6 ق2 ص407
- معجم بلدان فلسطين ص623
- دعاوى نزع الملكية.

**القرية: عولم "11"**

**القطر: فلسطين/طبرية – الشفا**

**1. المصدر :** الاسم: شاكر بن ميهوب مكان الولادة: عولم تاريخ الولادة: 1908 تاريخ المقابلة: 1988/1/16

**2. جغرافية القرية:** الموقع: 26كم جنوب غرب طبرية ترتفع 240م.

المدينة: طبرية

المساحة: سكن 28دونم زراعة: 18546دونم

الأنهر والأودية: أودية العين، البيرة، التفاح، الشومر، المويلح، الداسي غزال، أبو عامود.

الأبار والينابيع: ينابيع: عولم، الرمان، الجدي، التينة، البيضة، حسونة، ضحوة

التلال المحيطة: سهول

القرى المجاورة: سيرين، حدثة، الطيرة، العبيدية والمستوطنات الصهيونية، يما، بقعة.

**3. اقتصاد القرية:** الثروة الزراعية: الزيتون (410دونم) الخضار والفواكه والبساتين.

الثروة الحيوانية: الخيول، المواشي، الدواجن

الحوانيت والتجارة: بعض الحوانيت، والتجارة مع طبرية

أهم الملاكين: مناد العزيز، ابراهيم أبو الخير، على الحاج، بن حميده

**4. السكان:** عدد سكان القرية 1922 (496نسمة) 1931 (555نسمة) 1945 (720نسمة)

العائلات الجزائرية: عائلات من قبائل: بني يونس، أولاد عريب، أولاد ادريس، أولاد نايل، بني مهنا، أولاد عيسى، ومعهم عائلات تعود بأصولها الى منطقة سور الغزلان، وقسنطينة وسيدي عيسى في الجزائر.

العائلات غير الجزائرية: بدو المويلحات

عدد مساكن القرية: 139 بيتاً

وصف مساكن القرية: حجر وطين

التعليم: أغلق الانتداب البريطاني مدرسة القرية، ففتح الأهالي كتاباً في المسجد ويرسلون أولادهم الى القرى المجاورة

«سيرين»

أهم المخاتير والشخصيات والمضافات: علي الحاج، مناد العزيز، محمد بن حميده، ابراهيم النايلي، سليمان العربي، كانون بن قدور

5. تاريخ القرية: ذكرها الرومان باسم «اولاما» وباسم «هيولم» وفيها جدران عمارات مهدمة قديمة منقوشة ومستعملة ثانية وفيها أعمدة ومسنات وصهاريج ماء.

6. نضال القرية: أهم المعارك: كانت قرية عولم من القرى النشطة في النضال الفلسطيني عبر فتراته، وتشارك بفعالية في فصيل الجزائريين بقيادة محمد بن عيسى، الذي استشهد فيها بعد مهاجمة الطيران الانكليزي للقرية، وقد وقعت فيها معركة عولم الشهيرة، وشارك أهلها في سائر معارك المنطقة، مثل معركة طبرية والعربية والصبيح والشجرة وغيرها.

أهم المناضلين: الطيب المناد، شحادة الادريسي، مصطفى العربي، علي بوزيد وللأسف فإن عائلة الأمير وبعض العائلات الأخرى باعت جزءاً من أراضيها الى الصهاينة.

7. العلاقة مع الوطن الأم:

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

كانت القرية تخضع الى الأمير عبد القادر ثم لولده علي.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948:**

كانت العلاقة بسيطة والمراسلات والزيارات نادرة.

**- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:**

تجددت العلاقة وذهب شبان من القرية الى الجزائر والتقوا بأصولهم العائلية. وكان أهالي القرية ومعظمهم موجود في الأردن قد أقاموا صلات مع مكتب جبهة التحرير الجزائرية الذي كان يديره المناضل عبد الرحمن العقون وقدموا مساندتهم للثورة الجزائرية. وبعد الاستقلال كان يزورهم ديبلوماسيو الجزائر في الأردن مثل ابراهيم كابويا، الطاهر قن، وسجلوا أسماءهم كجالية جزائرية وهم وكثير من الجزائريين الفلسطينيين في الأردن في مدن اربد، الزرقاء، وعمان وغيرها.

8. الوضع بعد عام 1948: هاجر معظم أهالي القرية الى شرقي الأردن، وتمكنوا بواسطة وزير أردني من أصل مغربي يدعى «خلوصي الخيري»، من

تسليم بطاقات الاعاشة التى منحتهم اياها هيئة الأمم المتحدة/ وكالة الغوث وأخذوا بدلاً منها بعض الأراضى فى قرية جسر المجامع بغور الأردن الشمالى وواصلوا العمل الزراعي حتى عام 1967 حين هاجمتهم اسرائيل فنزحوا مرة ثالثة الى اربد.

**9. المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة:**

كانت قرية جسر المجامع المحاذية لنهر الأردن هي ممر الفدائيين الفلسطينيين قبل عام 1965 وينسقون مع اخوانهم الجزائريين في جبهة التحرير الفلسطينية التي مقرها دمشق، وكان سكان القرية يأوونهم عن أعين الجيش والمخابرات في الأردن وظل هذا حالهم حتى عام 1967 وقد انضم كثير منهم الى الفصائل الفلسطينية التي انضم اليها الجزائريون ولازال الحال كذلك.

مصادر أخرى:

- معجم بلدان فلسطين 553
- الوقائع الفلسطينية 1619
- بلادنا فلسطين 416
- الموسوعة الفلسطينية ج3 ص363
- عرب فلسطين 1947-1948.
- دعاوى نزع الملكية

## القرية: معذر "12"
## القطر: فلسطين/طبرية - الشفا

1. المصدر: الاسم: عبد الله محمد أبوخروبة مكان الولادة: معذر تاريخ الولادة: 1924 تاريخ المقابلة: 1988/1/13م

2. جغرافية القرية: الموقع 22كم جنوب غرب طبرية بارتفاع 185م
المدينة: طبرية/الجليل
المساحة: سكن 63 دونما زراعة: 1616دونما
الأنهر والأودية: وادي الشومر، المغرة، شعاره، الشرّار، زريق.
الأبار والينابيع: عين جوابي، عين زموره، عين لافي، عين المغرة وبئر وسط القرية.
القرى المجاورة: حدثة، كفركما، طيرة، مسحه ومن المستوطنات الصهيونية كيشيت، شعاريت.

3. اقتصاد القرية: الثروة الزراعية: الزيتون (30دونم) الحبوب والخضار، الفواكه بأنواعها
الثروة الحيوانية: المواشي بأنواعها والخيول، الدواجن والنحل
الحوانيت والتجارة: يوجد بعض الحوانيت. والتجارة مع سمخ وطبرية
أهم الملاكين: محمد الشريف، علي بوتركة، عمر قويدر القاطن في سمخ، محمد المقاري، عيسى الحاج أحمد، علي محاد

4. السكان: عدد سكان القرية 1922 (437نسمة) 1931 (359نسمة) 1945 (480نسمة)
العائلات الجزائرية: قبيلة أولاد سيدي خالد من منطقة سور الغزلان والبويره بفرقها وعائلاتها وعددها 70 عائلة، وعائلات مثل محمد العربي، السعيد عمر الحاج، البهلول، سحنون، بوليعيش.
العائلات غير الجزائرية: أسرة الجبالي، البوريني، الناقوري، الفلاح
عدد مساكن القرية: 200 سمكن.
وصف مساكن القرية: قناطر وعقود من الحجر وبعض البيوت من الاسمنت وكل بيت له «بحيرة» خضار تسمى في فلسطين حاكوره

التعليم: ألغى الانتداب البريطاني المدرسة ففتح أهالي القرية 4 كتاتيب.

أهم المخاتير والشخصيات والمضافات: محمد الشريف، ابراهيم الحاج أحمد الرقايقي، علي بوتركة المدني، محمد العربي، عيسى الحاج أحمد، عبد القادر الوشاحي، محمد دحمان، سعيد الطيب، الشيخ أحمد الخالدي، علي محاد.

**5. تاريخ القرية:**

ذكرها الفرنج باسم «كفارماتر» وفيها آثار كنائس وأبواب عالية وبقربها خربة سارة التي تحتوي على معاصر وصهاريج وجدران متهدمة ومدافن منقورة في الصخر وبقايا أعمدة من حجر بركاني، وبقايا أسوار.

**6. نضال القرية:**

أهم المعارك: معركة عولم، معركة الصبيح، معركة طبرية، معركة لوبية، معركة الشجرة.

أهم المناضلين: ابراهيم الحاج أحمد الرقايقي «سجن 7 سنوات» رزق بوتركة المدني «سجن 7 سنوات» عبد الله رابح، عمر الحاج، أحمد الشيخ، محمود أبو خروبة. وللأسف فإن بعض أهالي القرية باعوا أراضيهم لليهود عن طريق ابراهيم الطيب (أبو ريحة) الذي تمت تصفيته لذلك.

أهم الشهداء: محمد بن اعراب في مداهمة للقرية 1938، سعيد محاد عام 1968.

**7. العلاقة مع الوطن الأم:**

**- العلاقة مع عائلة الأمير عبد القادر:**

كانت العلاقة ممتازة مع الأمير عبد القادر شخصياً فكاتبه وخليفته في منطقة سطيف بالجزائر ومدرس أولاده وقاضيه ومفتي المالكية ببلاد الشام كان الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي زعيم قبيلة سيدي خالد، واستمرت العلاقة جيدة مع ولده الأمير علي باشا وولده الأمير محمد سعيد حتى ظهرت تصرفات عبد الرزاق بن سعيد حين باع الأراضي فتوترت العلاقة.

**- العلاقة مع الجزائر قبل عام 1948:**

معظم عائلات القرية كانت على مراسلة دائمة مع أصولها في الجزائر، وكانت تتم بعض الزيارات المتبادلة ومنها محمد بن محمد الخالدي ومكوثه مدة طويلة في الجزائر.

**- العلاقة مع الجزائر بعد 1962:**

نشطت المراسلات والزيارات وحدثت زيجات، وعاد بعض الشبان المتعلمين واستقروا في الجزائر أو عملوا سنوات طويلة وعادوا.

8. الوضع بعد عام 1948:

لقد هاجرت القرية من فلسطين بعد أن قابل مختارها «علي محاد» ووفد من القرية الملك الأردني عبد الله بن الحسين في بيسان فنصح الملك بالهجرة، وتم ذلك عن طريق بيسان فشرقي الأردن ثم الى منطقة الحمة الفلسطينية تحت الادارة السورية وانتشر بعض من أهالي القرية الى الأردن «الشونة الشمالية» ودمشق وفي عام 1967 نزح الذين في منطقة الحمة الى مخيم اليرموك، وهناك من بقي في منطقة الناصرة بفلسطين ومن هاجر الى لبنان. وقد دمر الصهاينة قرية معذر عن بكرة أبيها.

9. المساهمة في الثورة الفلسطينية المعاصرة:

كان أهالي القرية خاصة الذين سكنوا منطقة الحمة الفلسطينية من أوائل الذين بادروا الى العمل المسلح في الفترة 1948-1965 وتم كثير من العمليات بتنسيق مع الجيش السوري ولذلك كانوا من أوائل من انضم الى الفصائل المسلحة التي أعلنت عام 64 و65 وساهموا في تأسيس بعضها وهم الآن يواصلون النضال مع عدة فصائل مثل الجبهة الشعبية القيادة العامة، طلائع حرب التحرير الشعبية «الصاعقة»، فتح وغيرها. وقدموا العديد من الشهداء.

مصادر أخرى:

- الوقائع الفلسطينية 1632-1554
- الموسوعة الفلسطينية: ج2 ص239-240
- معجم بلدان فلسطين ص681
- بلادنا فلسطين: ج1 ق2 ص414
- حرب فلسطين 1947-1948
- دعاوى نزع الملكية.

## المراجع والهوامش


1. البيطار، الشيخ عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، بيروت 1949 ط2 ج3 ص1372.
2. انظر صورة الوثيقة.
3. وصل الشيخ نور الدين اليشرطي الى عكا سنة 1852 وتوفي فيها سنة 1898م-1316هـ/ حسب الموسوعة الفلسطينية ج2 ص384 القسم الأول.
4. تولى المنصب مصطفى التهامي ثم محمد بن عبد الله الخالدي ثم ولده محمد الخالدي.
5. هلال، د. عمار: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام 1847-1918. الجزائر 1986، ط1، ص37.
6. انظر ترجمته في أعلام الجزائر وفي حلية البشر
7. هلال، د. عمار: مصدر سابق. ص113.
8. الصلح، عادل: سطور من الرسالة، تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، بيروت 1966، ط1، ص102.
9. أوصديق، الطاهر: ثورة 1871 - ترجمة جباح مسعود/ الجزائر 1989 ص105.
10. هلال، د. عمار: مصدر سابق. ص50.
11. نفسه ص53.
12. المقتبس 1908.12.28
13. يمكن القول أن نتائج النشاط الثقافي للجزائريين قد بدأت تظهر فكان كتاب بعض الصحف من تلاميذهم.
14. سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، بيروت 1969، ط1، ص141.
15. الحافظ، محمد مطيع وزميله: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، تقديم د. شكري قنصل دمشق 1986 ط1 الجزء الثاني ص427
16. نفسه، الجزء الثاني ص747.
17. الجندي، أدهم: الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق 1960، ط1 أورده في عدة صفحات.
18. سعد الله، د. أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ص339.
19. الفرفور، د. محمد عبد اللطيف صالح: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، دمشق 1987 ط1 ص335.
20. الحافظ، محمد مطيع وزميله: مصدر سابق 180 ص194.
21. هلال، د. عمار: مصدر سابق.
22. دوغرامشي، د. أمل: الهجرة الى سورية في أواخر القرن التاسع عشر، في كتاب

المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام 1516-1939، دمشق 1978 ج1 ص287.

23. هلال، د. عمار: مصدر سابق.
24. المقتبس عدد 462.
25. سعد الله، د. أبو القاسم: مصدر سابق ص149.
26. طرشون، نادية: مصدر سابق ص26.
27. أفردنا بحثاً خاصاً عن جمعيات الجزائريين في المشرق العربي.
28. انظر انظر تفاصيل دخوله الى الجزائر خلسة في كتاب حلية البشر
29. الولي، محمد طه: تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت 1973، بيروت ط1، ص26.
30. أسس المقتبس محمد كردعلي تلميذ الشيخ طاهر الجزائري، وأسس المفيد عبد الغني العريسي من رجال الحركة القومية العربية وعلى علاقة بالشيخ طاهر الجزائري، أما الحضارة فأسسها عبد الحميد الزهراوي وكان مراسلها في الجزائر عمر بن قدور، وكلها كانت من صحف القومية العربية في الشام.
31. الحافظ مع مطيع وزميله، مصدر سابق. ص5.
32. الحصني، محمد أديب تقي الدين: منتخبات التواريخ لدمشق. بيروت 1974، ط1،ص703.
33. نفسه ص704.
34. الصلح، عادل: مصدر سابق. ص126.
35. انظر وصف هذا التوديع في الصحف السورية.
36. افنيري، أريه: دعاوى نزع الملكية الاستيطان اليهودي والعرب 1878-1940 ترجمة بشير برغوثي، عمان 1986، ط1، ص97.
37. الموسوعة الفلسطينية: مصدر سابق، ص97.
38. افنيري، أريه، مصدر سابق ص83.

الفصل الثاني

# الدور السياسي للمهجرين الجزائريين في بلاد الشام

## أولا: حمايتهم الشام من الفتن الطائفية و الجهوية

مدخل:

يحاول المؤرخون الأوروبيون من أصحاب المدرسة الاستعمارية في كتابة التاريخ، ومعهم تلاميذهم وأشياعهم من العرب، القول: أن حركة القومية العربية الحديثة بدأت على يد الإرساليات الأجنبية في صفوف المسيحيين اللبنانيين، وكان هذا القول يروق للسلطات التركية العثمانية الطورانية التي كانت تعزف على الوترين العرقي والطائفي لضرب العرب جميعاً ويلخص ذلك شعارها «التركي فوق المسلم والمسلم فوق النصراني».

وكانت الدول الأوروبية التي تدير تلك الارساليات الأجنبية ومدارسها الطائفية تتسابق الى ادعاء أولوية تبنيها أو ابداعها فكرة القومية العربية الحديثة، والفرنسيون هم الأكثر ادعاءاً وتبجحاً وأوضحهم كذبا، وهذه هي عادتهم في تزوير تاريخ الشعوب، فهم يدعون أن النهضة الحديثة بدأت في مصر حين احتلها نابليون، وكأن الاحتلال وإذلال الشعوب يحقق أي خير لهذه الشعوب!، وهم يقولون أيضاً أن تاريخ الجزائر بدأ عام 1830 تاريخ الاحتلال الفرنسي وكأنها احتلت شعباً لم يعرفه العالم من قبل، وليس له حضارة.

إن هذه الأكاذيب الفرنسية وغير الفرنسية لم تقنع مواطناً عربياً واحداً بما في ذلك المسيحي اللبناني سوى أشياع الاستعمار الذين لايحظون بأي احترام في الشارع العربي، فالمواطن العربي رغم مايظهره من التزام ديني وايمانه بأن الاسلام هو رسالته الى البشرية، لكن التجربة علمته أن سلطته السياسية يجب أن تكون بيده هو، وقد تبلور هذا الشعور وتحول الى فكرة سياسية منذ أواخر العهد العباسي، حين تسلط العجم ثم المماليك على مقاليد السياسة. وقد عبر عن ذلك بوضوح شاعر القومية العربية في ذلك الوقت، أبو الطيب المتنبي في قصيدة يصف فيها بحيرة طبرية في وسط بلاد الشام أرض القومية العربية الحديثة إذ قال:

**وإنما الناس بالملوك وما تفلح عُربٌ ملوكها عجم**

**لا أدب عندهم ولا حسبٌ ولا عهودٌ لهم ولا ذمم(1)**

لقد كانت حركة القومية العربية تعبر عن نفسها في أواخر العهد العباسي بثورات هنا وهناك ضد سيطرة العجم والمماليك على القرار السياسي، وفي نفس الوقت تحارب الغزو الصليبي، ولعل أسطع مثال على ذلك هو الدولة الحمدانية في الشام، وعدم استطاعة الدولة الفاطمية التي شابتها العجمة العيش طويلاً في المغرب.

ولعل بداية الحركة القومية العربية الحديثة هي في الانتفاضات الفلاحية في المغرب والمشرق ضد الأتراك، وتساؤل المثقفين العرب عن صحة وجود الخلافة الاسلامية في العنصر التركي «العجمي»، بل وفي مجابهة العرب مغرباً ومشرقاً للغزو الأوروبي. ومهما يكن الرأي في محمد علي، فإنه استقطب الناس في مصر وعموم الوطن العربي، بمقولته أنه سيبني دولة للعرب ويجمع كل الناس الذين يتفاهم معهم بالعربية. وقد اندفع المغاربة وراءه في ذلك، ومايزال التاريخ يؤكد أن جيش محمد علي كان أهل المغرب العربي عمدته وقوامه، وبهم حارب محمد علي الفرنسيين، وقد برز من هذا الجيش رجل جزائري نال أرفع درجات الاعتراف بشجاعته. وقدر لهذا الرجل الذي حارب الروم الفرنسيين في مصر أن يقود ثورة ضد العجم الترك في الجزائر! وكأنه بذلك يعبر عن صراع العرب التاريخي ضد التطلعات الاستعمارية العجمية والرومية.

**1- الأطراف تتحرك:**

لا غرو أن يتحرك الريف في غربي الجزائر بقيادة ابن الشريف(2) ضد السلطة التركية عام 1217هـ، 1803م تقريباً، ثم يتحرك ابن الأحرش(3) شرقي الجزائر ضد ذات السلطة عام 1218هـ... فقد بدأت القومية العربية الحديثة تتحرك في الأطراف حيث قبضة السلطة العثمانية أضعف منها في المناطق القريبة من المركز، فالمشهد نفسه نراه في الجزيرة العربية حيث تحرك الوهابيون ضد السلطة العثمانية أيضاً.. ولايمكن القول أن «انتلجنسيا» الارساليات الأجنبية هي التي حركت هؤلاء، فبكل بساطة لم تكن هذه الإرساليات قد وجدت، بل أنها حين وجدت قامت بركوب موجة القومية العربية المتجددة آنذاك.

لقد حقق ابن الأحرش وابن الشريف وابن عبد الوهاب، كما محمد علي، الانتصارات الأولية الضرورية، لبداية تاريخية جماهيرية لحركة القومية العربية الحديثة، ولعل الذي كان ينقصهما في تلك المرحلة هو الاجماع الذي يصعب على أية فكرة جديدة تحقيقه في خطوتها الأولى، وخاصة باتجاه قائد بعينه.

وقد عبر الأتراك عن ذلك بشيء من الصراحة حين هزموا ابن الشريف في غربي الجزائر فقال القائد التركي مشيراً الى الزعيم الروحي محي الدين بن المصطفى الذي لايخفي عداؤه لهم: نحن لايهمنا ابن الشريف بل يهمنا هذا.(4)

**2- زيارة دينية - سياسية:**

لقد كان ابن المصطفى يحظى بإجماع جزائري، أثبتته الأحداث فعلاً عام 1832، لكن الرجل كان على مايبدو يسعى لاجماع عربي آخر.. إذ ليس من الممكن خارج هذا السعي تفسير رحلته الطويلة الى المشرق العربي تحت ستار الحج واصطحابه ابنه عبد القادر في هذه الرحلة التي كانت سياسية - دينية، ويدلنا على ذلك أن المشرق العربي في الشام والعراق والحجاز ونجد بل حتى في مصر وليبيا كان يستقبل الشيخ وابنه استقبالا

يختلف عن استقباله لآلاف الحجاج إذ نفهم من مذكرات الأمير عبد القادر نفسه أن علية القوم من رجال العلم والدولة والعشائر كانوا يبدون اهتماماً بالرجل الذي يعادي تركيا في الجزائر. وكانت هذه البلاد تموج بالعداء الخفي لتركيا.

وقد استمرت هذه الزيارة مدة علمين، وزار محي الدين معظم الحواضر العربية مرتين خلال هذه الفترة، بل نجد في مذكرات الأمير عبد القادر تلك دفاعاً عن العرب وتعبيرات مثل «الأمة العربية».(5) فالأحمق وحده الذي يمكن أن يقتنع أن هذا النشاط الدؤوب للشيخ محي الدين هو نشاط صوفي محض لم تخالطه سياسة.

3- خطان متلاقيان:

وفي اعتقادي أن وعي الأمير عبد القادر بأنه في مقاومته لفرنسا إنما يدافع عن العرب أجمعين مغرباً ومشرقاً.(6) هو وعي ناجم عن دروس هذه الزيارة، بل إن هذه الزيارة الساسية - الدينية هي التي مهدت للاستقبال والمكانة الممتازة التي حظي بها عام 1847 في الشام خليفته أحمد بن سالم، والاستقبال الأسطوري الذي خصصه الشوام للأمير منذ أن وطئت قدماه بيروت نفسها ونزوله ضيفاً على زاوية أبي النصر فيها، ثم التفاف الشوام الشعبيين حوله وتشكيل عليتهم بلاطاً مشتركاً مغربياً مشرقياً لأول قائد عربي في العصر الحديث واجه الغزو الاستعماري الأوروبي، ثم تنفيذهم لتعليماته عام 1860 لإخماد الفتنة ضد النصارى فلولا الأمير عبد القادر لتمت إبادة النصارى في بلاد الشام ولما وجد مؤرخو المدرسة الاستعمارية مادة للقول بأن فكرة القومية العربية فكرة نصرانية بل أكثر من ذلك فإن النصارى أنفسهم والمسلمين هم الذين بايعوه «سراً» عام 1877 ليكون ملكاً على العرب وينفصل بهم عن تركيا.

كل ذلك التسلسل التاريخي الذي يشير الى خط سير حركة القومية العربية الحديثة من المغرب الى المشرق جنباً الى جنب مع خط سيرها من المشرق الى المغرب هو الذي يتحاشاه مؤرخو المدرسة الاستعمارية وأشياعهم من العرب المغاربة والمشارقة، لا لسبب إلا لأن الغرب الاستعماري - كله - لايزال كتركيا العثمانية والحالية يرتعدون خوفاً من أي تحرك عربي مهما كان بسيطاً باتجاه نحو أي شكل من أشكال انجاز الأمة العربية لتطورها الحتمي نحو الوحدة الشاملة.

ولعل هذا التسلسل هو الذي حدا بالدكتور عبد العزيز الدوري الى ابراز حقيقة خط سير القومية العربية من المغرب الى المشرق. (7)

وقد تلاقى هذا الخطان، علنا، عام 1860 حين اصبح الأمير عبد القادر هو المرجعية العربية للجماهير والقوى السياسية المناهضة للأتراك والغزو الأوروبي. وتم ترسيم هذا التلاقي عام 1877 بمبايعة الأمير الجزائري ملكاً على العرب.

وليست هذه المرة الأولى أو الأخيرة التي يلتقي فيها المغرب مع المشرق، فالمغاربة الأمازيغ تحديدا، هم الذين بايعوا عبد الرحمن الداخل الأموي العربي وأسسوا

الدولة الأموية الشهيرة في الأندلس في مواجهة الانقلاب العباسي الذي نفذه العجمي «أبو سليم الخراساني» كما ليس سراً أن عشرات القبائل والعشائر في المشرق العربي تعود أصولها الى قبائل وعشائر أمازيغية في المغرب العربي، كما أن العكس ثابت أيضاً، وإذا كانت القاهرة قد بناها المغاربة فإن المشارقة قد بنوا القيروان.. فالمغرب والمشرق كانا دائماً كشقي التمرة العربية، والدور الذي لعبه ابن خلدون المغربي في المشرق العربي دور غير مجحود.

لذلك من المهم جداً في نظري اعادة دراسة دور المهجرين الجزائريين وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في اخماد الفتنة الطائفية والجهوية في الشام، كجزء من دورهم السياسي في المشرق الذي منه أيضاً بثهم الوعي القومي العربي الذي لايفرق بين العروبة والاسلام ولا يفرق بين المسلمين والنصارى العرب، هذا المفهوم الذي يسمي المسيحيين غير العرب «روم» والعرب «نصارى»، والذي منه أيضاً تشكيلهم ومشاركتهم في الجمعيات والأحزاب السياسية وصولاً الى خوضهم معارك القتال ضد الأتراك والبريطانيين والصهاينة والفرنسيين والايطاليين في مشرق الوطن العربي ومغربه على حد سواء.

**4- الأمير في قيادة المجتمع الشامي 1856-1860:**

ما أن وصل الأمير عبد القادر الى دمشق أواخر عام 1856 حتى التف حوله كبراء الشام، وخاصة العلماء من العنصر العربي الذين كانت تهمشهم الدولة العثمانية، فجعلهم في بلاطه وحاشيته وأجرى لهم مرتبات شهرية، كما التف حوله الأشراف ونقابتهم إذ ذاك بيد آل العجلاني، الذين صاهروه في وقت لاحق.

كما أنه خصص يوم الجمعة لإطعام فقراء دمشق حيث كانوا يهرعون في هذا اليوم الى بيته في زقاق النقيب بحي العمارة ليصيبوا نصيبهم من مائدة الأمير لهم.

ووزع ساعات يومه على دروس يلقيها في المدرسة الجقمقية التي كان من تلاميذه فيها الفتى طاهر الجزائري، وفي المسجد الأموي، حيث يلقي دروسه الشهيرة.

وحين علم بأمر دار الحديث الاشرفية التي اشتراها يهودي اسمه «بانكو» بمساعدة من الحكومة العثمانية وحولها الى خمارة، وكادت أن تكون سبب فتنة في الشام، خاصة وأن الشيخ يوسف بدر الدين الحسني المغربي قد هاجر من الشام احتجاجاً على سلوك الوالي العثماني المتضامن مع اليهودي. استدعى الأمير عبد القادر هذا الرجل واشترى منه تلك الدار بأضعاف ماتدره عليه تجارة الخمور، وأعادها وقفاً اسلامياً ومدرسة دينية(8) وأمر جدي محمد بن عبد الله الخالدي(9) بتدريس الفقه المالكي فيها، كما أمر غيره من العلماء الجزائريين، وقام هو بنفسه بالقاء درس يومي في هذه المدرسة. وأما درسه الرابع والأخير فكان يلقيه مابين العشائين في منزله.

وهكذا صار الأمير شخصية مقصودة لقضاء حوائج الناس عامتهم وخاصتهم.. فقد

تمكن الرجل الفذ من التربع على عرش أفئدة أهل الشام التي تكره عميقاً الحكم التركي الذي حسبت أنها تخلصت منه على يد ابراهيم باشا، لكنه عاد بضغط الدول الكبرى.

وفي نفس الوقت فإن لهذا الأمير قوة من المحاربين الأشداء هم أولئك الذين كانوا معه في الجهاد ضد فرنسا سواء الذين سبقوه الى الشام أو جاءوها بعد وصوله اليها، سواء بإيعاز منه، أو اضطرتهم الوحشية الفرنسية لمغادرة الوطن.. لذلك كان الأمير محبوباً في الشام ومهاباً في الوقت عينه وهو موقع نفسه فيه بعض كبراء دمشق المقربين من السلطة العثمانية الذين كانوا يسمون أهل العرض. لكن السلطة العثمانية لم تجد ماتؤاخذ الأمير عليه فقد سلك مع الجزائريين والشوام سلوك الملوك الزهاد، واشركهم في هذه الثروة التي كانت تأتي اليه كعطايا من السلطان العثماني وغيره من الملوك. ويبدو أن الدكتور عبد الجليل التميمي لم يدقق جيداً في مغزى سلوك الأمير في الشام خلال هذه السنوات.

فالأمير عبد القادر من خلال علاقاته داخل قصور العثمانيين كان على معرفة ماتخبؤه الغرف المغلقة للعرب عموماً وللشوام خصوصاً، لذلك وجدناه حين وقعت الواقعة جاهزاً للدفاع عن عروبته ودينه.

**5- الأمير يسعى لتطويق الفتنة:**

كانت الدولة العثمانية قد انتهجت نهجاً طائفياً في بلاد الشام، مقته المسلمون والنصارى على حد سواء، فقد كانت تفرض على المسيحيين لباساً معيناً، وتسعى الى تنفيذ شعارها الذميم «التركي فوق المسلم، والمسلم فوق النصراني» كما كانت صحفها تكتب «حافر فرس التركي أشرف من أي نبي عربي» وحين جاء ابراهيم بن محمد علي واحتل بلاد الشام أيده فقراء الشوام مسلمون ونصارى وسعى الى اصلاح البلاد وسن مجموعة قوانين جديدة، ألغى بموجبها نظام الضرائب القديم، كما ألغى بعض القوانين المجحفة بحق المسيحيين.

وقد فسر بعض المسيحيين القوانين الجديدة على أنها تعطي المسيحي الحق في التطاول على كبراء المسلمين وقد اشتط بعض المسيحيين الموارنة في لبنان الذين تسندهم فرنسا في هذا التفسير خاصة ضد جيرانهم الدروز الذين تسندهم بريطانيا وتعرف الموسوعة السياسية الدروز كالآتي:

«طائفة دينية من سكان سورية ولبنان يدعون أنفسهم بالموحدين وفي الأصل كانوا فرقة اسلامية اسماعيلية فاطمية تؤمن بإقامة الحاكم بأمر الله. حافظوا على عاداتهم وعقائدهم ويختلف مذهبهم من الناحية الفقهية عن باقي المذاهب الاسلامية في أمور متعددة وهم محاربون أشداء قاتلوا العثمانيين والفرنسيين في القرن 19، وقعت بينهم وبين الموارنة في لبنان فتن مهدت الطريق للتدخل الأوروبي يوجد منهم حوالي 85000 في لبنان و89000 في سورية و18000 في الأرض المحتلة».(11)

أما الموارنة فتعرفهم الموسوعة السياسية نفسها بقولها:

«طائفة مسيحية شرقية تابعة لكنيسة روما الكاثوليكية أسسها راهب سوري يدعى مارون ومنه أخذوا اسمهم. مركزهم الرئيسي في لبنان حيث يبلغ عددهم حوالي أربعمائة ألف نسمة، ويتفرق الباقون ديار المهجر الأمريكية، وفي سوريا وفلسطين وقبرص».(12)

وقامت بين الفئتين عدة معارك، واستطاعت الدولة العثمانية أن تشكك بوطنية المسيحيين حين أعفتهم من الخدمة العسكرية، وهو أمر رفضه عقلاؤهم، لكنه لاقى قبولاً عاماً وشجع الموارنة على الشطط ضد الدروز لدرجة أن بعض رهبانهم طالبوا بطرد هؤلاء من لبنان كله خاصة بعد عودة الدولة العثمانية إذ كان ابراهيم بن محمد علي قد انسحب (1840) من بلاد الشام بجيشه الذي كان يضم عدداً هائلاً من أهل المغرب العربي، الى مصر. بعد الضغوط القوية التي مارستها ضده الدول الأوروبية، المتطلعة هي الى السيطرة على الشام. وهكذا عادت السلطة العثمانية الى الشام بعد انحسار دام عدة عقود وفي نيتها تشديد قبضتها.

وكانت الدول الأوروبية ولاتزال وكذا الدولة العثمانية، ضد الوحدة القومية العربية، فالدول الأوروبية تقول للمصريين في مصر أنكم فراعنة لا علاقة لكم بالعرب، وتقول للمغاربة أنكم برابرة والعرب محتلون، وتقول للشوام أنكم فينيقيون سوريون ليس لكم من العروبة نصيب. وأما الدولة العثمانية فعدا عن سياسة التتريك المشهورة، فإنها أخذت تضرب الطوائف الدينية ببعضها وتضرب المذاهب داخل هذه الطوائف، وهو نفس النهج الذي انتهجته الدول الأوروبية فقد ضربت الموارنة بالبروتستانت والمسيحيين بالمسلمين، وقالت للجميع أنكم عرب وعليكم القيام ضد الأتراك.

فإذا كانت الدول الأوروبية تفعل ذلك لتحتل الشام فإن تركيا فعلته لتشديد قبضتها عليه، وضربت الدروز المسلمين بالموارنة النصارى، خاصة وأن بعض النصارى كاتبوا حاكم مصر في القاهرة بشأن عودته الى الشام وهو أمر فعله أيضاً مسلمو دمشق.. وهو مالا تريده العثمانية ولا الدول الأوروبية فالتقت مصلحة الجميع في تفجير الشام من داخله.

لكن الأمير عبد القادر تصرف كما يليق بقائد عربي مسلم مفعم بروح المسؤولية، فأرسل الى الدروز.. وهم الطرف الأقوى في هذا الصراع الطائفي.. رسالة تحذيرية مؤرخة شهرين قبل وصول الفتنة الى دمشق، جاء فيها:

«أرجو أن تكونوا جميعاً في سعادة ورفاه. لاشك بأنكم تعلمون مودتنا وصداقتنا لكم، ونوايانا الطيبة نحو جميع عباد الله، اصغوا الى ماأقوله واقبلوا نصائحي، إن الحكومة العثمانية والناس جميعاً يعرفون العداء القائم بينكم وبين المسيحيين في جبل لبنان.

إذا كنتم تعتقدون أن الحكومة لاتحملكم مسؤولية نشوب هذه الفتنة كلها، فأنتم على

خطأ وإذا وقع منكم اعتداء ما، على أماكن لم يكن أهلها أعداء لكم طيلة حياتهم، فإن سلوككم هذا يكون داعياً للقطيعة بينكم وبين الحكومة. أنتم تعلمون مقدار حرصنا على خيركم وسعادتكم، وعلى سلامة المواطنين جميعاً. إن من شأن الحكماء التبصر في الأمور وعواقبها وذيولها قبل الاقدام عليها.

قيل أن بعض فرسانكم جاؤوا الى ضواحي دمشق لتعكير الأمن والطمأنينة فيها، وأنتم قوم عرفتم بالحكمة والذكاء وحسن التصرف نقول لكم تكراراً إنـي في تشوق شديد لتحقيق مافيه الخير لكم ويسوؤني كثيراً كل مايمس بشخصكم».(13)

ويبدو أن الأمير كان يدرك أن وصول الفتنة الى دمشق يعني إبادة النصارى في المشرق العربي كله، وأن تركيا ستقوم بمذبحة للمسلمين بعد أن تحملهم مذبحة النصارى، وأن الدول الأوروبية ستحتل البلاد فاستأذن والي دمشق وذهب بنفسه الى مشايخ الدروز في قراهم فاجتمع بهم وحذرهم من العاقبة تحذير الأخ الناصح والمسؤول الحريص على مصلحة الأمة، فانتزع منهم وعدا أن لايحركوا ساكناً في دمشق.

ويقول شاهد عيان عن هذه التحذيرات:

«قنط النصارى من النجاة من مخالب الحكومة وشراسة الأتراك، وحقد المسلمين، وقساوة الدروز، وابتلوا بالفاقة، فقنطوا من الحياة جوعاً، وتعددت عليهم المصائب، وكثر ارتباكهم، ولكن قدّر لهم أن يكون بين المسلمين شهم يرق لحالهم ويرثي لمصابهم، وهذا الشهم الذي نعنيه هو الأمير عبد القادر الجزائري الذي طبق ذكره الخافقين، وعم فضله وكرمه نصارى الشام على السواء، وكان لايترك فرصة تفوته من الدفاع عنهم، واجتمع بالوالي مرات، وبأعيان المدينة ووجوه قراها، وحضهم على السكينة والإخلاد الى السلام والإقلاع عن الثورة، وترك النصارى وشأنهم، وقد بيّن لهم وخامة العواقب التي تسقط على رؤوسهم إذا عملوا على الفتك بهم، وكيف تخرج البلاد من أيديهم - لاحظ هذا -، ولم يتركهم حتى استوثق منهم بالوعود بإجابة طلبه، وفي السابع والثامن من تموز سنة 1860 راقت الأحوال ومع شيء من الطمأنينة الى قلوب النصارى، وأصدرت الحكومة أمراً للكتاب بالعودة الى أشغالهم، وتهللت وجوه النصارى، وتفاءلوا من هذه الهدنة خيراً، وخرج أصحاب الأعمال الى أشغالهم، وعادت الحركة التجارية والصناعية الى سابق عهدها».(14)

### 6- الأمير يتحمل مسؤولياته القومية والدينية:

بعد رجوع الموظفين الى إداراتهم والصناع والتجار الى محترفاتهم وحوانيتهم، ظهر للجميع أن الفتنة ابتعدت عن دمشق، غير أن الأمير كان يعلم أن الفتنة ليست من صنع محلي، بل هي من صنع العواصم الأوروبية، بما فيها الأستانة، وأن المحليين من دروز ونصارى سواء في لبنان أو دمشق ماهم إلا أدوات.

لذلك اجتمع الأمير عبد القادر مع مجلس شورى الولاية الى الوالي وأقنعوه بأن

يتولى الأمير مواجهة الفتنة بالحزم اللازم وذلك يوم 1860/7/9.

«وفي مساء ذلك النهار اجتمع الأمير عبد القادر الجزائري بأحمد باشا وأعضاء مجلس الشورى، وسألهم مساعدتهم على اطفاء شرارة الثورة، وبيّن لهم براهين أدعمها بآيات الشرع، تقضي على الحاكم بمقاتلة الثوار ولو كانوا من أهل الشريعة، وساعده على تثبيت دعواه مفتي الولاية طاهر أفندي، فقر رأيهم على معاقبة الثائرين، ومقاتلتهم إذا ثابروا على ملاحقة الثورة والفتك بالنصارى، وقفل راجعاً الى بيته يعد رجاله الى الغد، ولم يمض على رجوعه عن أحمد باشا بضع دقائق حتى الحقه برسول وعرض له عدوله عن ضرب الثائرين وارجاعهم للطاعة، عند ذلك حول اهتمامه لتخليص من يقدر على خلاصه من العيال والرجال بيض الله وجهه».(15)

وهكذا فإن الأمير عبد القادر فهم بوضوحٍ أن العثمانية ضالعة في الخطة، فأحمد عزت والي دمشق، ليس من الذين يرفضون طلباً للأمير، وهو مريد من مريدي الشيخ المهدي السكلاوي، لكن أحمد عزت كانت لديه أوامر بذلك، وقد حاولت السلطنة مسح السكين به، فأعدمته، وشنق وهو صائم، فلقبه الشوام بـ «الشهيد» وكان السكلاوي قد تنبأ له بهذه الشهادة.

لكن الأمير كان قد صمم على الصدع بمسؤوليته القومية والدينية فيقول الكسرواني: «فالمغربي قد جمع اليه كامل المغاربة الموجودين في الشام، وفرّق عليهم الأسلحة والمال وأن يكونوا على حضر متى وجدوا أدنى سبب يحضروا لديه. وكانوا بالعدد نحو مايتين وخمسين راجل، ومثله أهدى الى بعض أوجه وأعيان البلدة»(16) وأما مشاقه فيقول:

«ولما قنط الأمير عبد القادر من مساعدة أحمد باشا بالمدافعة عن النصارى أفرز رجاله بالذهاب الى حيهم، وعزم أن يضحيهم في الذود عن عيالهم وأطفالهم.. وكل من يقدرون على الوصول الى تخليصه من مخالب الثائرين».(17)

ووقعت الواقعة يوم 1860/7/10 الموافق 21 ذي الحجة 1276هـ ويقول ولده محمد عن كيفية تدخل الأمير الفوري:

[ولما اتصل الخبر بالأمير، قال: «هذا ماكنّا نحاذره. ونحذّر الناس منه قد وقع «إنا لله وإنا اليه راجعون» ثم ركب الى محلة النصارى، فوجدها: في هرج ومرج. ورأى ألسنة اللهيب. ممتدة من المنازل. والغوغاء، بين ناهب وقاتل. فجعل ينهى وينصح، فلم تسمع له نصيحة. وتمادى الذعار، على ماهم عليه. ولما يئس من رجوعهم عن غيّهم، أخذ ينقذ من النصارى من يصل اليه، ويتمكن من انقاذه. ثم رجع ببعض قناصل الدول، وجمّ غفير من الأعيان وغيرهم وصار يبعث المغاربة: شرذمة بعد أخرى الى المحلّة وأطرافها، ليأتوا بكل من عثروا عليه من غير استثناء. وكان الأمير، أخبر الباشا: أن المغاربة، ليس عندهم سلاح، كاف للمحافظة. فوعده بأن يعطيهم مايحتاجوا اليه، عند

اللزوم. فلما كان اليوم الثاني، من الواقعة، بعث اليه: فيما وعده به، فأرسل، في الحال، عدداً وافراً من البنادق والفشك. واستقصى المغاربة - بأمير الأمير - في جمع النصارى من الكنائس والأقبية، وداخل البيوت الملتهبة بالنار. وفي اليوم الثالث، اجتمع السفهاء من البلد والصالحية عند باب الحديد بالعمارة قاصدين الهجوم علينا. فتوجه الأمير اليهم. وألقى الله الرعب في قلوبهم عند رؤيته وراجعوا على أعقابهم. ثم ذهبوا أفواجاً أفواجاً، الى بيوت بعض الأعيان، الذين اقتدوا بالأمير، في جمع النصارى عندهم بقصد الهجوم عليهم، وأخذ النصارى منهم قهراً. فبعثوا الى الأمير يستغيثون به، فأرسل اليهم فرقاً من المغاربة، لحمايتهم من الذعار. ولما غصت دور الأمير بالنصارى - مع تعددها واتساعها - أخذ يرسلهم الى القلعة، بإذن الحكومة. فاجتمع عنده، وفي القلعة: نحو الخمسة عشر ألف نفس. وكان الأمير يقوم بنفقات الجميع. ولما طال الأمر، وضاقت نفوسهم طلبوا من الأمير أن يرسلهم الى بيروت، فأجابهم الى ذلك. وصار يبعثهم اليها: فوجاً بعد آخر بمحافظة المغاربة. واستمرت الفتنة قائمة، ونارها موقدة، أربعة عشر يوماً. كلّ ذلك، والأمير مشتغل بأخذ الوسائل، ليتوصل الى اطفائها. باذلاً جهده، في حسم أسبابها ولم يدخل الى بيته، في أيامها. بل كان يجلس، على سجادة، في دهليزه. لايهجع من الليل، إلا قليلا. والباعث له على حمل تلك المشاق، تأييد الدولة العليّة والدفاع عن حوزتها. إذ لو لم يقف في وجوه الغوغاء، لاستأصلوا النصارى واستلحموهم. وتفاقم الأمر أكثر مما وقع. وبذلك، يحصل للدولة، من الارتباك، مالايخفى. ولعناية الله - تعالى - بصاحب الخلافة العظمى. ورعايته لسلطنته، لم يقع أدنى خلل يتشبث به الأعداء، لالحاق الضرر بالدولة العلية. ولم يزل الأمير يعاني المشاق، الى أن حضر صاحب الدولة، فؤاد باشا وزير الخارجية الى دمشق].(18)

ويقول صاحب حلية البشر: «إن سعادة الأمير المعظم والكبير المفخم حضرة الأمير عبد القادر الجزائري قد بذل كامل همته في ذلك وبذل أمواله ورجاله في خلاص من قدر عليه من المهالك».(20)

وقد شمل الأمير بحمايته الفورية والقوية الرهبان والراهبات والقناصل «.. أرسل عبد القادر رجاله المغاربة استحضر لعنده قنصل فرنسا وكل مايتبعه وأوقاهم عنده، ومثله استحضر رهبان العازاريه مع الراهبات وماعندهم من الصبيان والبنات، وأرسل كامل المغاربةَ الموجودين أفواجاً الى حارة النصارى وأمرهم أن يستحضروا النصارى تحت الحفظ من دون أذية أو مضرة ما، فكل من حظي بيد المغاربة حفظ حياته، والذي لايقع يموت، وكانت المغاربة باذلة جهدها باستخلاص النصارى ومثله بيت المهايني في حارة الميدان، أوقوا النصارى في الميدان من دون مضرة، وأوقوا بعضاً في البلد بقدر الامكان».(21)

وامتدت حماية الأمير الى أديرة دمشق قدر المستطاع:

«وقصدوا دير العازارية الفرنساوي، وصدتهم حاميته القوية عن الدخول اليه بضع ساعات، حتى قدم لنجدتهم الأمير عبد القادر الجزائري برجاله، وأفرج عن الرهبان، وحفظ حياتهم، إنما لم يقو على حفظ الدير من النار، والمال الموجود به من السلب، فنهبوه وأحرقوه، ولم يكن هم الأمير إلا المدافعة عن الحياة».(22)

ويبدو أن الأمير استعد للقتال الفعلي حيث هجم بعض أهل الفتنة على بيته في حي العمارة بزقاق النقيب للفتك بالنصارى الذين يحميهم «وقصدوا بيت الأمير عبد القادر الجزائري، حيث بلغهم أنه محتفظ على عدد كبير من الكفرة، فتجمهروا حول منزله، ورلموا الفتك به إذا أبى أن يسلمهم النصارى الموجودين عنده، ولم يكن الجزائري ممن يهولهم التهديد والوعيد، فخرج اليهم برجاله الأمناء وتهددهم بصرامة العقاب أن تحرشوا بحرمته، وأظهر لهم أنه مستعد تمام الاستعداد مقابلتهم بالقوة، ويمطر عليهم ناراً تبيدهم على الإطلاق، ولما شاهد العصاة أنه على أهبة أن يكيل لهم الكيل وأزود، تركوه خوفاً من سطوته وشدة بأسه».(23)

وقد خلص الأمير الكثير من أعيان المسيحيين، عدا الرهبان، ومنهم الدكتور ميخائيل مشاقه نفسه حيث بعث اليه برجاله فيقول مشاقه: «فألبسوني هدوم - يقصد ملابس - المغاربة ومشوا جماعة خلفي وأمامي ومعهم ابن شقيق المحافظ، وكنا ندوس فوق جثث القتلى بالأزقة حتى وصلنا لدار الأمير فوجدناها مزدحمة وقد ضاقت على رجلها بالعالم الملتجئين اليها، دفع عنهم الأمير الأذى وأغاثهم، وكان هذا الشهم الباسل متقلداً سلاحه، ومعه رجاله البواسل، ودام على هذا المنوال ثمانية أيام وثماني ليالي لم ينزع سلاحه ولا حذاءه، ومثله رجاله، وإن أعياه النعاس كان ينام قليلاً على حصير بباب داره».(24)

كان رجال الأمير يبحثون عن النصارى المختبئين - حتى في الآبار - ويأتون بهم الى منزله والى بيوت الجزائريين في حي العمارة والسويقة والحيوانية، ولما ضاق بيته وبيوت الجزائريين عن استيعابهم طلب الأمير من الوالي أن ينقلهم الى قلعة دمشق، وتم ذلك فعلاً.. لكن الأمير فطن الى أن العثمانية تدبر لابادتهم داخل القلعة تلك، فأخذ يرحلهم على وجه السرعة الى لبنان.

وفي نفس الوقت كان أصدقاء الأمير من أعيان وعلماء دمشق ينقذون النصارى من القتل، ويحضرونهم الى بيوتهم، ويطوفون الشوارع ويلقون الخطب في المساجد لمنع الفتنة، بل أن مجموعة الشيخ البيطار في حي الميدان استعدت لقتال الدروز فعلاً.

وكان الأمير قد أحاط دمشق برجاله وخاصة من جهة الجنوب «أشرفية صحنايا» والتي له فيها ضيعة، وهي على الطريق الواصل بين دمشق وجبل الدروز، ومن جهة الباب الشرقي.. وذلك لمنع قدوم الدروز أو دخول المدينة. ويبدو أن نقطة ضعف دفاع الأمير كانت في منطقة الصالحية، حيث يتواجد الأكراد وهم الذين شكلوا عصابات القتل

النهب ضد النصارى، فحدثت حوادث في تلك المنطقة ذهب ضحيتها علماء مسلمون حربا وقفوا ضد الفتنة، ويبدو أن الأمير لم يهتم كثيراً بالصالحية لقلة وجود النصارى فيها.

وفي كل الأحوال فإن الأمير استطاع إنقاذ عدد كبير من النصارى تقدر مصادر متحفظة عددهم بخمسة عشر ألف وتقدر مصادر أخرى العدد بثلاثين ألف.

لكنه في نفس الوقت أنقذ بلاد الشام من الاحتلال الأوروبي، فقد حركت جمع الدول الأوروبية أساطيلها البحرية ورابطت أمام بيروت أما فرنسا فقد أنزلت قواتها في لبنان بقيادة الجنرال بوفور الذي أرسل الى الأمير رسولاً يطلب منه مغادرة دمشق مع أهله لأنه سيقصفها، فذهب اليه الأمير وتوعده بأن عبد القادر الذي هزم 17 جنرالاً فرنسياً سوف يحاربه إن تقدم نحو دمشق فتراجع الجنرال وفسدت خطة فرنسا وفي ذلك يقول ولده محمد:

«سار ليلاً الى البقاع، واجتمع بالجنرال. وأظهر له سوء عاقبة ما اعتمد عليه. فأصر الجنرال على ذلك، فهدده الأمير. وعظم له الأمر حتى عدل عن ذلك. ورجع كل منهما لمحله. وحفظ الله دمشق».(25)

وهكذا يكون الأمير قد أنقذ العباد والبلاد.

**7- رجال حول الأمير:**

تدخّل الأمير عبد القادر لقمع هذه الفتنة الطائفية التي لم يشهد لها الشام مثيلاً من قبل بحوالي ألف مهجر جزائري حسب بعض المصادر، وبأربعمائة حسب مصادر أخرى. ويمكن اعتبار هذا التباين بالأرقام يعود الى عدد المسلحين منهم وغير المسلحين، فمن الثابت أنه كان لديه أربعمائة تحت السلاح، إذ حين فاتحه الوالي فؤاد بتكوين فرقة عسكرية من رجاله وافقه الأمير «واختار منهم أربعمائة فارس وجعل السيد محمد بن فريحة أحد أقاربه رئيساً عليهم».(26)

وقد ذكر هذا الرقم نفسه محمد كردعلي وغيره. ويعود سبب فشل هذا المشروع، الذي سيحاول الجزائريون في وقت لاحق مرتين أخريين إحياءه، الى التدخلات الفرنسية في الاستانة، تخوفاً من الأمير.

ويمكن اعتماداً على أبي يعلي الزواوي(27) ومشافهة، وبعض السجلات والمتواتر بين العائلات الجزائرية في الشام، وبعض المصادر الأخرى، يمكن رصد بعض أسماء الرجال الذين كانوا حول الأمير عبد القادر في وقفته الشامخة تلك سواء من أولاده وعائلته أو من المهجرين الجزائريين أو من أعيان دمشق. ومنهم:

1- محمد بن عبد القادر — 2- محي الدين بن عبد القادر — 3- ابراهيم بن عبد القادر
4- أحمد بن عبد القادر — 5- علي بن عبد القادر — 6- أحمد بن محي الدين
7- عبد الباقي بن محمد السعيد — 8- محمد المرتضى — 9- أبو طالب الحسني

10- علي بن فريحه
11- محمد بن فريحه
12- أحمد بن فريحه
13- محمد المبارك
14- يوسف المرابط
15- محمد بن عبد الله الخالدي
16-الحاج سعيد العربي
17- عبد الرحمن الواثقي
18- أحمد عبد الرحمن الواثقي
19- علي بن محمد
20- محمد الطاهر
21- محمد السعيد بن الطيب
22- أحمد بن الشيخ
23- العربي بن يحيى
24- علي بن زروق
25- محمد مزيان بن يحيى
26- محمد بن الحاج علي
27- السعيد بن الحاج علي
28- محمد بن الحاج الشريف
29- محمد بن الجودي
30- مزيان الونيس
31- علي بن محمد واقنون
32- الأخضر بن محمد واعمر
33- أحمد الدلسي
34- السعيد المقدم
35- محمد وا أحمد
36- محمد النافع
37- عمران بن محمد
38- محمد الطاهر السكلاوي
39- أحمد واعمر
40- محمد سعيد السكلاوي
41- محمد مزيان ايسغي
42- علي بن سالم
43- بو جمعة عاشور
44- محمد الصالح بن الشريف
45- محفوظ الفضيل
46- الحاج محمد الحداد
47- أحمد قاسم العريفي
48- علي بن الونيس
49- ابراهيم الينيوي
50- عمر بن آل شريط
51- أحمد القشطوني
52- محمد الربيع
53- أحمد دريريش
54- سالم بن الهادي
55- علي بن الشريف
56- محند فرحات
57- الحاج الحسين الكبير
58- علي فرحات
59- سالم بن الهادي
60- محمد بن محمد المحجوب
61- الطاهر آمراو
62- طاهر بن أحمد السكلاوي

وأما من أعيان دمشق فيمكن رصد الأسماء التالية:

1- عبد الغني الميداني الغنيمي
2- محمود حمزة
3- أسعد حمزة
4- سليم العطار
5- سليم الترك
6- سعيد القوتلي
7- عبد الرزاق البيطار
8- حسن البيطار
9- سعيد آغا النوري
10- عمر آغا العابد
11- صالح المهايني
12- عمر بيهم
13- محمود السوطري

## 8- الأمير شخصية عالمية:

تمكن الأمير بحكمته وحنكته من افساد خطط الدولة العثمانية، والدول الأوروبية

معاً، تلك الخطط البالغة التعقيد البشعة التنفيذ، والتي كان الدروز والموارنة أدوات فيها إذ يقول راوية ماروني أن الدروز كانوا يتحركون بمعرفة دولة الانكليز وتعضيد العثمانية.

«وأما الدروز فكانوا دائماً بالاجتماعات والمخابرات مع بعضهم في كل المحلات وخاطبوا دروز حوران وحاصبيا وبلاد الشام وعملوا روابط فيمابينهم سراً، حتى يفنوا النصارى. والدولة العلية كانت تشددهم وتعطيهم القوة سراً، حتى يفنوا النصارى، مع معرفة دولة الانكليز، وصار كل من الفريقين يشدد ذاته ومستعد الى وقوع الشر».(28)

وأما الراوية الدرزي فيقول:

«وكانت المملكة الفرنسية في ذلك الحين قد بلغت من القوة مبلغاً عظيماً وحلت من المجد على عهد امبراطورها نابليون الثالث أوجاً رفيعاً، وقد كان هذا الامبراطور يحدق في جبل لبنان تحديق طامح الى اقتراع هضبه، طامع في ضمه الى ملكه ويؤنسه فيه وجود الطائفة المارونية الشديدة الاخلاص والتعلق بالدولة الافرنسية، فكان الفرنسيس لايفتأون عن بث روح الشتات والنزاع بين سكان الجبل، لعل لهم في نشوب حرب ضروس بين الدروز والنصارى سبيلاً الى احتلال لبنان ووضع سيطرتهم عليه».(29)

وأما كردعلي ابن دمشق فيقول:

«لم يبق شك في أن الدولة هي التي وضعت الخطة العوجاء لذبح النصارى ليتيسر لها أن تمتلكهم وتضعف من غلواء المسلمين أيضاً شأنها في معظم أحوالها في كل بلد نزلته.

والموارنة كالدروز لايخلون من المؤاخذة الشديدة، اغتر كل فريق بمن كان يزين له الشر ويحسن له العاقبة بعد ارتكابه فأتمر بما أمر به. فكان ذلك وبالاً عليه وعلى جاره، ولم يخسر الدافع لهما شيئاً. وماكان يخطر بالبال أن هذه الشرارة تسري الى دمشق مدينة التسامح واللطف».(30)

وهكذا تمكن الأمير من افساد خطط الجميع بتكتيكه الذكي المكون من النقاط التالية:

1- وضع ثقله المادي والمعنوي في مواجهة الجميع
2- اعلانه أن النصارى في حمايته
3- تجنيد عائلات دمشق الكبيرة معه
4- عزل الأكراد عن عرب دمشق
5- منع الدروز من الوصول الى دمشق
6- حماية مصالح الدول الأوروبية
7- اعلانه الاستعداد لقتال المهاجمين
8- عدم اساءته استخدام السلاح
9- بذله الكثير من الأموال للشخصيات المتنفذة

10- اجباره السلطة العثمانية على تغيير موقفها دون أن يظهر ضعفها.

طاش سهم الفتنة الذي راشته الدول الكبرى كل على طريقتها، واكتفت بأن تعلن بعض لبنان الذي كانت تحتله بشكل أو بآخر كمتصرفية شبه مستقلة.

ولم تجد هذه الدول مادام الأمير لم يسئ استخدام سلاحه، سوى أن تعترف بفضله، فطارت شهرته في الآفاق وانهالت عليه الرسائل والهدايا من أباطرة وملوك الدول الغربية: فرنسا، بريطانيا، روسيا، ايطاليا، بروسيا، اليونان والجمعيات المختلفة مثل الجمعية الماسونية، جمعية اعانة المصابين في البر والبحر، الجمعية الأمريكية الشرقية، ومن زعماء العالم العربي والاسلامي. ولعل من أطرف ماقرأته ويدل على أن شخصية الأمير طغت على شخصيات العالم في القرن التاسع عشر هو رغبة البرلمان اليوناني أن يكون عبد القادر ملكاً على اليونان.(31)

وأما السلطان العثماني عبد العزيز الذي قيل أن صراعه مع أخيه حول العرش كان واحداً من الأسباب الخفية لهذه الفتنة فإنه أغرق الأمير بالهدايا، خوفاً من أن يميل الى الدول الأوروبية التي أخذت بدورها تتقرب من الأمير لئلا يميل الى الدولة العثمانية فقد صار الأمير عبد القادر الملك الفعلي غير المتوج على العرب وهذا يخيف العثمانيين والأوروبين على حِد سواء لأنه يفسد خططهم في البلاد العربية، بل أن فرنسا خافت إذا ماصار للأمير شأن في المشرق أن يفتك منها الجزائر في المغرب.

**9- الأمير يرعى الفقراء ويشفع للمنفيين:**

بعد أن تمكن الأمير من حماية النصارى، وبالتالي ابطاله تصاعد الفتنة ومنعه الدول الأجنبية من التدخل، رغم أن الوالي خالف رأي مجلس الشورى بأن يقوم الأمير بقمع الفتنة قبل استفحالها، فإن الوالي الجديد فؤاد باشا سار في تنفيذ خطة الأستانة بتصفية كل خصومها النصارى والمسلمين وتدمير اقتصاد الشام كله، تحت ستار معاقبة أصحاب الفتنة. وكان المستفيد الأكبر من هذه الاجراءات اليهود الذين أيدوا إبادة النصارى ثم أيدوا قتل المسلمين وتدمير اقتصاد الشام.

وقد أعدم فؤاد باشا أكثر من مائة شخصية قيادية ونفى أكثر من مائة آخرين معظمهم من العرب «السنة».

ومن بين الذين تم اعدامهم: محمد قطنا، حسن البهنسي، صالح الأيوبي، مصطفى نصوح.

ومن بين الذين تم نفيهم الى قبرص: عبد الله الحلبي، عمر الغزي، محمد العظمة، أحمد الحسيبي.

ومن بين الذين تم نفيهم الى رودس: أحمد العجلاني، عبد الهادي العمري، علي العظم.

وتم سجن أعداد غفيرة من الناس ومن مختلف الأجناس، بحيث لم تتسع السجون،

فاستعملوا بيوت بعض أهالي دمشق كسجون مؤقتة.

وفي سعيها لتدمير اقتصاد الشام فرضت الأستانة عبر الوالي فؤاد غرامات باهظة جداً على المسلمين الذي اشترك منهم في الفتنة ولم يشترك، ولم يتم استثناء أحد سوى المهجرين الجزائريين.

وماكانت المقاصد من هذه الاجراءات لتخفى على الأمير فشمل برعايته حوالي خمسة عشر ألف مسلم من أهالي دمشق الفقراء واعتبرهم من رجاله، ويبدو أن هذا الإجراء لم يعجب فؤاد باشا ولا بعض الضالعين مع الحكومة إذ يقول الحسيبي:

«استثني السيد عبد القادر المغربي، حتى أنه صار كلما ذهب اليه انسان أعطاه ورقة بأنه مغربي، حتى صار عدد الذين ادعوا أنهم مغاربة خمسة عشر ألفاً أتباع السيد المذكور، وقد أغضب هذا الحكومة وصدر أمر من فؤاد باشا بعدم إعفاء إلا من يثبت أنه حقاً من المغاربة».(31)

هذا مع العلم أن الحسيبي نفسه أقر بأنه حين التجأ الى والده أحمد في دمشق، بعض وجهاء الدروز من لبنان هرباً من الفتنة، أرسل الأمير اليهم نقودا إذ يقول:

«وأرسل لهم في هذا الوقت السيد عبد القادر المغربي دراهم مقدار أربعة آلاف غرش لأجل الخرج -يقصد المصروف- وشراء الحوائج».(32)

وهذا يدل على أن موقف الأمير لم يتغير في مساعدة الذين تدهمهم الفتنة من أي طرف كانوا، لكن الذي تغير هو موقف الحسيبي حيث يبدو أنه كان ضالعاً في الفتنة. فسجنته الحكومة ثم وسدت اليه نقابة الأشراف، وهو الأسلوب الذي اتبعته مع أعوانها من الشخصيات في هذه الفتنة إذ كافأتهم بإسناد مناصب رفيعة لهم.

لكن مهما يكن من أمر فقد تمكن الأمير بعد حمايته للنصارى من انقاذ عدد كبير من فقراء دمشق من غرامات ثقيلة لايطيقونها.

ثم واصل مكرماته وغادر دمشق في 1865/4/22 وقابل السلطان عبد العزيز وشفع للمنفيين في قبرص ورودس فقبل السلطان شفاعته وأطلق سراحهم وفي ذلك يقول ولده محمد:

«ومن عناية السلطان به، وحسن التفاته اليه ماترك له حاجة رفعها الى أعتابه، إلا أمر بقضائها، على أكمل الوجوه. وفي جملتها، شفاعة في أعيان دمشق، الذين حكمت الدولة عليهم بالنفي، في حادثة دمشق، ونفوا الى قبرص ورودس. وصدرت الارادة السنية بتسريحهم، ورجوعهم الى أوطانهم».(33)

ويقول صاحب حلية البشر في ترجمته للأمير عن ذلك:

«وفي تلك الأيام قدم المترجم - يقصد الأمير عبد القادر - الرجا والشفاعة لحضرة أمير المؤمنين في تسريح الذوات الشاميين المنفيين الى قبرص ورودس فقبلت شفاعته وخرج الأمر العالي بتسريحهم».(34)

وقد اهتزت دمشق فرحاً لهذا الحادث ويبدو أن الناس منذ ذلك الوقت أخذوا يلقبـون الأمير عبد القادر باللقب الصوفي الغوث، بل ربما بدأوا يخاطبونه كسلطان لهم.

حيث نجد موشحاً نظمه بهذه المناسبة مفتي اللاذقية عبد الرزاق فتاحي الحسيني ومما جاء فيه:

مالي، إذا ماجفا الأحبابُ، أو بعدوا
سوى الأمير، الذي وافى به الرشد
السيد الشهم، عبد القادر، السند
مولى، غدا مدحه، في الكون عطريا
في فتنة الشام، كم ومن من الهم
حتى حكى صنعه، ناراً على علم
وقد حبته، ملوك الأرض، بالنعم
وللفخار، نياشينا، زهت زيا

* * * * *

بدر الجزائر، ذو العلا
من فاق قدراً، في الملا
مجر لوارد حلا
وفي العطا، مولى القنا

* * * * *

في فتنة الشام الشريف
قد سكّن الخطب المخيف
بحزمه الوافي المنيف
خف البلا، عن قطرنا

* * * * *

ثم انتفى العزم الوفي
لرد من منا نفي
فنجا حمى الليث الصغي
بدر الملوك عزنا

* * * * *

ندعوك رب العالمين
بالمصطفى طه الأمين
أيد أمير المؤمنين
سلطاننا، غوث الدنا

واحفظ له أشباله

وامنحهم اقباله

يسر له: آماله

وافتح له، يارينا

وقد أورد كل من البيطار والأمير محمد هذا الموشح، لكن محمداً يقول أن لفتاحي قصائد أخرى إذ يورد هذين البيتين:

لئن أنكر الوغد اللئيم صنائعا بدت بدمشق، من أمير الجزائر

فتلك لعمري سطرتها يد العلا على جبهة الدنيا، مدى دهر داهر

**10- التخوف من الأمير والكيد له:**

بعد هذا النجاح الفذ، بدأت الدول الأوروبية ترى في الأمير الرجل الذي يمكن أن يقضي على أحلامها في استعمار بلاد الشام بتزعمه حركة القومية العربية، فإما أن تستميله اليها وأما أن تحرض عليه الدولة العثمانية وتحذرها من خطر تزايد قوته، عليها.

لذلك بعد أن أوقف الصدر الأعظم قرار الوالي بتكوين قوة عسكرية جزائرية في دمشق، أمر الوالي بأن يسحب مالدى الأمير عبد القادر من أسلحة وأثبت الأمير للمرة الألف بأنه أذكى من أن تنطلي عليه ألاعيب الدول فقال بجرأة لاتخلو من التهديد:

«لن أنصاع لهذا الأمر أبداً إلا إذا أعلن فؤاد باشا بصورة واضحة أن رجالي وأنا شخصياً قد أسأنا استخدام أسلحتنا، في هذه الحالة فإني سأترك له الاهتمام بتبرير تصرفه أمام السلطات الأوروبية التي أيدت تصرفاتي». ويضيف تشرتشل:

«وتمكن عبد القادر بفضل الدعم القوي الذي أتاه من الأوساط النافذة من تجنب الاهانة التي خططها الأتراك بخبث الروح التي حركت فؤاد باشا والسلطات التركية عامة....

ويدأ جمع للأسلحة عام من سكان دمشق، وقد جمع فعلاً 600 بندقية عندما وصل الأمر الذي ذكرناه الى عبد القادر. وعندما لم ينجحوا بالحصول على أسلحة عبد القادر وجماعته أوقف الأتراك فوراً عملية نزع السلاح العام. واتضح أن هذا التدبير لم يكن سوى وسيلة لاذلال من دافع عن المسيحيين».(35)

لكن منذ ذلك الوقت أصبح الأمير يعاني معاناة حقيقية فكل الدول تظهر له الود.. وكلها تخفي له الحقد.. انها جميعاً تخشى أن يقود هذه الجماهير التي تحبه وتطيعه في المشرق العربي في ثورة تشبه تلك التي قادها في المغرب العربي، فتحطم أحلام الدول الأوروبية مغرباً ومشرقاً كما عبر عن ذلك يوسف كرم بدقة.(36)

وهنا لانجد مصدراً يحدثنا عن الجوانب السرية والخفية في علاقة الأمير عبد القادر بالأتراك والدول الأوروبية خلال الفترة 1860-1883. فحتى الآن لم ينشر أحد - في حدود اطلاعي - التقارير السرية التي كان يبعث بها قناصل الدول الأوروبية والولاة

ك الى قياداتهم.

لكننا نعلم أن تخوف هذه الدول كان شديداً ومتابعتها للأمير كانت شديدة، حتى أنه شك في مترجمه الفرنسي، وصرفه بالحسنى، وقد أشار القنصل البريطاني الى الأمير كزعيم لحركة زعماء الشام عام 1877.. لكن الأمير من ناحيته، وهو الذي علمته الحروب شدة الحيطة والحذر، كان على اطلاع بخفايا قصور بني عثمان.

ووجدنا في هذه الفترة أن الأمير يكثر من السفر، فزار مصر أكثر من مرة وكذا الجزيرة العربية، واستامبول وفرنسا وبريطانيا. وفي اعتقادي أن هذه الزيارات تستحق من الباحث العربي عموماً والجزائري خصوصاً تنقيباً ودراسة واسعة، فلا أعتقد أنها زيارات فرجة سياحية يقوم بها رجل صوفي.

ورغم أن الأمير كبر في السن (1807-1883) إلا أن هناك اشارة في كتاب ولده محمد تجعلنا نتساءل إذا ماكانت الوفاة طبيعية حقاً، إذ يؤكد ولده أن الأمير في فترته الأخيرة لم يعد يثق بالمحيطين به، خاصة في تناول الدواء في فترة مرضه، ولم يعد يتناوله إلا من يد ولده هذا.. ورغم أن محمد يعتبر ذلك من رضا والده عليه ولا يعزوه لشيء آخر.. لكننا نعلم أنه كان للعثمانيين جنودهم في العسل، خاصة وأن العلاقة مع حمدي والي دمشق لم تكن ودية منذ سنوات قبل وفاة الأمير.

**11- اخماد فتنة حوران:**

يسكن قسم من الدروز منذ قرون طويلة في منطقة حوران جنوب سوريا ويمتدون الى منطقة الأزرق في شمال الأردن، ويتزعمهم في هذه المنطقة آل الأطرش وقاعدتهم بلدة السويداء في جبل يدعى جبل العرب حينا وجبل الدروز حيناً آخر، وفي هذه المنطقة كانوا يهاجمون دمشق خاصة خلال فتنة 1860 حيث منعهم عساكر الأمير عبد القادر من الوصول الى حاضرة بلاد الشام، وازدادت منذ تلك الفتنة أهمية هذا الجبل بالنسبة لهم حيث التجأت اليه عائلات درزية من جبل لبنان. وظل الدروز يكنون منذ ذلك الوقت احتراماً وتقديرا كبيرين للأمير وللمهجرين الجزائريين مثلهم في ذلك مثل المسيحيين والمسلمين.

وكانت منطقة حوران منطقة اضطرابات فلاحية ضد السلطة العثمانية التي كانت تشجع العشائر والقبائل العربية فيها على غزو بعضهم البعض إضعافا لشوكتهم، ولإحكام قبضتها عليهم في الوقت المناسب. خاصة وأن في حوران عشائر عربية نصرانية تسكنه منذ عهد الغساسنة العرب الشوام قبل الاسلام، ولازال الدروز يحملون الشحناء لكل نصراني.

وفي مطلع القرن العشرين بدأت الجمعيات السياسية العربية في دمشق تمتد الى جزيرة العرب عبر جوران المعادي للدولة العثمانية سواء في سهوله الذي يتزعم القبائل فيه عائلة المقداد أو في جبله الذي يتزعم قبائله عائلة الأطرش التي لاتخفي عداءها

للأتراك. فرأت تركيا بعد مد خط سكة حديد الحجاز الواصل بين دمشق والمدينة المنورة أن الوقت قد حان لضرب هاتين العائلتين العربيتين ببعضهما ولضربهم جميعاً بالعشائر النصرانية في المنطقة. وكان لديها من الولاة من هو مختص في اثارة الشغب وضرب العناصر ببعضها، وقد فعل ذلك بنجاح كبير في دمشق نفسها وفي مكة أيضاً.. فعينت هذا الوالي الخبير مرة ثانية في دمشق ليثير الفتنة في حوران. وقال صاحب منتخبات التواريخ لمدينة دمشق:

«وفي سنة 1311 عين عثمان نوري باشا والياً على دمشق والمرة الثانية وهذا الأعرج هو صاحب الوقائع والاختلافات مع أشراف مكة حين كان والياً بها وفي أيامه انتفضت حركات الدروز العدوانية بين قبائلهم وزعمائهم ضد مأموري الحكومة بأسباب سوء تصرفهم وادارتهم في تلك الأصقاع وامتدت تلك الحركات وتعاظمت فلجأت الحكومة الى سوق الجيوش لتأديبهم وارجاعهم الى الخضوع والطاعة وعينته قائداً لتلك الجيوش وكان لهذا الوالي طرق غريبة في الرشاوى واستخراج أموال الناس واحتيال عجيب على الأغنياء فجمع بتلك الوسائط أموالاً طائلة».(37)

وقد أعلن هذا الوالي أن الحكومة تريد احصاء النفوس وتثبيت الحالة المدنية واجراء اصلاحات في هذه المنطقة، وفي نفس الوقت أشاع رجاله بأن المقصود هو أخذ الشباب الى الخدمة في الجيوش العثمانية في أوروبا.. وأن الدروز يؤيدون الدولة في ذلك، فما كان من قبيلة المعجل الحورانية إلا وأن اعتدت على الدروز فرد الدوز بالمثل واتسع الخرق، فهجمت الدولة بجيشها ونهب قائده وواليه المنطقة فزادت فقرا واضطرابا ويقول محمد كردعلي:

«وفي سنة 1324هـ اعتدى دروز حوران على عرب المعجل فغزا الدروز المعجل في النقرة من حوران فقتل المعجل منهم نحو سبعين رجلا ثم اعتدى المعجل على قافلة درزية وقتلوا رجلاً من أكابر بيوتهم بالقرب من براق، فهاجمهم الدروز في ضمير من مرج الغوطة وقتلوا نحو أربعمائة من العرب، وأبقوا على النساء، وفي سنة 1328 غزا دروز حوران جيرانهم أهل قريتي معربة وغصم وسكانها مسلمون ونصارى على أثر خصام وقع بين نواطير القرية ونواطير بصرى على الكرم فقتلوا 59 رجلا وامرأة عدا الجرحى ونهبوا القسم الأعظم من قرى السهوه وجيزة وسماقية وطيسة، فأرسلت عليهم الدولة حملة مؤلفة من ثلاثين ألف جندي بقيادة سامي باشا الفاروقي فضربهم ضربة خفيفة قتل فيها زهاء ألف رجل منهم ونحو مئة وخمسين من الجند وأحرقت بعض القرى ولاسيما الكفر أهم موقع حربي في الجبل وحواليها دار معظم القتال، وغنم الجند والضباط مافيها من متاع وحلي وأرزاق مما حشره الدروز فيها من أنحاء الجبل ولم تستفد الدولة من هذه الحملة إلا احصاء نفوس الجبل، واستأمن الدروز فحكم على بعض زعمائهم وأشقيائهم بالصلب فصلبوا في دمشق وجند بعض شبابهم وعفي عن بعض

تمجرمين وجرم بعض الأبرياء وهكذا جرمت الدولة والأمة حتى امتلأ صندوق القائد فيما يقال ولم تنفذ خطط الاصلاح التي وضعت على العادة في كل مرة، ومنها مايرضى به الدروز لكن تطبيقه يحتاج الى اخلاص وحكمة، وقد أبان الدروز في هذه الحرب شأنهم في أكثر حروبهم وغاراتهم عن مهارة في الفنون الحربية وشجاعة متناهية».(38)

ويبدو أن الحملة التركية هذه وإن دمرت البلاد والعباد على الصعيد الاقتصادي والبشري، إلا أنها على الصعيد السياسي كادت ترتد على الدولة العثمانية، ولما كانت هذه الدولة تعلم أن الدروز يكنون احتراما لعائلة الأمير عبد القادر منذ عام 1860 فإنها طلبت من ولده الأمير علي نائب دمشق في البرلمان العثماني أن يتدخل لحل هذه القضية، وجاء ذلك الطلب في برقية بعث بها والي دمشق الجديد ناظم الى الأمير علي، وجهدت الحكومة التركية في اخفاء طلبها هذا من الأمير علي عدة سنوات، وتقول البرقية المؤرخة 30 مارت 1325 حسب التقويم الميلادي الشرقي المتتبع آنذاك والموافق 30 مارس 1911 حسب التقويم الميلادي الغربي المتبع اليوم، مايلي:

«كنت بينت لسموكم شفاها حادثة بصرى اسكي شام التي قتل فيها أشقياء الدروز اثنين من الجنود ونهبوا بندقيتهما وأصابوا بعض تجار الشام الذين فتحوا حوانيتهم في الضاحية المذكورة بالأذى وسلبوهم أشياء تزيد قيمتها على ستة آلاف ليرة فالمرجو من الأمير وقد عهدناه بارا بمصالح الأمة أن يبذل همته في استرداد مانهب وفي السعي باعادة السكون والهدوء - والي الولاية ناظم».(39)

ويبدو أن الأمير علي كان مترددا في الدخول في هذه الوساطة، وقد بدأت العلاقة بينه وبين تركيا أقل مودة، بعد مواقفها من أطماع ايطاليا في ليبيا، قبل أن يعرف نوايا الدول خاصة فرنسا وتركيا ولهذا «... اتصل بالقنصل الفرنسي في دمشق ليبلغ السفير الفرنسي في استانبول للتأكد من الأخبار التي تنوي الدولة أن تقوم بها ضد الدروز ..».(40)

ويبدو أن الأمير علي قد فهم بأن الصدر الأعظم «رئيس الوزراء» يخطط لحملة ابادة نهائية لكل من الدروز الذين تؤيدهم بريطانيا والحوارنة الذين يتصلون سرا بالوهابيين منذ احتلال ابراهيم بن محمد علي لمنطقتهم وثوراتهم المتعددة ضده.

وفي ليلة الأول من ابريل نيسان سافر الأمير علي الى جبل الدروز والتقى بزعماء الجبل وشرح لهم الظاهر والمستتر واستعدوا للصلح مع عائلة المقداد بسرعة مدهشة، حيث يبرق الأمير علي للوالي بالنص التالي المؤرخ 1325/4/1م ش.

«أمس ليلا عكفت على متابعة السفر حتى وصلت الى قرية عره وهنا التقيت بالزعيمين الدرزيين يحيى وحمود فأبلغتها النصح وزودتها الإرشاد ثم بعد هنيهة أقبل الروساء الى حوالي القرية وبما بذلته من النصائح المؤثرة تمكنت من اعادة السلام ونشر الهدوء.. الخ».(41)

وقد عقد الأمير علي عدة اجتماعات مع رجال المنطقة من دروز وحوارنة مسلمين ونصارى وتمكن من عقد الصلح في نيسان ابريل من ذلك العام ووفى الطرفان بتعهداتها له، على أن تفي الدولة العثمانية بتعهداتها في اصلاح المنطقة وتمدينها، لكن الدولة العثمانية لم تلتزم بما تعهدت به للأمير علي وأبلغه لهم.. فزاد هذا في عوامل ابتعاده عن الدولة العثمانية وانضمامه مع ولده عبد القادر وشقيقه عمر الى العربية الفتاة، كما سنذكر في بحث آخر.

**12- إخماد فتنة الكرك:**

وأما لواء الكرك الواقع جنوب الأردن والقريب من القدس على طريق المدينة المنورة، فكان الصراع حوله شديداً فتركيا تريد تشديد قبضتها عليه للسيطرة على الحجاز وصولا الى منابع النفط التي بدأت تظهر في مناطق الخليج العربي، واقترابا من قناة السويس «خليج العقبة» وبريطانيا وفرنسا تريدان ابعاد العثمانية عن مصر والسويس والبحر الأحمر كله بما فيه خليج العقبة، وعن الجزيرة العربية، فتحالفت بريطانيا مع الوهابين (آل سعود) ومع أشراف مكة كل على حدة، وتحالفت فرنسا مع بعض المسيحيين البدو في الكرك.

ويبدو أن لواء الكرك كان يعاني من الحرمان والاضطهاد مايعانيه لواء حوران ومأوجب ثورة الفلاحين هناك، رغم استغلال الدول لحالة الفلاحين البائسة هذه، فقد كتبت المقتبس في 1909/7/4 على الصفحة الثالثة من عددها 168 تحت عنوان حالة الكرك مايلي:

«لايخفى أن لواء الكرك الواسع الأطراف المؤلف من أربعة أقضية تمتد من الشمال الى الجنوب وهي السلط والكرك والطفيلة ومعان فالثلاثة الأخيرة تألفت فيها الحكومة في أواخر سنة ثلاثمائة وتسع مالية وكانت في يد مشايخها منذ قرون عديدة والحكم لمن غلب. ولذا كان أهلها في حرب دائمة وقتال متواصل حتى افنى بعضهم بعضا قراه خرابا ومزارعه بلاقع وعمرانه قاعا صفصفا وبالجملة فلا يقع نظر الانسان هناك إلا على أطلال باليه وآثار دائرة على تاريخ زاهر وبهذه الأسباب اجتثت شجرة العلوم والمعارف من أصلها وأصبحت لاعين ولا أثر حتى أنك لتعد الذين يعرفون الكتابة بأضعف صفاتها على الأصابع إلا أنهم حفظوا لأنفسهم الشهامة العربية والحمية الوطنية ولما أراد الله تعالى تأليف اللواء على يد حسين حلمي باشا الغني بشهرته عن كل ثناء واطراء قابل الأهلون النعمة بالشكر وأدوا للحكومة مقاليد الطاعة حتى أنهم كانوا ولم يزالوا للحكومة أطوع من البنان للانسان وهذا شاهد لايحتاج لبيان.

فمن كان هذا حالهم وهذا شأنهم أفلا يجب الاعتناء بهم وأن يعين لهم رجال أكفاء صالحون مصلحون غذوا بلبان الأداب واكتحلوا باثمد - كذا في الأصل - المعارف العصرية فيديرون شؤونهم بالعدل ويوردونهم مناهل الأخلاق الفاضلة ويدلونهم على كيفية

استخراج الكنوز الأرضية من معادنها الطبيعية وينظرون في أسباب ترقي المعارف وليت شعري من يقوم بهذه الأعمال والحكومة اليوم بأيدي رجال بعيدين عن الكفاءة وقد أصبح شغلهم الشاغل معرفة مخابر المقتبس لينتقموا منه فإن قلت أن الأحرى بهم النظر للمقال إلا الى من قال فيصلحوا فاسد الأعمال قلت أن العمل نتيجة العلم والمتصرف أمي تقريبا وقد سلم مقاليد الأمور للمحاسب ولا هم له الآن إلا معرفة المكاتب وتأليف هيئة جركسية – لاحظ جركسية والجركس أو الشركس هم من مهاجري القفقاس بعد الاحتلال الروسي لها – والاستبداد في طبعه فقد حبس أحد المأمورين لأنه قال القانون يقضي بيني وبين غريمي ولما كانت المحكمة لا رئيس لها وحضرة معاون المدعي العمومي مع ماعرف به من الاستقامة يعد نيل رضى المتصرف شرفا ولذلك صرف النظر. وقد ألغى بتشويق المحاسب نادى الحرية لأن أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي تلا خطابا انتقاديا ولقد سمعت المحاسب مرة يهزأ بمن يشجع الناس لفتح النادي وبقائه والمحاسب الموما اليه من أساطين الاستبداد مدمن على الشرب ومعرفته بأمور المالية لاتكفي لوظيفته وقد عزل ونصب غير مراع لقانون ولا ملتفت لنظام ولكن لأسباب يعلمها الله حبس رجلا من أعيان الحوايدة يقال له الشيخ علي الونسي نحوا من ثلاثين يوما حتى إذا استقرض المسكين من أحد التجار مائتين وخمسين ريالا بسند مصدق من محرر المقاولات أطلق سبيله ولا يعلم أين ذهبت تلك الدراهم...».(42)

وكما هي عادتها، أثارت تركيا العشائر على بعضها والمسلمين على المسيحيين قبل أن يتحدوا ويثوروا ضدها، أثارتهم بنفس الحجج التي ساقتها في حوران، ويقول الحصني:

«وقام الكركيون باديهم وحاضرهم – لاحظ باديهم وحاضرهم – وأطالوا يد الاعتداء والنهب والسلب على التجار والموظفين والحامية ولو لم يلجأ الموظفون مع عيالهم الى قلعة الكرك الحصينة التي هي داخل البلد ويبقوا فيها عشرة أيام ريثما وافاهم المدد من الشام –يقصد دمشق– لكانت قضت الثورة عليهم جميعا، وقد اختلفت الأقوال بعدد من هلك في الفتنة المذكورة من التجار والضباط والموظفين والجند ممن كانوا يتجولون في الأرياض لاتمام أعمالهم، وقد حرقت نيران هذه الفتنة الأماكن الأميرية كلها ونهبت دور الموظفين وأحرق قسم منها وخرب قسم عظيم من المدينة باطلاق القنابل وأفواه المدافع عليها من القلعة وقطع العصاة الغجرة السلاسل والأسلاك البرقية وهاموا على وجوههم في البراري والجنود يتأثرونهم في السهل والوعر».(43)

لقد بدأت انتفاضة فلاحية أخرى في الكرك ضد الحكومة العثمانية فعلا، لكن ثمة يد تدخلت لتحولها ضد المسيحيين وخاصة يد المبشرين الأوروبيين.

ويقول محمد كردعلي في خطط الشام ج3 ص110:

«وأرادت الدولة في تلك السنة أن تحصي نفوس لواء الكرك هذه كما أحصت

كان لواء حوران، فانتفض أهل الكرك على الدولة لأنهم بادية على الأكثر والبادية تخاف الجندية أكثر مما يخاف منها أهل المدن والمزارع لأن عهدهم بالحكومة حديث وصعب التأليف بين طبائعهم ومعاملة الموظفين الفاسدين وكان لواء الكرك أسس في سنة 1311هـ على سيف البادية بين الحجاز والشام، وقد ثبت للدولة أن المرسلين يعملون بنشاط لتنصير تلك الأصقاع وكان ذلك من قبل بعيداً عن كل سلطان».(44)

ويعلل كردعلي وقوف القناصل موقف المتفرج بقوله:

«ولم يتدخل قناصل بعض الدول لمأرب لهم، كان يكون في القتلى بعض النصارى أو أن تقضي السياسة بأن يوجدوا مسألة جديدة تحب دولة ذاك القنصل استثمارها في دار الملك».(45)

ويبدو أن أثر الثورة امتد الى معان التي نصفها يتبع الشام ونصفها الآخر يتبع الحجاز، إذ ينص د. علي سلطان عن فتنة الكرك هذه ويسميها ثورة أيضاً بمايلي:

«حدث ذلك في ديسمبر /كانون الأول/ 1910 أي في الشهر التالي لتمرد الدروز وجاء في تقرير لقنصل فرنسا في القدس وصف أكثر دقة عن هذه الحوادث فقال: جاءت حملة الفاروقي على الدروز متأخرة ولهذا لم يقتنع البدو المنتشرون من المدينة المنورة الى الكرك شرق البحر الميت بجدية الدولة وكان دافع عصيانهم هو رفضهم للاحصاء الذي كان يعتقدون أنه سيؤدي الى تجنيدهم مما جعل السلطة تتظاهر بمحاولة اخضاعهم، ولهذا ثاروا وقتلوا الجنود، وقطعوا خطوط البرق، ودمروا السكة الحديدية وقتلوا موظفيها وبعض المسيحيين من الجوار، وكان المسيحيون خائفين يتوقعون المذابح.

الى أن يقول: «وعندما بلغ خبر الثورة الى مسامع سامي باشا الفاروقي استعد بتسعة الوية لمقاتلتهم وأقسم «بعد مقتل الجنود في الكرك» بأنه سوف يقتل الترك المسلمين والمسيحيين حتى يعلم (هؤلاء) حسب رواية قنصل فرنسا في القدس كيف يكونون مخلصين للدولة والترك فيها ستة آلاف ثلثهم مسيحيون ارثوذكس والحقيقة حسب رأي القنصل أن المسيحيين لم يشتركوا في الثورة وفي تقرير لقنصل بريطانيا في دمشق أن سبب الثورة هو رفض الدولة أن تدفع لهؤلاء البدو حراسة الخط الحديدي والحقيقة أن الثورة لم تكن مقصورة على الكرك لأن قبائل عطية بين معان وتبوك حاصروا معا ودمروا السكة الحديدة لمسافة 300 كيلومتر والسبب في ذلك هو سبب الثورة نفسه في الكرك وهو رفض دفع الضريبة للدولة».(46)

ويبدو أن تدخل الأمير علي وشقيقه الأمير عمر لم يكن هذه المرة بطلب من الحكومة التركية، بل بمبادرة من مسيحيي الكرك الذين شعروا أنهم في عزلتهم في تلك الصحراء لابد وأن يبادوا سواء على يد الحكومة أو البدو كما يبدو أن عقلاء الكرك من الطرفين شعروا بخطة الحكومة إذ يقول بيتر جوبسر:

«وعندئذ طلب شيوخ الكرك الى عودة القسوس، وهو مسيحي متعلم ومرموق من

الهلسا، أن يذهب الى دمشق ويعرض قضيتهم على الوالي».(47)

وهنا يقابل القسوس الأخوين الأميرين علي وعمر فيتدخلان وينهيان هذه الفتنة التي كانت ستنتهي بذبح كل المسيحيين في الكرك إذ تقول مارسيل بروفنس عن الأمير علي: «كان له ولأخيه الأمير عمر رحمه الله أجمل الأيادي على المسيحيين الذين كانوا سنة 1910 مهددين بالذبح في ضاحية الكرك بجانب القدس الشريف وقد وقف الأميران حول هذا الأمر وأوقفا ضرره بفكرة وقادة وذهن مستنير».(48)

ولعلنا نقول هنا من باب الاستطراد أن ثمة عائلة في الكرك تعود أصولها الى المغرب العربي كانت تدين بالولاء سراً الى الأمير علي، لأنها جاءت مع حملة ابراهيم باشا كعساكر في جيشه.. لكن أهل الكرك أطلقوا عليهم اسم «العبيد» بفتح العين، وظلوا يرفضون هذه التسمية الى أن رفعوا دعوة ضد أهالي الكرك أمام السلطات الأردنية في الثمانينات(49) وطالبوهم أن يثبتوا أن أياً من أجدادهم كان عبداً لجد أي منهم.. ولما لم يثبت ذلك أعيد اعتبارهم وهم يسمون الآن عشيرة «المغاربة» ويكن لهم أهالي الكرك من مسلمين ومسيحيين كل احترام تقديراً لفضل الأمير علي وعمر في انقاذ المنطقة من تلك المذبحة التي دبرتها تركيا من جهة والقنصل الفرنسي في القدس من جهة ثانية.

## الهوامش والمراجع

1. علوش، ناجي: أبو الطيب المتنبي، دراسة في هويته وشعره والمختارات. ط1 بيروت 1993 ص284.
2. الجزائري، الأمير محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر. شرح وتعليق الدكتور ممدوح حقي. طرح دمشق 1964 ض115 ومما يذكر أن محمد بن الشريف تلقى تعليمه الأولي على يد محي الدين بن المصطفى والد الأمير عبد القادر.
3. نفسه ص117.
4. نفسه ص116.
5. يكثر الأمير عبد القادر في مذكراته وفي أوامره وفي أشعاره ومحاوراته من ذكر العرب، ولايفرق بينهم وبين الأمازيغ، بينما نجده قد فرق بينهم وبين المسلمين الآخرين حتى أمام السلطان العثماني عبد المجيد حين امتدحه بقصيدة قال فيها:

فالمسلمون، بأرض العرب، شاخصة أبصارهم، نحوه يرجون اقبالا

و قد خصص فصلا في مذكراته تحدث فيها عن فضائل العرب/أنظر مذكرات الأمير عبد القادر/الجزائر، ط2 1995، ص90-92.
6. الجيلالي محمد عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام - بيروت 1980، ط4،ج4، ص156.
7. اتفق معظم المؤرخون الأجانب و العرب على عروبة البربر الأمازيغ، و ظهرت الكتابات التي تحاول الفصل بينهم بعد عقود من الإحتلال الفرنسي لأسباب استعمارية بحتة لا صلة لها بالتاريخ.
8. قصة المدرسة الأشرفية صارت قصة مشهورة وذكرتها العديد من المصادر ومنها تحفة الزائر المشار اليه ص609 والطريف أن يوسف بدر الدين هذا أصله من سبتة بالمغرب، قدم الى الشام من مصر وصار ولده الشيخ بدر الدين الحسني هو محدث الشام الأكبر، وله اسهامات في حركة الثورة العربية، خاصة في اليمن، وأما حفيده تاج الدين الحسني، فيعتبر أول رئيس للجمهورية السورية وهو الذي أمضى وثيقة استقلالها عن فرنسا.
9. راجع ترجمة الخالدي في حلية البشر، وفي روض البشر.
10. التميمي، د. عبد الجليل: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي.
11. الكيالي: الموسوعة السياسية.
12. نفسه ص 523.
13. الصلح، عادل: سطور من الرسالة، ط1 ص72، تاريخ حركة استقلالية قامت في

المشرق العربي سنة 1877/ بيروت 1966.
14.زكار، د. سهيل: بلاد الشام في القرن التاسع عشر، ط1 دمشق 1982 ص246.
15.نفسه ص249.
16.نفسه ص381.
17.نفسه ص249
18.الجزائري، الأمير عبد القادر: مصدر سبق ذكره ص633.
19.البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ط2 بيروت 1993 ج1 ص264.
20.زكار، د. سهيل: مصدر سابق ص382.
21.نفسه ص248.
22.نفسه ص251.
23.نفسه ص259.
24.الجزائري، الأمير عبد القادر: مصدر سابق ص635.
25.نفسه ص636.
26.الزواوي، أبو يعلى: تاريخ الزواوة / دمشق 1314هـ، ص 97.
27.زكار، د. سهيل: مصدر سابق ص373.
28.نفسه ص319.
29.كردعلي، محمد: خطط الشام، ط3 دمشق 1983، ج3 ص82.
30.نفسه ص 373.
31.زكار، د.سهيل: مصدر سابق ص313.
32.نفسه ص288.
33.الجزائري، الأمير محمد بن عبد القادر: مصدر سابق ص719.
34.البيطار، عبد الرزاق: مصدر سابق ص819.
35.تشرشل، هنري: حياة الأمير عبد القادر. نسخة عن الآلة الراقنة موجودة في مكتبة الأسد بدمشق، ترجمة جبرائيل البيطار، ص300.
36.أفردنا حيزاً آخر لعلاقة يوسف كرم بالأمير عبد القادر فلينظر.

## ثانيا: إسهامهم في الوعي العروبي و التحرر من الإستعباد التركي

**مدخل:**

لم يكن الأمير عبد القادر الجزائري ولا رجال دولته سواء ممن سبقوه الى الشام أو ممن التحقوا به في مابعد، واهمين في الدوْلة العثمانية، ومواقفها، سواء من طريقة الحكم التركي للجزائر، أو من قضية احتلال الجزائر، أو من مساندة مقاومة الشعب الجزائري الطويلة للاحتلال، وسواء من مواقفها تجاه محمد علي في مصر أو الشام، أو حتى من قضية تحديث وتطوير البلدان العربية التي كانت سبب اعجاب الأمير عبد القادر بمحمد علي.

لكن الأمير كان يفرق بدقة بين دولة مسلمة كالدولة العثمانية ودولة غير مسلمة كالدولة الفرنسية، وكان الأمير يعلم الفرق داخل الدولة العثمانية بين السلطان عبد المجيد الذي ربطته به صداقة متميزة، ثم عبد العزيز وبين حكومة هذه الدولة التي بدأت تسيطر عليها النزعة الطورانية والاستعمارية. وليس في سيرة الأمير عبد القادر مايوحي بود كبير لهذه الحكومة، بينما نجد الكثير من الود بينه وبين السلاطين.

وفي نفس الوقت نجد الأمير يعرف الفرق بين العرب والأتراك في هذه الامبراطورية العثمانية الواسعة الأطراف التي تزداد تخلفاً يوماً بعد يوم.. لذلك وجدناه في الشام أكثر التصاقاً بالعرب وأكثر وداً مع السلطان، متجاوزاً ليس الولاة المتعاقبين على الشام وحسب، بل الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) نفسه.

لقد كانت اعادة الود بين العرب وتركيا بوجود الأمير عبد القادر في الشام تحتاج الى خطوة واحدة تخطوها الدولة العثمانية، وهي تنصيب الأمير عبد القادر والياً على الشام، خاصة بعد 1860.. لكننا لانجد حتى الآن في المصادر التي بين أيدينا أن أحداً في الدولة العثمانية فكر في ذلك، مع أن مصلحتها الظاهرة فيه بعد أن أثبت الأمير قدرته على الادارة وتطوير البلاد كرجل دولة رفيع المستوى، لكن يبدو أن الدولة العثمانية رغم تملقها الشديد للأمير، كانت ترى فيه خطراً على سلطتها في البلاد العربية التي أصبح بفضل صفاته كمجاهد، ورجل دين، وتسامح، وحس عروبي، زعيم هذه البلاد في المغرب والمشرق.. وربما هذه السمعة المتزايدة هي التي أبعدت هذه الفكرة عن أذهان الحكومة العثمانية، رغم الفشل الذي أظهره ولاتها على الشام ورغم تزايد الكراهية في صفوف العرب مسلمين ومسيحيين للحكم التركي بمجمله.

لكن العرب في هذه المنطقة فكروا ملياً في الأمر وعرفوا أن العلاقة بين الأمير عبد القادر والدولة العثمانية هي احدى تعبيرات التململ والنهوض والمواجهة التي تعيشها القومية العربية الحديثة، فالفتنة الطائفية في لبنان ودمشق لم تذهب بلا دروس وعبر، ودروس الأمير ورجال دولته في مساجد دمشق لم تذهب سدى، وتثمين الدول الأوروبية

للأمير لم يكن له أن يمردون استثمار..

فبعد فتنة 1860 وما تبعها من اجراءات عثمانية ضد قيادات المجتمع في سورية، أدرك الناس صحة موقف الأمير عبد القادر فقد طال القمع التركي قيادات العنصر العربي من جهة ووافقت الآستانة على سلخ جزء من لبنان من جهة أخرى، تكراراً لما فعلته مع منطقة المحمرّة جنوب شرق العراق حين سلمتها الى ايران في القرن السابق، وبالتالي انكشف أمر الجمعيات والارساليات الأوروبية في لبنان وتغطيها بالفكرة العربية، وانكشفت في دمشق أهداف السلطنة العثمانية وتغطيها بالدين.

وهكذا التفت جميع القوى الأساسية حول الأمير سواء كانت من المسلمين بشتى مذاهبهم أو من المسيحيين خاصة من الموارنة في شمال لبنان، حيث قامت فرنسا بنفي زعيمهم داعية العروبة يوسف كرم الى الجزائر، وانشق الصف الماروني نفسه بسبب الآلاعيب الفرنسية، فموارنة الشمال لهم مواقف تجاه القومية العربية تختلف عن موارنة زحلة والبقاع الذين زادوا التصاقاً بفرنسا.

والى ذلك كان الأمير ومجموعته يبثون الوعي العروبي في المساجد والمدارس، لكن الأمير بدأ يفقد أفضل رجالاته من المهجرين الجزائريين. إذ شهدت الفترة وفاة العديد منهم، غير أن طبقة ثانية من المريدين الشوام والجزائريين كانت تشربت أفكار الأمير الدينية والقومية وأساليبه في العمل السياسي المنظم. وبدأ الوعي القومي العربي يتجه الى الأساليب العملية والموجهة ضد الحكومة الطورانية دون محاولة الاساءة الى السلطان نفسه.

ولعل أولى هذه الأساليب رفض الشوام المشاركة في عام 1872 في الجيش الذاهب لاحتلال اليمن حيث يقول صاحب يقظة العرب:

«كان احتلال الجيوش العثمانية لتلك الولاية مرة ثانية سنة 1872 بداية لعهد من العداء بين الترك والعرب طويل كثير النفقات».(1)

وهكذا بدأ عرب الشام منذ 1856 يعلون شيئاً فشيئاً من جسارتهم ضد الأتراك الذين عادوا الى البلاد بتدخل الدول الأوروبية ضد وحدتهم مع مصر محمد علي وفصل هذه الوحدة عام 1840. الأمر الذي تكرر عام 1961 أيضا.

**أ- الأمير الجزائري ملكاً على الشام ورئيساً لحزب مصر الفتاة:**

في القرون الخوالي بايع أهل المغرب العربي «الأمازيغ» الزعيم الأموي الهارب اليهم من دمشق أميراً عليهم فأسس الدولة الأموية في المغرب العربي والأندلس، تلك الدولة التي قدمت للحضارة البشرية ولأوروبا الشيء الذي لم يستطع أحد نكرانه.

وفي عام 1877 للميلاد كادت تتكرر الحكاية بطبعة مشرقية! إذ عقد القوميون العرب مؤتمرين سريين في كل من بيروت وصيدا وتدارسوا أمر انفصالهم عن الدولة العثمانية وتأسيس دولة عربية مستقلة، وكان هؤلاء من الوجهاء الذين ليست لهم أدنى

علاقة بالارساليات الأوروبية أو الجمعيات الثقافية، ومنهم أحمد الصلح، محمد الأمين، علي عسيران، علي الحر، شبيب الأسعد وغيرهم. ولعل عدم وجود علاقة لهم بهذه الارساليات هو السبب الذي جعل مؤرخي الاستعمار وتلاميذهم العرب يقفزون عن هذه الحركة الاستقلالية العربية ويحاولون طمس معالمها البالغة النقاء والشفافية.

ثم قرر هؤلاء عقد اجتماع موسع في دمشق يضم القيادات الدمشقية لتدارس الأمر وبالفعل عقد المؤتمر على الأرجح في منزل نقيب الأشراف بدمشق الشيخ تقي الدين الحصني وقرروا ترشيح الأمير عبد القادر لقيادة حركتهم ويكون ملكاً على البلاد الشامية، وذهبوا اليه في قصره بضاحية دمر فوافق على العرض من حيث المبدأ. يقول قدري قلعجي:

«وقد اتصل أحمد الصلح بعدد كبير من زعماء سورية وتنادى الجميع الى عقد مؤتمر في بيروت، ثم تلاه مؤتمر ثان في دمشق. وقرر المؤتمرون العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية وترشيح الأمير عبد القادر الجزائري ليتولى الملك على هذه البلاد».(2)

ويقول د. عبد العزيز الدوري في كتابه التكوين التاريخي للأمة العربية عن هذه الحركة وموقف الأمير منها:

«اتجهت الحركة الى استقلال سورية في حالة تعرض البلاد لخطر استيلاء دولة أوروبية وبخلاف ذلك يكون الاتجاه نحو الحكم الذاتي في اطار الدولة العثمانية. ورأت الحركة في الأمير عبد القادر رئيساً للدولة الجديدة.

وقد قبل الأمير من حيث المبدأ برنامج الوجهاء ولكنه نصح أن يؤجل الموضوع الى أن يتعين كيف ستخرج الدولة من الحرب، كما أن يوسف كرم الذي كان يعيش في أوروبا تبادل رسائل مع الأمير عبد القادر حول مشروع سياسي يبدو وكأنه يتلائم مع مشروع الوجاء. وهكذا يبدو أن حركة الوجهاء سارت على أسس وطنية لا طائفية، وأنها تحركها الفكرة العربية.(3)

ويقول محسن الأمين في ترجمته لمحمد الأمين في كتابه الشهير أعيان الشيعة:

«وحدث خبير أن سبب نفيه الى طرابلس أنه اجتمع جماعة من عظماء سورية منهم المترجم وأحمد باشا الصلح وغيرها وقرروا إنشاء دولة عربية واختاروا لها الأمير عبد القادر الجزائري وخابره بذلك واجتمعوا وكانت كتب السيد محمد الأمين ترد اليه في دمشق ويكتب في أعلاها دار الامامة فعلمت بذلك الدولة العلية فكان سبب نفيه الى طرابلس».(4)

وأما المؤرخ الشيعي الآخر محمد جابر آل صفا فيقول أن ذلك المؤتمر كان «أول مؤتمر اشترك فيه الشيعيون للنظر في استقلال سورية وفصلها عن جسم المملكة العثمانية، عقد سرا في دمشق... وقد أقر المؤتمرون اختيار الأمير عبد القادر الجزائري نزيل دمشق أميرا على سورية ونقل القرار للأمير المغفور له أحمد باشا الصح الذي كان

يمثل مسلمي الساحل».(5)

أما السني عادل الصلح فيقول في كتابه (سطور من الرسالة):

«لقد اختار أهالي الديار الشامية الأمير عبد القادر الجزائري ليكون رأس حركتهم ورئيساً للدولة التي عزموا على انشائها وذلك لشرف نسبه ولأنه بطل قومي مجاهد وسياسي قدير فذ، ورجل علم وأخلاق ومكارم، ولأنه سبق أن أنشأ دولة عربية قوية في بلاد المغرب الأوسط وناضل في الدفاع عنها ضد الاستعمار نضالاً كان أسطورة ذلك الجيل وآيته وأعجوبته، واحتل بذلك في الأمة العربية مرتبة عز نظيرها.

ويضيف الصلح:

وقد اصطفاه أهل الديار الشامية دون أن يخطر لأحدهم أنه ليس من أهل المشرق وأن المشرقي أولى منه بهذه الولاية لأن النزعات الاقليمية لم يكن لها اعتبار في ذلك الزمن، فكان ابن الجزائر وابن دمشق وبغداد وبيروت وسائر البلاد العربية مواطناً عربياً».(6)

ويبدو أن وجهاء الدروز قد غابوا عن هذا الاجماع القومي متأثرين بروابطهم القديمة مع الانجليز الذين يتصارعون مع الفرنسيين لالتهام المشرق العربي من تركيا حيث يقول مؤرخهم دون سند يذكر أنه في تلك الفترة «كثر الحديث عن مشاريع تقسيم للدولة وعن مشاريع دول وامارات عربية مستقلة كالمشروع الفرنسي القاضي بإنشاء امارة سورية برئاسة عبد القادر الجزائري».(7)

كان الأمير عبد القادر يرى أن الحل الأمثل هو عدم الدخول في نزاع مع الدولة العثمانية المسلمة واضعافها أمام الدول الأوروبية، وفي نفس الوقت انجاز الاستقلال العربي ورفع المظالم عن الأمة العربية لذلك اقترح أن تكون الدولة العثمانية بتاجين عربي وتركي على طريقة الامبراطورية النمساوية في ذلك الوقت.(8)

وقد تجلى الاجماع على الأمير عبد القادر في تأييد المسيحيين الموارنة بزعامة يوسف كرم الذي كانت فرنسا قد نفته الى الجزائر، حيث كتب الرسالة التالي نصها الى الأمير عبد القادر في دمشق يناقش معه المشروع من مختلف جوانبه:

«سيدي ومولاي الأفخم:

بينما حكومة روسيا منهمكة بالحرب الحاضرة، فإن حكومتي فرنسا وانكلترا، لاعتقادهما بسقوط الحكومة العثمانية القريب، قد هيأتا الوسائل الآيلة الى تجزئة الديار العربية الى أقاليم تلجأ الى حمايتها، ولحمل هذه الأقاليم على رفض حماية الحكومة الروسية، خوفاً من أن يجمع الجنس العربي صفوفه ويصبح حكومة واحدة، والسبب في ذلك أن حكومتي فرنسا وانكلترة تخشيان من أن يمتد فيما بعد اتحاد الجنس العربي فينزع منهما الجزائر وبعض أقاليم الهند، لذلك فهما ترغبان في استعبادنا جميعنا، الأمر الذي أوجب أعراضه، حتى إذا رأت حكمتكم الوسيعة رأيي موافقاً ترسلون معتمدين لمخابرة

حكومات وشعوب أوروبا بهذه الخصوصات تعرضون الأمر لكل دولة وشعب على حدة، قبل أن يصير اعلان المشروع الواجب لانقاذ الجنس والوطن.

ثم إذا رأت فخامتكم أن تعين على الأقاليم العربية أمراء مستقلين يدفعون اليكم أموالاً مقررة، ويوحدون صفوفهم تحت رايتكم ضد كل تعدي، قبل أن تتدخل بأمورنا الدول الأجنبية فذلك كما يتراءى لي هو أحسن سياسة بل هو نفس السياسة التي قد استخدمها المسلمون منذ فجر نشأتهم، وهذه السياسة قد استصوبتها حكومة بروسية وتمشت عليها في تنظيمها جرمانيا من أقاليم مستقلة تحدث بطريقة «الكونفيد يراسيون». فهذه الأقاليم المستقلة يسهر كل اقليم منها على صيانة امارته وترتبط مصالحه مع مصالح الحكومة الرئيسية. ويستمد قوته منها وأن المال الذي يدفعه لها يكون طفيفاً جداً بالنسبة للحماية والمساعدة التي تصدر له عند الحاجة عن الحكومة الرئيسة، وعن الأقاليم الباقية التي تؤلف اتحاداً وثيقاً بالمصالح والحقوق.

غير أنه بما أن الحكومة العثمانية التي عزمت على نزع الاستقلال من الأقاليم العربية، واخضاع قوانينها وشعوبها الى مطامع ذواتها المتشاغلين بما لا حاجة لايضاحه الآن، فقد تعاكست بذلك المقاصد والمصالح بين الحكومة الرئيسية والأقاليم التابعة لها، فاستطاع أعداء السلطنة أن يستخدموا ضدها أبناءها، بينما الاستقلال الحقيقي يوجب على السلطة العليا أن تجعل جميع مقاطعاتها، أعضاء جسد واحد مرتبطين بالحقوق والمصالح.

فهذه السياسة الحكيمة توفر على فخامتكم الأموال المقتضية للقوة الجبرية والأخطار المحدقة بها، وتجمع تحت الراية الشريفة زعماء شرعيين مخلصي النوايا، يزيلون كل صعوبة باستنادهم الى حق الله والعباد، لأن الحق هو قوة سماوية في القلوب البشرية وهو صاحب الفوز كيفما تقلبت الظروف.

يبقى لي أن أعرض لفخامتكم أيضاً بأنه كما أن العجلة تسبب أخطاراً فالتباطؤ يسبب أضراراً وضياع المنافع المنشودة، وقد أعلنت قرائن الأحوال بأن الفرصة الحاضرة قد ناهزت البراح، وأنه لدى سقوط الحكومة العثمانية يتلقانا الأجانب بالإرث عنها، ولايعود يستطيع الجنس العربي أن يتحد تحت راية واحدة.

فبالنظر الى كل ذلك، وبما أن العناية الالهية قد أهلت فخامتكم لتستخدمها واسطة لتسير بنا على الطريق القويم فاليها أكرر التوسل بألا تدع الفرصة الحاضرة تذهب بدون جدوى. أسأله تعالى جل جلاله أن يعضد المساعي القويمة بالتأييد أفندم»(9)

وكذلك تجلى الاجماع في امتداد الحركة الى العراق والحجاز واستمرارها سنوات بعد مؤتمر 1877.

«ففي 1879/10/19 أرسل قنصل فرنسا العام في بيروت الى وزير الخارجية الفرنسية برقية يقول فيها: يشاع هنا أن ثمة مؤامرة عربية تدبر في سورية لها فروع في ولايات حلب والموصل وبغداد ومكة والمدينة هدفها إنشاء مملكة عربية يرأسها حاكم

عربي. إلا أنني لست في وضع يمكنني من تأكيد هذه الشائعة على أن مثل هذه الفترة التي تسود فيها الفوضى التامة هنا، أعتقد أنه ليس ثمة مايحول دون تحقيق هذا المشروع. وقد ذكر اسم عبد القادر الزعيم الجزائري الشهير الذي يقيم في دمشق ليكون السلطان المقبل لهذه المملكة».(10)

وأما القنصل البريطاني فقد أرسل من بيروت في 1880/6/28 برقية يقول فيها: «ظهرت في بيروت منشورات تحض على الثورة يشك في أن مدحت هو منشؤها، ومع ذلك فالهدوء يسود البلاد. التفصيلات في البريد القادم».(11)

وفي نفس الفترة نجد أن يداً عربية أخرى امتدت الى الأمير عبد القادر في دمشق، هي اليد المصرية، إذ تصله رسالة من حزب مصر الفتاة ليكون زعيماً لهذا الحزب الوطني العربي، موقعة من أحد قادة هذا الحزب وهو الكاتب السوري المعروف أديب اسحق وتقول الرسالة:

«أيد الله الأمير الأعز ونحن عصبة تذكر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر. رأينا ما ألم بهذه الأقطار من الأضرار ناشئة عن تخالف القلوب وتنافر الأفكار حتى صار الود مداجاة والحب عدواناً فقلنا ياقوم لاتنافسوا ولاتحاسدوا ولاتباغضوا ولاتدابروا وكونوا عباد الله اخواناً ورأينا بوادر البلاء وطلائع الشقاء فخفنا المهرب الأعظم ينقلب به الخير الى الضير والمغنم الى المغرم ويزول بهاء الأمة ثم تغضب الأرض التي سقاها السلف الكرام بالدم فنهضنا نروم حفظ الباقيات الصالحات بوسائل السلم والسلم أسلم وذكرنا خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم.

ورأينا فقيرنا يعثر بأذيال فاقته وعظيمنا لايأمن على راحة أو على مافي راحته ومثل ذلك سائر اخوان الوطن الذي ولدنا فيه أو نزلنا بساحته فنزعت أنفسنا الى اعانتهم ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

ورأينا أنوار فضل الأمير على طور تجلي الحكمة توقظ الراقد وتنبه الغافل من هاته الأمة فتكشف عنها كل كلمة فعلمنا أن لابد من التماس مساعدته في هذه المهمة فرفعنا اليه الصحيفة التي هي لسان حالنا لتنوب لديه عن لسان مقالنا أمل الحصول على القبول شأن الأمير في معاملة من أمه ورجاء ورود الجواب بمايراه في أمر هذه الخدمة وله في تشريفنا بذلك رأيه العالي سدداً وأمره الكريم مؤيداً إن شاء الله».(12)

وهنا نلاحظ أن الفترة مابين 1877-1883 قد شهدت شيئاً من الفتور في علاقة الأمير بولاية سورية وأن الأمير بدأ يخطط فعلاً لليوم الموعود فأخذ يزور عساكره في وسط بلاد الشام الجليل وحوران. ويقول عادل الصلح:

«وخشية من أن تلفت هذه الجولات المفاجئة أنظار السلطة وتثير تساؤلها، وخوفاً من تنبه رجالها للفرض الحقيقي منها، اتخذ المتجولون زيارة الأمير لمواطنيه الجزائريين ذريعة لتنقلاتهم ورحلاتهم وكان هؤلاء الجزائريون قد نزحوا عن الجزائر مع الأمير

وخلال غيابه في منفاه وبعد قدومه الى دمشق وفدوا الى الديار الشامية وانتشروا فيها جماعات وقدر عددهم بستة آلاف وكان الأمير ورجال الحركة يعتبرون هذه الجماعة المدربة على القتال نواة لقوة محاربة يستعان بها عند الاقتضاء»(13) ونستطيع أن نضيف أن الأمير بنى في قرية عولم الاستراتيجية بفلسطين التي يسكنها المهجرون الجزائريون، مقراً كان يطلق عليه أهل القرية «قصر الأمير» وظل قائماً حتى خروجهم من فلسطين عام 1948.

ونلاحظ أيضاً أن الأمير في هذه الفترة كاد يفقد رجله السري في عكا الشيخ علي بن أحمد اليشرطي شيخ الطريقة الشاذلية والذي هو من مواليد بنزرت في تونس عام 1211 وابن أحد قادة الجيش التونسي الكبار، والذي كانت طريقته قد انتشرت في منطقة عكا وأخذت تعمل ضد الدولة العثمانية فنفته وجماعته الى قبرص... فشفع له الأمير فأعيد من المنفى، لكنه واصل مناكفة الدولة العثمانية فقرر الوالي مجدداً نفيه الى فزان فتدخل الأمير وحبسه في منزله «ثم أن حضرة الأمير بعد مدة أطلقه من حبسه، وأرجعه الى محله مشمولاً بسروره وكمال أنسه».(14)

وقد أخذت الدولة العثمانية تبث الدعايات ضد الطريقة الشاذلية وتتهمها بالكفر والفجور والزندقة. وهذا يعني أن الصراع العربي – التركي قد وصل الى الطرق الصوفية نفسها، مما سيكشف الغطاء الديني عن الأتراك ويعني من جهة أخرى أن الأمير ينظم علاقاته العربية في مصر – العربية الفتاة والخديوي – وفي ليبيا – الطريقة السنوسية – وفي تونس – الجيش – وكذا في الحجاز والعراق. لقد اقترب الأمير كثيراً من هدفه كرائد من رواد حركة القومية العربية الحديثة.. وهذا الفصل من حياة الأمير لما يزل بحاجة الى بحث وتنقيب، وكذلك الصراع العربي – التركي داخل الطرق الصوفية ومؤسساتها.

ب– مقاومة سياسة التتريك:

لم تصل محاولة القوميين العرب في الاستقلال عن تركيا عام 1877 الى مداها حيث تغير الموقف الدولي لصالح تركيا بعد الحرب، فلم يكرر التاريخ نفسه وإلا لكان الباحثون اليوم يقارنون فعلاً بين عبد الرحمن الداخل الذي ذهب من الشام الى المغرب وبين عبد القادر الذي جاء من المغرب الى الشام، لكن ذلك لم يوهن عزيمة أحد سواء من الجزائريين أو الشوام، فقد واصل الجميع بث الوعي القومي العربي خاصة في صفوف الأجيال الجديدة وهنا يبرز دور شاب جزائري نشيط هو الشيخ طاهر الجزائري الذي كون مع بعض أصحابه جمعية خيرية هدفها نشر العلوم وفتح الكتاتيب بالجهود الشعبية والشخصية لهذه المجموعة. وركز الشيخ طاهر على تدريس اللغة العربية وآدابها وفنونها، وهو الأمر الذي كانت تركيا قد منعته، وفرضت تدريس التركية في الكتاتيب القليلة التي كانت موجودة. كما ركز الشيخ طاهر ومجموعته على تدريس التاريخ العربي،

هذا التاريخ الذي تجاهله الأتراك وفرضوا نسيانه، وهذه أساليب استعملتها فرنسا في الموطن الأصلي للشيخ طاهر، وكان الشعب الجزائري يقاومها، وهاهو الشعب الشامي يقاومها أيضاً تحت قيادة ابن بجاية الذي هجر والده الشيخ صالح من منطقة وغليس قبيلة السماعنة. وقد سجل التاريخ أن هذا الامازيغي هو الذي علّم الشوام العروبة لأن الأمازيغية والعروبة مسميان لشيء واحد!

وتشاء الأقدار أن يأتي «مدحت باشا» صديق الشيخ طاهر واليا على دمشق، وسرعان مايقتنع هذا الوالي المحب للتجديد والتطور بتحويل تلك الجمعية الى مجلس للمعارف لتبدأ حركة واسعة في فتح المدارس العصرية وهو ماسنتحدث عنه في بحث خاص.

وكان الشيخ طاهر الجزائري الذي عين مديرا للمعارف يتحرك الى جانب هذا الخط التربوي - التعليمي العلني في خط سياسي ثقافي سري، وليس بعيدا عن الأمير عبد القادر حيث أقام ماعرف بحلقة دمشق الكبرى إذ تقول د. خيرية قاسمية:

«كما ظهرت في دمشق نهضة مماثلة في حلقة الشيخ ظاهر الجزائري عام 1878 الثقافية الأدبية التي تكونت الى جانبها حلقة سياسية سميت بحلقة دمشق الصغيرة».(15)

وتذكر سهيلة الريماوي أسماء بعض رجال هذه الحلقة فمن كبار السن جمال الدين القاسمي، عبد الرزاق البيطار، سليم البخاري، ومن الشباب رفيق العظم، محمد كردعلي، فارس الخوري، وعبد الحميد الزهراوي، شكري العسلي، عبد الوهاب المليحي، عبد الرحمن شهبندر، وسليم الجزائري. ولابد لي من أن أذكر أن فارس الخوري هو نصراني، وأن سليم الجزائري هو ابن محمد السعيد شقيق الشيخ طاهر نفسه وأن أقول أن الذي فتك بهذه الحلقة هو قائد الجيش الخامس المشير القفقاسي المعروف باسم عبد الله الشركسي!.

وعن أعمال هذه الحلقة تقول د. سهيلة الريماوي:

«وقف الشيخ طاهر يندد بالحكام واستبدادهم، وينتقد ورجال حلقته سوء الادارة ويدعو الى الحرية والعدل والنظام فاتهمه خصومه بالخيانة الوطنية والعمل على فصل البلاد السورية عن بقية المملكة، فألغت الحكومة منصبه الحكومي وعرقلت أعمال الجمعية الخيرية».(16)

ويوضح لنا د. علي سلطان شيئا من عمل هذه الحلقة ونتائجه:

«في هذا الجو الثقافي السياسي للتيار العربي - الاسلامي وبالذات من حلقة الشيخ طاهر الجزائري. كان يقرأ هؤلاء الرجال سرا دون علم من السلطة، من الصحف المصرية كالمقطم والأهرام، والمؤيد ويتداولونها فيمابينهم وكان محب الدين الخطيب وعثمان مردم بك ممن يأتون بهذه الجرائد الى دمشق.

ويضيف:

وأخذت العيون تتفتح على الحقائق القومية وخاصة في سنة 1903 - 1906

حيث كانت سنة 1906 فجراً جديداً للجمعيات السياسية التي ولدت لتدعو الى العصبية العربية والى الأمجاد العربية والى تعليم وتعلم اللغة العربية. وفيها ألفت جمعية النهضة العربية وقد أسس هذه الجمعية سنة 1906 بعض من أولئك الرجال من حلقة الشيخ طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي وزملائهم وبتشجيع منهم».(17)

وتقول وداد سكاكيني عن حلقة الشيخ طاهر الجزائري:

«فكانت حلقة الشيخ طاهر الجزائري أسبق من حلقات المسيحيين الى المشاركة في ايقاظ الفكرة العربية».(18)

وإذا كانت حلقة الشيخ طاهر الجزائري تضم شيوخاً وشباباً، فقد كان لها أيضاً تنظيمها الطلابي من بين طلبة مدرسة مكتب عنبر اياها وقد عرف هذا بتنظم باسم حلقة دمشق الصغرى تقول د. سهيلة الريماوي:

«أما حلقة دمشق الصغرى فقد قام على انشائها بعض طلاب الفصول النهائية في المدرسة الثانوية المعروفة بمكتب عنبر، فكان هؤلاء الطلاب يترددون على حلقة الشيخ طاهر الجزائري لحضور الاجتماعات والندوات، فاتفقوا فيمابينهم على تأسيس حلقة سرية في دمشق سنة 1903.

أما مؤسس هذه الحلقة فهو محب الدين الخطيب، ومن أعضائها زملاؤه في المدرسة صلاح الدين القاسمي وعارف الشهابي وصالح قنباز، أما خارج المدرسة فكان من أعضائها لطفي الحفار ورشدي الحكيم».(19)

ومن حلقة الشيخ طاهر الجزائري وتنظيمها الطلابي بدأت الأحزاب السياسية القومية العربية.. ولست أدري هل هي المصادفة وحدها التي جعلت التنظيم الطلابي يتأسس في دمشق عام 1903 ضد الأتراك بعد مرور مائة عام على ثورة ابن الأحرش ضدهم في الجزائر عام 1803 أم أنه الجهد المتواصل الذي بذله أولئك الرجال الأفذاذ في المغرب والمشرق عموما، ولست أدري هل الكلمات التي أوردها أمين سعيد عن طاهر الجزائري الأمازيغي ابن بجاية كبطل للكبرياء العربي، يمكنها أن تمر دون أن تهز ضمائر الجزائريين المعاصرين والعرب عموما. إذ يقول:

«وكان الشيخ طاهر الجزائري بطل هذه الكبرياء في ذلك العصر بما نشره من مبادئ الحرية، وبما أرشد الى طرق الاصلاح، وبما أشار الى وسائل الثورة على الظلم على طريقته التي عرفها معاصروه ودونها مؤرخوه»(20) وفي كل الأحوال فإنه بعد عام 1903 بدأت الحركة الجمعوية للعرب في الشام وكان الجزائريون في صلبها ومن مؤسسيها جنبا الى جنب مع اخوانهم الشام.. لقد ظل الخيط متواصلاً غير متقطع منذ 1847 بل وأننا نلاحظ في هذه التواريخ - مطالع القرن العشرين - بداية تشكل الحركة الوطنية الجزائرية الحديثة ويسهم فيها جزائري آخر من مواليد دمشق هو الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر، ولاشك عندي أن حفيد الأمير تأثر بأفكار الشيخ طاهر القومية

حيث من الواضح أن هذا الأمير كان جزءاً من التحرك القومي العربي الذي أعلنه الى العالم تلاميذ الشيخ طاهر في العشرية الثانية من القرن العشرين عبر الجمعيات السياسية التي شارك في تأسيسها جزائريو الشام، بعد أن حققت مقاومة سياسة التتريك نجاحاً باهراً حيث رأس علامات هذا النجاح اعادة اللغة العربية الى المدارس والادارة رغم محاولات الحكم الطوراني تهميش هذه اللغة.

ج- تكوين الجمعيات القومية العربية:

يحفظ التاريخ العربي المعاصر للشعب الجزائري أنه أول شعب من الأمة العربية صادم بقوة ولمدة طويلة الغزو الاستعماري الأوروبي في القرن التاسع عشر الميلادي، فأعلى هذا التصادم الروح الوطنية والقومية للشعب الجزائري. وأكسبه خبرة جديدة، وكشف له عن عمق تخلف الدولة العثمانية عن الركب العالمي ومدى كراهيتها للعنصر العربي واتخاذها الدين ذريعة لقهر العرب والتفريط بديارهم مغرباً ومشرقاً.

ولعل البرهان الذي لايدحض، على هذه الخبرة وتلك الروح العالية يكمن في يوميات الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فهذا الاستعمار لم تستقر حياته ولم يخلع عساكره أحذيتهم طوال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بل إنه لم يتمكن من الوصول الى مناطق الصحراء الجزائرية قبل العشرية الأولى من القرن العشرين.

وكانت بعض انتفاضات الجزائر وثوراتها الشعبية في القرن التاسع عشر على صلة بالمهجرين الجزائريين في المشرق العربي كما هو حال ثورة المقراني عام 1871 حيث أسس الجزائريون جمعية مقرها الأستانة لدعم هذه الثورة، وأسسوا في نفس الوقت جمعية خيرية تزعمها الشيخ طاهر الجزائري.. وهكذا أدخل الجزائريون الى دمشق أسلوب العمل الجمعوي هذا الأسلوب الذي بدأته في لبنان الارساليات الأوروبية على مستوى نخبوي وطائفي فظل مشبوهاً ومحصوراً.

ولأن النضال من أجل الجزائر وعموم المغرب العربي غير منفصل عن النضال من أجل الشام وعموم المشرق العربي، وجدنا أن الحركة الوطنية في الجزائر تأخذ سماتها الحديثة مع مطلع القرن العشرين على شكل جمعيات وأحزاب سياسية مثل «الجزائر الفتاة» ووجدنا أيضاً الحركة الوطنية في الشام تأخذ نفس السمات في نفس الوقت وعلى أيدي أشخاص جزائريين وعلى رأسهم الشيخ طاهر الجزائري الذي بذر فكرة القومية العربية الحضارية غير الطائفية وغير العرقية والتي تلقنها من أستاذه في الجقمقية الأمير عبد القادر. فأسس جنباً الى جنب مع الجمعية الخيرية والمدارس حلقة دمشق الكبرى وتنظيمها الطلابي المعروف بحلقة دمشق الصغرى لتتبلور هاتان الحلقتان وتشكلان أول حزب سياسي سري عربي في بلاد الشام باسم جمعية النهضة العربية التي تمكنت من الوصول الى أهدافها ودحر الاحتلال العثماني في نهاية المطاف.. من المؤكد أن الفضل في ذلك يعود الى كل من الشيخ الحلبي عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتاب

طبائع الاستبداد والشيخ طاهر الجزائري صاحب الممارسات العملية.

**1- جمعية النهضة العربية:**

أ. يقول د. علي سلطان:

«ومن الاتجاه العربي الاسلامي ظهرت الحلقات حول بعض الشيوخ من رجال الدين والمفكرين، الشيخ طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي في دمشق وقد كان الشيخ طاهر الجزائري (1852-1920) بذرة الفكرة القومية الاصلاحية والتعريب ومؤسس المكتبة الظاهرية، وكان على اتصال برجال العلم والدولة مسلمين ومسيحيين واستطاع أن يجعل اللغة العربية لغة التعليم لكن الدولة كفت يده فيما بعد وعادت التركية لغة التعليم. وكانت له حلقة من رجال سورية ممن لعبوا دوراً بارزاً في تاريخها ومنهم من اعدمه جمال باشا. ومن رجال هذه الحلقة جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار، وسليم الجزائري وشكري العسلي وعبد الوهاب المليحي ومحمد علي مسلم وعبد الرحمن الشهبندر وفارس الخوري وكانوا يجتمعون بعدصلاة الجمعة من كل اسبوع في دار رفيق العظم.

ويضيف د. علي سلطان:

وأخذت العيون تتفتح على الحقائق القومية وخاصة في سنة 1903-1906 حيث كانت سنة 1906 فجراً جديداً للجمعيات السياسية التي ولدت لتدعو الى العصبية العربية والى الأمجاد العربية والى تعليم وتعلم اللغة العربية وفيها ألفت جمعية النهضة العربية. وقد أسس هذه الجمعية سنة 1906 بعض من أولئك الرجال وحلقة الشيخ طاهر الجزائري، وجمال الدين القاسمي وزملائهم وبتشجيع منهم. وكان محب الدين الخطيب هو الذي أسسها في استانبول في السنة المذكورة، وكانت تلقى فيها دروس اللغة العربية كل أسبوع وكانت غايتها احياء اللغة العربية ثم أسس لها فرع في دمشق أصبح الفرع الرئيسي بعد الغاء فرع استانبول بعد ثلاثة أشهر وكان رئيسها صلاح الدين القاسمي يشاركه لطفي الحفار وعارف الشهابي وسليم الجزائري وعبد الرحمن الشهبندر والضابط أسعد الطرابلسي ورشدي الشمعة وسامي العظم وجورج حداد. وكان الشيخ طاهر الجزائري وجمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار والشهيد شكري العسلي والشهيد عبد الوهاب الانكليزي من أصحاب هذه الفكرة الذين شجعوا الشباب وكانت أهداف جمعية النهضة العربية في دمشق هي رفعة العرب ومجدهم ونشر اللغة العربية».(21)

وليس صحيحاً القول أن المهجرين الجزائريين كانوا وحدهم فرسان الميدان أو أن لهم الفضل كله. فذلك كلام شوفيني لايشرف أحداً إضافة الى أنه كلام غير علمي وغير صادق، فقد وجد الجزائريون أنفسهم ينفعلون في أحداث وطنهم بالشام ويؤثرون ويتأثرون كباقي أهلهم الشوام.. لذلك كانوا يمشون جنباً الى جنب مع اخوانهم الطليعيين من الشوام،

خطوة خطوة. وعلى رأس هؤلاء الشوام الشيخ عبد الرحمن الكواكبي صاحب كتب «أم القرى» و«طبائع الاستبداد»، وهو الداعية القومي الشهير ويقول باحث:

«كانت دعوة الكواكبي وحلقة الشيخ طاهر الجزائري قد مهدتا الطريق لتشكيل الجمعيات والمنظمات السرية لمقاومة الاستبداد التركي من مطلع القرن العشرين».(22)

وبعد البداية في جمعية النهضة العربية صار بالإمكان السير خطوة أخرى الى الأمام خاصة بعد اعلان الدستور في الدولة العثمانية، فرأينا ذلك الرجل الشجاع المنكود الحظ الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر يؤسس مع مجموعة من الشوام الذين كانوا مثله يأملون خيراً في السلطان العثماني، جمعية سياسية علنية باسم جمعية الاخاء العربي - العثماني.

**2- جمعية الاخاء العربي العثماني:**

يقول صاحب تاريخ جبل عامل عن هذه الجمعية: «تألفت هذه الجمعية في الاستانة عقب اعلان الدستور في سنة 1326هـ 1908م ومؤسسوها الأمير محي الدين الجزائري، وصادق باشا المؤيد، وشفيق بك المؤيد، وشكري باشا الأيوبي، ويوسف بك شنوان، وشكري باشا بك».(23)

لقد ركزت هذه الجمعية في مبادئها على المحافظة على الدستور وتمتين الروابط بين العرب والعثمانيين واعلاء شأن العرب والعربية ونشر المعرفة وتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف وحصول العرب على الوظائف والمناصب ونشر روح الاخاء والتعاون بينهم وتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية.

ومن الواضح أن هذه الجمعية كانت على قيد خطوة من استعمال كلمة الاستقلال.. وكأنها كانت بالتركيز على التنمية العربية تهيء الظروف لتلك الخطوة.. وهي مأخوذة من فكرة الأمير عبد القادر في القرن التاسع عشر «امبراطورية عثمانية بتاجين تركي وعربي» لذلك فكانت مثلها مثل الأمير عبد القادر تثق في السلطان ولاتثق برجاله وخاصة الطورانيين ومع أنها استفادت في تأسيسها من اعلان الدستور في 1908 إلا أنها وقفت مع السلطان عبد الحميد ضد الطورانية.. ومع أنها كانت تعلن الولاء للخلافة الاسلامية في الاستانة إلا أن الأتراك الطورانيين من جماعة الاتحاد والترقي وهم الذين جاؤوا وفي برنامجهم اذلال العنصر العربي والتمكين للصهيونية وأوروبا في البلدان العربية فقاموا باغلاق هذه الجمعية، ويقول باحث: «أيد معظم المنتسبين الى جمعية الاخاء العربي العثماني حركة عصيان 31/آذار/1909 التي قام بها أنصار عبد الحميد لإلغاء الدستور، فما كان من الاتحاديين بعد أن قمعوا العصيان إلا أن أغلقوا الجمعية وجميع فروعها في البلاد العربية».(24)

لكن الغاء جمعية الاخاء العربي - العثماني كان هو الضارة النافعة فقد دفع حل جمعية الاخاء العربي الشبان والقادة العرب الى تغذية الفكرة القومية عن طريق إقامة

النوادي الأدبية العلنية وإنشاء الجمعيات السرية ذات الأهداف السياسية الثورية. وكان المنتدى الأدبي «أول هذه النوادي والجمعيات العربية».

**3- المنتدى الأدبي:**

يعتبر سليم السمعوني المعروف بسليم الجزائري، وهو ابن أخ للشيخ طاهر الجزائري الذي رباه، ليس رجل الجمعيات السياسية الهامة بين المهجرين الجزائريين وحسب بل في بلاد الشام والوطن العربي حيث أنه أسس ورفاقه وأهمهم رئيسه عزيز علي المصري أحد أفذاذ الأمة العربية عدة جمعيات في الاستانة هدفها تحقيق الاستقلال العربي.

ومن هذه الجمعيات المنتدى الأدبي الذي تقول فيه الموسوعة الفلسطينية: أنشئ هذا المنتدى في الاستانة بعد قليل من اعلان الدستور العثماني (تموز 1908) ليكون بيتاً عربياً يلتقي فيه العرب المقيمون والزائرون.

وكان المنتدى فوق الأقليميات والطائفيات، وقد التقى فيه السني والشيعي والدرزي والمسيحي والسوري واللبناني والفلسطيني والعراقي والحجازي والمصري والمغربي، اخواناً متحابين هدفهم مجد العروبة.

ومن أبرز من عرف من الناشطين في إنشاء المنتدى ورعايته عبد الكريم الخليل وكان رئيسه ويوسف سليمان حيدر وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ومعين الماضي ورفيق رزق سلوم وعاصم بسيسو وعزة الأعظمي ورشدي ملحس. وممن عرف من أبرز أعضائه أيضاً عزة الجندي وسعيد الصلح وأحمد قدري وعبد القادر الجزائري(25) وجميع هؤلاء كانوا طلاباً في الاستانة.

وممن عرف من كبار العرب المتعاطفين مع المنتدى خليل حمادة وزير الأوقاف وطالب النقيب الزعيم العراقي وعزيز المصري الضابط المصري الكبير ومن النواب رضا الصلح ورشدي الشمعة وشفيق المؤيد وشكري العسلي وعبد الحميد الزهراوي.

وكان المنتدى يشهد حفلات ومناسبات تنشد فيها الأناشيد القومية وتلقى فيها المحاضرات في مآثر العرب وحقوقهم فكان ذلك مما جعل الفكرة العربية جياشة في شباب العرب في الاستانة وخارجها كما أصدر المنتدى مجلة باسمه كان يكتب فيها الأدباء والشعراء والعلماء العرب عن كل مايتصل بالعروبة وتاريخها». (26)

لقد كان هذا المنتدى مركزا للنشاط القومي العربي ضد سياسة التتريك الطورانية وضد الحركة الصهيونية المسيطرة على حزب الاتحاد والترقي الحاكم وقد طاردته السلطات العثمانية فيما بعد وأغلقته عام 1915 ومعظم الذين أعدمهم جمال السفاح عام 1916 هم من رجالات هذا المنتدى الذين انضموا الى جمعيات أخرى.

وقد نشرت المقتبس في الصفحة الثانية من عددها رقم 37 تاريخ 13 شباط 1909 عن سليم الجزائري الخبر التالي نصه:

(تعز الكاتب البليغ البكباشي سليم افندي الجزائري أحد نوابغ ناشئتنا من رجال أركان الحرب مدرسا في المكتب الحربي في الاستانة).

فكان أن تحدى سليم الجزائري الترك في عاصمتهم فأخذ يدرّس تلاميذه في المكتب الحربي المذكور المعارك التي خاضها القادة العرب مثل خالد بن الوليد وغيره كما كان يلقي محاضراته في المنتدى الأدبي عن الأدباء والمثقفين العرب القدامى، فزرع الشعور بالاعتزاز القومي بين الطلبة العرب، في الوقت الذي كان فيه الأتراك يحقرون العرب.

ويبدو أن سليم الجزائري كان قبل ذلك عضوا في حزب الاتحاد والترقي ثم انفصل عنه حين ظهرت طورانية هذا الحزب وكراهيته للعرب، حيث يقول محمد جابر آل صفا:

«كانت الجمعيات السرية التي ألفت قبل اعلان الحكم النيابي الثاني لمقاومة الطغيان الحميدي تعمل كل واحدة منها منفردة عن الأخرى وأهم هذه الجمعيات وأعظمها أثرا جمعية الاتحاد والترقي وهي في الأصل جمعيتان تأسست قبل الدستور بخمس عشرة وذلك سنة 1894م وضمتا فريقا من الأحرار العثمانيين منهم الكثير من ضباط العرب وأفذاذهم أخصهم سليم بك الجزائري «رئيس ألف» أركان حرب وعزيز بك علي المصري وأمين بك لطفي وكلاهما برتبة بينباشي أركان حرب وغيرهم».(27)

وتقول الموسوعة السياسية عن المنتدى الأدبي أنه قد تأسس في صيف 1909 على يد عدد من النواب والأدباء والطلاب العرب في استانبول، ونظرا لطبيعته غير السياسية فقد سمحت به السلطات كما سمحت بفتح عدة فروع له في فلسطين وسوريا ولبنان. ولعب هذا المنتدى دورا هاما في جمع الطلبة والقادة العرب فانتسب اليه آلاف الطلبة وكان بمثابة مصنع للتفاعلات الفكرية العربية ومنطلق لأفكار سياسية ثورية.(28)

**4- الجمعية القحطانية:**

ويظهر اسم سليم الجزائري مرة أخرى كواحد من مؤسسي الجمعية القحطانية السرية التي كانت تهدف الى نوع من الاستقلال العربي بتحويل الدولة العثمانية الى مملكة ذات تاجين وهي الفكرة التي عمل لها المهجرون الجزائريون الأوائل بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري.

ويقول جورج انطونيوس في يقظة العرب عن هذه الجمعية:

«وفي الوقت نفسه قامت الجمعيتان السريتان. أنشئت الأولى، وهي «القحطانية» في أواخر سنة 1909 بعد انشاء (المنتدى الأدبي) وكان مؤسسوها من ذوي الجرأة والاقدام وكان هدفها تحقيق مشروع جديد جريء؛ وهو: تحويل الدولة العثمانية الى مملكة ذات تاجين. وكانت هذه محاولة أخرى لحل المشكلة التي أوجدتها سياسة الاتحاديين المركزية. وذلك بأن تؤلف الولايات العربية مملكة واحدة لها برلمانها وحكومتها المحلية وتكون اللغة العربية لغة معاهدها ومؤسساتها على أن تصبح هذه المملكة جزءا من امبراطورية تركية - عربية، تشبه في تكوينها الدولة النمساوية المجرية..»(29) ويشير

انطونيوس في الهامش الى سليم الجزائري كمؤسس من بين مؤسس الجمعية القحطانية.
أما الموسوعة السياسية فتتحدث عن الجمعية القحطانية قائلة: «بعد مدة وجيزة من تاريخ انشاء المنتدى الأدبي قامت الجمعية القحطانية السرية على يد جماعة أشد جرأة من جماعة المنتدى الأدبي. أما أهداف القحطانية فكانت اقامة امبراطورية تركية عربية.. الى أن تقول الموسوعة: وكانت الجمعية متشددة في اختيار الأعضاء وفي التزام السرية لأنها أدخلت الضباط العرب كقوة فاعلة في الحركة القومية».(30)

وأما أدهم الجندي فيقول عن الجمعية القحطانية:

«تأسست الجمعية القحطانية في الاستانة سنة 1909 وقد أسسها عبد الحميد الزهراوي وعزيز علي المصري وسليم الجزائري ثم انضم اليهم حقي العظم وحسين حمادة والدكتور عزة الجندي.. الى أن يقول.. وانبثق من هذه الجمعية ثلاث جمعيات مهمة في أزمنة مختلفة، فأسس عزيز المصري جمعية العهد وانتمى اليها فريق من ضباط العرب وبعد ذهابه الى مصر أسس جمعية (الثورية العربية) وأسس بعض أعضاء الجمعية من الملكيين وهم عبد الحميد الزهراوي والشيخ رشيد رضا ورفيق العظم وحقي العظم والدكتور عزة الجندي جمعية اللامركزية في مصر».(31)

**5- جمعية العهد:**

ولعل أخطر جمعية أسسها العرب في ذلك الوقت هي جمعية العهد التي قاسمت جمعية العربية الفتاة دورها القيادي في حركة القومية العربية والثورة العربية وحكم سورية والعراق في مابعد، وهي انبثاق عن الجمعية العربية الفتاة وتقول عنها الموسوعة السياسية: «قامت جمعية العهد السرية بمبادرة من بعض أعضاء الفتاة، وضمت عددا كبيراً من الضباط العرب في الجيش التركي، وكانت أخطر المنظمات العربية على الاطلاق».(32)

ويورد د. علي سلطان اسم سليم الجزائري نفسه كأحد مؤسسي جمعية العهد ويتحدث عن تفكيرها فيقول:

«يبدو أن فكرة العهد على انشاء دولة عربية - تركية تشبه امبراطورية المجر والنمسا، قد شاعت على السنة العرب المهتمين بالقضية العربية(33) وهو ذات التفكير الذي أطلقه الأمير عبد القادر عام 1877 كما أسلفنا في بحث سابق. ويتحدث أدهم الجندي في تاريخ الثورات عن هذه الجمعية فيقول:

«انبثقت جمعية العهد من الجمعية القحطانية وتشكلت في 28 تشرين الأول سنة 1913م ومن مؤسسيها عزيز علي المصري بعد عودته من طرابلس الغرب للاستانة وكانت عسكرية لا يدخلها إلا ضباط الجيش.

وتضم نخبة مختارة من ضباط العرب، منهم: نوري السعيد ومولود مخلص وجميل المدفعي وياسين وطه الهاشمي وعلي النشاشيبي وعارف التوام ومحمد اسماعيل الطباخ

ومصطفى وصفي وسليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ وصادق الجندي ويحيى كاظم أبو الشرف وأسعد الدرويش وغيرهم من كبار قواد العرب.

كانت هذه الجمعية سرية وقد أقسم أعضاؤها أن لايبوحوا بشيء من أسرارها ويتلخص برنامجها:

1- جمعية العهد سرية أنشئت في الاستانة وغايتها السعي للاستقلال الداخلي لبلاد العرب، على أن تظل متحدة مع حكومة الاستانة.

2- ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان.

3- لما كانت الجمعية تعتقد أن الاستانة رأس الشرق، وأن الشرق لايعيش إذا اقتطعتها دولة أجنبية، فهي تعني عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها.

4- لما كان الترك يؤلفون من (600) سنة المخافر الأمامية للشرق أمام الغرب فعلى العرب أن يعملوا للحصول على مايؤهلهم لأن يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر.

ويضيف الجندي قائلاً:

لقد أحدث تأسيس هذه الجمعية أهمية عظيمة، وبدأ الأتراك ينظرون اليها بخطورة بالغة لما عرف به منشئوها من الصلابة والعقيدة الوطنية والقوة والنفوذ ولأنها أسست في فترة كانت العلاقات بين الاتحاديين والشباب العربي قد توترت توتراً حاداً، وقد لقيت هذه الجمعية تأييد الشبان والضباط العرب الأحرار، وأنشئ لها فروع في بغداد والموصل، وهذا مادعا الحكومة الاتحادية أن تخشى توسعها وسطوتها وتأثيرها فقامت جادة في تفريق رجالها قبل استفحال أخطارها.

وكان الشهداء عبد الحميد الزهراوي وشكري العسلي وعبد الوهاب الانكليزي وعبد الكريم الخليل وطالب النقيب والدكتور عبد الرحمن الشهبندر على اتصال دائم بأمراء العرب العسكريين، وكان شكري العسلي مبعوث دمشق في مجلس النواب العثماني ينحي باللائمة على الاتحاديين الذين شتتوا شمل ضباط العرب في أنحاء الدولة دون استخدامهم في بلادهم، وقد وقفت وزارة الداخلية التركية على نشيد عربي من نظم الشهيد سليم الجزائري، فبعثت به الى ديوان الحرب ليكون حجة على الشهداء في أهدافهم القومية العربية وننشر بعض مقاطعه:

لتدم هذه البنية ... تتمو وتغدو صبية
أزفها شجاعا ... فلا ترى مسبية
تلدن كل همام ... من فارس مقدام
يمزق الطغام ... بهمة عربية
تلدن كل عزيز ... يجود بالنفيس

| | |
|---|---|
| يـــدق هـــام خســـيس | بشـــجاعة وحميـــة |
| يشـــعل نـــار الحـــرب | لـــدق عنـــق الكلـــب |
| ونيـــل عـــز العـــرب | مـــن أمـــة تركيـــة |

ويضيف أدهم الجندي:

وقد استاء الأتراك من سليم الجزائري الذي هاجر من الجزائر وتربى في مدارسهم ومنحوه الرتب وجعلوه من أمراء الجيش التركي أن يجابههم بهذه الكراهية وكفران النعمة فلقي حتفه شهيداً وكانت هذه الجمعية تعتبر نفسها أقوى الجمعيات العربية لأن القوة الأجرائية العسكرية بيدها ثم قضت مصالح القومية العربية أن تتقرب الى اللامركزية، فاتفقت معها على الأهداف العربية».(34)

ولعل السؤال الذي يلح على الذهن الآن هو: لماذا ونحن في نهاية القرن العشرين لم تدرس هذه الجمعيات التي تكونت في مطلع القرن العشرين من قبل الباحثين العرب بعامة و الجزائريين بخاصة دراسة مستفيضة ومستقلة.

**6- الجمعية العربية الفتاة:**

تعتبر العربية الفتاة من أشهر الأحزاب أو الجمعيات السياسية العربية التي سعت للتخلص من الحكم العثماني، لأنها نجحت في تحقيق هدفها حيث ضمت فيصل بن الحسين (ابن شريف مكة) الى صفوفها وأعلنت الثورة العربية 1916-1918.. فقد كانت كالبحيرة التي تصب فيها جميع الأنهار إذ أنها التجمع السياسي الذي انتهت اليه التجمعات العربية السابعة.. وسجلها هو في الواقع سجل الثورة العربية ضد الحكم العثماني. لذلك فإن الكتب التي تحدثت عن هذه الحقبة في تاريخ الشام تتحدث كلها عن هذه الجمعية التي أعدم جمال السفاح عددا كبيرا من قياداتها ومن بينهم من الجزائريين الأمير عمر بن الأمير عبد القادر وسليم السمعوني الجزائري.

ومن الثابت لدينا أن من بين أعضاء ومؤسسي هذه الجمعية من الجزائريين النشيطين إضافة الى عمر وسليم كلا من الأمير علي بن عبد القادر، الأمير عبد القادر بن علي، الأمير طاهر بن أحمد.

### د- المشاركة في الثورة العربية ضد الأتراك:

#### 1- اعدامات ونفي:

يبدو أن جمعية العربية الفتاة كانت مستعدة للمغامرة والتحالف مع أي حد لتحقيق أهدافها في استقلال العرب وكانت تسعى لضم فيصل بن الحسين اليها حيث نظرت الى والده شريف مكة الحسين بن علي كزعيم عربي مرتقب وظلت على اتصال وثيق به وبوالده وكانت السلطات العثمانية قد فتشت بعض القنصليات فعثرت على وثائق تفيد بتحرك زعماء العرب فاحتفظ جمال السفاح بهذه الأوراق حتى الوقت المناسب الذي يخدم تطلعاته الصهيونية والطورانية، حيث كان يفاوض الصهاينة من خلال عشيقته اليهودية ناتاليا داوتس لتمكينهم من استيطان الساحل الفلسطيني لإقامة دولتهم بعد أن منحهم 21 ألف دونم في يافا.. على أن ينفصل هو عن تركيا ويحكم بلاد الشام.. لذلك علق جمال السفاح في الوقت الذي اختاره أحرار الأمة العربية على أعواد المشانق في دمشق وعاليه وسجن ونفى آخرين، وكان ممن شنقوا من المهجرين الجزائريين موضوع بحثنا الأمير عمر بن الأمير عبد القادر والعقيد «البكباشي» سليم السمعوني الجزائري وسجن الأمير طاهر بن أحمد حيث كان مختبئا مع آخرين عند شيخ عشيرة الرولة نوري الشعلان الذي خانهم وسلمهم مقابل خمسمائة ليرة ذهبية. ونفى الأمير علي وولديه سعيد وعبد القادر .(36)

وأما الأمير عمر فقد كان مختبئا عند المهجرين الجزائريين في حوران وكان من الصعب جدا على جمال السفاح معرفة مكانه أو حتى القبض عليه لو عرف.. فلجأ الى حيلة عبر صديقه شكيب ارسلان فقام شكيب بتطمين الأمير سعيد بن علي بأن عمه عمر لن يعدم وذهب سعيد لمقابلة جمال فأكد له ذلك.(37)

من الواضح أن جمال السفاح كان يخاف من الجزائريين فقبل اعدامه الأمير عمر نفى في نيسان 1916 عائلة الأمير عبد القادر كلها الى الأناضول بعد أن فتش منازلهم واعتقل الأمير علي وولديه ونفاهم ثم قام باعدام الأمير عمر ونسف قبر الأمير عبد القادر، وخرب قصره في دمر، بل أنه قام بتسليم بيت الأمير عبد القادر في زقاق النقيب بحي العمارة الى الأرمن، حيث كان جمال السفاح يواصل سياسة حكومته التركية في تتريك البلاد واضاعة معالمها العربية كما تفعل الصهيونية اليوم في فلسطين.

وقد أورد جمال السفاح في مذكراته الأسباب التي استند عليها شريف مكة الحسين بن علي لاعلان الثورة على الأتراك كما أوردها هذا الأخير في بيانه المشهور يوم 27 يونية 1916م 25 شعبان سنة 1334هـ وكان السبب التاسع للثورة كما ذكر جمال السفاح اعدام هؤلاء وعلى رأسهم الأمير عمر الجزائري والسبب العاشر نفي وتشريد عائلاتهم ومصادرة ممتلكاتهم والسبب الحادي عشر هذا نصه: «وقد حطموا ضريح أخي الأمير المبجل عبد القادر الجزائري الحسني»(38) ورغم أن وليد المعلم في كتابه «سورية»

يحاول تهميش دور الجزائريين حتى أنه لم يذكر اسم سليم الجزائري بين الشهداء أو اسم الأمير محي الدين من بين مؤسسي جمعية الاخاء العربي - العثماني إلا أنه أقر بأن الأمير عمر بن عبد القادر قال وهو معلق على المشنقة «قل لهذا الخنزير جمال ألا يفرح بموتي فإن روحي ستظل حية وستعلم أبناء البلاد من خلف القبر دروس الوطنية الحرة»(39) وقد تحقق ماقاله الأمير عمر. فقد كان اعدام الشهداء اشارة لاندلاع الثورة العربية.

وأما الأمير طاهر بن أحمد فقد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤقتة لأنه كما أدعى جمال السفاح أخبر المعتمد الفرنسي بمايتعلق بالسوقيات العسكرية وهو الذي سهل فرار عبد الغني العريسي. وأنه اشتغل بحركات تدعو للقيام ضد الحكومة. وللسخرية نقول أن الأمير طاهر لعب دوراً في تأسيس الثورة السورية 1925-1927 ضد فرنسا نفسها.

**2- صراع مع الانجليز:**

استطاع الأمير عبد القادر بن علي شقيق الأمير سعيد أن يهرب من منفاه بتركيا، حيث كانت العائلة تعامل معاملة سيئة سواء من الأتراك أو من القنصل الفرنسي في العاصمة العثمانية والتحق الأمير عبد القادر مع بعض الجزائريين من منطقة حوران بفيصل مقاتلاً في الجيش العربي ضد العثمانيين.. لكنه سرعان ماكتشف أن الجاسوس لورنس يسعى لتمزيق بلاد الشام عن بعضها تمهيداً لفصل فلسطين والأردن عن دمشق عبر تدمير جسور سكة حديد دمشق - الحجاز، وقد اعتبر لورنس أن عبد القادر بن علي عدوه وقد خافه كثيراً وادعى أن برقية وصلته تقول أن عبد القادر بن علي هو جاسوس عثماني غير أنه يعود ويعلن براءة علي من ذلك ولكنه يظل مصراً على معاداة الأمير الذي اكتشف أمره، وظل يتهمه بالتعصب الديني وأنه كان ينتقد لورنس هذا لأنه يجاهر بنصرانيته مع أن عائلة الأمير عبد القادر الجزائري هي حامية المسيحيين في الشرق منذ عام 1860 وحتى عبد القادر بن علي نفسه هو أحد حماتهم خلال الحرب الأولى نفسها! يقول لورنس بتخبط واضح:

«وبينما كنا نتأهب للهجوم فاجأنا على غير انتظار أو موعد سابق نصيرنا الأمير عبد القادر الجزائري، حفيد ذلك البطل الشهيد الذي أظهر بطولة وشهامة في مقاتلة الفرنسيين وقدم هذا الحليف الى فيصل عددا كبيراً من الجزائريين الأقوياء المنفيين الذين كانوا يعيشون على الشاطئ الشمالي من اليرموك، ولكن العرب كانوا يمقتون هؤلاء الغرباء - لاحظ الكذب ومحاولة فصل المغاربة عن المشارقة - فرأينا أن نؤجل استدعاء رافع ليقابلنا في الأزرق ولم نقل شيئا لزحل، ووحدنا كل اهتمامنا وأفكارنا بوادي خالد وجسوره.

وبينما كنا نفكر على هذا النحو وصلتنا برقية من الكولونيل بريون يحذرنا فيها من الأمير عبد القادر ويؤكد لنا أنه «جاسوس» يتقاضى أموالاً بانتظام من الأتراك فأقلقتنا هذه

البرقية وأوقعتنا في اضطراب عظيم.

أما فيصل فلما علم بهذه البرقية قال لي: أنا أعلم أنه مجنون ولكني لا أشك مطلقاً في أمانته، فلا تتركه واستعمل الحكمة وكن منه على حذر.

والحقيقة أن الأمير عبد القادر الجزائري لم يكن جاسوساً وإنما كان مسلماً شديد التعصب للاسلام كما أنه كان مخدوعاً بنفسه يقدرها أكثر من قدرها وقد غضب لأني أعمل مع العرب ولا أخفي مسيحيتي بل أظهرها لكل من أعاشرهم على نقيض الذين كانوا يحاولون من الأوروبيين الوصول الى أهدافهم عن طريق التملص من دينهم أو ستر مسيحتيهم الى حين». (40)

ويروي أنور الرفاعي خلاف الأمير عبد القادر بن علي مع لورنس على النحو التالي:

«واجتمع الأمير عبد القادر في العقبة بالأمير فيصل قائد الجيش العربي، فأكرمه فيصل، كما أكرم جميع قادة العرب ومشايخها وزعماءها، وكان لورانس يرافق الأمير فيصل ويدير الخطط الحربية ويقدم الذهب الوهاج الى الأمير فيصل ليوزعه على القبائل العربية دون ما حساب.. وسار لورنس والأمير عبد القادر الى الأزرق وطلب لورنس من الأمير عبد القادر أن يسير برجاله وقد أصبحت تحف به ثلة من المتطوعين الذي أعجبوا ببطولته وشهامته، وأن ينسف الجسر الحديدي في وادي خالد قرب تل شهاب، فأبى عبد القادر وقال: إن مهمتي أنا هي قتل جمال باشا الذي شنق أحرار العرب وأبرياءها، وهزئ بعائلتنا وكرامتها وأهانها بشنق الأمير عمر، أما نسف جسر حديدي بسبب قطع خط الرجعة على آلاف من الجيوش المسلمة التابعة للدولة العثمانية فليس من الايمان في شيء، فهم مسلمون قبل أن يكونوا أتراكاً، وهم عرب على الغالب، وقد حاربوا الى جانب تركيا لأنها كانت هي صاحبة البلاد، واليوم عندما يطلب اليهم الانضمام الى جيوش الثورة العربية فلا يرفضون ولايجوز لي أن أعمل على ايقاعهم أسرى في أيديكم أو على قتلهم برصاصكم..» ومن هنا نقم لورنس على الأمير عبد القادر وأضمر له ولأسرته الشر، وترك الأمير عبد القادر لورنس غاضباً وسار برجاله نحو دمشق فلما وصل جبل الدروز اتصل بزعمائها ورفع علم الحسين الذي كان معه، وكان ذلك اخلاصاً منه للحسين الملك الجديد على العرب، وإن خالف أوامر حليفه لورنس الانكليزي..» (41)

لما كان الجزائريون من أشد مخلوقات الله تحرراً نظراً لطبيعتهم التي تمزج بين الطبع الصحراوي والجبلي، فإنهم كانوا في الشام على حذر شديد من تركيا وحليفتها ألمانيا ومن بريطانيا وحليفتها فرنسا.. إنهم لم يتخلوا عن الدروس المستفادة من مقاومتهم لفرنسا 1830-1847 حيث قاوموا الاحتلال أكثر من أي بلد آخر، كما أنهم لم يتخلوا عن أهداف مؤتمر دمشق عام 1877 القاضي بتحقيق الاستقلال العربي دون الوقوع في براثن الاستعمار الأوروبي ودون إذلال واضح لتركيا المسلمة. وكان الحسين بن علي

يرمز الثورة العربية رجلاً غير بعيد النظر طيب السريرة غير ملم بدهاليز السياسة واما قائد الثورة ولده فيصل فكان شديد الاعتماد على شلة الجواسيس الانجليز التي أحاطت به وعلى رأسها الأفاق لورنس. ولم يكن بإمكانهما الاستجابة لنصائح الجزائريين.

ومما يجب ذكره هنا أنه سبق للأمير عبد القادر الجزائري ورجاله أن طردوا من دمشق في عام 1876 جاسوساً ادعى أنه يدرس الآثار، طردوه بعد مضي ثلاثة أشهر حين كشفوا أمره، وهو تشارلز مونتاغو صاحب كتاب «رحلات في الصحراء العربية» وقد سعى لورنس لإقتفاء خطاه، وقد أثبت التاريخ فيما بعد صحة موقف الجزائريين من الأوروبيين والحذر من نواياهم وعدم تصديق أقوالهم.

**3- محاولة الصلح والاستقلال بعيداً عن الأوروبيين:**

استغل الأمير سعيد الجزائري بعد عودته من المنفى علاقاته مع كل من تركيا وألمانيا وفيصل فقام بحركة في غاية الذكاء، تتمثل بوساطة للصلح بين العرب وتركيا على أساس استقلال العرب. وحمل رسائل بهذا المعنى بين جمال الصغير المرسيني الذي خلف جمال السفاح وتنقل بين السلط مقر المرسيني ووهيد /منطقة معان/ مقر فيصل وذلك خلال الفترة بين ديسمبر /كانون الأول/1917 واوت/آب/1918.

وقال جورج انطونيوس عن هذه المفاوضات وعروض الصلح:

«صدر هذا العرض عن جمال باشا في الأسابيع الأخيرة من مقامه في سورية، وقال أنه يقدمه نيابة عن الحكومة العثمانية ويؤيدها في ذلك حلفاؤها الألمان».(42)

وأما أمين سعيد أهم مؤرخ للثورة العربية فيقول عن ذلك:

«كان الأمير سعيد الجزائري بين الذين نفاهم جمال باشا الى الأناضول أيام السبي والهجرة رغم ماكان يظهره من حب للدولة واخلاص ورغم قيادته بعض المتطوعين المغاربة في أوائل الحرب للقتال في صفوفها، والظاهر أن نفيه ونفي أسرته وبينهم والده الأمير علي باشا وكان يومئذ مندوباً عن دمشق في مجلس النواب العثماني ووكيل رئيسه، الى بورسه جرى بموجب المبدأ الذي سنه جمال باشا وهو نفي أسر وأقارب المشنوقين وكان من جملتهم الأمير عمر الجزائري عم الأمير سعيد فقد أعدم شنقاً في دمشق يوم 6 مايو سنة 1916 مع الذين أعدموا فيها للأسباب التي سردناها.

ولما أصيبت سياسة الترك في سورية بما أصيبت به من فشل واخفاق واضطر الباب العالي الى استدعاء السفاح جمال وتغيير سياسته نحو العرب كان الأمير سعيد وأخوه الأمير عبد القادر في مقدمة الذين عادوا الى سورية من العرب المنفيين فقصد الثاني العقبة سراً ومنها سافر الى مكة فأدى فريضة الحج سنة 1336 وعاد ثانية الى سورية. أما الأول وهو الأمير سعيد فأخذ على عاتقه مهمة السعي لعقد صلح منفرد بين العرب والترك يزيل الخلاف من بين الأمتين ويعيد السلام الى قراره في بلاد الشام والحجاز، فذهب الى السلط في شهر يوليو سنة 1918 وقابل جمال باشا الصغير قائد

الجيش الرابع وكان مقره هنالك، فعرض عليه فكرته فلقيت منه استحساناً وتأييداً، وفي يوم 6 أغسطس سنة 1918 غادر الأمير سعيد السلط قاصداً معان فركب قطاراً خاصاً أعده له الترك فاستقبله فيها علي وهبي بك قائدها - عملاً بالأوامر التي تلقاها...»(43)

وظل الأمير سعيد في سعيه بين الطرفين الى أن صار على أبواب النجاح حيث يقول أمين سعيد:

«وعاد الأمير سعيد الى معان فالسلط وأطلع جمال باشا على ماوقع وسلمه الكتاب فجمع هذا هيئة أركان حربه فقررت ارسال برقية الى الاستانة بوجوب الاعتراف باستقلال العرب وقد وضعت الحكومة مشروعاً بذلك رفعته الى السلطان فأقره ولكنه لم يبلغ إلا متأخراً بعد الهزيمة الكبرى في فلسطين».(44)

غير أنه يمكن القول أن الصهيونية والدول الأوروبية كانت وراء اسقاط هذا النجاح فالجاسوس البريطاني لورنس المسيطر على فيصل أطلع على هذه الرسائل فأرسلها الى قيادته في القاهرة وقد فعل الحسين بن علي بسذاجة بالغة الشيء نفسه وأرسل هذه الرسائل الى المعتمد البريطاني في القاهرة.

وفي الاستانة تحرك الصهاينة أنور وطلعت وجاويد وأخروا ارسال الارادة السلطانية باستقلال العرب بالرغم من أن جمال المرسيني كان قد كشف عن هذه المفاوضات ونتائجها في احتفال رسمي ببيروت إذ:

«وافق جمال باشا على اقتراح فيصل في اجتماع له مع ضباطه الأتراك والألمان، وأرسلوا برقية الى الاستانة فوافق السلطان محمد رشاد عليه وكتب أمراً بذلك. لكن طلعت وأنور وجاويد على رواية سعيد الجزائري - أهملوه ويؤكد الملك عبد الله في مذكراته أن ارادة سلطانية صدرت تعلن الاعتراف باستقلال البلاد العربية».(45)

لكن المؤامرة على الاستقلال العربي كانت مبيتة وكانت اتفاقية سايكس بيكو قد وقعت بين فرنسا وبريطانيا على اقتسام الشام وكانت بريطانيا قد أصدرت وعد بلفور للصهيونية وكان فيصل أقل ذكاء ونجابة من أن يفهم عمق تحركات الأمير سعيد.. لقد كان يظنه منافساً.. وهكذا طعن فيصل بيده - عبر لورنس - الاستقلال العربي الذي قاتل في مابعد من أجله، والذي أعلنه الأمير سعيد مستبقاً وصول الجيوش البريطانية الى دمشق.

**4- اعلان الاستقلال العربي:**

حين أرسل شريف مكة الحسين بن علي بسذاجة واضحة الرسائل التي تبودلت بين ولده فيصل وجمال المرسيني عبر وساطة الأمير سعيد بخصوص الاستقلال العربي، أرسلها الى المعتمد البريطاني في القاهرة وكان الجاسوس لورنس قد سبقه في ذلك.. بدأ الانكليز يسابقون جيش حليفهم في الدخول الى دمشق ويؤخرون وصوله ويبقونه في الصحراء وتحديداً في واحة الأزرق.

بالرغم من ذلك وبالرغم أن المجموعة الصهيونية في الاستانة أهملت ارسال الارادة السلطانية باستقلال العرب والصلح معهم.. بالرغم من هذا التطويق العسكري والسياسي والاحباط الفيصلي، فإن الأمير سعيد مضى بشجاعة فائقة لتنفيذ اتفاقه مع فيصل، واتخذ موقفاً تاريخياً هو حتى الآن موضع فخر العرب! حيث أعلن استقلال العرب غير معترف باتفاقيات سايكس بيكو ولا بوعد بلفور ووضع الجميع أمام واقع الاستقلال العربي ورفع العلم الذي أحضره أخوه عبد القادر من معان وأقام الحكومة العربية باسم فيصل بن الحسين ويروي الأمير سعيد تفاصيل هذه الفرحة المغتالة فيقول:

«كان ذلك في آخر ايلول عام 1918 وقد اضطربت المدينة بعد أن رأت قناصل الدول يبرحون دمشق ومن بعدهم الوالي ولم يبق للمحافظة على الأمن سوى ثابت بك الميرالاي قائد المنزل ودهم الخوف الجميع ولاسيما حي المسيحيين الذي كان مهدداً بدخول بعض القبائل فذهب أخي البطل عبد القادر الى هذا الحي واحتل الكنكة هناك مع رجاله المغاربة المسلحين وأخذ يهدئ من روع اخواننا النصارى ويطمئنهم بينما كانوا قابعين في الكنائس. وبالجملة فقد ذهب لدار الفقيد الكبير الأستاذ فارس الخوري وقال له نحن هنا ندافع عن الحي بأرواحنا وأخذ يتجول ومن حوله فرسان المغاربة وبينما كان هذا الأمر يجري في أواخر شهر ايلول سنة 1918 حضر أهل الحل والعقد وذوات البلاد من علماء وأعيان وطلبوا مني دعوة رجالات المدينة للتباحث معها فيما يجب اتخاذه من اجراءات لحفظ الأمن حيث أفلت زمام الأمر من الحكومة التي أصبحت في حال الهزيمة أمام الجيوش المحتلة وتقرر أن أذهب لمقابلة جمال باشا الصغير القائد العام للجيش التركي بعد تنحية أحمد باشا السفاح وكان قابعاً -كما قلت- في نزل فكتوريا مع جمال الصغير وحين قابلته وجدته مضطرباً فقلت له أن المدينة أصبحت في حالة فوضى واضطراب بسبب نزوح رجال الأمن والحكومة فماذا ترون فأجاب أن البلاد بلادكم وأنتم مسؤلون عنها وعن المحافظة علي أيضاً.

فطلبت منه سلاحاً لنقوم بأعباء هذا الأمر فسلمني خمسمائة بندقية وعلى الفور جندت خمسمائة جندي من أبناء البلد ومن جملتهم المغاربة وجعلت على رأس كل عشرة أنفار ضابطاً وكان الجميع يرتدون اللباس العسكري ووزعتهم على الأحياء لدعوة الشعب الى السكينة. وكان المرحوم معروف الأرناؤوط صاحب فتى العرب أحد الذين رأسوا هذه الفرق وكذلك المرحوم الشيخ رضا العطار أحد علماء دمشق وكان في الجيش التركي وهكذا استتب الأمن في المدينة الى أن اشتدت شائعات قرب دخول الجيش المحتل فأغلقت الأسواق وكثر الهرج والمرج فرأيت من واجبي الديني والوطني أن أسبق الاحتلال باعلان استقلال البلاد بوجود الحكومة التي كان لها الحكم حتى أضع المستعمر أمام الأمر الواقع وهكذا كان ولم يكن هناك سبيل للتردد بعد أن علمت من الأمير فيصل أنه بدأت بينه و بين الأتراك مفاوضات للصلح في – وهيد – مقر الجيوش الانكليزية والفيصلية

وحين وقفت على دخيلة الأمور سألت الأمير بعد أن دخل مع نوري السعيد فائز الفصين وفخري البارودي وحرر تلك الرسالة الجوابية لجمال باشا الصغير وقال فيها أنه لا قبل للأتراك بمقاومة تلك الجيوش الجرارة.. سألته ماذا يكون موقف الحكومة العربية عند دخول هذه الجيوش وماهو الأمر المتفق عليه بينكم، فكان جوابه: ليس هناك أي اتفاق فعندما تهاجم دمشق من قبل هذه الجيوش يرفع علم القوة التي تسبق الى المدينة الى أن تنظر جمعية الأمم بمصير هذه البلاد.

هذا ماحملني على الاسراع باعلان الاستقلال بينما كانت هناك مؤامرة سبقت الاحتلال وأشرك فيها بعض الشخصيات المعروفة آنذاك كان ذلك يجرى تحت طي الخفاء دون علمنا ولما فوجئ هؤلاء بإعلان الاستقلال ورفع الراية العربية المستقلة أسقط في يدهم وأخذوا ينتظرون دخول الجيش ليقوموا بعملهم وقد فضح الجاسوس الانكليزي لورنس هذه الأمور في كتابه رأس الأعمدة السبعة وكتاب الثورة بالصحراء.

ويضيف الأمير سعيد:

وفي اليوم الأول من تشرين الأول دخلت الجيوش الانكليزية في الصباح بينما كنت أدير الحكم بدار الحكومة فألفت مجلساً مؤقتاً للشورى من الأعضاء المرحوم عطا بك الأيوبي وشاكر بك الحنبلي وفارس بك الخوري والأمير طاهر وبدأت بتنظيم تحارير لقواد الجيش الداخل أعلمهم بأن الشعب السوري أعلن الاستقلال ولذلك لاينبغي دخولهم الى المدينة قبل اعلامنا خشية وقوع أخطار وكان الغرض من ذلك وضعهم أمام الأمر الواقع كما تقدم ولكن احتياطاً هذا لم يجد نفعاً فعند الساعة السابعة تقريباً فوجئنا بدخول الجيش الانكليزي وعلى رأسه القائد الماجور - اوتراولدن - وعند الصباح اختلط الأمر ومالبث هذا الجيش أن أحاط بمقر جمال باشا الصغير الذي بارح المدينة بعد أن رأى علم الاستقلال يخفق فوق سراي الحكومة وحين علمت بهذا الأمر أسرعت بإرسال السيد عبد الحليم اللاذقي من أدباء بيروت وكان بجانبي يحسن اللغة الانكليزية لمقابلة قائد الجيش الانكليزي وابلاغه أن الشعب أعلن استقلاله وشكل حكومته المؤقتة وأن رئيس الحكومة يطلبك الى دار الحكومة وكان جواب القائد: نحن دخلنا محتلين وحين بدا رفع العلم الانكليزي طلبت حضوره حالاً فخضع للأمر الواقع ولما أعلمته أن قائد الجيش التركي أفلت من يده تقدم هو وضباطه الكثيرون ومن ورائهم الجند شاهرين البنادق والمسدسات وهم فوق خيولهم الى أمام السراي وقال لعبد الحليم إذا كان هنالك حاكم فلينزل لمقابلتنا وحين بلغني هذا القول خرجت الى الشرفة المطلة عليهم وناديته بالانكليزية قائلاً: هنا الأمير محمد سعيد الجزائري اصعد الى هنا وكان الصوت جهورياً كأمر عسكري فبهت القائد وأدرك أنه أمام مهمة.. إذ كان يعتقد أن هناك أمراً شكل عليه فهو دخل وبيقينه أن هناك شعباً يرحب بمقدمه ويضعه على منصة الحكم ومن عادة الانكليز خضوعهم للأمر الواقع.. وصعد هذا يحيط به ضباطه والجند ينتظرون وسلاحهم بأيديهم احتياطاً للطوارئ

وكانت باحة السراي مكتظة بأعيان البلاد والعلماء ورجال الدين والبطاركة فكان المجلس يربو على الثلاثمائة وقبل دخول الضباط وقفت وأشرت الى الحاضرين بعدم الوقوف على اعتبار أن الداخلين على هذا الشكل وهم شاهروا السلاح أعداء.

ويواصل الأمير سعيد:

وهكذا دخل الضابط وصحبه بأدب ولما اقترب مني سلم سلاماً عسكرياً فأجبته دون أن أمد يدي للمصافحة حسب مايقتضيه الحال والموقف ولم أشر لهم بالجلوس بل قلت لعبد الحليم سل هؤلاء ماذا يقصد من دخولهم الى بلد نال استقلاله وحريته وهم على هذا الشكل شاكي السلاح كانوا داخلين في معركة فأجاب نحن دخلنا الى المدينة لاحتلالها باسم الجنرال اللنبي قائد الجيوش الانكليزية وماكدت أسمع هذا القول حتى كان تياراً كهربائياً قد هزني فأجبته بغضب وحدة: لا إن هذا البلد أعلن استقلاله بوجود جيش يحكمه وما أقدم على هذا الأمر والا وهو مصمم على الدفاع عن حريته واستقلاله وإذا كان جيشكم موالياً لحكومة الحجاز فنحن نرحب بكم كضيوف فحسب فما كان من المأجور الذي وجد نفسه أمام موقف حرج أن طأطأ رأسه وغير لهجته وأجاب نحن لم ندخل للاساءة الى استقلالكم وإنما علمنا بأن المدينة خلت من الترك فجأنا لنجدكم وإنا على استعداد لوضع هذا الجيش تحت تصرفكم لتتمكنوا من توطيد الأمن.

قلت نحن مستعدون للمحافظة على الأمن داخلاً وخارجاً وبما أنكم حلفاء الحسين فأنتم ضيوف علينا وإذا لزمكم أية مساعدة فنحن على استعداد لمعاونتكم. فأجاب: إني بحاجة الى دليل ليذهب معي الى الجهة الشرقية من دمشق لمطاردة فلول الجيش الألماني فناديت السيد عزت العجة وكان ضابطاً وكذلك السيد نبيه العظمة وأوعزت اليهم بالذهاب مع الجيش وأن يمنعا أي اختلاط بينهم وبين الشعب وإذا صادفوا جيشاً ألمانياً فيطلبوا اليه التسليم باسم الحكومة العربية».(46)

ويقول أحد الكتاب عن تشكيل حكومة الأمير سعيد الجزائري:

«حين بدأ جلاء الجيش التركي عن دمشق وضواحيها متجهاً الى الشمال، أخذ الغوغاء يلعبون دورهم، وخشي عقلاء المجتمع من الفوضى واختلال الأمن قبل وصول الجيش العربي وحلفائه. فقام الأمير سعيد الجزائري وأخوه الأمير عبد القادر المشهور بعبده، وأبناء عمهما، على رأس مفارز من المغاربة المستوطنين دمشق يطوفون المدينة محافظة على أمنها وهدوئها واطمئنان سكانها، شاملين أحياء الأقليات بعناية خاصة وقاية لها من شر رعاع لايخلو من أمثالهم بلد، وتلك شيمة ورثها الأمراء وذووهم من آبائهم وجدهم المرحوم الأمير عبد القادر وحذا حذوهم في قسمي الميدان كبار آل مهايني وسكر، فاستحقوا أجمل الثناء.

وقبل أن يتم انسحاب الترك جيشاً وحكومة اجتمع في بهو المجلس البلدي في ساحة المرجة فريق من الوجهاء والمفكرين والدمشقيين في 27 ايلول 1918 وقرروا اقامة

حكومة مؤقتة تحول دون الفوضى، ريثما تصل الجيوش المظفرة وأجمعت كلمتهم على اختيار الأمير سعيد المشار اليه رئيساً للحكومة فتسلم زمامها بعزم مبتدئاً بقسم الولاء والاخلاص لجلالة الحسين، منقذ العرب، وتبعه اخوانه الذين انتدبهم لمعاونته في ادارة شؤون الحكومة، وأنزل فوراً عن دار الولاية العلم العثماني، ورفع مكانه العلم العربي وسط هتاف الجماهير، وهو نفس العلم الذي كان أخوه الأمير عبده قد جاء به من مكة المكرمة واحتفظ به لمثل هذا اليوم الأغر.

كان العلم عربياً محضاً ذا أربعة ألوان أسود وأبيض وأخضر وأحمر، يرمز أولها الى علم الخلفاء الراشدين والعباسيين والثاني الى علم الأمويين والثالث الى الفاطميين والرابع الى الثورة العربية التي قامت أخيراً تحت راية الحسين وجهود أبنائه ورجاله واشترك فيها المجاهدون من الأقطار العربية وفي مقدمتهم السوريون، بغية الوصول الى الاستقلال المنشود.

عقب استلام الأمير سعيد رئاسة الحكومة بعزم صادق لم يتوان عن ابلاغ مدن سورية وجبل لبنان نبأ انهزام الجيش التركي وقيام حكومة عربية في دمشق العاصمة، تحت راية جلالة الحسين منقذ العرب، وذلك ببرقيات تضمنت فوق ماذكر، حثّ الأهلين على التزام الهدوء والسكينة وصيانة الأمن وتأييد العهد الجديد. ومما جاء في هذه البرقيات أيضاً أن اسفكوا الدم ولكن بعدل)».(47)

ويقول د. علي سلطان:

«ذهب سعيد الجزائري الى دار الحكومة ورفع العلم العربي ذا الألوان الأربعة الأبيض والأسود والأخضر والأحمر وهو علم الثورة العربية الذي كان قد أتى به أخوه عبد القادر من عند الحسين في مكة في اثناء الثورة على دار الحكومة وسط تهاليل الشعب الذي احتشد معبراً عن بهجته بخلاصه من حكم الأتراك. وفي هذه الأثناء وصل كثير من علية القوم وفي طليعتهم شكري الأيوبي وتابع الجزائري عمله في حفظ الأمن وتأسيس الحكومة، فعين مجلساً للشورى من وجهاء دمشق هم: الشيخ طاهر الجزائري، بديع المؤيد، عطا الأيوبي، شاكر الحنبلي وفارس الخوري، وأسند رئاسة البلدية الى عبد القادر الخطيب من شيوخ دمشق، وعين أخاه عبد القادر قائداً (للفرسان العرب) وهم من المغاربة وكانوا بمثابة القوة العسكرية لسعيد».(48)

والواقع أن هؤلاء الفرسان هم أعضاء جمعيتي مهاجري ومجاهدي شمال افريقية من الجزائريين والمغاربة الذين كان يعدهم امراؤهم ليوم كهذا، وأما الشيخ طاهر الجزائري فلم يكن في دمشق، إنما الأمير طاهر بن أحمد الجزائري هو الذي كان في مجلس الشورى المذكور.

ومهما يكن من أمر فإن من الثابت أن الأمير سعيد الجزائري أعلن استقلال العرب في اللحظة التاريخية الحاسمة وترأس أول حكومة عربية مستقلة في التاريخ المعاصر

وحمى دمشق والمسيحيين من الفوضى مرة ثانية وبسيوف الجزائريين أيضاً، تماماً كما حدث عام 1860 حين حمت هذه السيوف دمشق من مؤامرة الفتنة الطائفية، كما سيحمي بعض وجهاء العائلات الدمشقية عام 1925 من القصف الفرنسي وأبرزت الدكتورة خيرية قاسمية الوثائق الرسمية، خاصة تلك البرقيات والأوامر التي وجهها الأمير سعيد من دمشق الى بلدية بيروت معلناً فيها باسم فيصل بن الحسين ووالده الحسين بن علي اعلان الاستقلال العربي وقيام الحكومة العربية وطلب رفع العلم العربي بدل التركي وتقول قاسمية:

«وكان بين زعماء دمشق حزبان الأول يتبع الأميرين عبد القادر ومحمد سعيد الجزائري والثاني يتبع أنصار فيصل ويتزعمه رضا الركابي وشكري الأيوبي. وكان الاخوان الجزائريان قد قاما منذ 29 سبتمبر – ايلول، بتنظيم ميليشيا من المغاربة المستوطنين في دمشق للمحافظة على الأمن وتنظيم الادارة حين تأكد جلاء الجيش التركي عن دمشق وضواحيها، واجتمع في دار البلدية في المرجة عدد من الوجهاء شكلوا مجلس شورى واختاروا الأمير سعيداً رئيساً للحكومة، وقد رفع العلم العربي الذي جاء به الأمير عبد القادر من مكة مكان العلم العثماني.

وأرسل الأمير سعيد برقيات الى المدن السورية المختلفة يعلن فيها انهزام الجيش العثماني وقيام حكومة عربية في دمشق تحت راية الحسين يطمئن بها الناس ويهدد من يخل بالأمن».(49)

وهكذا حاز الجزائريون مرة أخرى على شرف حماية دمشق وأعلنوا الحلم الذي كان يراود العرب جميعاً منذ أيام الأمير عبد القادر وهو قيام حكومة عربية مستقلة غير معادية لتركيا الاسلامية وغير واقعة تحت الاحتلال الأوروبي.. ولذلك رفض الأمير سعيد في دمشق ومعه ابراهيم هنانو في حلب اهانة تركيا وجيشها المهزوم، ولم يمزقا العلم التركي وأنزلاه دون اهانة باعتباره راية دولة اسلامية يجب أن تكون العلاقة معها جيدة بعد أن انتهت الحرب بالنسبة للعرب.. لكن لم يكن هذا مايريده الانكليز والفرنسيون والصهاينة.. وفي كل الأحوال فقد غادر الأتراك بلاد العرب عام 1918 على عربات تجرها الثيران كما دخلوها عام 1516 على عربات تجرها الثيران، انقضى عهد الظلم والظلام التركي غير مأسوف عليه، غير أن الاستعمار الأوروبي الأشد قسوة والأشد ظلماً الذي وقع على العرب هو الذي يجعل البعض يذكر الترك بشيء من الخير، وكم هي تعيسة المقارنة بين الثوم والبصل!!

**5- بريطانيا تغتال الاستقلال العربي:**

بإعلانه الاستقلال العرب أثار الأمير سعيد الجزائري عليه جميع الطامعين في البلاد أو في حكمها وهم:

1- الانكليز

2- الفرنسيين
3- فيصل بن الحسين الذي كان يخشى نفوذه
4- الطامعين في الحكم من العائلات الأخرى

فبإعلانه الاستقلال العربي باسم فيصل نفسه عرقل الأمير سعيد الخطط الانكليزية الفرنسية لتنفيذ اتفاقية سايكس بيكو، كما قطع الطريق على الطامعين في الحكم، وهكذا تجمع هؤلاء ضده لاغتيال الاستقلال الوليد، أما فيصل فبالرغم من أن سعيداً قام بالعملية بتعليمات منه واتفاق مسبق معه ولحسابه إلا أنه خشي نفوذ الأمير سعيد والمغاربة في البلاد، لذلك فإنه لم يعترض على تنحيته. وقد كلف ها الموقف فيصل غالياً فإن الحكومة العربية التي تزعمها في سورية 1918-1920 انتهت بكارثة جديدة فقد وقعت البلاد تحت احتلال جديد وطرد فيصل نفسه وظل هائماً في أوروبا بحثاً عن عرش في حادثة تكاد تكون نسخة من حادثة عبد الله الصغير في غرناطة الأندلس.. يقول لورنس:

«ولما وقع نظري على هذا المشهد أصبت واستولى عليّ الذهول ورأيت محمد سعيد قد قفز من مكانه وصرخ قائلاً بأن أحفاد الأمير عبد القادر وشكري الأيوبي سليل بيت صلاح الدين قد أسسوا الحكومة ونادوا بالحسين ملكاً على كل العرب أمس وأن الأتراك والألمان سمعوا ذلك بآذانهم قبل رحيلهم من البلاد.

ويضيف لورنس:

هؤلاء الجزائريون كانوا من المتعصبين تعصباً دينياً شديداً وكانت أفكارهم بعيدة عن المنطق، فالتفت الى ناصر ونظرت اليه نظرة فهم منها أنه من الضروري وضع حد لأعمال هؤلاء الجزائريين منذ البدء والحقيقة أن سلوكهم هذا لم يكن محتملاً.

ولما كنت وكيلاً عن فيصل أعلنت باسمه أن الحومة التي كانت في دمشق قد ألغيت وعينت شكري باشا الأيوبي حاكماً عربياً للمدينة على أن يكون نوري السعيد قائداً عاماً للجيوش وعزمي باشا مساعداً له وجميل باشا مديراً للأمن العام.

أما محمد سعيد فقد تهكم عليّ ماشاء له التهكم وطلب من ناصر أن يسعده ضديّ. وقام عبد القادر فأخذ يسبني سباً قبيحاً ولكني لم أبال بما يقول فكان صمتي وعدم مبالاتي به من الأسباب التي زادته هياجاً فجن جنونه وقام يحاول أن يطعنني بخنجره ولكن عودة حال دون قصده.

وطلب نوري الشعلان أن يقفل باب الجدال وقال أن عرب الرولا هم عربه وهو لايريد من أحد التعرض لهم فنهض الجزائريون وخرجوا من الغرفة ودلائل الشكاسة بادية على وجوههم، والضغينة تملأ قلوبهم.

وقد حاول البعض أن يغريني بالقبض على هؤلاء الجزائريين واعدامهم جميعاً ولكن لم أكن ألجأ الى القتل كوسيلة من وسائل السياسة وماكنت أحب أن أظهر للعرب أني أتخوف من أذاهم أو أبالي بضررهم».(50)

وهكذا يعترف لورنس بأنه قام باغتيال الفرحة في عيون الناس.. قام باغتيال الاستقلال والانقلاب على حكومة كان يفخر الأمير سعيد الجزائري أنه شكلها من سلالة العظماء الأمير عبد القادر الجزائري وصلاح الدين الأيوبي وبناء على تكليف من فيصل نفسه وأعيان البلاد والأكثر ايلاماً في هذا الاغتيال أنه تم بطريقة مهينة للدم العربي والشرف العربي فإن قيام انكليزي بتعيين حكومة عربية كان مقدمة لقيام أنظمة قطرية عربية ملوكها عبارة عن رجال من قش وحكوماتها مجموعات من الخدم في دوائر المخابرات الأجنبية، فإن الحكومات القطرية التي قامت بعد ذلك في سائر أرجاء الوطن العربي ظلت إلا في القليل النادر منها مطية للأجنبي يعينها رجال على شاكلة لورنس. وظلت منذ تلك اللحظة مرفوضة من الجماهير العربية كما رفضت الجماهير العربية حكومة لورنس في دمشق وخرجت في مظاهرات عارمة فاغتالها لورنس على الفور.

**6- اغتيال الأمير عبد القادر بن علي:**

على أثر الغاء لورنس لحكومة الاستقلال العربي برئاسة الأمير سعيد الجزائري وتعيينه لحكومة ذيلية فارغة من مضمون الاستقلال برئاسة الركابي، انفرط عقد الأمن في دمشق فالشعب يريد الاستقلال لا الوقوع تحت احتلال جديد. وهاهو لورنس يثبت أن ماحذر منه الجزائريون منذ الأمير عبد القادر لم يكن وهماً.. فها هو الانكليزي هو الآمر الناهي.

ثارت دمشق على لورنس وتجمع الناس مسلمون ومسيحيون، دروز وحوارنة فلاحون وتجار وغيرهم.

فعلق لورنس والركابي المشانق في ساحة المرجة وسط دمشق مذكرين الناس المنتفضين بمشانق جمال السفاح وأن لا فرق بين احتلال واحتلال.

أين ذهب الأمن الذي حفظته حكومة الأمير سعيد قبيل وصول لورنس، لا أحد من المؤرخين - اياهم - يتكلم، لأن المؤامرة على الاستقلال العربي مستمرة حتى اللحظة.

وهكذا بموافقة واضحة من فيصل قام لورنس بقمع الانتفاضة الشامية الأولى ضد الاحتلال البريطاني اغتيالا وشنقا.. وأوكل لورنس مهمة اغتيال الأمير عبد القادر بن علي المعروف بعبدو، شقيق الأمير سعيد الى زميله ضابط المخابرات البريطاني «كركربرايد» ويقول أدهم الجندي حول اغتيال الأمير عبدو:

«طلب رضا باشا الركابي حاكم دمشق العسكري الأمير لمفاوضته في أمر لها علاقة بسياسة البلاد إذ ذاك، فأبى مرافقة الجند الذين حضروا لجلبه وأبلغهم أنه سيواجه الحاكم، فأصروا على أخذه بالقوة.

ورأى الأمير الشهيد أن يذهب لمقابلة الجنرال غريغوري الانكليزي ليطلعه على مايدبره الأمير فيصل نحوه من دعايات ودسائس، فلما امتطى جواده أمسك الجند بعنان الجواد وصوبوا البنادق الى صدره ليحولوا دون سيره فمنعوه، وقال لهم أنه ماض الى الجنرال.

سار الأمير الشهيد بين صفين من الجند، ولم يدر ما خبأ له القدر من مفاجئات ولم يمض بضع خطوات حتى أطلق مفوض الشرطة المدعو مصباح المصري الرصاص عليه، فأصيب بطلقتين في ظهره وبثالثة في جنبه، فتحمل قليلاً، ثم زل جواده عن سكة القاطرة الكهربائية، فهوى جواده، وسقط الأمير عن ظهره، وبعد عشرين دقيقة فاضت روحه، وقد ضجت دمشق لهذه الفاجعة والجريمة النكراء، ووقعت الحكومة الفيصلية في اضطراب عظيم وكان ذلك يوم السبت في 17 تشرين الثاني سنة 1918.

ويضيف أدهم الجندي:

وجدير بالذكر أن الأمير سعيد قد اعتقل قبل وقوع حادث القتل بساعتين، بدسيسة حتى لايأتي بأي عمل عند تنفيذ مؤامرة مصرع شقيقه، ولم يدر بقتل أخيه إلا بعد بضعة أيام، وظل معتقلا مدة ستة أيام في المعسكر الانكليزي في المزة وثلاثة أيام في مركز الأركان ثم أطلق سراحه وبدأ بتقديم الاحتجاجات الصارخة الى الدول الكبرى ضد أعمال الملك فيصل وحكومته».(51)

أي أن المحتل الجديد لورنس كرر مع الجزائريين والأمير سعيد بالذات مافعله معهم المحتل التركي القديم جمال السفاح حين أعدم الأمير عمر بن عبد القادر.

كاد اغتيال الأمير عبد القادر أن يدخل البلاد في بحر من الدم فقد كان متوقعا وواضحاً من الذي اغتاله كما أن الطريقة التي تمت بها التصفية كانت طريقة انجليزية دنيئة وخبيثة تنبيء عن فاعليها، خاصة وأن سلطة الاحتلال البريطاني قامت بسجن الأمير سعيد كجزء من خطة الاغتيال.

وفي لحظات انتشر الخبر في أرجاء دمشق وانتقل الى حوران وفلسطين ولبنان وتجيش الناس من دمشق وغوطتها، من جبل الدروز وحوران وتجيش الجزائريون من فلسطين وزحف الناس من مسلمين ومسيحيين الى دمشق ينتظرون شارة الأمير سعيد للانقضاض على حكومة الاحتلال البريطاني ولازال كبار السن من المهجرين الجزائريين يروون لنا ماحدث.

وقد اعترف صبحي العمري بهذه الحوادث لكنه قلل من قيمتها، غير أنه اعترف بأن صاحبه لورنس هو الذي قتل الأمير عبد القادر بن علي إذ يقول:

«إن اللذين قررا قتل الأمير الجزائري هما نوري السعيد ولورنس وأن أحدا لم يشاركهما العمل سوى مدير الشرطة».(52)

ويقول صبحي العمري أنه سبق وأن رفض أمرا من نوري السعيد لاغتيال الأمير عبد القادر بن علي.

ويعزو صبحي العمري أسباب الصراع بين عبد القادر ولورنس الى أن هذا الأخير أراد تغطية فشله أمام الانجليز:

«لذلك أخذ يحاول إيجاد المبررات لهذا الفشل فاخترع أولاً قيام الأمير عبد القادر الجزائري بإفشاء سر عملية نسف الجسور ولما رآها غير كافية زوقها بأن القطار الذي نسفه كان ينقل جمال باشا».(53)

ومن المعروف أن تركيز بريطانيا على نسف الخط الحديدي الحجازي هو لفصل بلاد الشام عن الجزيرة العربية، ولازال هذا الخط متوقفاً منذ 1918 عند محطة معان، وقد شكل الأمير سعيد نفسه جمعية للدفاع عنه وتوصيله، لكن لا النظام الهاشمي في الأردن ولا السعودي في الجزيرة يريدان ذلك حتى اليوم (1996) وقد فشلت كل المحاولات. وهي ذات اللعبة التي تلعب في وصل العراق بالجزيرة العربية بالخط الحديدي الذي يتوقف عند البصرة وفي الصعوبات التي يلقاها خط المغرب العربي أيضاً.

وأما اغتيال الأمير عبد القادر بن علي فقد وصفه كاتب آخر بقوله:

«رغم صفاء الجو الاداري واستقرار الأمن في جميع أنحاء سورية، فوجئت العاصمة دمشق في أواخر تشرين الثاني سنة 1918 بنبأ مقتل الأمير عبد القادر الجزائري الشهير بعبدو حفيد الأمير عبد القادر الجزائري الذي قاوم الفرنسيين على رأس رجاله في الجزائر ثم غلب على أمره فتصالح معهم واختار دمشق مقاماً له ولرجاله وعائلاتهم.

وقع قتل الأمير عبده في شارع المهاجرين المؤدي الى قصر الأمير فيصل فاضطربت الأفكار قبل معرفة السبب وخشي من اختلال الأمن ومن اضطراب الحالة حين قام أنصار القتيل من مغاربة وغيرهم ينادون بالثأر لزعيمهم. وانتشرت الشائعات المختلفة حول كيفية قتله وتضاربت الآراء حول الغاية من اغتيال شخصية من أبرز شخصيات دمشق وجاهة ونفوذاً فمن قائل أنها مؤامرة دبرها البريطانيون تخلصاً من عدو لسياستهم، الى قائل بأنها مدبرة من قبل أنصار الأمير فيصل الى قائل بأنها لاتخرج عن عداء محلي وتنازع على النفوذ، الى غير ذلك من الافتراضات التي لم يقترن أحدها بما يؤيده.

أما صورة الحادثة التي اتفق الأكثرون عليها، فتتلخص كما وصفها المفكر الوطني الأديب محمود الشركسي في دليله المصور، في «أن القيادة البريطانية طلبت الى الحكومة المحلية تكليف الشقيقين الأميرين سعيد وعبده بالشخوص الى مركز القيادة في المزة فقامت الحكومة بابلاغهما الأمر، فلبى أحدهما الأمير سعيد الطلب (وكان نصيبه بعدئذ النفي الى فلسطين حيث أقام أمداً طويلاً لايسمح له بالعودة الى سورية) وأما شقيقه الأمير عبده فبعد أن تبلغ الأمر في منزله الكائن في جادة الصالحية، خرج راكباً جواده يصحبه عدد من أتباعه المغاربة وسار عدواً في طريق المهاجرين حيث كان البلاط الأميري. وهناك ومن احدى ناحيتي تلك الطريق خرجت رصاصة أصابت من الأمير مقتلاً.

غير أن رجال الأمن العام يقولون أنهم لما استوقفوا الأمير عبده أثناء عدوه في

شارع المهاجرين أطلق السلاح ارهاباً وتبادل الفريقان حينئذ الطلقات الارهابية فأصابت أحداها منه مقتلاً».(54)

ومن الثابت الآن كما ذكر أنيس الصائغ في كتابه «الهاشميون والثورة العربية» أن الذي خطط لقتل الأمير عبده هو لورنس وأسند المهمة الى ضابط الاستخبارات البريطاني كركبرايد وذلك ليضرب عدة عصافير بحجر.واحد فهو من جهة يتخلص من عدو للحلفاء يطالب بالاستقلال العربي، ومن جهة أخرى يتخلص من عدو شخصي له.

والجدير بالذكر أن لورنس قتل في لندن على ظهر دراجته في الثلاثينات بعد أن كشف أمره للمجتمع البريطاني سياسياً، كمخبر صغير فاشل، وأدبياً كمؤرخ كذاب لايعتمد به وأخلاقياً: كشاذ شهير من شواذ بريطانيا وفشل الفيلم البريطاني الذي مثله الممثل المصري عمر الشريف باعادة الاعتبار لهذا الرجل.

أما نوري السعيد فقد تم سحله في شوارع بغداد من قبل الشعب العراقي في ثورة 1958/4/14 باعتباره ذيلاً للاستعمار البريطاني وسبقهما الى هذه النهاية المخزية كل من الطورانيين الصهاينة أنور وطلعت وجمال السفاح حيث ضاعوا في ثلوج البحر الأسود كعنوان لنهاية الدولة العثمانية التي كانت تحكم العرب باسم الدين وتضع رجالهم على «الخازوق» باسم الدين أيضاً... لقد ذهب الجميع وظل العرب يقاومون من جديد.

# الهوامش والمراجع

1. انطونيوس، جورج: يقظة العرب – تاريخ حركة العرب القومية، ترجمة د. ناصر الدين الأسد ود. احسان عباس، ط8 بيروت 1987 ص160.
2. قلعجي، قدري و ينقل عن الصلح و انطونيوس.
3. الدوري، د. عبد العزيز: التكوْين التاريخي للأمة العربية.
4. الأمين، محسن: أعيان الشيعة. بيروت 1958 ط1. 432ص299.
5. آل صفا، محمد جابر: تاريخ جبل عامل بيروت 1981 ط2.ص....
6. الصلح، عادل: سطور من الرسالة. تاريخ حركة إستقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1977/1966، بيروت ط1.ص98.
7. البعيني، حسن أمين/جبل العرب، صفحات من تاريخ الموحدين الدروز 1685 – 1927 /بيروت 1985 ط1، ص197.
8. الصلح، عادل: مصدر سابق ص 100.
9. نفسه ص 106 و ما بعدها.
10. نقلها الصلح عن جورج انطونيوس.
11. انطونيوس، جورج: مصدر سابق ص153.
12. علوش، ناجي: كتابات أديب اسحق
13. الصلح، عادل: مصدر سابق ص 102.
14. البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ج2 بيروت 1993 ص1065.
15. قاسمية، خيرية: الحكومة العربية في دمشق 1918-1920 بيروت 1982 ط2 ص16.
16. الريماوي، د. سهيلة: الجمعية العربية الفتاة.
17. سلطان، د. علي: تاريخ سورية 1908-1918 نهاية الحكم التركي، دمشق 1987 ط1 ص23.
18. السكاكيني، وداد / زعماء العروبة و الفكر الإسلامي – الشيخ طاهر الجزائري /مجلة نهج الإسلام / دمشق العدد 23 آذار – مارس –1986 ص94.
19. الريماوي، د. سهيلة: مصدر سابق.
20. سعيد، أمين: الثورة العربية الكبرى – تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، مطبعة البابي الحلبي بمصر، ص 310.
21. سلطان، د. علي: مصدر سابق ص20.
22. المحافظة، د.علي / الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914

/بيروت 1980 ط3، ص133.

23. آل صفا، محمد جابر: مصدر سابق ص

24. المحافظة، د. علي / مصدر سابق ص 134.

25. المقصود الأمير عبد القادر بن علي بن عبد القادر الجزائري، وهو الذي اغتاله لورانس في وقت لاحق.

26. الوسوعة الفلسطينية / القسم الأول ص 308.

27. آل صفا، محمد جابر: مصدر سابق ص 147.

28. الكيالي، د. عبد الوهاب / الموسوعة السياسية / بيروت 1974 ط1، ص 20.

29. انطونيوس، جورج: مصدر سابق ص186.

30. الكيالي، د. عبد الوهاب / مصدر سابق ص 20.

31. الجندي، أدهم: شهداء الحرب العالمية الأولى / دمشق 1960، ص 14.

32. الموسوعة السياسية

33. سلطان، د. علي: مصدر سابق ص33.

34. الجندي، أدهم: مصدر سابق / ص 15.

35. الريماوي، د. سهيلة: مصدر سابق

36. الجندي، أدهم: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي، دمشق 1960 ص

37. نفسه ص100

38. هذا هو النص الذي أورده جمال السفاح في ايضاحات أما أمين سعيد فقد أورد منشور الثورة كاملاً بدءاً من الصفحة 149 في الثورة العربية الكبرى وكان النص كالآتي: «بل وصل حقدهم على العرب الى إهانة الأموات، فتجرأوا على قبر الأمير الأبر والمجاهد التقي الزاهد مولانا الشريف عبد القادر الحسني باهانته وتحقيره».

39. المعلم، وليد / سورية.

40. لورنس.ف / ثورة في الصحراء.

41. الرفاعي، أنور: جهاد الأمير سعيد

42. انطونيوس، جورج: مصدر سابق ص358

43. سعيد، أمين: مصدر سابق ص311

44. نفسه ص314

45. سلطان، د. علي / تاريخ سورية 1908-1918، نهاية الإحتلال التركي / دمشق ط1 ص 110.

46. أول حكومة عربية في دمشق بعد جلاء الأتراك عنها، مقالة للأمير سعيد الجزائري في جريدة الجامعة العربية، دمشق 1934/7/9.

47. دروز و عزة / القضية العربية.

48.سلطان، د. علي: تاريخ سورية 1918-1920 حكم فيصل بن الحسين ط1، دمشق 1987 ص18.

49.قاسمية، د. خيرية: مصدر سابق ص47.

50.لورنس / ثورة في الصحراء.

51.الجندي، أدهم: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي ص191

52.العمري، صبحي: لورنس كما عرفته / بيروت 1968، ط1 ص 234.

53.نفسه ص 166.

54.الجندي، أدهم: مصدر سابق ص 191.

## ثالثا: إسهامهم في الحركة الوطنية و الثورة الجزائرية

**مدخل:**

تتجه الكتابات الفرنسية والفرانكوفونية التي تعالج موضوع الحركة الوطنية الجزائرية الى القول أن هذه الحركة ولدت في صفوف الجزائريين المهاجرين الى فرنسا دون غيرهم وتحدد ذلك ببزوغ حزب نجم شمال افريقيا، وقد شددت هذه الكتابات على ذلك تشديدا كبيرا حتى صار قناعة عامة لدى معظم الأجيال من جهة، وزاد من تساؤلات المتشككين في النص الفرنسي والفرانكوفوني من جهة ثانية.

ومع أن ميلاد الحركة الوطنية الجزائرية في صفوف المهاجرين الجزائريين في فرنسا أو في أي بلد آخر لاينتقص من الوطنية الجزائرية شيئا، بل إنه يتفق والمفهوم الاسلامي للهجرة باعتبارها مرحلة من مراحل الجهاد يتغير فيها موقع المسلم ولايتغير موقفه، وهو ميلاد لايعطي فرنسا أو غيرها ميزة أو شرفا كما تريد تلك الكتابات الوصول اليه، فمن المؤكد أن هذه الحركة لم تكن لتولد في فرنسا أو غيرها لو لم يكن الوطن نفسه قد حبل بها، في أريافه ومدنه أولا، ولو لم تكن الوطنية راسخة في نفوس الجزائريين في الوطن والمهجر على حد سواء.(1)

وهذه هي الحقيقة، فالحركة الوطنية الجزائرية لم تتوقف بتوقف القتال بين الأمير عبد القادر الجزائري والجيوش الفرنسية عام 1847. بل أنها استمرت، فأينما زحف الجيش الفرنسي وجد مقاومة ضارية من شعبنا، ويكفي شعبنا فخرا أن الجيش الفرنسي لم يتمكن من بسط سيطرته على بعض مناطق وطننا إلا بعد مرور أكثر من سبعين سنة على بدء الاحتلال.

وفي العادة يقفز الكتاب الفرنسيون والفرانكوفون عن النشاط الوطني لشعبنا خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أي بعد ثورة المقراني 1871، وكذلك عن نشاطه في مطلع القرن العشرين، وصولا الى عشرينات هذا القرن حيث بدأت الحركة الوطنية الجزائرية تعمل في صفوف المهاجرين الجزائريين بفرنسا.

وحتى تتم لهم تعمية المواطن الجزائري وتضليله فإنهم يقفزون عن سؤال:

ماذا فعل المهجرون الجزائريون في الشام من أجل الحركة الوطنية الجزائرية؟

إنه من المعروف عى نطاق واسع أن المهجرين الى الشام، أصحاب هجرة سياسية، وليس هجرة اقتصادية كاخوانهم الذين هاجروا الى فرنسا، كما أنهم أصحاب كفاءات عالية، أو ليس من المنطق - إذن -أن تظهر فيهم حركة سياسية لصالح وطنهم أم

أن «سحر الشرق» أنساهم الوطن؟

نعد رأينا أن الشرق العربي لم يكن ساحراً في نظر الجزائريين المهجرين، فهم جزء من سحر هذا الشرق الحضارة بل يستحق وحده النضال العنيف من أجله، وهكذا رأيناهم يناضلون في هذا الشرق ومن أجله، باعتباره جزءاً من هذه الأمة التي لا فضل فيها لمغرب على مشرق أو مشرق على مغرب، فكلاهما جزء من التمرة العربية.

ولحسن الحظ أنه لدينا من الوثائق مايثبت أن الحركة الوطنية الجزائرية قد بدأت تبلور نفسها في مطلع القرن العشرين في تنظيمات حديثة مترابطة في داخل الوطن وخارجه، وذلك في تسلسل زمني وتنظيمي يستحق الاعجاب فعلاً وآية هذا التنظيم الحديث الذي لايمكن أن يقفز عنه إلا أصحاب النوايا السيئة، تلك الجمعيات وهاتيك الصحف، بل وذلك القتال

ثورة المقراني 1871:

دون ريب أن كل مهجر جزائري كان يطمح ويسعى للعودة الى الجزائر وتحريرها، وقد اشترطت فرنسا على الأمير عبد القادر أن لايعود الى الجزائر ولكنه شرط لاينطبق على كل المهجرين لذلك فإن فرنسا.شددت الرقابة عليهم سواء وهم في المشرق العربي أو حين يتمكن أحدهم من زيارة أهله..

ولكن ثورة المقراني 1871 كانت على صلة بالأمير عبد القادر كما صرح بذلك المقراني نفسه، وكما بين ذلك الدكتور يحيى بوعزيز في كتابه عن ثورة المقراني ويبدو أن هذه الصلة كانت من خلال ابن الأمير عبد القادر الأمير محي الدين وقد حاول الأمير عبد القادر على المستوى العلني أن ينأى بنفسه عن هذه العلاقة وأعتقد أنه على المستوى السري كان يدعمها من خلال تونس واستامبول، يقول عادل الصلح أن والده منح الصلح روى له:

«أنه بعد ماجاء الأمير عبد القادر الى دمشق ليقيم فيها، وانقضاء بعض الوقت على ذلك، أخذ الأمير محي الدين يتبرم ويكثر من الشكوى وأخذت نفسه تتوق للعودة الى النضال والجهاد من أجل تحرير الجزائر، ومازالت هذه الرغبة تلح به حتى جاءت سنة 1870 وقعت الحرب الفرنسية الألمانية، وحدثت في أعقابها اضطرابات في الجزائر، انقلبت في شهر آذار سنة 1871 الى ثورة على الفرنسيين دامت عشرة أشهر فرأى الأمير محي الدين أن الفرصة قد سنحت للعودة الى مجاهدة الفرنسيين، فغادر دمشق وخاض على أرض الجزائر ميادين القتال. ولما بلغ ذلك والده غضب على ماكان منه، لأنه كان على يقين من أن الاقدام على أية مجازفة في ذلك العهد كالتي أقبل عليها الأمير محي الدين، وإنما هي محاولة عقيمة ليس فيها إلا الضرر والأذية للجزائر وأهلها. فأمر ابنه بأن يعود الى دمشق ونزولاً عند أمر الوالد عاد الأمير محي الدين الى بيروت ولم يتابع طريقه الى دمشق، تحسباً من ان يلقاه والده على غير رضى، فدعاه والدي لقضاء بعض الوقت عند أقارب له في مدينة صيدا».(2)

ويقول يحيى بوعزيز:

«وكان ظهور محي الدين بالمنطقة حافزاً قوياً للسكان على حمل السلاح.. وأرسلوا وفداً الى محي الدين بتقرين للقائه.... فإن وصول محي الدين اليهم له تأثير عليهم، كما أن محاولة تحقيق الاتصال بين محي الدين والمقراني بالمراسلة والمبعوثين له دور في توسيع نطاق الثورة في دائرة تبسة، وقد يكون له دور في نجاح المقراني في توسيع نطاق ثورته الى جهات كثيرة أيضا».(3)

وفي اعتقادي أن قضية موافقة الأمير عبد القادر على سلوك ولده هي مسألة تحتاج الى مزيد من البحث والتدقيق فإني أميل الى القول بأن الأمير بما عرف عنه من حذر وحيطة واطلاع على مجريات الأمور في الاستانة اتخذ موقفا علنياً وآخر سرياً.. لأنه لم

يشهر عن أولاد الأمير أنهم خالفوه في الصغير من الأمور، فكيف في مثل هذا الأمر الكبير الخطير. خاصة وأن المقراني – حسب بوعزيز، كان يعلن علاقته بالأمير عبد القادر.

ومما يعزز هذا الانطباع لديّ أن الأمير محي الدين كتم الأمر على كل أحد، إلا أنه كان يكتب الاشعار لأخيه محمد يصف أحواله في تونس والجزائر.. كما يتضح ذلك من ترجمة عبد الرزاق البيطار له في «الحلية».. فهل يعقل أن يقف الابنان من خلف ظهر الأب..؟. يقول البيطار في ترجمة واسعة خصصها لصديقه الأمير محي الدين:

«ثم في سنة تسع وثمانين في شهر رجب، وقع بين دولة فرنسا وألمانيا للقتال أعظم سبب فانتشبت بينهما نار الحرب. وتقابلت الدولتان بالسفك والطعن والضرب، وآل الأمر في مدة أربعة أشهر الى انتصار ألمانيا على الدولة الفرنساوية، وتكبدت فرنسا خسائر ومشقات قوية، فخطر في بال المترجَم أن الحرب يطول بين الدولتين، فينتهز الفرصة لتخليص وطنه الجزائر من يد فرنسا ويزيل عن الوطن الكدر والغبن، فتوجه بقصد الزيارة في الديار المصرية فحينما وصل الى مدينة اسكندرية، توجه منها الى تونسْ العرب ولم يعلم أحد نيته الخفية، فأكرمه حاكمها صادق باشا وشاع ذكره في ذلك القطر عرضاً وطولاً وأنزله ذلك الحاكم عنده وأهداه نيشاناً من الرتبة الأولى، فقصد المترجَم التوجه منها الى الجزائر فلم يتمكن من ذلك نظراً لما ناله من الاشتهار الذي ملأ تلك النواحي والأقطار فحرر لرؤساء الجزائر نحو المائتي كتاب، لكي يتهيأوا لمحاربة فرنسا عند قدومه المستطاب، وأرسلها من تونس مع الرسل الخفية، ثم ودع الباشا مظهراً له قصد الرجوع الى الديار الدمشقية فتوجه الى مالطة، وحين وصوله اليها أخفى نفسه وتنكر، ولبس لباس الدراويش وظهر في غير ذلك المظهر، وتوجه الى طرابلس الغرب، فحينما وصلها أرسل ثقله مع بعض الخدم في البحر الى مدينة قابس وهو قد توجه براً متكبدا لمشقات لم يكن على مثلها بمارس، الى أن وصل لبلاد الجريد، ومكانها عن حدود الجزائر غير بعيد فهناك أظهر حاله للناس، ولم يخشى على نفسه من بأس».(4)

ويبدو أن الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر كان يلقى حفاوة وترحيباً بالغين من الجزائريين في الصحراء التي وصلها من الحدود التونسية بعد مكاتبات منه الى رؤساء قبائلها لتعضيد الثورة ضد فرنسا حيث يتابع صديقه الحميم عبد الرزاق البيطار القول:

«فإنه لما وصلت كتبه الى رؤساء الجزائر من تونس، استبشروا ولم يعد لهم صبر لإنتظار قدومه فتراسلوا وتآمروا وأظهروا العصاوة على دولة فرنسا وانتشب القتال بينهم في كل مكان، فلما وصلوا اليهم بايعوه على السمع والطاعة ووقعت بينه وبين الجيوش الفرنساوية مقاتلات عديدة، ماعدا التي وقعت بأمره في عدة أماكن ولم يحضرها، وقد قتل ألوف من الفرنساوية ولكن حيث أن الباري لم يقدر خلاص الجزائر من اليد الفرنساوية

تصالحوا هم وألمانيا وأرسلوا في الحال جيوشاً جرارة لمحاربته فتيقن عند ذلك بعدم اقتداره على مقاومتهم والتمست دولة فرنسا من حضرة والده ارسال أمر ونصيحة له، فعندما رجع الى حدود تونس بمن معه، ثم بقيت أهالي الجزائر في تونس، ورجع هؤلاء الى الشام، وبقي في ثغر صيدا نحو السنة ثم رجع الى دمشق عند والده وقد سألته بعد مدة معاتباً له عن عدم اخباره لي بماعزم عليه من السفر الى الجزائر، وماترتب على ذلك فاعتذر لي بأن هذا من الأمور المكتومة التي لايمكن ابداؤها لأحد».(5)

ويقول نهويض في أعلام الجزائر:

«ونهض لتجديد الجهاد الذي بدأه أبوه، وتحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي، ووصل الى منطقة (الجريد) بتونس وانتشرت أخبار حركته، فمنع من دخول الجزائر، فبعث الى زعمائها بنحو 200 رسالة يدعوهم للاستعداد، وسافر الى مالطة فتنكر ولبس لباس درويش ودخل الجزائر، ثم أظهر نفسه فالتفت حوله الجماهير ووقعت بينه وبين الجيوش الفرنسية معارك.. وتوقفت الحرب بين ألمانيا وفرنسا فأقبل الفرنسيون لسحقه، فغادر الجزائر الى حدود تونس وأبقى من كان معه من الجزائريين فيها، وعاد هو الى مدينة صيدا بلبنان فأقام بها نحو سنة ثم دخل دمشق».(6)

وقال عنه أعلام دمشق: «أكرمه السلطان عبد العزيز ومنح لقب باشا وجاهد في المغرب الاستكبار الفرنسي في حياة والده ثم رجع الى دمشق».(7)

إذن فنحن أمام نصوص واضحة تجبر الباحث الوطني النزيه على تتبع دور الصحراويين في ثورة المقراني العظيمة وليس محاولة حصرها في الجبال فقط، كما هو حال معظم الكتابات التي نراها اليوم - وكذلك تتبع دور الأمير محي الدين وحجم المساندة التي لقيها من تونس، وعن حقيقة موقف الأمير إذ ليس من المعقول أن يقوم بمثل هذا العمل بعيداً عن موافقة والده الأمير عبد القادر والذي عرف عنه الحذر وصاحب العلاقة الممتازة مع حكام تونس في ذلك الوقت، ثم هل ذهب محي الدين الى تونس فالجزائر وحده دون أن يصطحب ولو خادماً من جزائريي الشرق، وهل لم يجند معه أحداً من الجزائريين في تونس.؟

ثم هل أنه لم يوصل أسلحة الى الثورة.. وقد ترك وراءه جمعية أخذت على عاتقها تسليح ثورة المقراني ألفها المهجرون الجزائريون، ومقرها الأستانة، باسم «الجمعية الخيرية لإيالة الجزائر المحمية» إذ يقول بوعزيز:

« و كان ظهور محي الدين بالمنطقة حافزا قويا للسكان على حمل السلاح. و أرسلوا وفدا إلى محي الدين بتقريب للقائه...فإن وصول محي الدين إليهم له تأثير عليهم كما أن محاولة تحقيق الإتصال بين محي الدين و المقراني بالمراسلة و المبعوثين له دور في تحقيق و توسيع نطاق الثورة في دائرة تبسه، و قد يكون له دور في نجاح المقراني في توسيع نطاق ثورته إلى جهات كثيرة أيضا»(8)

وهل يمكن لجزائري واحد سواء في الأستانة أو في الشام أن يقوم بمثل هذه الجمعية الخطيرة من وراء ظهر الأمير عبد القادر.؟

**ب- الأمير خالد في الجزائر:**

ولد الأمير خالد بن الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري في دمشق سنة 1875 وتلقى تعليمه الابتدائي فيها قبل عودته الى الجزائر مع والده حيث زاول تعليمه الثانوي الى أن تخرج ضابطا من كلية سان سبيير العسكرية الفرنسية، وتوفي في دمشق عام 1936 كما تدل على ذلك شاهدة قبره في مقبرة عائلته بالدحداح وسط مدينة دمشق.(9)

وحاولت أن أعثر على مصادر حول والده الأمير الهاشمي، خاصة وأن والدتي حدثتني أن والدها محمد الخالدي سافر من دمشق الى الجزائر صحبة الأمير الهاشمي وولده، وأن والدها ظل سنوات يتردد بين دمشق والجزائر، حاولت أن أعثر على مايوثق كلام الوالدة علني أصل الى أسباب كثرة التردد على دمشق، فلم أتمكن حتى الآن من العثور على مصادر كافية تفسر عودة الأمير الهاشمي.

غير أن المراجع تشير بوضوح الى علاقة سياسية قوية بين حركة الأمير خالد والتي تكللت بتأسيس حزب نجمة شمال افريقية وبين القوى السياسية العربية العاملة على استقلال المشرق العربي عن تركيا.

وأعتقد أنه من سوء طالع الأمير خالد أن سورية نفسها وقعت بعد الحرب العالمية الأولى في براثن الاحتلال الفرنسي.. ولم يعد بامكانها على المستوى الرسمي والشعبي وحتى العائلي أن تقدم دعماً حقيقيا لحركته.

وفي كل الأحوال فإن الباحثين العرب وعلى رأسهم الجزائريين والسوريين مدعوين اليوم أكثر من أي وقت مضى لإماطة اللثام عن تفاصيل حياة هذا المناضل وتفسير انقلاب موقف فؤاد الأول ملك مصر منه، وتفاصيل عرض عبد العزيز آل سعود ملك السعودية للأمير خالد بقيادة جيشه الملكي ورفض خالد هذا العرض، وتفاصيل المضايقات المعيشية التي تعرض لها على يد سلطات الانتداب الفرنسي في دمشق.

وأعتقد أن عليّ واجب الاشارة الى أن هناك نقطة في تاريخ الأمير خالد تستحق الاهتمام، فقد كانت العلاقة بين المهجرين الجزائريين في الشام والدروز من أهله رفيعة المستوى.. وزعامة الدروز معقودة لعائلة الأطرش وعلى رأسها سلطان باشا الأطرش الذي اعتبر قائداً للثورة السورية الكبرى 1925-1927. ولذلك فإن نص محمد البجاوي في كتابه حقائق عن الثورة الجزائرية يعتبر نصاً ملفتاً للنظر حيث يقول:

«كانت حماسة المهاجرين الجزائريين تفوق حد الوصف فبرنامج الأمير وشعار الاستقلال انتشر في فرنسا وتجاوزها الى الجزائر نفسها.. وقرر خالد عندئذ احداث منظمة سياسية تكون في الواقع أول حزب سياسي جزائري حقيقي سماها (نجمة شمال افريقيا)

رغبة منه في التنويه بوضوح بتعاون جميع بلدان المغرب في الكفاح، مثلما كان الحال بينه وبين سلطان باشا الأطرش زعيم الدروز في سوريا. كان يفكر أنه يتوجب عندما يحين الوقت بعثرة القوى الاستعمارية عن طريق شن ثورة نقمة الجزائر والمغرب (في الريف) وسوريا في جبل الدروز، وقد اضطر الى السفر شخصياً الى طافيلالت (المغرب) لمباشرة العمل المسلح من هناك».(10)

ولاأعتقد أن هذا التنسيق بين سلطان باشا والأمير خالد وقف عند حدود التنسيق ليس فقط لأن الدروز كانوا معادين للفرنسيين مثلهم في ذلك مثل الجزائريين فإنهم كانوا يطمحون مثلهم الى الاستقلال العربي.. ذلك أنه بعد نفي الأمير خالد من الجزائر والقاء القبض عليه في الاسكندرية.. ضاع أثره.. يقول العسلي:

«وفي الاسكندرية حاول الأمير خالد الهرب من رقابة القنصل الافرنسي. باستخدام جواز سفر وأوراق ثبوتية زائفة لمغادرة مصر، غير أن أمره اكتشف، فأحيل الى محكمة قنصلية في الاسكندرية وأعتقل وأصدرت المحكمة حكمها عليه في شهر آب اغسطس سنة 1925 بالسجن لمدة خمسة أشهر.

ضاع بعد ذلك كل أثر للأمير خالد. وترددت شائعات كثيرة عن اشتراكه في ثورة الريف بقيادة الأمير عبد الكريم الخطابي، كما ترددت شائعات مماثلة عن اشتراكه في الثورة السورية الكبرى سنة 1925 غير أنه مامن وثائق رسمية تؤكد ذلك أو تنفيه».(11)

إذا أخذنا هذه الملاحظة حول تلك الشائعات مأخذ الجد وأضفنا اليها علاقة الأمير خالد بالحركة القومية العربية ومؤتمرها في باريس، وكذلك تأييده ودعمه لعمه الأمير عبد المالك في المغرب حين كان برتبة نقيب في الجيش الفرنسي بالمغرب إذ: «قاد رتلاً فرنسياً من طنجة بهدف استثارة القبائل لمصلحة السلطان المخلوع والذي لجأ الى طنجة»(12) فإن ذلك يعتبر إشارة لعناصر قد تشكل موضوعاً للبحث خاصة وأن لدي وثائق تبين اهتمام المهجرين الجزائريين في بلاد الشام بالأمير عبد الكريم الخطابي واستقبالهم لهم وتأييدهم له.(13)

إن ربط تحركات الأمير خالد بتحركات أعمامه الثلاثة علي، عمر، عبد المالك، وابن عمه عز الدين وسلطان الأطرش.. يبدو لي ضرورة تحتاج الى مزيد من التوثيق. والصفحات التي خصصها الكاتب عبد الرحمن بن محمد الجيلالي في كتابه تاريخ الجزائر العام تعتبر هامة جداً لأنها مستقاة من مصادر قيمة ومعرفة مباشرة، ومما جاء في تلك الصفحات:

«وفي سنة 1913 و1919م بدأ نجم الأمير خالد يتألق في عالم السياسة وبرز شخصه في الميدان كأعظم شخصية وطنية قومية ظهرت بالجزائر. وقد كانت الجزائر يومئذ بالنسبة للجزائريين المسلمين تعاني أزمة من أشد الأزمات، فالحقوق معدومة والمظالم مرهقة. والضرائب فادحة. والأحكام جائرة والقوانين الزجرية قاسية رهيبة،

ولايكاد يجتمع ثلاثة أفراد من المسلمين إلا وراءهم (البوليس) وقد انحطت الأخلاق تجاه كل هذه النكبات فألفت النفوس الخنوع والارتواء، وكل من تحرك أو تفوه فنطق بكلمة حول الموضوع يعد مشوشاً وثائراً يستحق العقاب.

وفي أثناء هذا الجو المكفهر القاتم اتصل الأمير بدعوة من المؤتمر العربي الذي انعقد بباريس (1913م) للبحث في شأن حقوق العرب في اطار الخلافة العثمانية، وبما أن الأمير وقتئذ كان في حالة استعداد للسفر الى دمشق فكتب الى المؤتمرين رسالة لطيفة بتاريخ 1933/3/25هـ يعتذر فيها عن التخلف.. ومما جاء فيها قوله: «وادعو الله من صميم الفؤاد أن يثبت سعيكم. وإني واحد منكم قلباً وقالباً.. وكنت أود أن أحضر بنفسي في مؤتمركم العظيم، ولكنني مشتغل بالسفر الى زهرة سوريا منشئي ووطني دمشق، وهنالك أقف حسب طاقتي بما هو واجب عل كل وطني غيور والسلام».(14)

وكما كان محمد الخالدي يتردد بين الأمير الهاشمي في الجزائر ودمشق فإن أحمد بهلول ظل يتردد بين الأمير خالد في دمشق وبين الجزائر بل وبينه وبين الملك عبد العزيز آل سعود. وهنا أيضاً لانجد وثائق كافية عن أحمد بهلول، رغم أن هذه العائلة معروفة في دمشق والجزائر على حد سواء.

ويبدو أن وفاة الأمير خالد يوم 1936/1/10 قد أحزنت كثيراً الشعب العربي في سورية وقواه الوطنية كما يستدل على ذلك من صحف سورية في تلك الفترة ومن الجنازة التاريخية وأعداد المصلين الذين صلوا عليه في المسجد الأموي رغم سلطات الاحتلال الفرنسية في سورية آنذاك.

**جـ-العلاقة مع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحزب الشعب:**

ليس لدينا مايشير الى أن المهجرين الجزائريين في الشام كانوا على علاقة بأي من الأحزاب أو الهيئات السياسية الجزائرية التي كانت تنادي بالاندماج مثل اتحاد النواب المسلمين أو حزب البيان وكل الكتلة السياسية التي تعرف اليوم بالفرانكوفونية.

وعلى العكس من ذلك لدينا مايشير الى علاقتها بحزب الشعب وبالعلماء المسلمين الجزائريين وجمعيتهم فيما بعد ويبدو أن الذي لعب دور الرابط ثلاثة من العلماء الجزائريين أتيح لهم أن يقيموا في الشام اقامة طويلة فالشيخ البشير الابراهيمي زاول في عشرينات القرن العشرين مهنة التدريس في مكتب عنبر بدمشق وأما الشيخ الزواوي فقد أقام والف وطبع كتابه تاريخ الزواوة بدمشق وأما الشيخ عيمور الهلالي فقد أقام في غزة وصار عضوا نشيطا في لجنة القدس العربية وكان يطوف القرى الجزائرية في فلسطين واعظاً وشارحاً القضيتين الجزائرية والفلسطينية على حد سواء.

وهناك مراسلات بين الجمعيات التي أسسها الجزائريون في الشام وجمعية العلماء المسلمين ويعود بعض هذه المراسلات والوثائق الى المؤتمر الاسلامي الأول الذي عقد بنادي الترقي في العاصمة الجزائرية وكذلك ثمة مراسلات مع صحف هذه الجمعية مثل

الشهاب والبصائر وغيرها.

ويبدو لنا أن مجموعة هذه الوثائق تشكل إرثاً طيباً لحركة التحرر القومي العربي مجتمعة، إذ أن صحف الجمعية المذكورة كانت تنشر رسائل وبيانات ونداءات، ترسلها أو تصدرها الجمعيات والشخصيات الجزائرية في الشام وتتعلق بالنضال العربي كله وخصوصاً في فلسطين، فكما كانت الجمعيات الجزائرية في الشام صوت الجزائر والمغرب العربي في المشرق كانت جمعية العلماء المسلمين صوت فلسطين والمشرق في المغرب العربي. وكانت هذه الجمعيات هي الصلة بين النضالين وبعض أعضائها من الجزائريين يعرفون بنضالاتهم القوية في فلسطين وسورية ولبنان.

كما لدينا وثائق تشير الى أن مكتبة جمعية المقاصد الخيرية المغربية التي ترأسها أحمد جودت الهاشمي الينيوي كانت تتلقى مؤلفات وكتب جزائرية من شخصيات جزائرية حيث تطالعنا أسماء مثل الزاهري وبن عليوه في سجلات هذه الجمعية، كما توجد نصوص محاضر بعض المؤتمرات التي عقدها العلماء المسلمون الجزائريون وكانت الصحف الدمشقية تنشر أخبار الجزائر ونشاط الحركة الوطنية الجزائرية وجمعية العلماء الجزائريين مستقاة من جمعيات الجزائريين في الشام التي اختارت يوم 8 ماي 1945 - حيث المجازر المعروفة - يوماً للتضامن مع نضال المغرب العربي. وهناك مراسلات وبرقيات بين جزائري المشرق العربي مثل ممدوح المبارك وأحمد سهيل الفضيل وعبد السلام بوعزة وغيرهم، وشخصيات جزائرية مثل محمد خيضر، الشاذلي المكي، البشير الابراهيمي، الفضيل الورتلاني وغيرهم تتحدث في معظمها عن الكفاح من أجل الجزائر وكلها تعود الى ماقبل عام 1954م.

ويبدو أن فرنسا عاقبت الأمير محمد سعيد وجميع عائلة الأمير عبد القادر بقطع رواتبهم للمرة الثانية إثر احتجاجهم على المجازر الفرنسية في 8 ماي 1945، وكانت قد قطعتها في المرة الأولى إثر تأييدهم للحركة الوطنية السورية.

وقد كتبت جريدة الأحرار الدمشقية بتاريخ 1946/9/4 تحت عنوات «أحفاد الأمير عبد القادر يحرمون من مخصصات أسرتهم بعد أن استعرضت أخلاص ووفاء الجزائريين لسورية أن سبب قطع المرتبات يعود «لأن الأمير محمد سعيد الجزائري حفيد عبد القادر الكبير وعميد الأسرة قد أذاع بيانات يؤيد فيها مطالب الجزائريين الوطنية ويدعو فرنسا الى اجابتها ويهب بالجامعة العربية بأن تقف بجانب الوطنيين من أبناء قومه».

### د- جبهة التحرير و الثورة الجزائرية 1954-1962:

وهكذا لم تنقطع الصلة بين المهجرين الجزائريين في الشام وبين الحركة الوطنية الجزائرية ممثلة بأحزابها وهيئاتها الرئيسية إذ لم يعتبر المهجرون الجزائريون الأحزاب والهيئات الفرانكوفونية الداعية الى الاندماج كحزب البيان أو الحزب الشيوعي جزءاً من الحركة الوطنية الجزائرية المترابطة عضوياً مع حركة القومية العربية الحديثة غير

المعادية للإسلام، لذلك لاتجد بين هؤلاء المهجرين سواء عبر تنظيماتهم الجزائرية، أو التنظيمات السياسية المشرقية التي تواجدوا فيها، وبين الأحزاب والهيئات الفرانكوفونية الاندماجية أية صلات.

وما أن أعلنت الثورة الجزائرية حتى كانوا جاهزين للقيام بالواجب إذ يستشف من تصريحات أدلى بها الأمير سعيد الجزائري لبعض الصحف أنه كان على مقربة من الاستعدادات للثورة ورجالاتها حيث أنه حسب هذه التصريحات أبرق لرئيس الجمهورية الفرنسية يطالبه باستقلال الجزائر.. إذ كتبت جريدة الأيام الدمشقية بتاريخ 1954/11/5 تحت عنوات فراسة المؤمن تقول:

«جاء من القاهرة أن سمو الأمير سعيد الجزائري بعث منذ شهر بكتاب الى السيد منديس فرانس رئيس وزراء فرانسة مطالباً بمنح الجزائر وتونس ومراكش أمانيها الوطنية والقومية في الحرية والاستقلال بطريق التفاهم حذراً من عواقب وخيمة كما جرى في الهند الصينية وسورية وغيرها وأبلغ الرئيس الفرنسي أن أسرة عبد القادر لم تعد تطيق تشردها منذ قرن ونيف وهي تود العودة الى وطنها الأول. وقد صح ماتنبأ به الأمير سعيد الجزائري منذ شهر إذ جاءت حوادث الجزائر الأخير ومصداقاً لما ذهب اليه وتوقعه وقد جاء في الحديث الشريف اتقوا فراسة المؤمن». ثم ليس صدفة أن يجتمع نفر منهم في دمشق خلال شهر شباط/فيفري 1955 ويقروا تأسيس جمعية دار الجزائر وحسب المخطوطة التي بين أيدينا والمؤرخة 2 رجب 1374هـ الموافق 1955/2/24 فإن المؤسسين هم حسب ورود أسماءهم: عدنان المبارك، الأمير عبد العزيز الجزائري، ممدوح المبارك، عبد السلام حبيب، هاني المبارك، زهير الطيب، أحمد غربية، خير الله زمنزار، محمود اليحياوي، الأمير حيدر الجزائري، أحمد سهيل الفضيل، عبد الرزاق فرحات، عبد الله فرحات.

لقد نشر هؤلاء في ذات اليوم بيانا تضمن أسباب وأهداف هذه الدار إذ يقول البيان:

«وقد أسسوا دار الجزائر هذه لتكون مبعث نشاط قومي واجتماعي وثقافي علها تستطيع أن تسمع أبناء المشرق صوت أبناء المغرب فيؤدي هؤلاء الشباب جزءاً ممايتوجب عليهم نحو قضية المغرب.

ويضيف البيان:

فدار الجزائر نبضة من نبضات قلب المغرب المجاهد وصدى لأصواته المجلجلة، ودار الجزائر إذ تقوم بعملها هذا بكل فخر وتواضع تضع جميع امكانياتها وجهود شبابها في خدمة قضية العرب عامة والمغرب المجاهد خاصة راجية من الله تعالى كل عون وتوفيق».(16).

ورغم أن هذه الجمعية التي حصلت على ترخيصها الرسمي من السلطات السورية في 1955/7/19 تحت الرقم 6896 ونشر في العدد 37 من الجريدة الرسمية، نصت في

نظامها الأساسي المادة 2 فقرة ب على أن لاتعرض الجمعية للشؤون السياسية. إلا أن نظامها الداخلي قدم مايمكن اعتباره برنامجاً سياسياً مستوحى بشكل أو آخر من أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، فلينظر.

ترأس هذه الجمعية السيد ممدوح المبارك وقام بأمانة السر السيد أحمد سهيل الفضيل. وقد تمكنت هذه الجمعية من حشد سائر القوى السياسية المتناحرة في سورية وتوحيد مواقفها تجاه الثورة الجزائرية. وصارت لديها قدرة قوية في تحريك الشارع السوري، وقد أفشلت عدة مؤامرات استخبارية فرنسية ضد الثورة منها محاولة للتنصت على ذبذبات الاتصال اللاسلكي والأجهزة السلكية للثورة في كل من سوريا ومصر ولبنان، ومنها محاولة فرنسية لخلق قيادة بديلة للثورة الجزائرية.(17)

كما أن هذه الجمعية بالتعاون الوثيق مع ضباط الجيش السوري ومنهم ضباط من أصول جزائرية – مثل أحمد خليفاوي الذي صار رئيساً لوزراء سورية في وقت لاحق – تمكنت من ايصال الأسلحة السورية والعراقية عبر موانئ سورية وأوروبية الى الجزائر.

وحين تأسيس الحكومة المؤقتة سواء في مركزها المعلن بالقاهرة أو تونس، ظلت دمشق هي المركز السري لأعضاء هذه الحكومة، ومنطلق تحركاتهم، وكان يلتقي فيها كل من الكولونيل عمران والأمين دباغين، ومحمد خيضر وأحمد بن بله وغيرهم، حيث يديرون اجتماعاتهم السرية في شقق خاصة بترتيب من هذه الجمعية ويذكر السيد أحمد سهيل الفضيل أنه أحضر في أحد هذه الاجتماعات شموعاً فسأله ابن بله عن السبب، فقال ستعلمه بعد قليل، فقط انظر من النافذة..

كان المنظر من النافذة يبرز السفارة الفرنسية التي تحتفل بذكرى 14 جويليه – تموز وكل أتباعها فيها والحراسات المشددة حولها.. فما هي إلا دقائق حتى انطلقت صفارات الانذار وأظلمت دمشق كلها والتطم المدعوون ببعضهم وفسدت على السفير الفرنسي خطته في اظهار أن له مؤيدين في دمشق.

لقد كان عضو جمعية دار الجزائر الضابط محمد فرحات هو مسؤول الحماية المدنية – الاطفاء – في دمشق، فقرر أن يقوم في تلك اللحظة بتمرين لعناصره حتى يتسنى لابن بلة واخوانه الاجتماع بهدوء تام ويرى بأم عينيه أعوان فرنسا وقد ارتسمت على وجوههم علامة خيبة صغيرة تنبأ بالهزيمة الكبرى.

كما يتحدث أعضاء جمعية دار الجزائر عن سعيهم بتعليمات من ممثل الثورة في دمشق السيد عبد الحميد مهري لتأسيس شركة ملاحية سورية لتقوم بتهريب الأسلحة الى الجزائر، وعقدوا بينه وبين بعض الموثوقين اجتماعات انسحبوا منها حين دخلت في الأطوار السرية جداً.

ويتحدث رجال الجمعية أنه حين توسعت الثورة الجزائرية صارت بحاجة الى أموال بالعملات الصعبة، مما يضطرها لاختراق مااتفقت عليه الدول العربية في بداية

الثورة أن تقوم بتحويل التبرعات الى مصر، وهي التي تسلم قيمتها بالعملة الصعبة الى الثورة، وقد يؤذي ذلك الخزينة المصرية أو قد يتحجج به أولئك الذين في بعض الأجهزة الأمنية كمحاولة للضغط على الثورة، فأخذت جمعية دار الجزائر على عاتقها أن تحل الموضوع دون ازعاج أي طرف فقامت عام 1956 بتنظيم اسبوع لتسليح الجزائر جمعت فيه من الشعب السوري مباشرة مبلغ مليوني ليرة سورية تسلمها ممثل الثورة مباشرة بالعملة الصعبة بصك من يد السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية.(18)

ويبدو أن هذه الجمعية التي كانت قيادتها هي في نفس الوقت أغلبية قيادة جمعية المقاصد الخيرية المغربية تستعمل رباط المغاربة بحي السويقة لإيواء بعض الجزائريين. إذ لدينا محضر مؤرخ في 1961/3/28 موقع من طرف ابراهيم خليفاوي، عبد اللطيف زيناتي، بدر الدين شوبان، أحمد غربية وغيرهم يقررون فيه «تلبية الأستاذ محمد الغسيري ممثل حكومة الجزائر بدمشق وقامت بمنح السيد... غرفة في الرباط».

وكانت جمعية دار الجزائر نشطة في تسيير المظاهرات الشعبية وتوجيهها نحو البرلمان السوري مطالبة بمقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً.

وهنا نجد محمد المبارك عضو البرلمان (الوزير عدة مرات) وعضو الجمعية يقوم بدور واسع في هذا الجهد، حيث بيدنا رسالة موجهة من ممثل الثورة عبد الحميد مهري الى ممدوح المبارك رئيس الجمعية شقيق محمد يطلب فيها السعي لعقد جلسة في البرلمان السوري لمقاطعة فرنسا.

ويبدو أن جمعية دار الجزائر كانت ذراعاً من أذرع جبهة التحرير الوطني في المشرق العربي حيث في اليد عدة رسائل متبادلة بين قيادات الثورة ورجالات هذه الجمعية، فعدا عن رسالة المهري الى المبارك هناك رسالة مؤرخة 1955/9/21 من محمد خيصر الى المبارك نفسه، وأخرى على ظهر بطاقة بريدية تحمل منظراً لمدينة الجزائر العاصمة موجهة من السيد أحمد بن بله في سجنه الى السيد أحمد سهيل الفضيل في دمشق ومؤرخة 1961/5/9 وكتبها بن بله بخط يده بالفرنسية وهذه هي ترجمتها:

«أخي العزيز أحمد:

يسرني كثيراً أن أقول لك: بأنني أتذكر جيداً الظروف التي أسعفتني للتعرف عليك، وعلى الأخوة الجزائريين حيث أن عملهم في دمشق يشرفنا.

إنني بمزيد من التأثر أتخيل اللحظات التي ستطبع نهاية ملحمتنا الجزائرية العظيمة، حينئذ نبدأ مهمة أخرى أكثر حماسة بالنسبة لنا، ألا وهي تحقيق الوحدة العربية التي ينشدها كل شعب عربي.

وأيضاً بسبب المعركة التي يخوضها الشعب الجزائري في هذا الوقت حيث أن قسماً أساسياً يلتزم معنا ويفكر في مصيركم جميعاً، بشدة أكثر من أي وقت مضى لأن أرواحكم هي قوة وجودنا. كل الأخوة المتواجدين معي هنا يباركونك والأخوة المحيطين

بك، أحر التحيات الوطنية العربية.

أحمد بن بله

و كذلك عندنا عدة رسائل بين دار الجزائر و قيادات جبهة التحرير و مكتبها في القاهرة.

وقامت جمعية دار الجزائر عام 1956 بتنظيم اسبوع التسليح جمعت خلاله التبرعات النقدية الهامة للثورة الجزائرية.

وقد ضمت لجنة اسبوع الجزائر التي كونتها الجمعية شخصيات ذات تأثير فعال في المجتمع والشارع السياسي والدولة السورية سواء كانوا من أصل جزائري أو غيرهم ومن هؤلاء:

| | |
|---|---|
| د. مأمون الكزبري | رئيس المجلس النيابي |
| الأستاذ صبري العسلي | وزير الداخلية |
| الشيخ أحمد الدقر | رئيس الجمعية الغراء |
| الشيخ أحمد كفتارو | مفتي الجمهورية السورية |
| عبد الرؤوف أبو طوق | نائب في المجلس النيابي |
| الشيخ عبد الرحمن الطباع | وزير الأوقاف |
| الشيخ عثمان النوري | من كبار تجار دمشق |
| الأستاذ زياض العابد | رئيس نقابة محامي دمشق/أمين سر اللجنة |
| الأستاذ نوري الحكيم | رئيس مجلس ادارة شركة الكونسروة |
| الشيخ محمد مكي الكتاني | رئيس جمعية تحرير المغرب العربي |
| الأستاذ محمد المبارك | وزير الزراعة |
| الأستاذ ممدوح المبارك | رئيس جمعية دار الجزائر |
| د. سعيد العربي | أستاذ جامعي |

وقامت جمعية دار الجزائر في عام 1958 بالتعاون مع شقيقتها جمعية تحرير المغرب العربي بتنظيم اسبوع تسليحي آخر للثورة الجزائرية حقق ذات النجاح الذي حققه الأسبوع الأول، وكان آخر نشاط لها هو الاسهام في نقل رفات الأمير عبد القادر الى الجزائر والمشاركة في الوفد المرافق وتسجيل طلب والقيام بمحادثات مع المسؤولين الجزائريين حول اعادة الجنسية للمهجرين الجزائريين.

وقد كان وفد الجالية المرافق لنقل رفات الأمير عبد القادر الجزائري يتكون من 42 شخصاً على رأسهم الأمير سعيد حفيد الأمير عبد القادر والذي استقر بالجزائر حتى وفاته عام 1970. ومن بين أعضاء الوفد:

| | |
|---|---|
| جواد المرابط | ادريس الحسني الجزائري |
| حسن عبد المالك الجزائري | فؤاد المرابط |

| | |
|---|---|
| الدكتور مازن المبارك | هدى حسن عبد المالك |
| سلمى ادريس الجزائري | خليل محجوب |
| أحمد سهيل الفضيل | د. أسعد درقاوي |
| ممدوح المبارك | صالح الحاج بكري |
| عبد السلام حبيب الجزائري | عبد الرزاق طواهري |
| عبد الرحمن الحسني الجزائري | محمد فرحات |
| الدكتور سعيد العربي | أمل الجزائري |
| طاهر بن جعفر الجزائري | نور الدين الجزائري |
| أحمد الحسني | سلوى خليفاوي |
| هاني الهاشمي | |

وقد ودع الرفات في سورية وداعاً رسمياً حافلاً كما استقبل في الجزائر استقبالاً تاريخياً.

وقد عاملت الحكومة الجزائرية وفد الجالية بمنتهى الاحترام والتقدير كما فعل ذلك الشعب الجزائري نفسه أثناء استقبال ونقل الجثمان من مطار الدار البيضاء «مطار هواري بومدين» الى مقبرة العالية مشياً على الأقدام حيث كان وفد الجالية يأتي ترتيبه بعد سفراء الدول واتبعت ذات المراسم أثناء مواراة جثمان القائد الجزائري الفذ تراب وطنه الذي دافع عنه طويلاً، وقد ألقى الرئيس الراحل هواري بومدين أثناء الاحتفال كلمة بليغة مؤثرة.

## الهوامش

1. تحدثت كتب كثيرة عن جاليتنا الجزائرية بفرنسا في حركتنا الوطنية ولعل من أهمها دراسات الأستاذ عبد الحميد زوزو.
2. الصلح، عادل/ سطور من الرسالة ص
3. بوعزيز، يحيى: ثورة المقراني
4. البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، بيروت 1993، ط2، ج3 ص1423.
5. المصدر نفسه
6. نويهض، عادل: أعلام الجزائر، ص 190.
7. الفرفور: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري / ط1، دمشق 1978، ص335
8. بوعزيز، يحيى: مصدر سابق.
9. كثيراً مانبهت بعض الدبلوماسيين الجزائريين في دمشق الى ضرورة العناية بمقبرة مؤسس الحركة الوطنية الجزائرية، لكن يبدو أن ليس هناك دنانير في الميزانية لهكذا «تبذير».
10. البجاوي، محمد: حقائق عن الثورة الجزائرية / 1971، ص22.
11. العسلي، بسام / الأمير خالد الهاشمي الجزائري / بيروت 1986 ط2، ص66.
12. نفسه ص98.
13. أشرت الى بعض هذه الوثائق في الحديث عن الجمعيات الجزائرية في الشام.
14. الجيلالي، محمد عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام / بيروت 1980 ط4، ص48.
15. نعتمد هنا على أرشيف جمعية المقاصد الخيرية المغربية بالسويقة وجمعية تحرير المغرب العربي بدمشق وأختها في لبنان وعلى أرشيف جمعية الدفاع عن افريقية العربية.
16. انظر القانون الأساسي والنظام الداخلي لجمعية دار الجزائر وبعض الوثائق التي تنشرها مع هذا البحث.
17. معلومات أدلى بها الينا السيد ممدوح المبارك شخصياً.
18. أشار الى هذا النشاط السيد أحمد توفيق المدني في كتابه حياة كفاح

## رابعا: إسهامهم في تحرير أقطار المغرب العربي الأخرى

مدخل:

لم يفصل المهجرون الجزائريون في بلاد الشام نضالاتهم القوية ضد الامبراطوريات الاستعمارية، فكما نظروا الى هذه الامبراطوريات نظرة واحدة، نظروا الى نضالاتهم في المشرق والمغرب نظرة واحدة أيضا. بل لعلهم من الناحية التاريخية أول من أسس هياكل سياسية تضم أبناء المغرب العربي جميعا، فجمعية مجاهدي افريقية الشمالية وأختها مهاجري شمال افريقية أقدم في التأسيس من حزب نجم شمال افريقيا.

ومن حيث الممارسة القتالية كانوا أقدم من أي طرف آخر إذ أن الأمير علي عبد القادر التحق مع كوكبة من هؤلاء المهجرين بليبيا عام 1911 وبدأ مع الليبين في مقاومة الغزو الايطالي، وقد انضم اليه هناك جزائريون من داخل الجزائر نفسها كما أن أخيه عبد المالك أعلن ثورته في المغرب وأعلن استقلال فاس عام *1914* في ذات الوقت الذي كان ابن أخيهما الأمير خالد بن الهاشمي يقود الحركة الوطنية في الجزائر ضد فرنسا.. وفي الوقت الذي كان الشيخ طاهر والأمير عمر بن عبد القادر وسليم السمعوني وغيرهم يعملون ضد تركيا.

وبخصوص الحركة الوطنية للمغرب العربي كانت قيادتها في الشام معقودة اللواء للجزائريين باعتبارهم الأكثر عددا والأقدم وجودا، كما أن عائلة الأمير هي الأشهر ويبدو أنه لم يكن حتى مطلع الأربعينات من هذا القرن أي خلاف على قيادتها، وكانت عائلة الأمير قد سلمت زمام امرها بعد وفاة الأمير محمد بن عبد القادر وشقيقه علي الى الأمير محمد سعيد بن علي، ويبدو أن الأخير الذي أطلق عليه الجزائريون لقب الأمير اعترافا بإماراته المعنوية واقرارا لشرعية دولة الأمير عبد القادر الى أن استقلت الجزائر عام 1962 وهو على قيد الحياة، وتكونت دولة جزائرية حديثة هي الوريثة الشرعية للدولة الجزائرية التي أسسها الأمير عبد القادر، وبالتالي لم تعد هناك ضرورة لاستمرار الألقاب الأميرية هذه فأسقطوها عن أولاده ولم يعودوا ينادونهم بهذا اللقب.

ومن خلال موقعه الأميري هذا لعب محمد سعيد دورا في تكوين الجمعيات السياسية المغربية في الشام، وكان رجلا نشيطا كثير الحركة حيث نجد اسمه بطريقة أو بأخرى في كثير من النشاطات السياسية في المنطقة خاصة في الفترة 1918-1946، سواء منها مايخص المشرق العربي أو الجزائر أو عموم المغرب العربي وهناك اشارات على أن فرنسا عرضت عليه عرش سوريا، ليكون ملكا بعد فيصل فطلب إضافة عرش الجزائر كشرط لقبوله العرض الفرنسي واشارات على أن بريطانيا عرضت عليه عرش شرقي الأردن في فترة بحثها عن بديل لعائلة الحسين بن علي شريف مكة،(1) ورفض

محمد سعيد هذا العرض أيضاً، إذ يبدو أنه كان على اطلاع على بعض الدسائس الدولية نتيجة خبرة والده الأمير علي الرئيس الثاني لمجلس «المبعوثان» العثماني والذي ذهب الى ليبيا ولمس باليد كيف تخلت تركيا عن ليبيا الى الطليان.

**1- مقاومة الغزو الايطالي لليبيا:**

مع حلول العقد الثاني من القرن العشرين بدأت ايطاليا غزوها الموسع لطرابلس الغرب «ليبيا» بعد استعدادات واسعة ومسبقة وبالتفاهم مع الدول الاستعمارية الأوروبية، كما ذكرت ذلك معظم المراجع التي تناولت هذا الغزو:

«بعد أن أعلنت فرنسا الحماية على تونس اتجهت مطامع ايطاليا الى احتلال طرابلس الغرب فأخذت موافقة ضمنية من انجلترا وفرنسا في عام 1901، 1902 على هذه المطامع».(2)

ولم تكن الأمور في طرابلس الغرب بصفتها ولاية عثمانية أفضل من الولايات العثمانية الأخرى العربية وغير العربية، فقد كانت الدولة الطورانية رغم ألقابها المتعددة (العلية، السنية، الخلافة الاسلامية)، قد شارفت على نهايتها المحتومة لذلك لم يستطع الجيش العثماني أن يحقق شيئاً يذكر في مواجهة الطليان، فقامت الجماهير بقيادة الحركة السنوسية تدافع عن الوطن.

ويبدو أن الحكومة العثمانية لم تجد شخصية مؤثرة في صفوف الليبيين وموالية لها في نفس الوقت أفضل من شخصية الأمير علي بن عبد القادر بصفته من أبناء منطقة المغرب العربي وبصفته نجل الأمير عبد القادر الذي ينظر اليه الناس سلطاناً وشريفاً من السلالة النبوية ومجاهداً بطلاً.

وبالفعل كلفت الحكومة العثمانية الأمير علي الذي انتقل الى الاسكندرية ثم الى طرابلس الغرب، ويبدو كما يذكر في الرسالة التي بين أيدينا والتي كتبها بخط يده أن المسافة بين اسكندرية وطرابلس استغرقت شهرين ونصف.

ونحن نعلم أنه كان معه بعض المهجرين الجزائريين الذين رافقوه للمشاركة في الجهاد، كما توضح لنا رسالته الخطية الموجهة لابن عمه في دمشق أن مجموعة من المجاهدين الجزائريين من الوطن الأم أيضاً التحقوا به في طرابلس الغرب رغم منع فرنسا لهم.

كما نفهم من رسالته أن وضع المجاهدين الطرابلسيين كان جيداً وأن الطليان أرسلوا سفناً تقصف بيروت لتخفف من ضغط المجاهدين عليهم في طرابلس وهذا هو نص الرسالة نورده كما هو:

«حضرة ابن عمنا السيد محمد أبو طالب والسيد محي الدين ولخوتنا. السيدة أمينة خانم وزينب خانم ورقية خانم وأولادهم عموماً حفظهم الله ورعاهم. أما بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته والسؤال عنكم وعن صحة أحوالكم وأخباركم السارة جمعنا الله

بكم عن قريب على أحسن حال وإننا ولله الحمد بخير وعافية.

وقد مررنا على عموم المراكز الحربية وبقينا فيهم مدة نباشروا مع القومانداتات لمور الحرب وأن عموم الأهالي وجدنا منهم حمية وغيرة دينية وقد فرحوا بقدومنا ورأينا منهم كل اكرام واحترام.

والآن قد وصلنا الى طرابلس وأن مسافتها من الاسكندرية الى طرابلس شهرين ونصف وأن الأحوال الآن لله الحمد حسنة والعدو محصور في مراكزه وليس له قوة ولا جسارة على الخروج الى البر وما هو إلا محتمي بمدافعه البحرية ولولا ذلك كانت المجاهدين تهجم عليه هجمة واحدة وهم له بالمرصاد.

أما اطلاق المدافع فهي بغير حساب حتى ذهبت أهمية المدافع ولله الحمد ليس لها تأثير يذكر بمدد الرسول صلى الله عليه وسلم ولو كان لها تأثير لكانت أهلكت العموم وقد بلغنا مافعله في بيروت من طلق المدافع خذله الله وقهره فهو ذهب لبيروت مما حصل له من القنوط هنا واليأس فذهب ليتفشى هناك من غيظه وإني أرسلت لكم جملة تحارير وما أخذت منكم جواباً عسى المانع خيراً وقد جاؤوا الى هنا رجالاً من الجزائر وتونس ولولا المنع لجاؤوا كثيرين أما المجاهدين فهم في كثرة وهذه البلاد بلاد مجاعة وصحارى وقفار ورمال وقلة ماء والذخائر ترد بكثرة من بلاد تونس بحسب المقاولة مع التجار والسلام على كافة من يسئل عنا وإذا حصل لنا الأذن فإن شاء الله قريباً نكون بطرفكم والسلام.

أخيكم وابن عمكم»

وقد كان معه عدد من المجاهدين المهجرين من المغاربة حيث أنه أبلغ الطرابلسيين بذلك التطوع بعد أن أبلغهم بأنه مكلف من مجلسي الأعيان والوزراء والسلطان العثماني بالمجيء الى طرابلس الغرب للدفاع عنها الى أن يقول:

«فكل مايصيب المرء خيراً كان أم شراً هو من الله رب الأرباب وسوف لا أتردد عن ايصال الأخبار السارة اليكم أما الآن فيسير في صحبتي كثير من كبار الضباط والقواد وعدد كثيف من المتطوعة المغاربة».(4)

ويبدو أن معظم هؤلاء المغاربة هم من الجزائريين سواء من الوطن الأم أو من الشام إذ يقول الباحث الليبي الهاشمي محمد بالخير:

«جاء من الجزائر المجاهد مصطفى عوني الجزائري، كما جاء الأخوة: محمد ومورد‌ي، وعلي بن حميدة بن خير من وارغله في الجزائر. وقد كان الأمير علي باشا الجزائري وابنه عبد القادر يصحبه عشرون جزائرياً في طليعة الذين جاؤوا للجهاد في سبيل الله، هذا والجدير بالذكر أن الدكتور بن جلول، والسيد علي بن جباره وأخاه أحمد بن جباره قد قاموا بجمع التبرعات في الجزائر لصالح المجاهدين».(5)

وقد لقي الأمير علي بن عبد القادر ترحيباً حاراً من المجاهدين الليبيين بقيادة الطريقة السنوسية وزعيمها أحمد بن الشريف السنوسي ومن طرف السلطات التركية في

الأراضي الليبية حيث يقول كتاب تاريخ حياة الأمير علي:

«كان الأمير علي الذي برح الشام الى سيرتا قد وصل من سيرت آتيا من بنغازي ليعرج على طرابلس ورغبته أن يستنفر القبائل للجهاد ويبعث في قلوبها حماسة الذود عن الوطن الذي يضحي العرب في سبيله كل شيء ماعدا الشرف. وقد كان المجاهدون يومئذ ينتظرون ابن السلطان عبد القادر بذاهب الصبر فلما أطل عليهم هتفوا له فبلغ هتافهم عنان السماء فمادت له الأرض ورقصت الخيول كأن بها نشوة من الطرب وماهي إلا لحظة حتى وقفوا وأخذوا ينظرون الى القفر بقلوب وعيون ومن ثم وقف الجميع حول الأمير بانتظام ونكسوا أسلحتهم اجلالاً واحتراماً وهرع زعماؤهم الى لثم يديه وتقبيل راحتيه وذهب بعضهم الى التبرك بعباءته وآخر الى التبرك بالحصى التي تحت قدميه فكنت أراه يحاول التملص منهم جهد طاقته وأخيراً تركه وانضم الى قبيلة كانت بانتظاره على شاهق ثم مالبث أن عاد مصحوباً بولده الأمير عبد القادر وقد تكاثف الزعماء من حوله فوقف ولده الى يساره وحاكم سيرت محمد آغا الى يمينه وكلهم يسرعون الخطى وقد كرروا اطلاق البنادق حتى حكى دويها هزيم الرعد القاصف».(6)

كما أن هناك ثمة رسائل متبادلة بين الأمير وأحمد الشريف السنوسي تحوى أخباراً عن حالة الجهاد ضد الغزاة الايطاليين.

ويبدو أن موقف الحكومة العثمانية بالتخلي عن طرابلس الغرب قد أثار بعض الزعامات السياسية والعسكرية فوجدنا العلاقات مع عزيز المصري تسوء بسبب هذا الموقف، وعزيز المصري كقائد قومي وعسكري تمكن من تجنب الحرب في اليمن العربية ضد قبائلها العربية وكان معه في ذلك سليم الجزائري.

أما في طرابلس الغرب فكان يريد مواصلة القتال ضد الطليان الغزاة، غير أن حكومة الاستانة قد خذلت جميع العرب. ومنهم الأمير علي بن عبد القادر الذي بدأت علاقاته تسوء بالاستانة، وقد جاء في كتاب تاريخ الأمير علي:

**بينما كانت أنظار العالم الاسلامي شاخصة الى ساحة القتال في طرابلس الغرب مترقبة جلاء الايتاليين عنها بعد عجزهم عن فتحها بقوة جيوشهم الجرارة وأساطيلهم العظيمة إذ بحادث جلل قد وقع فأدمى قلوب المسلمين وثخنها جراحا وهذا الحادث هو عقد الصلح بين ايتاليا والدولة العلية على قاعدة غريبة يذكر صورها قراء الجرائد والمجلات على أن الدولة لم تضطر الى هذا الصلح إلا بسبب انتقاض الدولة البلقانية عليها وأغارتها على أملاكها في البلقان فأجبرت على توقيع معاهدة لوزان القاضية بترك طرابلس الغرب لايتاليا تفرغا لحماية أملاكها في البلقان وقد أقامت في طرابلس نائباً لها وفي الوقت نفسه نشرت منشوراً ذكرت فيه منحها الاستقلال لأهالي طرابلس ونشرت ايتاليا منشوراً آخر يقول بامتلاكها لتلك المقاطعة الاسلامية ولما لم يعد للأمير من عمل في دار الحرب عوّل على تركها بعد أن قام بواجب ضميره خير قيام على أن كل ذلك لم يضعف همة**

المجاهدين في الذود فظلوا على دفاعهم الشريف ضد ايتاليا وظلت آمالهم متجهة الى الاستقلال الذي تسفح الشعوب الحرة دمائها في سبيله... الى أن يقول الكتاب:

«إن في الصفوف التي تقاتل ضد الايتاليين الذين لايجرأون على الخروج الى ماوراء الساحل متطوعة جمة العدد من الجزائريين والتونسيين والسنوسيين الذين يقاتلون بكل بسالة ومهارة وقال أن العرب كانوا قد أزمعوا على مقاتلة الايتاليين حتى النهاية ولكنهم توقفوا عن عزمهم لأن تبدل الأحوال الجأهم الى ترك السلاح وفوق ذلك فهم لايستطيعون أن ينبذوا ارادة جلالة السلطان ظهرياً».(7)

ويبدو أن تركيا بدأت منذ تلك اللحظة تشك في ولاء الأمير علي وعموم عائلة الأمير عبد القادر، فانهالت البرقيات من الاستانة على الأمير علي تشيد به وبنضاله وتحثه على مواصلة الاخلاص للدولة العلية ومنها هذه البرقية(8) التي بعث بها وزير الداخلية العثماني المؤرخة حسب التقويم الميلادي الشرقي 1328/2/4:

«إن الخدمات الوطنية التي أظهرتموها في طرابلس الغرب توجب الشكران وأن أشاطركم الحزن لحصول النتائج بشكل مؤلم بصورة تعاكس ماتودون على أن أرجو دوام حسن خدماتكم الجديدة وبهذه المناسبة أثبت لكم أن خلوصي ومحبتي الصحيحة باقية ومؤبدة سيدي...

**ناظر الداخلية**

إنني أعتقد أن الأمير علي بن عبد القادر بعد موضوع طرابلس قد أحس بانحراف حكومة الاستانة الطورانية وبدا موقفه السياسي منها يضطرب فهو من جهة يشعر بالولاء [illegible] العالي بصفته خليفة للمسلمين، وخاصة أن الخلفاء العثمانيين أحسنوا للأمير عبد [illegible] والده احساناً يستوجب الشكر والعرفان مهما كان من أمر الجفوة والحذر بين والده وبين الحكومة الطورانية، فعادت هواجس الشك بين عائلة الأمير عبد القادر التي انقسمت على نفسها وبين الاستانة.. الى أن حسم الأمر جمال باشا السفاح باعدامه الأمير عمر بن عبد القادر شقيق الأمير علي وتم نفي هذا مع ولديه عبد القادر وسعيد وعدد آخر من أفراد العائلة الى الأناضول وقام جمال جمال لنسف قبر الأمير عبد القادر الجزائري نفسه كما ذكرنا في مكان آخر.

ويبدو أن ذلك لم يهز الموقع القيادي لهذه العائلة إذ رأينا أن الشريف السنوسي نفسه يغادر تركيا بعد استيلاء اتاتورك عليها الى دمشق وينزل ضيفاً عند الأمير سعيد الذي استضافه في منزل الأمير عبد القادر في حي العمارة بزقاق النقيب رابطاً بين هذين المجاهدين عبد القادر وأحمد الشريف السنوسي، وقد قاوم الأمير سعيد كل الضغوط [illegible]روبية الفرنسية والايطالية والبريطانية للتخلي عن استضافته للسنوسي، بل أنه كان الى جانب مساعدته السرية للسنوسيين، يتزعم حركة لمقاومة النفوذ الطلياني في طرابلس، فيحتج لدى المراجع المسؤولة ويحاول اسماع صوت المقاومة الطرابلسية الى جمعية

الأمم، ويبدو أنه أخذ تفويضاً من السنوسي لمفاوضة الايطاليين نيابة عنه.

ومنذ ذلك التاريخ بدأت هجرة الليبيين الى الشام فسكنوا ذات الأحياء التي سكنها قبلهم اخوانهم الجزائريون سواء في دمشق أو فلسطين وانضموا الى النضال المشترك سواء في الجمعيات السياسية أو الأندية الأخرى مثل جمعية مهاجري شمال افريقية، وجمعية مجاهدي شمال افريقية، جمعية الدفاع عن افريقية العربية، جمعية تحرير المغرب العربي، نادي الشباب المغربي الرياضي، نادي عمر المختار.

وتحدث عن هذا النضال كتابان أحدهما صدر في دمشق بعنوان «الليبيون في سوريا» والآخر صدر في طرابلس نفسها بعنوان «كفاح الليبيين السياسي في الشام».

وتظهر الوثائق التي بين أيدينا وكذلك المراجع استمرار الجزائريين في الشام جنباً الى جنب مع اخوانهم الليبيين والتونسيين والمغاربة بالعمل مع الحركة الوطنية الليبية، وهناك رسائل متبادلة عبر الجمعيات التي سنتحدث عنها في فقرة خاصة مع رموز هذه الحركة من شخصيات وأحزاب ومن بينها الحزب الوطني الليبي ورئيسه مصطفى ميرزان.

## 2- مقاومة الغزو الفرنسي للمغرب الأقصى:

أما الأمير عبد المالك نجل الأمير عبد القادر فلم تزل شخصيته غير مدروسة من طرف الباحث العربي دراسة كافية وبالتالي الكشف عن جوانب شخصيته، حيث كان هذا الرجل الطموح وفي وقت متزامن مع حركة أخيه علي في طرابلس وابن أخيه خالد في الجزائر قد بدأ بعد أن استضافه المخزن وأكرمه حسب الرسالة(9) التي أرسلها إلى أقاربه في دمشق إكراماً كبيراً وتعينه في الشرطة الشريفية، بالاستفادة من منصبه للثورة ضد الفرنسيين.

«وفي مارس 1915 بدأ الثورة في اقليم تازة القريبة من الحدود الجزائرية، ثم أعلن الجهاد ضد فرنسا، ونادى بنفسه أمير فاس، وظل يقاوم ويحرض الناس على الجهاد حوالي عشر سنوات، الى أن سقط شهيداً في قبيلة «بني تنزين» من الريف برصاصة من بعض الأعداء ونقل الى تطوان، ودفن فيها».(10)

ويثير هذا السؤال ضرورة المقارنة فإن الأمير علي شقيقه قد أشار في خطابه الذي تحدثنا عنه في وقت سابق أن شقيقه عبد المالك هو أمير فاس، لقد كان اعلان الأمير علي هذا في عام 1912، فأي التاريخين أصح؟ خاصة وأن أدهم الجندي يورد تاريخاً ثالثاً.

«كان الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر يعلن الجهاد الاسلامي ضد الفرنسيين في تونس والجزائر ويحرز انتصاراً باهراً في 17 كانون الأول سنة 1914م، وبينما كان الجنرال الفرنسي «ليوتي» القائد العام للقوات الفرنسية في ميدان المعارك يبعث الى الأمير عبد المالك رسالة يكلفه فيها بتوقيف الحركات العسكرية، وأن فرنسا مستعدة بأن تفادي لإعطائه كل ماأريد، وقد أبى الأمير كل عرض واغراء بشمم واباء وأجابه بأن

أعمال الجهاد لاتتوقف إلا بعد عودة البلاد الى حوزة السلام».(11)

ويقول د. أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد المالك:

«ولما وجد الأمير مالك نفسه مؤيداً من القوات المركزية واسبانيا من الخارج ومشجعاً من أخيه، الأمير علي، وغيره من المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى بالإضافة الى نشاطات حرب العصابات وحركة الفرار من الجيش الفرنسي في الجزائر، ومتأكداً من الشعبية والسمعة بين المغاربة أعلن الجهاد ضد فرنسا ونادى بنفسه «أمير فاس» ودعا أهل افريقية الشمالية أن ينضموا اليه في ثورة تشرف ذكرى أبيه، الأمير عبد القادر وفي رسالة الى أخيه سنة 1916 أخبره فيها بخطته في الاستيلاء على الدار البيضاء وجعلها عاصمة له».(12)

وفي 17 كانون الأول 1914 كتبت جريدة «تصفير أفكار» الصادرة في اسطنبول تقول: «أن الأمير عبد المالك بن الأمير عبد القادر الذي أعلن الجهاد الأكبر والذي طهر بعض المدن والموانئ من عساكر الفرنسيين وبعد تحقيق هذا النجاح أرسل رسالة الى مركز الحكم في اسطنبول.. وتضيف تصفير أفكار في عددها المذكور أن الأمير عبد المالك أعلن حكومة مستقلة في امارة فاس وهذا حق وراثي له في الحكم».(13)

وقد كتب الدكتور جلال يحيى في كتابه تاريخ المغرب العربي الكبير:

«وفي أثناء سنة 1915 ظهر نشاط واضح لسي عبد الملك (الأصح عبد المالك) هو ابن أخ الأمير عبد القادر الجزائري الكبير (الأصح أنه ابن الأمير عبد القادر) وكان يعمل قبل ذلك في المخزن، ثم ظهر أنه من القادة الثورين الذين يمكنهم اثارة المشكلات أمام النفوذ الفرنسي في المغرب الأقصى وكان لاسمه واسم أسرته علاوة على شجاعته وشخصيته مايؤهله لقيادة حركة تحرير هامة، وتمكن من تنظيم مجموعات مسلحة أخذت في علان الثورة وباسم الجهاد الاسلامي، ووحدت مجهوداتها في أقاليم الأطلس مع رجال قبائل زيان بقيادة سيدي موما أو ممو ورجال سيدي راحو».(14)

ربما بذكاء نادر وحنكة حاولت عائلة الأمير أن تستفيد من كل القوى لصالح الاستقلال العربي، ودائماً حاولت أن تستفيد من الأقل عداوة ضد من هو أكثر عداوة، أو كما عبر د. أبو القاسم سعد الله عن الأمير عبد المالك أنه قد تحالف مع أعداء أسوأ أعدائه ألمانيا والدولة العثمانية، لذلك فإن كتاب حياة الأمير علي يخصص صفحات عن علاقة العائلة بألمانيا.. لذلك أعتقد أنه من المفيد النظر الى تحركات المهجرين الجزائريين الى بلاد الشام عبر قياداتهم السياسية والثقافية في اطار التحرك القومي الشامل.

ويقول د. أبو القاسم سعد الله:

«ورغم حريتهم في الشرق الأدنى، فقد بقي المهاجرون الجزائريون على اتصال مستمر بوطنهم، وباتصالهم المستمر مع ذويهم بالجزائر، وربما يستقبلونه من أخبار مع الحجاج، والتجار، والسياح. وقد ساهم المهاجرون لا في نشر دعاية القومية الاسلامية فقط

في الجزائر، بل في تعزيز الروح الوطنية أيضاً.

ويضيف:

وقد اعتاد هؤلاء الجزاريون أن يشنوا، خلال أحاديثهم واتصالاتهم حملة مسمومة ضد السياسة الفرنسية في الجزائر فصحافتهم اعتادت أن تصف فرنسا بأنها أسوأ مضطهدة للجزائريين.

ويؤكد:

أن المهاجرين الجزائريين في الشرق الأدنى قد ساهموا بعمق في حركة القومية الاسلامية والقومية العربية من خلال صحافتهم وقيادتهم وسمعتهم كمثال للمجاهدين..».(15)

وهكذا فإنه ليس خافيا على أحد أن المهجرين الجزائريين في الشام سواء على مستوى القيادات السياسية والدينية أو على مستوى الجماهير الشعبية ظلوا يرفعون صوت الجزائر وعموم المغرب العربي ويطالبون بالاستقلال ويناضلون من أجل ذلك ببسالة لاتقل عن بسالة أهلهم في الوطن الأم، بل أن كثيراً من المراجع التي تتحدث عن الحركة الوطنية الجزائرية تنسب اليهم اسهامات مشرفة في هذه الحركة. كما هو حال الكتب التي تتحدث عن الحركة الوطنية في سورية وفلسطين.

وهذا يبرهن بكيفية قاطعة مانعة أن الهجرة الجزائرية كانت انتقال المقاتل من متراس الى آخر، أما إن وجد شخص هنا أو هناك حاول أن يحقق مكسباً شخصياً فذلك لأن أحداً من الجزائريين مهجرين وغير مهجرين لم يدعي أنه من الملائكة أو الأنبياء لقد أثبتوا، كما يحلو لي أن أكرر، وهم معظمهم من منطقة القبائل البربرية في الجزائر، أثبتوا أنهم العرب الأقحاح، رغم الادعاءات الفرنسية واتباعها أنهم غير ذلك. ولاأعتقد أنهم سيتخلون يوماً عن عروبتهم واسلاميتهم. فالأمازيغية والعروبة مسميان لشيء واحد كباطن اليد وظهرها.

**3- الجمعيات المغربية في الشام:**

أسس الجزائريون بصفتهم الطليعة «المغاربية» في المشرق العديد من الجمعيات السياسية والخيرية التي تهتم بالمغرب العربي كقضية سياسية وبأحوال المهجرين منه الى الشام كقضية اجتماعية، وكما لم تفصل هذه الجمعيات بين قطر مغربي وآخر، إذ مارسوا فيه أجمل وأرقى الممارسات الوحدوية المغربية وبرهنوا واقعياً على امكانية قيام هذه الوحدة، فإنهم لم يفصلوا هذه الجمعيات ونضالها عن نضالهم في الشام سواء في سورية أو فلسطين، فقد مارسوا هنا الوحدة العربية في أصفى وأنبل معانيها وبرهنوا على أرض الواقع أن قيام الدولة العربية الواحدة مشرقاً ومغرباً ليس حلماً بعيد المنال. لقد كانت لهم جنسيتان لكن الوطن واحد.

وقد ساندت هذه الجمعيات بشكل ملحوظ النضال ضد الاحتلال الفرنسي لتونس،

فمن المعروف أن الجزائريين الذين هاجروا الى تونس شاركوا في هذا النضال بل كان من مؤسسي الحركة الوطنية فيها كما هو حال الشيخ أحمد توفيق المدني، وأسهموا أيضاً في حركتها الثقافية، وقد صنف الكاتب التونسي... الجابري كتاباً في ذلك،(16) ومثلما شكلت هذه الجمعيات كشافة الأمير عز الدين الجزائري فإنها أسست نادي عمر المختار إذ كانت تساهم في الحركة الوطنية الليبية كما يدلنا على ذلك كتاب الليبيون في سورية وأسهمت في الحركة الوطنية في مراكش حسب الوثائق التي بين أيدينا وكل ذلك جنباً الى جنب مع اسهامها في الحركة الوطنية السورية والفلسطينية ومن بين هذه الجمعيات:

## 1- جمعية مهاجري شمال افريقية:

نشرت جريدة المقتبس الدمشقية في عددها رقم 462:

«اجتمع الجزائريون والتونسيون المقيمون في الاستانة وقرروا تأسيس جمعية مختصة بهم وقد خطب كثيرون منهم وأبانوا شكرهم لأحرار العثمانيين».

ليس في خطة بحثنا التحدث حول نضال الجزائريين في تركيا، ونتمنى أن يقوم باحث آخر بذلك خاصة وأن لهم حياً يسكنونه حتى الآن في استامبول، ولكننا نعلم أن أياً من الجزائريين وعموم أهل المغرب العربي لايتحرك سياسياً في ذلك الوقت إلا تحت مظلة عائلة الأمير عبد القادر التي كان يرأسها في الاستانة ولده محمد وفي دمشق ولده علي.

وتفيدنا الوثائق أن الأمير علي ترأس في دمشق جمعية مهمة اسمها جمعية مهاجري شمال افريقية، فهل بين هذه الجمعية وبين الجمعية التي أشارت اليها المقتبس علاقة ما، وهل بين هاتين الجمعيتين وبين الجمعية السابقة (الجمعية الخيرية الاسلامية لإبالة الجزائر المحمية) التي أسست لمعاضدة ثورة المقراني رابط ما؟

إنه سؤال لم أتوصل الى اجابته، لكن الذي أعلمتنيه الوثائق أن جمعية مهاجري افريقية الشمالية كانت في واقع الحال حزباً سياسياً يدعو علناً لاستقلال الجزائر ويتحالف مع الألمان ضد فرنسا وأن رئيسها الأول الأمير علي بن عبد القادر يزور الأسرى الجزائريين الذين كانوا يساقون الى الخدمة في الجيش الفرنسي، فيأسرهم الجيش الألماني وكان هؤلاء الأسرى ينظرون الى الأمير علي بن عبد القادر كأمير وطني.

ولعل أهم وثيقة حتى الآن تدلنا على نشاط هذه الجمعية هي الجريدة التي كانت تصدرها باسم «المهاجر»(17) وقد صدرت هذه الاسبوعية كما يقول فيليب طرزي في 1912/1/21. وكان رئيس تحريرها كما هو وارد على صفحتها الأولى التهامي شطة الأغواطي وكان مقرها نفس مقر جمعية مهاجري شمال افريقية. ويبدو أن الأمير سعيد بن علي ترأس هذه الجمعية اعتباراً من عام 1915 كما يفهم من كتاب جورج فارس.

ويبدو أن هذه الجمعية ظلت قائمة الى مابعد 1946 حيث لدينا وثيقة تحمل تاريخ

ذلك العام وهي عبارة عن خريطة لجميع بلدان المغرب العربي عليها صور الملوك والأمراء على موقع كل قطر ووضعت صورة الأمير عبد القادر على موقع الجزائر.(18)

إنني أعتقد أن دراسة جمعية مهاجري شمال افريقية دراسة تفصيلية هي أمر ضروري لدارسي الحركة الوطنية الجزائرية خصوصاً والمغربية عموماً، ذلك أن من أعضاء هذه الجمعية القياديين الأمير خالد في الجزائر والأمير عبد المالك في المغرب وغيرهما. ومنها انبعثت الجمعيات «المغاربية» في الشام.

**2- جمعية مجاهدي افريقية الشمالية:**

هي مثلها مثل جمعية مهاجري افريقيا وربما هي امتداد لها ولم أقع -بعد- على وثائق تخص هذه الجمعية وتعطي المزيد من المعلومات عنها غير أني وجدت في جريدة الدفاع ليوم الأربعاء 3 كانون الثاني 1949 نداء صادراً عن فرقة الأمير عبد القادر الجزائري بخصوص عقد مؤتمر عام لتحرير افريقيا والتي يقصد بها في أدبيات المهاجرين الجزائريين «بلدان المغرب العربي». وهذا هو نص النداء كما نشرته الدفاع.

نداء عام الى المجاهدين الافريقيين الأحرار نتيجة للظلم والارهاق والضغط على الحريات، انبثق فجر يشع على العالم ضياء لايخبو مادامت روح الأمم المرهقة بالعبودية أخذت تدب بها الحياة، ومن حق الأمم الافريقية التي عرفت بشدة البأس وكان لمساهمتها مع الأمم الديمقراطية (رغم أنها مستعبدة) أعظم الأثر باحراز النصر، ومن الطبيعي بعد أن تنادى المؤتمر الآسيوي وعزم على الدفاع عن حرية اندنوسيا أن تعقد أمم افريقيا عامة مؤتمراً يسعى وراء تحرير شعوب تكاد تندثر وتهدم بسبب ضغط الاستعمار، وهو لطخة عار في جبين الانسانية، وأن أمة مافتئت تدافع عن حرياتها بأعظم شجاعة وتضحية لجديرة بأن تنفض عنها استعماراً حطها من عل الى أسفل، رغم أنها نقلت الحضارة والمدنية من الشرق الى الغرب وأن آثارها الخالدة في الأندلس لأعظم شاهد عليها. نقول فالى مؤتمر افريقيا أيها المجاهدون الأحرار.

**دمشق - محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر**

ومن المعروف أن فرقة الأمير عبد القادر التي منها كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين، قد انبثقت عن جمعية مجاهدي افريقيا التي أصدر رئيسها الأمير سعيد في 12 كانون الثاني 1948 النداء التالي نصه وننشره في هذا الفصل للبرهنة على أنهم ماكانوا يفرقون بين الجزائر وفلسطين:

«ياأحفاد عبد القادر، ويأبناء المختار، ويارفاق عز الدين، وياحماة المغرب اذكروا قول محمد، عن رب محمد، الذي قال في كتابه الكريم:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة وتكبروا الآى المبين وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ فالله وعدكم النصر ووعدتموه الصبر، فأنجزوا له وعدكم ينجز لكم عهده.

سمعتم ولاشك بالجرائم الدنيئة التي يقوم بها الصهيونيون، تلك الجرائم التي يندى لها خجلاً جبين الانسانية وتشمئز منها الشعوب الشريفة منذ الخليقة... فأين هذه الأعمال الدنيئة الغادرة البذيئة التي يقوم بها اليهود، من الأعمال الشريفة التي يقوم بها العرب البهاليل، حتى في ساحات القتال؟ أين هذه السيارات الممتلئة بالمتفجرات، تدك بها الأبنية، فتذهب بأرواح المئات من النفوس العربية البريئة، صادرة عن أيد أثيمة، أيدي اليهود الذين يلقون تلك القنابل على الجماعات العربية الآمنة في الشوارع والدور والمحال العامة. ذلك لأنهم لايتجرأون على مقابلة العرب الأشاوس وجهاً لوجه، فياويلهم من لؤماء غادرين، فأين موقفهم هذا من موقف صلاح الدين في (حطين) وغيرها مع ريشارد «قلب الأسد» وجيوش الصليبيين.

أيها المسلمون، أيها المسيحيون، ياأبناء يعرب وقحطان المؤمنين بالملك الديان.

أيرضى ضميركم العربي أن تتركوا «الصخرة» المقدسة لأعدائكم الكفرة، أيهون عليكم تسليم مهد المسيح عيسى بن مريم الذي قال الله تعالى في حقه في القرآن الكريم: إذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا (أي اليهود) وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا (اي اليهود) الى يوم القيامة فهل أنتم موقنون.

| | |
|---|---|
| القائلين إذا هم بالقنا هرجوا | من غمرة الموت في ساحاتها |
| عادوا فكانوا كراماً لامثال لهم | عند اللقاء ولا رعش رعافيد |
| لاقوم أكرم منهم حين قال لها | محرض الموت عن أوطانكم |

ياحماة سورية... وياقادة المغرب...

ها قد تأسست في دمشق (فرقة الأمير عبد القادر) بقيادة حفيده ناشر هذا البيان الداعي الى الجهاد المقدس، وهي تدعوكم الى أداء فريضة فرضها الله عليكم بقوله: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ ولاتكونوا كمن قال في حقهم:

﴿ياأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الأرض، أرضيتم بالحياة الدنيا من الأخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾ فهناك جمعية وطنية فرضت على نفسها الجهاد في سبيل الله، وأخذت على عاتقها تزويد كل مجاهد بالسلاح والعتاد، وكفلت لكل مجاهد محتاج المعونة بالاتفاق على عائلته طول حياته في الجهاد حتى وبعد استشهاده: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا﴾.. فاليكم ياأبناء يعرب من سوري أو مغربي، كردي شركسي، مسلم أو مسيحي، من أي طائفة كانت، ينطق بالضاد أوجه ندائي، فالى الجنة أيها المشتاقون اليها، الى ارضاء الله وعيسى ومحمد يامن يهمهم هذا الرضاء فليتقدم كل لتسجيل نفسه وعدد عائلته في الجناح الخاص من منزلي الكائن في

شارع الملك الناصر (العفيف) يومياً الساعة التاسعة صباحاً حتى الثانية عشرة اعتباراً من يوم الخميس في 15 كانون الثاني 1948 الموافق 4 ربيع الأول 1368 وليكن لسان كل واحد منكم:

إذا عجمت عودي الخطوب ... جلود على الخطب العصيب

وان ساورتني محنة اثر محنة ... فليس لها إلا الثبات نصيب

واني على هول المصاب ووطنه ... حديد تداويه اللظى فيطيب

وفقنا الله جميعاً لمافيه الخير للوطن والعروبة وفلسطين.

**دمشق في 12 كانون الثاني 1948**

**جمعية مجاهدي افريقيا**

ومن أهداف هذه الجمعية مايلي:(19)

1- العمل على تحقيق حرية شعوب شمال افريقيا بصفة خاصة وبقية الشعوب الافريقية الأخرى بصفة عامة.

2- العمل على ضم جميع الشعوب الافريقية العربية والاسلامية الى الجامعة العربية.

3- السعي نحو ضم شعوب شمال افريقيا الى مجلس الأمم المتحدة وكذلك بقية الدول الافريقية العربية والاسلامية.

4- العمل على رفع الاضطهاد الديني والسياسي والاقتصادي الذي ترزح تحته الشعوب الافريقية بصفة عامة وشعوب شمالي افريقية بصفة خاصة.

ويتكون مجلس ادراتها من:

1. الأمير محمد سعيد آل عبد القادر رئيساً مدى الحياة.
2. حضرة الأمير حسن آل عبد القادر نائباً للرئيس.
3. الدكتور محمد علي شريف سكرتيراً عاماً.
4. الأمير أنيس آل عبد القادر مساعد السكرتير العام.
5. السيد زهير الطيب أميناً للصندوق.
6. السيد أحمد برغيس (من قرية هوشة بفلسطين).
7. السيد عبد الرحمن الميزاري (من قرية ديشوم بفلسطين).
8. السيد علي الحاج (من قرية عولم بفلسطين).
9. السيد علي باشا عابدية (من دمشق).
10. السيد محمد عمر
11. مصطفى بن يخلف (من بلدة سمخ بفلسطين).
12. السيد موسى الحاج حسين (من قرية التليل بفلسطين).

### 3- جمعية الدفاع عن افريقية العربية:

يبدو أن في اليد مايكفي من الوثائق عن جمعية الدفاع عن افريقية العربية التي تأسست في دمشق إثر اجتماع عقد في منزل مفتي المذهب المالكي في سورية الشيخ محمد مكي الكتاني أحد علماء المسلمين المهاجرين من المغرب الأقصى وجرى الاجتماع يوم الثامن رجب 1365 للهجرة السابع من حزيران 1946 للميلاد أي بعد الحرب العالمية الثانية وتنصل فرنسا من وعودها باستقلال دول المغرب العربي.

وحصل المؤسسون على ترخيص لجمعيتهم من وزارة الداخلية السورية بتاريخ الرابع عشر من آب 1946 تحت رقم 591 وقد نصت المادة الثانية من القانون الأساسي لهذه الجمعية على غايتها من جمع كلمة المهاجرين وتقوية الروح الوطنية والروابط القومية والتعريف بقضية البلاد الافريقية العربية والعمل على تحقيق الملحق الثاني لجامعة الدول العربية.

وقد كان من مؤسسي الجمعية شخصيات جزائرية ومغاربية مهاجرة تشهد سورية كلها بفضلها أمثال: أحمد جودت الهاشمي*، وكامل عياد، عبد الغني الباجقني، هادي الرئيس، كامل التونسي، علي الجزائري، عمر فرحات، حسن فرحات، محمد المبارك، مطيع المرابط وغيرهم من الشخصيات الذين ذكرنا بعضهم في فهرستنا لأعلام المهجرين الجزائريين.

وكان أمين سر هذه الجمعية هو السيد أحمد سهيل الفضيل.

وكانت الجمعية نشيطة في تنفيذ المهمات التي ألزمت نفسها بها حيث يتضح ذلك من وثائقها ومراسلاتها مع العديد من الشخصيات والمؤسسات السياسية والاعلامية المحلية والعربية والدولية. كما يتضح من خلال دعوتها واستضافتها لشخصيات نضالية مغاربية بارزة مثل علال الفاسي، الشيخ الفضيل الورتلاني، الأمير عبد الكريم الخطابي، الشيخ البشير الابراهيمي، الحبيب بورقيبة، يوسف الرويسي، والدكتور الحبيب ثامر، وعبد الخالق الطريسي، والوزاني رئيس حزب الشورى في مراكش.

ومن خلال الوثائق يمكنني أن أقدم الملاحظتين التاليتين:

1. لاتظهر الوثائق أي اسم من الجزائريين في فلسطين عكس جمعية مهاجري افريقية الشمالية، وهو أمر يمكن فهمه ذلك أن الأوضاع في فلسطين تلك السنة كانت في غاية السوء وكان الجزائريون هناك ينخرطون بالكامل في الدفاع عن فلسطين حيث وقعت النكسة بعد تأسيس الجمعية بعامين فقط.
2. لاتظهر الوثائق أي اسم من عائلة الأمير عبد القادر الجزائري بينما تظهر الصور مشاركة نشطة للأمير محمد سعيد حفيد الأمير عبد القادر في استقبال بعض الشخصيات.

وهذا يعني أن هنالك وثائق لم نتمكن من الحصول عليها حتى الآن من جهة ومن

جهة أخرى يتضح أن الأجيال الجديدة من عائلة الأمير عبد القادر لم تستطع مواصلة رسالة الآباء لا في القيادة وحسب بل وحتى بالاهتمام في الأمور العامة.

غير أن لجمعية الدفاع عن افريقية العربية نشاط مميز شمل كل البلدان المغاربية تشير اليه مراسلاتها مع العديد من الأحزاب والشخصيات الوطنية في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ومن الوثائق التي بين أيدينا عن هذه الجمعية:(20)

1. بيان اللجنة التأسيسية لجمعية الدفاع عن افريقية العربية الصادر في دمشق في 11 رمضان 1365 الموافق 19 آب 1947.
2. الرخصة الصادرة عن وزارة الداخلية بدمشق بتاريخ 1365/9/17 الموافق 1946/148.
3. القانون الأساسي لجمعية الدفاع عن افريقية العربية الصادر في 4 رمضان 1365 الموافق الأول من آب 1946.
4. النظام الداخلي لجمعية الدفاع عن افريقية العربية الصادر في 31 رمضان سنة 1365 الموافق 18 آب 1946.
5. نص رسالة موجهة الى الصحف السورية بتاريخ 1947/8/31 المتضمنة طلب نشر برقية رئيس الجمعية الشيخ محمد المكي الكتاني المرسلة الى رئيس مجلس الأمن الدولي وسكرتير هيئة الأمم المتحدة.
6. رسالة من رئيس الحزب الوطني في ليبيا السيد مصطفى ميرزان الى رئيس الجمعية مؤرخة في 31 صفر 1366 الموافق 14 يناير 1947.
7. رسالة من رئيس الجمعية الى أمين عام جامعة الدول العربية مؤرخة في 1946/11/24.
8. رسالة جوابية من عبد الرحمن عزام أمين عام جامعة الدول العربية.
9. رسالة من أمين سر الجمعية الى مدير جريدة بردى الدمشقية تطلب نشر البرقيات الواردة الى الجمعية من الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ومن الدكتور ثامر سكرتير مكتب المغرب العربي في القاهرة.
10. رسالة من رئيس الجمعية الى أصحاب الصحف تخبر عن عقد اجتماع في بهو النادي العربي وانتخاب لجنة ادارية من محمد مكي الكتاني وأحمد جودت الهاشمي ومحمد علي الجزائري ويوسف الرويسي وحسن فرحات وعبد الغني الباجقني والهادي الرئيس وزين العابدين التونسي ومطيع المرابط وأحمد سهيل الفضيل وتشكر الرسالة المؤرخة 15 تشرين الأول 1946 أصحاب الصحف على مواقفهم المشرفة في قضية المغرب العربي المتمم للوحدة العربية الكبرى وتطلب الاستمرار في معالجة هذه القضية الهامة.
11. برقية من رئيس الجمعية مؤرخة في 1947/10/11 الى الأمين العام للجامعة

العربية في صوفر.

12. رسالة من رئيس الجمعية الى رئيس الحزب الوطني في ليبيا مؤرخة 8 شباط 1947 تؤكد أن الجمعية تعمل على استقلال الأقطار العربية طرابلس، برقة، تونس، الجزائر، ومراكش وضمها الى جامعة الدول العربية.

**4- جمعيتا تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت:**

يبدو أن جمعية تحرير المغرب العربي هي اسم آخر أو وارث لجمعية الدفاع عن افريقية العربية فرئيس جمعية التحرير في دمشق هو ذاته رئيس جمعية الدفاع الشيخ محمد المكي الكتاني ويبدو أيضاً أنه أقيمت في لبنان جمعية في نفس الفترة تحمل نفس الاسم «جمعية تحرير المغرب العربي»، مركزها الرئيسي في بيروت ويرأسها السيد عبد السلام بوعزة الجزائري التاجر المعروف بتجارة الترانزيت.

ولدينا عدد من الوثائق الصادرة عن هاتين الجمعيتين، فمن دمشق:

1. بيان أصدرته لجنة تنظيم يوم الجزائر المنبثقة عن جمعية تحرير المغرب العربي صادر في 8 رمضان 1375 الموافق 18 نيسان 1956 تعلن فيه عن عزمها على القيام بإضراب في 11 رمضان واقامة أسبوع لمساندة نضال الجزائر من 18-25 رمضان 1375 ويتضمن البيان انتقادات واضحة للجامعة العربية وأساليبها العتيقة التي جرت على الأمة مأساة فلسطين كما ينتقد الحكومة السورية للتقاعس في تنفيذ القرارات الاجماعية لمجلس الشعب في نصرة الجزائر.
2. كتيب اعلامي مصور من 18 صفحة بعنوان معركة الحرية والحياة في الجزائر المجاهدة.

وأوردت جريدة الرأي العام الدمشقية:

«وفي دمشق صرخت الهيئات المشرفة على شؤون لجنة تحرير المغرب العربي أن يوم 8 أيار سيكون يوماً عاماً بين البلدان العربية والاسلامية لجمع التبرعات والمعونات للشعب الجزائري ومناضليه الأشاوش».(21)

ولعله من باب الاستذكار أن نقول أن اختيار يوم الثامن من أيار مايو يوماً للتضامن العربي والاسلامي مع المغرب العربي ليس اختياراً عشوائياً.. فهو تاريخ المجزرة الجهنمية الهمجية المشينة التي نفذها الفرنسيون ضد الشعب الجزائري في سطيف وقالمه وخراطه وغيرها حيث قتلوا بدم «حضاري!» في ذلك اليوم من عام 1945 حوالي خمسين ألف جزائري لأنهم طالبوا باستقلالهم.

ومن الواضح أن جمعية تحرير المغرب في دمشق وأختها في بيروت كانتا على صلة بلجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة.

وقد نظمت هذه الجمعية جمعية تحرير المغرب العربي اسبوعا لجمع التبرعات للجزائر ونظمت الاسبوع الثاني جمعية دار الجزائر.

وأما أعضاء الهيئة الادارية لجمعية تحرير المغرب العربي فيمكن أن نذكر منهم: محمد المكي الكتاني، أحمد جودت الهاشمي، محمد علي الحسيني الجزائري، عمر فرحات، د. حسين فرحات، محمد المبارك، والسياسي التونسي الذي كان لاجئاً في سوريا يوسف الرويسي، عبد الغني الباجقني، د. كامل عياد، هادي الرئيس، مطيع المرابط، كامل التونسي.

ومن الواضح أن هذه الجمعية نظمت في سورية حملة خاصة لصالح النضال التونسي، امتدت بالتعاون مع الحزب العربي القومي الى حلب حيث انتهز الجميع فرصة انعقاد المؤتمر الطبي العربي فيها بتاريخ 1946/8/28 فحولوه الى مظاهرة سياسية لاستقبال الحبيب بورقيبة رئيس الحزب الحر الدستوري وزميله يوسف الرويس عضو جمعية تحير المغرب العربي. وشملت المظاهرة جميع بلدان المغرب العربي والعراق وحضرها من السياسيين السوريين رشدي الكيخيا، ناظم القدسي، احسان الجابري، عبد الرحمن الكيالي، ظافر الرفاعي، ومن السياسيين العراقيين نصار حسين الصباح هذا العراقي الذي ولد في مدينة الحلة جنوب العراق وكان يدير مكتب المغرب العربي بجنوب ألمانيا ويساعد في تحرير جريدة «المغرب العربي» التي كان يصدرها المكتب باللغتين العربية والألمانية. وقد أصدر الحزب العربي القومي وثيقة عن هذه المظاهرة هي عبارة عن كتيب من 44 صفحة بعنوان «المظاهرة العربية الكبرى التي قامت في الشهباء لنصرة المغرب العربي بمناسبة زيارة زعماء الحزب الحر الدستوري التونسي». ونشر على الغلاف صورة كتب تحتها جلالة الملك العربي المجاهد محمد المنصف باي تونس. كما تحدث الكتاب عن نضال الشعب العربي في ليبيا والمغرب.

ويبدو أن جمعية تحرير المغرب العربي تعاونت مع الكاتب عبد الله بيتموني في اصدار كتيب من 66 صفحة صدر في شباط فيفري 1947 حيث نجد فيه مقالاً بعنوان نضال الشمال الافريقي العربي بتوقيع أحمد سهيل الفضيل(22) ومعلومات عن باي تونس محمد المنصف والحبيب بورقيبة ويوسف الرويسي والأمير عبد القادر والحاج أحمد مصالي رئيس حزب الشعب الجزائري وبطل الريف الأمير محمد عبد الكريم وعلال الفاسي رئيس حزب الاستقلال المراكشي ومقالات عن مظالم فرنسا وأخباراً عن نضال المغربي عامة.

وأما جمعية تحرير المغرب العربي في بيروت التي تولت تهريب الشيخ الفضيل الورتلاني من اليمن اثر اسهامه في ثورة 1948 وتدبير أمر اقامته بين بيروت ودمشق ثم القاهرة فتركيا، فهناك عدة وثائق صادرة منها برقيات الى رؤساء الجمهورية في فرنسا تطالب باستقلال الجزائر وبلدان المغرب العربي واحتجاجات على مجازر 8 ماي 1945

التي نفذها الوحش الفرنسي في سطيف وخراطة وقالمه وسعيدة وغيرها من المدن الجزائرية.

ويبدو أن هذه الجمعية أول من طرح مسألة الاضطهاد الفرنسي للثقافة العربية في الجزائر وعموم بلدان المغرب العربي في المحافل الدولية، فلدينا تقرير قدمته هذه اللجنة عام 1948 الى مؤتمر اليونسكو في بيروت يحمل عنوان «حالة التعليم بالمغرب العربي تونس والجزائر ومراكش في ظل الاستعمار العلمي الفرنسي»[22] والتقرير الذي لدينا هو كتيب مطبوع يحتوي ثلاثة تقارير ومقدمتين وقع مقدمة الكتيب رئيس جمعية تحرير المغرب العربي في لبنان عبد السلام بوعزة الجزائري ووقع مقدمة التقارير الأمين العام للجمعية أحمد بديع المغربي.

وأما التقرير الأول فعن الحالة التعليمية والثقافية في الجزائر وقعه (شاذلي مكي سكرتير وموفد من قبل حزب الشعب الجزائري في الشرق العربي 45 شارع شامبليون – القاهرة) والتقرير الثاني عن تونس قدمه (مكتب استعلامات اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي) والثالث عن مراكش ووقعه (باسم حزب الاستقلال علال الفاسي) وقدمت التقارير الثلاثة من طرف جمعية تحرير المغرب العربي في لبنان.

ويبدو أن جمعيتا تحرير المغرب العربي في دمشق وبيروت كانتا على اتصال وثيق وشبه يومي مع مكتب المغرب العربي في القاهرة.

# الهوامش

1. اورد ذلك السيد ضيف الله الحمود في مقابلة أجرتها معه مجلة المجاهد الأسبوعية.
2. ناجي محمد / طرابلس الغرب ص
3. انظر صورة الرسالة.
4. حياة طيب الذكر الأمير علي.
5. محمد بالخير، الهاشمي/الهاني - الغزو الايطالي وبداية حركة المقاومة المسلحة، طرابلس 1985، ص73.
6. علي ص40.
7. نفسه ص66.
8. نفسه ص7.
9. انظر صورة رسالة الأمير عبد المالك
10. نهويض، عجاج: أعلام الجزائر، بيروت 1971 ص
11. الجندي، أدهم: شهداء الحرب العالمية الأولى 1901-1930، بيروت 1963 ط1 ص206.
12. سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية
13. انظر صورة جريدة تصفير أفكار
14. يحيى، جلال: تاريخ المغرب العربي الكبير / بيروت 1984 ج4 ص119.
15. سعد الله، أبو القاسم: مصدر سابق، ص148
16. الجابري، محمد الصالح
17. انظر صورة جريدة المهاجر
18. انظر صورة الخريطة
19. الجزائري، الأمير محمد سعيد: مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الاسلامي، الجزائر 1968 ط2، ص.
20. انظر صور من وثائق جمعية الدفاع عن افريقية العربية.
21. جريدة الرأي العام الدمشقية تاريخ 1،5،46.
22. أحمد سهيل الفضيل الجزائري هو أمين سر معظم هذه الجمعيات هاجر والده من «عين الحمام»، التي أسماها الفرنسيون ميشلي، وهي قرب تيزي وزو. وقد زودني مشكوراً بمعظم الوثائق. أنظر الترجمة.
23. انظر صورة هذا التقرير.

## خامسا: إسهامهم في الحركة الوطنية السورية

**مدخل:**

في عام 1920 وجه الجنرال غورو قائد القوات الفرنسية في لبنان سلسلة من الانذارات لملك سورية فيصل بن الحسين، القصد منها احتلال سورية وتنفيذ اتفاقيات سايكس – بيكو، ورغم أن فيصل وافق على الشروط الصعبة لتلك الانذارات الوقحة إلا أن غورو زحف الى دمشق فهب جيشها الناشئ وشعبها الأعزل في وجه غورو فكانت ميسلون موقفاً أكثر منها معركة عسكرية.

ودخل غورو كفاتح وقح وسط وجوم الناس ودهشتهم مدينة دمشق وأنهى الحكم الفيصلي وبدأ عهد الانتداب الفرنسي بسلسلة من الاساءات للشعب العربي في سورية وبدأ أول مابدأ بشق الوحدة الوطنية فيضرب العلويين بالسنة وهؤلاء بالدروز، والعرب بالشركس والجميع بالأرمن والنصارى بالمسلمين ويقول المؤرخ محمد عزة دروزة:

«وبنوا كذلك المخاوف من السوريين في الجاليتين الشركسية والأرمنية وجعلوهم يرون فيهم مماتهم وفي الارتباط بهم فائدتهم، وجندوا منهم عدداً كبيراً في كتائب الجيش وعينوا بعض نابهيهم ضباطاً فكان هذا كذلك وسيلة من وسائل توثيق الارتباط ونجاح الخطة المرسومة».(1)

«وماكاد الجنرال غورو يحتل المدن السورية الداخلية ويفرض سيطرته على سورية حتى أصدر في 3 آب 1920 قراره رقم 229 بفصل الأقضية الأربعة – بعلبك، والبقاع وحاصبيا وإشيا عن سورية وضمها اعتباراً من تاريخه الى جبل لبنان تمهيداً لفصل لبنان عن سورية وإنشاء دولة مستقلة تدعى لبنان الكبير».(2)

ثم أقام دولاً في دمشق وحلب واللاذقية وجبل الدروز.

لكن الشعب العربي السوري رفض كل ذلك وهب للدفاع عن وحدته الوطنية وفي خضم بحث فرنسا عن أتباع لها في سورية اعتقدت أن الجزائريين يمكن أن يكونوا هؤلاء الأتباع فعرضت على الأمير محمد سعيد أن يكون ملكاً على سورية تابعاً لها، اعتقاداً منها بأن الرجل الذي رفع علم الاستقلال العربي عام 1918 وأعلن أول حكومة عربية مستقلة لن يرفض مثل هذا العرض حتى ولو من باب النكاية في بريطانيا فضلاً عن المكاسب الشخصية، إلا أن الرجل وضع شرطاً لم يخطر على بال أحد، إذ اشترط أن يحكم البلدين الجزائر وسورية معاً، وأظهر أن حقه في هذين العرشين واضح كحفيد لأمير عبد القادر في الجزائر وكمؤسس لحكومة الاستقلال العربي في سورية. وهكذا رفض سعيد العرض الفرنسي.

**معضلة فرنسا الجزائرية في سورية:**

وبرفض العرض وقع الانتداب الفرنسي في سورية في مايمكن تسميته بالمعضلة الجزائرية، فكيف يعامل هؤلاء الجزائريين الذين كانوا ضد فرنسا منذ عام 1847 حتى اليوم، هل يعاملهم كفرنسيين، وهم يرفضون موالاة فرنسا، أم هل يعاملهم كسوريين فيلتحمون أكثر فأكثر في الحركة الوطنية السورية التي شكلوا أحزابها وهيأتها السياسية لتكون في طليعة حركة القومية العربية في المشرق والمغرب.

فبدأت سلسلة من التضييقات على هؤلاء الجزائريين بدءا من عائلة الأمير عبد القادر نفسه حيث قطعت رواتب هذه العائلة وبدأت بنفي رجالاتها وعلى رأسهم الأمير سعيد نفسه الى فلسطين وغير فلسطين، وطالت هذه المضايقات حتى أولئك الذين يحملون الجنسية الفرنسية منهم.

وبالإضافة الى ازعاجات عائلة الأمير لسلطة الانتداب الفرنسي كان هناك الشيخ محمد بن يلس الذي أفتى في تلسمان بعدم جواز الخدمة تحت العلم الفرنسي فهاجر الى دمشق مواصلاً نضاله، فكان مرا على فرنسا في سورية أيضا وتبعته جماهير غفيرة من المؤمنين، وكان يشاركه النضال ضد الانتداب الفرنسي محدث الشام الأكبر بدر الدين الحسني ابن ذلك الشيخ الذي تعود أصوله الى سبتة في المغرب والذي اعترض على بيع دار الحديث فاشتراها الأمير عبد القادر وجعلها وقفا اسلاميا. كما ظهرت عائلات جزائرية أخرى تقاوم الاحتلال الفرنسي في سورية، إذ تمكنت عائلة المبارك بقيادة الشيخ عبد القادر المبارك من الوصول الى صفوف الجزائريين المجندين في جيش الاحتلال الفرنسي، وتمكنت عائلة الهاشمي الينيوى بقيادة أحمد جودت الهاشمي من تكتيل هيئة التعليم والتدريس في سورية ومنع الانتداب الفرنسي من السيطرة على النظام التربوي السوري. في حين كان الأمير طاهر بن أحمد يعد من رجالات سورية في الساحل السوري وفي جبل الدروز وفي حلب ومع الأمير خالد في الجزائر للثورة السورية الكبرى. ليسجل التاريخ أن فرنسا فشلت في استقطاب الجزائريين أو فصلهم عن حركة التحرر القومي العربي في المغرب والمشرق.

ولدينا رسالة(3) مؤرخة في 1923/10/10 وجهها رئيس عائلة الأمير في ذلك الوقت وهو نجله عبد الله الى رئيس عصبة الأمم التي شكلت في أعقاب الحرب العالمية الأولى هذا نصها:

دمشق في 10 تشرين أول 1923

الى معالي السيد رئيس عصبة الأمم

لاعتقادي بأن عصبة الأمم قائمة على مبادئ العدل والنزاهة والانصاف، فإنه يشرفني اللجوء اليها من أجل توضيح مايلي:

ان فرنسا استولت على بلد مستقل كان يحكمه الأمير عبد القادر، وكانت تعترف

بسيادته رسمياً.

انها لم تجرد عائلة الأمير عبد القادر من حقها في السيادة فقط، وإنما صادرت ممتلكاتها الشرعية على الرغم من القرارات الرسمية الصادرة عن اجتماعات مجلس نوابها ووزرائها المسؤولين.

وبالمقابل خصصت لهذه العائلة مرتباً سنوياً يكفي بالكاد الحاجات الأساسية لأعضاء هذه العائلة المنفية التي يتجاوز عدد أعضائها المئة وبالاضافة الى ذلك وعلى الرغم من قرار مجلس الشيوخ المؤرخ في سبتمبر ايلول 1863، القاضي باحترام شرعية هذه العائلة، والقرار الامبراطوري المؤرخ في 23 ماي ايار 1864 القاضي باعادة ممتلكات بني هاشم ومن ضمنها ممتلكات العائلة فإنها لم تفعل شيئاً بل انها قامت بتخفيض المبلغ المخصص الى سبعين ألف فرنك في حين أن ممتلكات العائلة قدرت من قبل الحكومة الفرنسية بمبلغ مئتين وأربعين ألف فرنك.

ونظراً لماسبق فإنه يسعدني أن أطلب اليكم أن تعلموني إذا كانت هذه الطريقة من التصرف تتناسب مع مبادئ القانون الدولي، ومبادئ القوانين الانسانية المطبقة.

مع خالص الاحترام سيدي الرئيس

**الأمير عبد الله بن الأمير عبد القادر**
**رئيس العائلة**
**شارع الحمراء - دمشق/سورية**

ويبدو أن الأمير عبد الله لم يتمكن من لعب دور سياسي في سورية فقد كان أميل للعزلة والانطواء، غير أن ابن أخيه سعيد بن علي كان له أسلوبه وطريقته الخاصتين في تحدي سلطات الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان والبريطاني في فلسطين وعدم الاعتراف بأية سلطة استعمارية في بلاد الشام فبالاضافة الى أن الرجل كان يرفع علمه الخاص «علم الأمير عبد القادر» على سيارته، فإنه لم يضع عليها أية لوحة سوى ذلك العلم، وأنه لم يكن يتوقف عند الحدود حين ينتقل بين سورية ولبنان وفلسطين والأردن. وأنشأ نشيداً وطنياً خاصاً به الذي طبع ووزع على الناس وقد قامت دار الشروق للصحافة والتمثيل والموسيقى بادارة فهمي صدقي المعري وأولاده بنشر هذا النشيد مع النوبة وقالت هذه الدار أنها تقدم النشرة العاشرة نشيد سمو الأمير محمد سعيد آل عبد القادر من نظم وموسيقا أحمد فكرة المعري وهذا نص النشيد كما أوردته النشرة.

نشيد سمو الأمير سعيد الجزائري

(1)

| | |
|---|---|
| أميرنا الشهم | قد ساد في دمشق الحسام |
| عالي الذرا | ليث شديد في الصدام |
| ذو الفضل | حامي الحمى يوم الزحام |

| | |
|---|---|
| حيـــاه مــــن | سـيف العروبــة والسـلام |

اللازمة

| | |
|---|---|
| هيا بنا أميرنا | صعـدا بجـوزاء الغمـار |
| فجهادنـــا | مجـد وعـز وافتخـار |
| حفيد من ساد | مـولاي عبـد القـادر |
| شهم الجزائر | بشـــهامة ومـــآثر |
| فهو الأمير | (سـعيد) كهـف الحـائر |
| حيـــاة إذا | المجـــاهد الجزائـــري |
| فبسيفه نلنـا | مـن غيره فخـر العـرب |
| كم وقعة فيها | عنــه فسـل أهـل الأدب |
| رفـع اللــواء | رمـز لــه فــي العـرب |
| تـاج العروبـة | يحيـا الأمـير المنتخـب |

ومن الملاحظ أن هذا النشيد يربط النضال الجزائري والسوري والعربي معا.

**الثورة السورية الكبرى 1925–1927:**

وما أن جاء عام 1925 حتى أعلنها السوريون ثـورة كبرى فـي دمشـق والقلمـون وحلب والساحل وجبل الدروز وجميع أرجاء سورية بقيـادة تـألفت مـن عدد مـن الوطنيـن على رأسها سلطان باشا الأطرش، ود. عبد الرحمن الشهبندر، وسعيد العاص، وصـالح العلي، ومحمد الأشمر، والشيخ بدر الدين الحسني، وأحمد مريود، والأمير طاهر بن أحمد بن عبد القادر الجزائري والأمير عز الدين بن محي الدين بن المصطفى، والمصطفى هـذا هو شقيق الأمير عبد القادر، وغيرهم.

وتعتبر الثورة الكبرى 1925–1927 أول ثورة منظمة ضد الانتدابـات الأوروبيـة في الشام. وقد لعب الجزائريون فيها دوراً هاماً عبر عدة نقاط منها:

1. استقطابهم لعدد من الجزائريين في الجيش الفرنسي، تلك المهمة التي تولاها الشيخ عبد القادر المبارك، فشجعوهم على تقديم يد المساعدة للثورة وعلى رأس هؤلاء قـائد قـوات الصبايحية (أو السبايهية) وهم الفرسان وكان على رأسهم الكولونيـل عطـاف الـذي يعطيـه السوريون لقب باشا تقديراً لخدماته القومية ويقول أدهم الجندي:

«كان عطاف باشا قائداً عاماً لسلاح الفرسان الجزائريين، ولمـا احتدمـت نيـران الثورة عام 1925 كان على اتصـال وثيق بالشيخ رزقـي المغربـي مختـار حـي السويقة فاتخذه واسطة لإيصال الأخبار الى الثوار في الغوطة ليكونوا على حذر وأهبة عند زحـف

الحملات الفرنسية».(4)

ويبدو أن الفرنسيين قاموا باعدام الكولونيل عطاف حسب بعض الرواة إلا أنني لم أعثر على وثيقة تؤكد هذا أو تنفيه.

وفي كل الأحوال فإن عددا لا يستهان به من الأسر الجزائرية في دمشق وحلب واللاذقية يعود تاريخ وجودها في سورية الى هذه الفترة حيث التحق عدد من فرسان الصبايحية بالثورة السورية وانضموا الى اخوانهم الجزائريين في قرى الغوطة وحوران بل وفلسطين حيث كانت القرى الجزائرية في حوران والجليل تشكل خطا خلفيا لهؤلاء المجاهدين. وقد قام الأمير عز الدين نفسه بتنظيم هذه القرى وبالتحاق جزائرييها بالثورة.

ويبدو أن قرية نوله في غوطة دمشق تعرضت لكثير جدا من قصف الطائرات الفرنسية بسبب مشاركة رجالاتها في الثورة السورية وقدمت عددا من الشهداء مثل: الأسود. وكذلك حي السويقة قدّم عددا من الشهداء مثل علي بن أحمد بو جمعة.

ومن ناحيته فإن الأمير طاهر بن أحمد رغم أن الفرنسيين قصفوا بيت الأمير عبد القادر في حي العمارة الذي كان يسكنه هو والأمير* سعيد حين قصفهم مدينة دمشق وحرقها خلال الثورة، بالرغم من أن المسيحيين التجأوا الى هذا البيت للمرة الثالثة (الأولى عام 1860 والثانية 1918) ليحتموا به من القصف الفرنسي الوحشي... رغم كل هذا فإن دهاليز وأقبية هذا البيت كانت مستودعاً للأسلحة كما كشفت عن ذلك السيدة زينب بنت الأمير عبد القادر ووالدة الأمير عز الدين حيث تقول احدى المناضلات السوريات لمجلة الجندي السورية عن رفيقتها زينب:

«ان السيدة زينب الجزائري كريمة الأمير عبد القادر الجزائري ووالدة الأمير عز الدين الجزائري آخر شهيد من شهداء الثورة السورية... كانت قبل أن يقتل ابنها وبعد أن قتل تدعم الثوار وتنقل لهم بالعربة الملابس والأحذية والسلاح من دمشق، من بيت الأمير طاهر الجزائري مستودع السلاح في حي العمارة الى بيتها في القدم مركز لقاء الثوار. وكثيراً ماكان البيت مطوقاً ولكن بعد أن يختفي الثوار والسيدة الصابرة لاتعرف مصيرهم.. ولكنها كانت تتابع أعمالها بشجاعة.. ولم تتوقف يوماً عن مساعدة الثوار بعد مقتل ابنها.. وكانت تمر أمام الجنود بالعربة المحملة بكميات هائلة من المؤن والسلاح وكلنا مندهش كيف مرت دون أن يكتشف أمرها.. وكانت تسير على بساطتها وعقيدتها قائلة قبل أن تبدأ رحلتها: ياسرّ الرسول وياسرّ الأولياء».(5)

ويبدو أن السيدات الجزائريات قد لعبن دوراً مميزاً في الحركة الوطنية السورية، فعادل الصلح يتحدث بإجلال عن هذه السيدة زينب، أما الموسوعة الفلسطينية وأكرم زعيتر وغيره من مؤرخي الحركة القومية العربية والوطنية السورية فيتحدثون عن السيدة عادلة بينهم الجزائري كرائدة مناضلة من رائدات ومناضلات الحركة النسوية في سورية من أجل التحرر الوطني والقومي وكذلك في نشر التعليم بين النساء حيث افتتحت مدرسة

دوحة الأدب كما تتحدث وثائق الجمعيات الجزائرية والسورية عن دور لابنتها أمل بنت مختار بن محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري.

ويبدو أن الأمير طاهر بن أحمد لم يكن يقتصر دوره على تزويد الثورة السورية بالسلاح فحسب أدهم الجندي:

«لقد جاء في مذكرات الجنرال سراي المطبوعة بأن هذا الأمير الخطير كان العامل الأول في اعداد الثورة السورية والمحرض عليها بالاشتراك مع قنصل بريطانيا المستر سمارت والحقيقة أن الفرنسيين كانوا على علم بما يقوم به من نشاط وطني بارز، وقد اعتقلته السلطة الفرنسية ابان الثورة السورية 1925 حين احتل المجاهدون دمشق ثم أطلق سراحه بعد مدة قصيرة، ورغم مراقبته فإنه كان يؤازر المجاهدين بشتى الوسائل ومن أعماله المكتومة البارزة أنه تفاوض مع السيد أديب الكسلي مفوض التحري في عهد الثورة واتفقوا مع توفيق الأمام الملقب بأبي عجاج وكان حارساً انتدب لمرافقة المسيو بيجان مدير الأمن العام الفرنسي على اغتياله. وقدم الأمير طاهر مبلغ مائتي ليرة ذهبية عثمانية من ماله الخاص لتنفيذ هذه المؤامرة، إلا أن محاولة الاغتيال قد فشلت في آخر لحظة».(6)

وهنا لابد أن نذكر القارئ بأن الحكومة التركية العثمانية قد اتهمت على لسان جمال السفاح الجزائريين ومن بينهم الأمير طاهر نفسه بأنهم عملاء فرنسا حيث سجنه السفاح ثم نفاه واتهمتهم بريطانيا على لسان لورنس بأنهم عملاء العثمانيين، واتهمتهم فرنسا على لسان سكوت سراي بأنهم عملاء بريطانيا.. ولاشك أن هذه التهم تشكل وسام شرف للمهجرين الجزائريين لم يناله أحد غيرهم وسام مقاومتهم لجميع الامبراطوريات الاستعمارية في الوطن العربي.. هذه المقاومة التي شاركوا فيها جنباً الى جنب مع أمتهم العربية سواء في وطنهم الأول الجزائر أو في وطنهم الثاني الشام.

**الأمير عز الدين الجزائري:**

يعتبر الأمير عز الدين الجزائري من أبرز قادة الثورة السورية 1925-1927 وقد كرّمته سورية باطلاق اسمه على أحد شوارع دمشق المتفرع عن شارع الاستقلال. كما أصدرت الحركة الوطنية العربية من القاهرة فور استشهاده كتاباً خاصاً عن نضاله وذكرته وتذكره كل الأبحاث التي تتناول هذه الثورة وكرمه المهجرون الجزائريون بتكوين فرقة كشافة حملت اسمه.

يقول عنه د. عبد الرحمن الشهبندر أحد قادة حركة القومية العرية عموماً والحركة الوطنية السورية:

«نشأ هذا الشاب في بيت عرف بالأخلاق الرضية والتقوى العملية ووالده السيد محي الدين الحسني الجزائري من أسرة الأمير عبد القادر المعروفة بلزم الصمت وبميل الى الزهد والانصراف الى التفكير على طريقة المتصوفين الخالصين وكان أستاذنا

المرحوم الشيخ طاهر الجزائري يجله كثيراً ويحترم فيه هذا السكوت الذي يثير الاعجاب ويكبر صاحبه في عين جلسائه.

وماكادت الثورة السورية تنشر أعلامها إلا والأمير يبث الارصاد والعيون ليجمع للمجاهدين أخبار المحتلين. وقد تناولت بيدي في أوائلها عدداً من الرسائل التي أقدم على كتابتها بيده فإذا هي طافحة بالأخبار القيمة الدالة على مقاتل العدو وفيها تفصيلات وافية عن عدد الجنود وسلاحهم وتوزيعهم ومقدار من كان يأتي منهم في الشهر فكنا نتمنى كثيراً أن لايعجل في الالتحاق بالثورة ضنا بهذه المعلومات وخوفاً عليها من الانقطاع.

ومما يهم تدوينه أنه وهو لايزال بين أهله في قرية بلاس تآمر مع الثائرين المعروفين محمد أبي يحيى، والمرحوم أبي سعيد المغوش وغيرهما من الثوار فضربوا قطار حوران وكانوا قبل ذلك قطعوا الأسلاك البرقية مراراً وحاولوا احراق الطيارات في المزة».

قال المرحوم في مذكراته عن هذه الحادثة ماخلاصته: ان تسرع أحد المجاهدين بإطلاق النار نبّه الحراس فحدثت مناوشة دامت نصف ساعة وأجبرت المجاهدين على الانسحاب من مركز الطيران كما أجبرت الاعداء فأصبح المطير خالياً من القوة حتى الصباح والدليل على ذلك أن أكثر ضباط الطيران شوهدوا شاردين بين كروم داريا والمزة.

ولما حامت حوله التهم عقيب مسألة القطار هذه ألقاه الفرنسيون في غياهب السجن فلما أفرج عنه ثار ثورته المشهورة.

ويواصل عبد الرحمن الشهبندر الحديث قائلاً:

قال صديقه المجاهد الكبير والشجاع الفذ الذي أبلى خير بلاء في هذه الثورة سعيد بك العاص: لقد اشتركت معه في معارك كثيرة وكانت له اليد الطولى في مجرى الثورة السورية نظراً لشدة تفانيه واقدامه على العمل وفي الأيام الأولى من التحاقه في معركة جباتا الخشب مع الشهيد أحمد مريود وحوصر في المدرسة ورد العدو واستطاع حماية نفسه وكان أول الأبطال اقداماً على الأعداء وآخرهم احجاماً وانسحاباً عند الضرورة لذلك كان يصول في الجهاد بقلب ملؤه الايمان واعتقاد لايتزعزع. واشترك في معظم المعارك في الغوطة وكان له يوم مشهود في بالا عندما طوقه الأعداء بجنودهم هو واخواه الشهيدان شوكة العائدي وعادل النكدي فقد دحروا هؤلاء الأعداء مراراً. والخلاصة كانت وقائعه في الغوطة وفي وادي معربة بطولة خالدة في تاريخ الثورة السورية. وكان ينقصه الالمام بالفنون العسكرية ولولا ذلك لكان عبد القادر سورية.

ويضيف عبد الرحمن الشهبندر عن الأمير عز الدين.

وكانت حربه حرب عصابات بطبيعة الحال. وقد جمع حوله نخبة من الرجال الشجعان وعرف كيف يقودهم وله مخاطرات ومغامرات عجيبة تدل على أنه رجل

عصابة حقا. ويقال بالإجمال أنه أحضر معظم المعارك التي حدثت قبل تطويق الغوطه الأخير وبعده خصوصا في (عين ترما) و(وعرة زاكية) و(وادي معربا) و(أم الشراطيط) و(الحديثة) وفي (جبل الدروز).

وقد استشهد في معارك شهر أيار (ماي) سنة 1927 وهي آخر المعارك التي قام بها المجاهدون في ضواحي الشام عقيب احتلال الجنود الشرق أردنية للأزرق فأبلى بلاء الأبطال وصبر صبر الكرام هو ورفقاؤه السبعة الذين استشهدوا معه بالقرب من قرية (عين الصاحب) فجرح ولكنه لم يبال ورد كيد العدو في نحره بحيث جندل بعض الذين طمعوا في القبض عليه -بعد ما أثخن بجراحه- منهم أحد الضباط الشراكسة البارزين فإن هذا أصابه باحدى المفرقعات ثم تقدم فأطلق عليه بندقيته ولكن الأمير أطلق عليه مسدسه أيضا فخر الاثنان صريعين. هكذا انطوت آخر صفحة للأمير الشهيد من عالم الأجساد، وبقيت له صفحة بيضاء ناصعة في عالم الأرواح الاجتماعية تبعث أبناء البلاد على الاحتذاء بالمثل الأعلى الذي قدمه. وقد رثاه صديقه سعيد بك المشار اليه بقوله: فاسترح الآن في مرقد الأبدية مرقد جدك الأعلى ومرقد ابن الوليد ومرقد صلاح الدين مرقد البطولة الثورية الالدة ورتل أنشودتك وأنت ترفرف الآن بروحك الوثابة فوق رؤوسنا ولقن الشباب السوري درس البطولة ودرس حب الوطن لأنك آية البطولة العربية البارزة».(7)

وفي وصفه لاستشهاد الأمير عز الدين ينوه أدهم الجندي بمشاركة المغاربة في الثورة فيقول:

وكان يرافق الأمير نحو واحد وتسعين مجاهداً، منهم ثلاثون مغربياً قتل أكثرهم في المعارك الأخيرة، وقد تابع سيره مع رفاقه وهم زهاء ستين ثائراً الى قرية برزة وتسلق جبل قاسيون قاصداً وادي بسيمة، وهي قرية في وادي بردى قريبة من الخط الحديدي بين دمشق والفيجة وكان دليله المجاهد أحمد التلفيتي، وماجتازوها حتى علمت السلطة العسكرية بأمرهم، فتعقبته القوات الفرنسية عند الدريج في الجنوب الغربي من منين.

وفي الصباح الباكر من يوم الثلاثاء في التاسع عشر من شهر مايس سنة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين، كان الأمير ورجاله بطريقهم الى وادي بسيمة، وغايته الاعتصام في التل الأحمر المنيع غير أن القوات الفرنسية فاجأته بهجوم قبل أن يصل الى الكمين الحصين، فبدأ الصدام في السهل، فأصبح عليهم الصباح في جوار قرية الدريج وقد أخذ الأمير الحيطة اللازمة وتذرع بالحزم والعزم فدخل المغاربة القرية بالكسوة الجندية واستصحبوا معهم بعض المحافظين يدلونهم على عين الصاحب.

وكان الأمير حينما نجا من مفرق طرق حمورة قد انسحبت بقية القوة الى الوراء ولكن ابن القطاط تمكن من أن يوصلها الى أراضي مسربا ومن ثم اجتمع بالأمير. فهجم

أحد متطوعه الجراكسة ويسمى العاصي وأفرغ جهده في سبيل امساك الأمير حياً لما رآه فيه من البسالة التي يعجز البيان عن وصفها، ولكن الأمير كان قد خرج من الغاز فانقض عليه الجنود وأمسكوه حياً والدم ينزف من جسده الطاهر وأجهزوا عليه. وقد شاهد هذا الحادث أحد متطوعة الجراكسة من الأناضول فراعه أن يجهز على الأمير وهو في قيد الحياة ففر من الجيش الى بلاده حنقاً من فظاعة الفرنسيون. وهكذا مات الأمير الشاب ميتة شريفة وذهب ضحية الواجب.

وهكذا بذل أمير الشباب السوري قاطبة نفسه في سبيل أمته وباع روحه الغالية في ميدان البطولة المهيب فضرب بذلك للاقدام والجرأة مثلاً أعلى يقصلا عنه غطاريف القادة العسكريين الأوروبيين.

وقد ساعدت السلطة أهله على نقل جثمانه على متن سيارة ودفنه بدمشق، وأبنّه بالمستشفى الجنرال فاليه معترفاً ببسالته وتضحيته الكبرى مقراً بشجاعته واقدامه فطب أيها الرائد العظيم نفسا بهذه الشهادة العالية وثق أن الأبطال الذين خلفتهم بعدك والأشبال الذين اجتزت في مقدمتهم المضيق سيثابرون على النضال والجهاد حتى تنال البلاد أمانيها كاملة غير منقوصة، وتأكد أن الأمة التي مت في سبيلها، وجدت بشبابك الرطيب لتحقيق هدفها لن تتأخر عن القيام بواجبها نحوك متى مكنتها الظروف. رحمك الله رحمة واسعة وترضى عنك».(8)

**وثائق جديدة:**

كتب الكثير عن الأمير عز الدين الجزائري، لكن يبدو أن هذا الكثير هو قليل من تاريخ هذا الشاب إذ اتضح لنا أن مجموعة من الوثائق التي كتبها بيده لم تدرس بعد ومنها رسائله المتبادلة مع أفراد من عائلته(9) أو مع غيرهم من السوريين والأجانب، ومنها:

أخي الأمير محمد الباقر المحترم:

بعد السلام: الدكتور عبد الرحمن افندي شهبندر نهار غد الأربعاء الساعة الثالثة بعد الظهر يتوجه الى طرفكم يلزم ارسال العربية الى الدرويشية وجعفر يحضر مع الدكتور. واصلكم الدراهم صحبة أحمد مجيدي عدد 62 فقط 26 غرش وقد دفعت ثمن المانيرا ثلاثة أرباع المجيدي وسعر الورقة 159 قرش رابح والسلام.

في 1927/7/27

التوقيع

ويبدو أن الثورة السورية كانت تعاني من مشكلة قلة المواصلات السريعة، حيث كان يتم نقل الكثر من المواد بواسطة العربات التي تجرها الخيول، فهذه رسالة موجهة من شخص يدعى محمد علي الى الأمير عز الدين مؤرخة في 27 ذي الحجة 1346هـ:

أخي العزيز الأمير عز الدين حفظه الله آمين:

تحية وسلام وبعد فإني أخذت تحريركم وحالا أرسلت لكم الطنبر لكي يحضر

الخضر والأغراض وحيث أن الأغراض الذي عندنا لايكفيهم أقل من ثلاثة طنابر أحب منكم أن تجعلوا جهدكم وترسلوا لنا طنبر أبو منير لأن الأغراض كثيرة جدا هذه المرة وإذا لم ترسلوا طنبر أبو منير لايمكننا الذهاب مطلقاً لأنه عندنا لايتوجد دواب الى الطنبر ماعندنا غير البغلة وحصان العربابة الأبيض بدنا نصفهم نهار غد على العربابة حتى يواصلوا لنا وإلا إذا بدنا نشد البغلة على الطنبر بالفرض يلزم أن تذهب ماشين يكون معلومكم وأن اتأمل من همنكم جد الاهتمام بهذه المسألة لأني في الصباح وأنا عمال أحمل وأحزم بيدي فما وجدت شارة غير طنبر أبو منير لتسهيل ذهابنا والرأي رأيكم ودمتم.

في 27/ذي الحجة/346

**محمد علي**

ويبدو أن الأمير محمد الباقر كان يقوم بدور ضابط ارتباط بين الأمير عز الدين وجماعة مختلفة، فهذه رسالة من الباقر الى عز الدين مستعملاً مصطلحات سرية مثل جنيه، برشول، أرسلها من قرى اليرموك الجزائرية.

سيدي صاحب السمو الأمير عز الدين الأكرم:

أسعد الله أوقاتكم. أرجو ارسال جنيه مع ناقل أحرفي وذلك لأجل شراء لزوم الليلة حيث أنني اليوم مفلس والجماعة أرسلوا بطلب أغراضي فاضطررت أن بذلك كما تواعدنا الساعة 7 مساء البرشول.

حالا سلموا الجنيه م. باقر

لناقل أحرفي اليرموك.

وهذه رسالة أخرى من عز الدين الى الباقر يطلب فيها ايصال الذخيرة الى سمخ بفلسطين.

«شقيقي المحترم:

أما بعد فأقبل يديك واستفسر عن صحتك وأحوالك، راجياً من المولى أن يجمعني بك في أبرك الساعات وأحسن الأوقات.

وأن أرجو أن تنبه أبو الهاشمي وأبو عبدو من رجل اسمه عبد العزيز كان في جيش العدو وفر منه وحضر لعندي وأطلعني على أشياء كثيرة لاأعلم كيف أبو الهاشمي أطلعه عليها ورأيت معه صورة الانيس فكسيته فأعطيته ولكن فر الى حيث لاأدري.

لذلك حذرهم منه واحذر أن يحضر لعندك ويخدعك. وهو ذو شارب خفيف يتكلم الافرنسية على رأسه حطة نمرية وعقال رفيع وهو مطلع على أمور كثيرة يعرف أبو جعفر والصراف فكاد أن يخدعني لمعرفته بأسرار كثيرة ولكن مع هذا لم آمن له ولقد وصلني من دمشق جميع ماطلبت وبقى البرد يولم برسلوه لحد الآن وان أمكنك الحضور لسمخ ومخابرة البعض لتأمين وايصال خرطوش بالثمن فعجلوا بذلك ومكاننا يبعد عنها نحو الست ساعات فقط .اخيراً أقبل عارضيك».

ولعل من الوثائق غير المنشورة سابقاً التي يمكننا تقديمها هي رسالته المطولة والمكتوبة بخط يده التي وجدنا صورتها الفوتوغرافية في ملفه بدار الوثائق بدمشق والموجهة الى قنصل فرنسا في حيفا، بفلسطين والمؤرخة 1926/11/18. ويبدو أنه في ذلك التاريخ كان عدد من عائلة الأمير عبد القادر يتواجد في فلسطين، فالأمير سعيد كان منفياً اليها، ومحمد الباقر شقيق عز الدين كان يتجول بين قرى الجزائريين كضابط اتصال بينها وبين الأمير عز الدين الذي يختفي أحياناً في قرى الجزائريين بحوران.

وتوضح هذه الرسالة وحشية الفرنسيين وسوء معاملتهم للشعب العربي في سورية، كما تظهر كياسة الأمير عز الدين وديبلوماسيته، وهذا هو نصها:

حضرة الصديق المحترم سعادة قنصل فرنسا في حيفا دام بقاه.

ان شقيقي الأمير محمد قابلني وبلغني اهتمامكم بأمري ومازودتموه به من النصائح فأشكر احساساتكم على ذلك واني لأعلم علم اليقين بأنكم (غير واضحة) استغربت انضمامي لصفوف الثوار وقيامي على أناس يدعون المدنية ويزعمون الحرية ولكن إذا عرف السبب بطل العجب والأسباب كثيرة: منها ماهو وطني ومنها ماهو عائلي. انك تعلم ولاشك ياحضرة الصديق بأن الأتراك اعدموا المرحوم الأمير عمر لماعلموا أنه من طلاب الحرية والاستقلال وقد جازف هذه المجازفة معتمداً على فرنسا التي هدمت الباستيل وساعدت على تحرير أمريكا وتمدينها. ماذا فعلت فرنسا بعد دخولها سورية؟ لاشيء وها أن ضريحه لم يزل الآن مهملاً مع كثرة مراجعات العائلة للمفوضين ورؤساء الدوائر ولكن مع الأسف كانت الوعود عرقوبية والعهود أشبه بالكاتب على صفحات الماء مع أن زملائكم الألمان الذين تنسب اليهم الوحشية قاموا ببناء ضريح الأمير عبد القادر الكبير من جيبهم الخاص وكان ذلك بعد أن هدمه جمال باشا السفاح وبذلك برهنوا على مدنية راقية واعتراف بالرجال العظام.

ثانياً: ماذا فعلت فرنسا وأي خدمة أدتها لأرملة المرحوم الأمير عبد القادر الكبير ووالدة الأمير عمر؟ لاشيء سوى أنها توفيت وهي ناقمة على أذناب فرنسا في سوريا والذين كانوا ومابرحوا أسباب هذه المصائب والويلات.

ثالثاً: سجن الأمير طاهر سنتين ونصف بأمرة جمال باشا السفاح ونفيت عائلته مع عموم العائلة للأناضول وعند ذلك كنا في أشد حالات الاحتياج فذهب شقيقي الأمير محمد للاستانة وخابر مأمور السفارة بخصوص تقديم مساعدة مالية فدفع المذكور مايه وستين ليرة تركية على حساب المعاش على أن تخصم من المعاش فيمابعد وكان سعر الورقة التركية في ذلك الوقت خمسة فرنكات فاراد أن يحسبها بسعر (37) فرنكاً للورقة فرفضت عندئذ العائلة ذلك وأعاد شقيقي الدراهم لمأمور السفارة بموجب وصل بيده ولولا مساعدة دولة أميركا لأصبحنا في عسر شديد.

رابعاً: قتل الأمير عبد القادر شقيق الأمير سعيد في عهد الحكومة الفيصلية في

رابعة النهار ونسبوا اليه أنه يرتب انقلاباً باسم فرنسا لكونه دعي المسيو مرسيه والكابتن بيراني: ماذا فعلت فرنسا لأجله؟ لاشيء سوى انها وضعت المحافظة على القتلة الأثمة وأسندت اليهم أهم الوظائف بعد أن استقر الأمر لفرنسا في سوريا تجاهلت وتناست جميع الخدمات ومانزل بعائلتنا من المصائب والمحن والخسائر بالأرواح والأموال.

ان عائلة الأمير عبد القادر كانت تبذل جهدها وتسعى لتوثيق الألفة والمحبة بين الشعب السوري وفرنسا اعتماداً على الكلمات الخلابة والعبارات المزيفة التي كنا نسمعها من رجالات فرنسا الذي جاءوا الى سوريا من أن فرنسا أم الحرية والعدالة ستعطي للسوريين استقلالهم وأنها المساعد الأكبر لهذه الغاية.

وماكانت كلمات الشرف والوعود والعهود إلا كمين أو شرك ينصبوه للقطر السوري وماكادوا يذوقون لذة الفتح حتى تحولوا من وداعة الحمل الى ذئاب كاسرة وضربوا أقوال الشرف عرض الحائط فلا صدقوا مع العائلة بعهد ولا مع الشعب بوعد. وكان كلما تقدم من العائلة فرد لطلب وظيفة يجيبوه لايجوز استخدامك لأنك افرنسي التبعية.

وهكذا فعلوا مع الأمير طاهر عندما أنتخبته الأمة ليكون عضواً في مجلس الاتحاد وكانوا يتعمدوا ضرر العائلة واسقاط نفوذها فالذي فعلته السلطة الافرنسية في سوريا بنفسها هو مايفعله العدو بعدوه أو الجاهل بنفسه فاكتسبوا عداوة الأصدقاء ونفروا بمعاملتهم القريب قبل البعيد وكانوا يتعمدوا ضرر العائلة وينظروا الينا نظر العدو لعدوه لأنا كنا من الناجحين وبات كل من يتوسط لدى السلطة بأمر أو شخص ويعارضهم في غلطة ارتكبوها أو يكاد تراهم يجيبونه أنك عدو فرنسا وعدو الانتداب حتى تباعد عنهم الصديق والرفيق فأخذوا يخبطون مع جواسيسهم خبط عشواء في ليلة ظلماء وتمكنوا بالاذناب دون الرؤوس فحدث ماحدث في جبل الدروز من العصيان ومالحق ذلك من القضاء على حمله نورمان وماحصل في وقعة المزرعة من الانكسار المخجل الذي أصاب ميشو وجيوشه وماعقب ذلك من اتساع الثورة التي لاأعلم كم كلفت فرنسا من الأرواح والأموال وماستتكلفه في المستقبل.

كل هذا نتج من سوء الادارة العسكرية التي سلمت الى يد أناس لم يحافظوا على العهود والوفاء ولم يدرسوا في مدرسة سانسير الحربية سوى التدمير والتخريب وعوضاً أن يستجلبوا الشعوب بالعطف واللين واعطاء كل ذي حق حقه محافظين على شرف دولتهم عمدوا الى الأرمن والشركس فأطلقوا يدهم في السلب والنهب وسمحوا لهم باحراق المعابد والمساجد وقتل النفوس البريئة من الشيوخ والنساء والأطفال مماهو غاية في الوحشية والهمجية.

خامساً: من أعمال السلطة التي أشكرها عليه توقيفي مدة عشرون يوماً بدون ذنب وجرم اقترفته فرأيت بمدة توقيفي في دائرة الاستخبارات من فظائع بيجان وأعوانه كجاك

الأرمني ويوسف تراك ماتقشعر له الأجسام وتأنف من عمله الحيوانات الضارية فكم وكم من الأبرياء الذين قتلوا في تلك الدار بلا محاكمة أو حساب وكم مات منهم تحت العصي بعد أن تصب عليه المياه الباردة ويربط الى أداة خشبية وفضلاً عن كل ذلك رأيت بأم عيني رجلاً تقلع أظافره بكل فظاعة فيصيح بأصوات أشبه بأصوات الحيوان من فرط الألم فلا من يرحم ولا من يشفق هذا ماكان يجرى في ديوان التفتيش في القرون الوسطى. أبمثل هؤلاء الرجال تريد فرنسا أن ترقي سوريا وتدربها على حكم نفسها بنفسها إذن لسوريا الحق أن تطلب حق الانتداب على الافرنسيين أشباه هؤلاء.

ألا كان يجب على فرنسا أن ترسل أمثال سعادتك من الرجال الاكفاء ياحضرة القنصل انني تعرفت بشخصك على رجل راق رقيق الجانب تحنو وتعطف على سوريا كما تعطف على غيرها ولو كانت فرنسا أرسلت خمسة أشخاص من أمثالك لما احتاجت لهذه المعارك ولا الدماء الزكية وأقول لك قصة على سبيل الفكاهة المضحكة المحزنة وهو أن فارسين مرا بالقرب من مزرعتنا فصادف مرور القطار المصفح في مرأى الفارسين حتى أمطرها من قذائفه ورشاشاته مما أجبرهما على الهرب وذلك بدون تأكد الضابط من أنهم ثوار أو عابري سبيل لأن المسافة تبلغ الألف متر وأكثر فالتجأ الفارسان وراء المزرعة بالقرب من البستان فلم يكتفي ضابط القطار بطردهما بل أوقف القطار ومر بقرب المزرعة وبما أن مركز الطيران كان قريباً فعلى الأصوات أرسلوا عدة طيارات أخذت بقذف المزرعة بقنابلها ولم تشفق على نساء عجز وأطفال رضع. وكم كان ضابط القطار يتلذذ بمنظر الشيوخ والنساء يتهادين من الشيخوخة والوهن فارين من تلك القذائف الهمجية ولو تعلم ياحضرة القنصل بأن والدي كان حينئذ في المزرعة واضطر أن يذهب لدمشق على قدميه لعذرتني على التحاقي بالثورة والنقمة على كل افرنسي همجي وأخيراً لما رأيت أن السلطة تتمادى بالخشونة والتوحش وترك حبل الأرمن والجركس على غاربه ينهبون ويحرقون ويسلبون.

استفزتني الحمية الوطنية وثارت برأسي نخوة الأجداد فانضميت الى صفوف الثورة مدافعاً عن أبناء وطني الذي به ولدت ونشأت وترعرعت باذلاً النفس والنفيس بالذب عن هذا الوطن العزيز المفدى أنكم تعلمون ياحضرة الصديق كم اجتهدت لاصلاح الذي كان يجري من السلطة الفرنسية بخصوص الأمير محمود الفاعور حين أوقفته دولة بريطانيا في فلسطين. فانظر الى كثرة اللطف والعطف فلو عومل الأمير معاملة سيئة من قبل السلطة ألم يكن الآن في مقدمة الثائرين ولاشك أن تقدر في هذه الخدمة التي كنت لي فيها من أكبر المساعدين وتأكد بأن الادارة الفرنسية لن تنجح في سوريا مازال القواد العسكريون بأيديهم الحل والعقد وإذا أردت أن أبين لك الغلطات والهفوات التي ارتكبت من قبل السلطة لاحتجت الى مجلدات.

فكيف تريد أن نحترم ونحب أشخاصاً أطلقوا لرعاع الأرمن والجركس الحرية

بعمل ماتوجبه اليهم ضمائرهم الجهنمية ويجرى كل ذلك منهم وهي تحت قيادة واشراف ضباط فرنسيون وتحت العلم الافرنسي يقتلون الجريح والأسير وأما نحن الثوار فحاشا أن نفعل ذلك بل نضمد الجريح ونواسي الأسير بالرغم من ماتلقيناه من السلابين النهابين.

انه يوجد لدينا ليوتناه افرنسي يسمى سيكر أخذ أسير بموقعة صبحا فهو معزز ومكرم ويحبني جدا ويقدر جهادنا مع صلابة رأيه وعناده التي اكسبهما اياه الجندية وهذا قليل من كثير واني ماكتبت له هذه الرسالة التاريخية إلا لكي تتطلع على حقائق وأمور ربما لم تطلعوا عليها وانني مستعد من آن لآخر أن أخبرك عن كل غلطة ترتكبها السلطة. واعلم ياحضرة الصديق أن الثورة لن تقمع بالشدة والاكراه بل بالعكس والشدة هي وقود للثورة لأن فرنسا تحارب الآن أناس متعلمين في أرقى المدارس فيهم الأمير والقائد والطبيب والمهندس والزعيم لا كما يموهوا عليكم فيغشوكم. وأما ماعرضه شقيقي علي باسمكم من ترك القتال فهذا سابق لأوانه لأننا للآن لم نرى من حسن نيات المفوضين مايسر فمتي وجدنا أن فرنسا ضربت على أيدي الأئمة السفاكين ووقفت سداً منيعا تجاه الأعمال البربرية وتداركت الأمور والهفوات التي ارتكبها السابقون من المفوضين واذنابهم ترانا أقرب الناس للسلام واقبلوا مني ياسعادة الصديق فائق الاحترام

18 تشرين ثاني 1926

**الأمير**

**عز الدين الحسني الجزائري**

**مرحلة جديدة:**

وبعد 1927 حيث انتهت الثورة السورية الكبرى باستشهاد الأمير عز الدين الجزائري في معركة عين الصاحب بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية في سورية لعل سمتها الأولى محاولة فرنسا إقامة نظام جمهوري يعتمد على الأحزاب، بتأسيسها بعض الأحزاب الموالية لها لكن الشعب العربي في سورية أدرك اللعبة وأيد الأحزاب غير الموالية لفرنسا ووقف ضد سلخ لواء الاسكندرون واعطائه لتركيا عام 1936 كما وقف ضد سلخ لبنان وخاضت القوى الوطنية السورية معارك سياسية كبرى ونجحت في توحيد سورية المعروفة الآن وأفشلت دول حلب واللاذقية والسويداء.. ووقفت البلاد على حافة الثورة من جديد غير أن أحداثاً كثيرة حالت دون ذلك، ففي عام 1936 توفي الأمير خالد الهاشمي بدمشق ففجعت الحركة القومية ثم اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936–1939 وكانت تعتمد اعتماداً كبيراً على دمشق والحركة الوطنية السورية، ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية فشدد الفرنسيون من قبضتهم الوحشية على البلاد التي أخذت تموج بالمظاهرات والقلاقل مطالبة بالجلاء الفرنسي عن سورية رافعة شعار «الجلاء التام أو الموت الزؤام». وقد شارك الجزائريون في مختلف أنواع النضال الى أن تحقق الجلاء في 1946/4/17 ورفع علم الاستقلال السوري مما كان له أثر كبير

في تشجيع الحركات الوطنية الاستقلالية العربية في المغرب والمشرق وبدأ الجزائريون يشاركون «كسوريين» في الحياة السياسية لهذا البلد فظهر منهم عدد من نواب البرلمان على رأسهم الأستاذ الدكتور محمد المبارك الذي قاد فترات طويلة حركة المعارضة، ثم صار وزيرا في حكومتين.

كما شاركوا في الجيش العربي السوري وخاضوا من خلاله المعارك في فلسطين عام 1948، وظهر منهم ضباط أكفاء في مراحل متعاقبة منهم عبد الرحمن خليفاوي وهو في الأصل من بلدة «ميشلي عين الحمّام» في منطقة تيزي وزو، ووصل الى رتبة لواء، ثم عين محافظاً فوزيراً للداخلية فرئيساً للوزراء.(10)

ومن المحافظين (الولاة) مختار الجزائري وجعفر الجزائري من عائلة الأمير ومن الوزراء د. محمد المبارك ود. العربي الدرقاوي الذي عين وزيراً للثقافة والارشاد القومي، بعد أن قام بواجب التدريس في جامعة الجزائر وغيرهم كثير ممن أسهموا في الحركة الوطنية السورية سواء بالنضال السياسي أو العسكري أو الثقافي عبر مراحل تاريخ هذه الحركة منذ سقاط الحكم العثماني، جنبا الى جنب مع اخوانهم السوريين لأفضل لأحد على أحد.

## الهوامش

1. دروزة، محمد عزة: القضية العربية
2. انظر صورة رسالة عبد الله بن عبد القادر
3. الجندي، أدهم: تاريخ الثورات السورية في عهد الانتداب الفرنسي / دمشق ط1، ص346.
4. قصاصة من مجلة الجندي.
5. الجندي، أدهم / نفسه.
6. الذكريات الخالدة: الأمير عز الدين الحسني الجزائري، القاهرة 1928 عدة صفحات.
7. الجندي، أدهم: مصدر سابق ص384.
8. صور رسائل الأمير عز الدين من أوراقنا.
9. ترجمنا له في موقع آخر

## سادسا: إسهامهم في الحركة الوطنية الفلسطينية

مدخل:

كان الأمير عبد القادر قد وضع مدينة عكا الفلسطينية كواحدة من خيارات الهجرة، بل إن خليفته أحمد بن سالم تمكن من اقناع السلطة العثمانية بمنحه ومجموعة المهجرين بعض الأراضي الزراعية في منطقة الجليل التي تعتبر عكا مركزها. وبالفعل حصل أحمد بن سالم على أراض في صفد وطبرية.

وبعد وصوله عام 1856 دمشق واصل الأمير الخطة ووزع رقعة الأرض الممنوحة وبدأت القرى الجزائرية بالظهور في المنطقة عام 1860 تقريبا.

وقد أثبتت الأحداث اللاحقة لعام 1847 أن الأمير كانت له حسابات استراتيجية حين اختار الاسكندرية أو عكا، فبالإضافة الى حرص باريس والاستانة* على أن لايسكن الأمير شخصياً في أي من المدينتين اللتين اختارهما ممايوحي بتفطن أحد الطرفين لحساباته، فإن المتتبع لحركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين، واستماتتها للحصول على موطئ قدم في الجليل، وكذلك المتتبع ليوميات الحروب في فلسطين ومواقعها، يدرك بجلاء أن الأمير عبد القادر كانت له حساباته البعيدة المدى والصحيحة أيضاً.

فقد وجد الجزائريون أنفسهم منذ اليوم الأول لسكناهم فلسطين على موعد مع القدر فبالإضافة الى سيطرتهم على أمن المنطقة الشمالية من الجليل وايقافهم حملات الغزو التي كانت تشنها القبائل البدوية(1) ضد بعضها وضد الأرياف والبلدات والمدن وجدوا أنفسهم في وسط الحركة الوطنية الفلسطينية، بل وليخوضوا أول معركة عربية ضد الاستيطان الصهيوني وليقدموا أول الشهداء قبل أية جهة أخرى، ذلك أن الحس الوطني المتزايد الذي عمر نفوسهم خلال فترة مقاومتهم للاستيطان الفرنسي وصدامهم العنيف لهذا الغزو الاستعماري، جعلهم على حذر شديد من الوافدين من وراء البحار.

لذلك فإن الحركة الوطنية الفلسطينية (بشقيها من تمسك بالأرض وامتشاق للسلاح) سجلت للجزائريين صفحات مشرقات، خالطتها بقعة سوداء صنعها أحد أحفاد الأمير المدعو عبد الرزاق. لكن الذي يقرأ تاريخ فلسطين منذ عام 1860 حتى اليوم، سواء بروايته الصهيونية أو بروايته الفلسطينية أو الروايات الأخرى من عربية وأوروبية، يدرك أن الوحدة العربية ليست شعاراً سياسياً يرفعه هذا السياسي أو ذاك، بل هي في ضمير كل نفر من هذه الأمة من المحيط الى الخليج، وأن كل دعاوى الفرقة والتجزئة العرقية أو المذهبية إنما هي صناعة من خارج هذا الضمير ومن خارج هذه الأمة. ولعل الذي يجب أن يفخر بها الأمازيغي في جبال جرجرة والأطلس كله أن أهله الأمازيغ هم أول من قدموا الشهداء من أجل عروبة فلسطين كما تقر بذلك الوثائق الصهيونية نفسها.

أوائل المدافعين.. أوائل الشهداء:

إذ أن أول صدام وقع في فلسطين بين العرب من جهة والصهيونية من جهة أخرى، كان بين المهجرين الجزائريين وبين صندوق اكتشاف فلسطين.

يقول الكاتب الصهيوني: أريه، ل. افنيرى في كتابه دعوى نزع الملكية - الاستيطان اليهودي والعرب (1878-1948):

«واستقر الجزائريون العرب في عدة مدن وأوجدوا حوالي (10) قرى، وقد أوجد هؤلاء المهاجرون الذين أسماهم سكان البلاد (المغاربة) أربع قرى في الجليل الأسفل شعاره، عولم معذر، وكفرسبت وأوجدوا أيضاً قرية هوشة - في موقع حوشا القديم قرب رامات يهونان وأقاموا قرى ديلاتا - علما وديشوم - في الجليل الأعلى وكذلك التليل والحسينية على ضفاف بحيرة الحولة، واستمر كهول هذه القرى يتكلمون اللغة البربرية حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ويضيف افنيري:

أما هـ. ب. ترايسترام المسيحي الورع والمستشرق البريطاني الجوال، فقد تجول في 1864/1863 في الأرض المقدسة شمالا وجنوباً على خطى المسيح، وجد نفسه في قرية مايس الجزائرية قرب قديش وأوضح في مفكرته: أنها مستعمرة من اللاجئين الجزائريين العرب الذين لايزالون يرتدون (البرنس) ويبنون جوربيس جبال الأطلس وقد استجابوا لي بحماس عندما خاطبتهم بلهجة شمال افريقيا.

ويواصل أفنيري القول:

لقد استقر عدد لابأس به من المغاربة في صفد وكذلك في طبريا ولقد وجدنا الحقائق موثقة في تقارير صندوق اكتشاف فلسطين، وقد أهان المغاربة أعضاء وفد الصندوق وهاجموهم وعطلوا عملهم. وقد سعى الوفد الى تدخل الأمير عبد القادر الذي كان مقيماً حينئذ في سوريا وقد أرسل الأمير رسالة اعتذار عن سلوك جماعته في صفد وطبريا».(2)

ويورد افنيري، الذي لم يفصل أكثر عن المصادمة السابقة، خبراً عن مصادمة أخرى فيقول:

«وقد اندلعت مشادة بين الموشافا وقرية المغربي في الطليل - لسبب الجهل باللغة العربية وبالتقاليد والعادات السائدة حين قام ثلاثة من الجزائريين على ظهور الجياد بالتجول في منبت أشجار الموشافا بدافع الفضول وبينما كانوا يفعلون ذلك داسوا بعض الشجيرات وقد غضب المزارع الموجود وطردهم وأهانهم مستعملاً كلمات لايفهمها هو نفسه وقد تطورت مشاجرة وتبودلت الضربات وقد مات أحد الثلاثة بعد اصابته بأذى كبير متأثراً بجراحه فقام مواطنو الطليل بمهاجمة الموشافا للثأر لدم أحدهم وكانت أعداد المغاربة كبيرة وكانت لديهم أسلحة فتاكة».(3)

ومن الملاحظ أن افنيري يستميت في لي عنق الوثائق الكبيرة التي يمتلكها، وصولا لتزوير الحقائق وتزييفها، ويحاول دائما أن يظهر صهاينته حملانا وديعة وأن الفلاحين سواء كانوا جزائريين أو غير جزائريين هم المعتدون، وهم الذين يقع عليهم واجب الاعتذار، فإذا كان قد ادعى أن الأمير عبد القادر قد اعتذر في المرة الأولى فإنه لم يجد أميراً يعتذر في المرة الثانية! فادعى أن نبيلاً من نبلاء قرية الطليل هو الذي سوى المشكلة. لكن الحقيقة هي أن مشروع استيطان منطقة عكا الصهيوني قد فشل في تلك الفترة، وانتقل الصهاينة الى استيطان منطقة يافا حيث تمكنوا من بناء المستوطنة الصهيونية الأولى لكنهم ظلوا يركزون على الجليل وقرى الجزائريين فيه.

اغراءات وضغوط:

كانت الصهاينة تركز على شراء قرى الجزائريين المهاجرين في صفد/ منطقة كراد الخيط وطبريا/ منطقة الشفا لتتمكن من ربط مستوطناتها ورسم حدود الدولة التي تخطط لها، وقد أفشل الجزائريون بالتعاون مع القرى الفلسطينية الأخرى هذا المطلب الحيوي للصهاينة وعطلوه مدة طويلة من الزمن، (واضافة الى قريتي قوميا وتمره فالقرى ناعورة الطيبة والطيرة والقرى المغربية في عولم ومعذر وشعاره كانت تفصل وادي جزريل عن المستوطنات اليهودية في الجليل الأدنى)،(4) وبذلك يتبين أن الصهاينة كانوا يعرفون جيداً أنه لن تقوم منهم دولة دون الجليل وأن هذا الجليل لن يكون لهم دون قرى المغاربة الجزائريين ذلك:

1. أن هذه القرى يفصل بعضها بين مرج ابن عامر وغور بيسان كما يفصل بعضها بين الجليل الأعلى ومرج ابن عامر والتي استماتت الصهيونية لربطهما عبر سلسلة متصلة من المستوطنات.
2. بعض هذه القرى يقع على الحدود مع سورية ولبنان وهذه الحدود كانت موضع نزاع بين فرنسا وبريطانيا، وبالتالي فإن الصهيونية معنية بانتزاع هذه الأراضي بأقصى سرعة ولتكون في حدود فلسطين التي يعنيها وعد بلفور ولتكون من جهة أخرى مستوطنات متقدمة تمنع حركة الثوار العرب بين فلسطين وسوريا ولبنان.

لذلك فإن الحركة الصهيونية التي عرفت منذ البداية الأهمية الاستراتيجية للجليل خصصت أموالاً باهظة لشراء أراضي هذه المنطقة وبشكل خاص أراضي الجزائريين بل كونت شركة خاصة لهذا الغرض استعملت عليها بعض اليهود المغاربة مثل صموئيل آبو الذي عمل قنصلاً لفرنسا في صفد ويوسف نحماني في طبرية، وبدءا باصطياد كبار الملاكين، لكنهما لم ينجحا، بل إن مستوطنة دجانيا التي أقيمت في منطقة سمخ فشلت وانتهت في عام 1904.

وبعد الانتداب البريطاني شهد الاستيطان الصهيوني حركة واسعة إلا أن واحدة من أهم المشاكل التي واجهتها هذه الحركة هي استيطان غور بيسان الشمالي التابع للجليل

الأدنى حيث رفض الأهالي بيع أراضيهم وافتتحوا المعارك القضائية عام 1922 ووكلوا المحامي وديع البستاني وكان من بين الموكلين مجموعة من الجزائريين القاطنين في سمخ أول بلدة في ذلك الغور وعلى رأسهم مصطفى يخلف الذي تعود أصوله الى «معسكر» والذي أهدى اليه الكاتب يحيى يخلف روايته عن نضال سمخ الموسومة «بحيرة وراء الريح» والثاني عمر أبو زيد الذي تعود أصوله الى قبيلة «اعريب» في المسيلة.

**بقعة سوداء:**

لم يحقق الصهاينة شيئاً يذكر حتى عام 1926 تقريباً حين اصطاد يوسف نحماني بواسطة فتاة يهودية سمكة كبيرة هي عبد الرزاق بن الأمير سعيد بن الأمير علي بن الأمير عبد القادر ولما كانت بعض أراضي القرى الجزائرية تعود ملكيتها الى الأمير عبد القادر وصلت بالارث الى أولاده وأحفاده ومنهم سعيد.. وبالتالي فإن ولده عبد الرزاق أخذ يبيع أراضي والده ومنها أراضي قرية شعاره حيث أعطى فلاحي هذه القرية الفلسطينية ومعظمهم من قبيلة أولاد سيدي عيسى المهجرة من سيدي عيسى وسور الغزلان، أراض في بلدة عابدين في منطقة حوران بسوريا.

لكن فلاحي قرية شعارة رفضوا تسليم أراضيهم في البداية الى أن أعطوا ضعف مساحتها في سوريا وحسب المصدر الصهيوني «قد رفضوا في البداية أن يوافقوا على الفصل ولكن بعد عدة سنوات لاحقة وافقوا على تسليم أراضيهم مقابل ضعف مساحتها من الأراضي في سوريا قرب المستوطنات الجزائرية هناك».(5)

والحقيقة المتداولة هي أن الأمير سعيد رفض الاعتراف باجراءات ولده عبد الرزاق ولم يسلم أولاد سيدي عيسى أية أراض في سورية وظلوا يسكنون كهوف المنطقة مدة طويلة الى أن سويت المشكلة بينه وبين ولده.

ولم يتوقف عبد الرزاق عند هذه الجريمة التي تمت فصولها عام 1927 بل جند اثنين من أتباعه ابراهيم فضيل الطيب وعمر بن يوسف لحساب يوسف نحماني وشركة يافين وقد نشط هذا الشخصان في محاولة شراء أراضي الجزائريين في قراهم بمنطقة طبرية معذر، عولم، كفرسبت. فحسب المصدر الصهيوني، فإن:

«في قرية عولم كان هنالك 11035 دونما وفي قرية معذر 6235 دونما، وكان نصف المنطقة مملوكاً من قبل ورثة علي باشا المعروف بالجزائري وقد بيع قسم منها الى شركة يافين وهي شركة يهودية خاصة لم تكن قادرة على استغلالها ولذلك باعتها للصندوق القومي اليهودي بشرط أن يغدو الصندوق مسؤولاً عن تعويض المزارعين المستأجرين الذين كانوا 57 في معذر و53 في عولم. وفي نفس السنة باع الأمير سعيد الجزائري وهو أحد مواطني دمشق 110 دونمات تشكل حصته في أملاك العائلة، وكانت الأرض مرهونة فدفع الصندوق القومي اليهودي الرهن وتملك الأرض».(6)

ويبدو أن الصهاينة حصلوا عن طريق هذين السمسارين في قرية عولم على

2209 دونمات في عام 1925 كانت تعود لـ 14 فلاحاً حسب المصدر الصهيوني، وفي وقت لاحق حصلوا على أراض 8 فلاحين من قرية كفرسبت. وأما في معذر فقد قام صراع طويل ومرير بين بعض سكانها بقيادة عيسى الحاج أحمد الريقايقي من جهة وبين هذين السمسارين وعبد الرزاق من جهة أخرى. حيث أن الصراع المحتدم بين عبد الرزاق ووالده الأمير سعيد تصاعد سلباً إذ أطلق عبد الرزاق النار على والده في دمشق لعدة أسباب من بينها الصراع على الأراضي في فلسطين وقد أوردت جريدة القبس الدمشقية تفاصيل هذه الجريمة التي شهدتها المحاكم السورية، وذلك في عددها رقم 574 تاريخ 29 نيسان أفريل 1935م الموافق 26 المحرم 1353هـ.

**تمسك شديد بالأرض:**

وكان عيسى الحاج أحمد وشقيقه ابراهيم من رجال الثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939 وتؤيدهما حوالي 30 عائلة من عائلات معذر الثمانين فعقدوا اجتماعاً تقرر فيه منع عبد الرزاق ووالده سعيد من دخول القرية وهدر دم كل من ابراهيم الطيب وعمر بن يوسف. وبالفعل تم تنفيذ الحكم في ابراهيم الطيب.

وقد أخطأ الفدائي الذي نفذ الحكم التصويب فاستشهد الشيخ جعفر الطيب المبارك خطأ، لكن الفدائي ظل يترصد للشخص المطلوب الى أن تمكن منه فقتله وانتقلت عائلته بعد ذلك الى بلدة نوى السورية بعيداً عن الجزائريين.

أما عمر بن يوسف فقد أسرع في الانتقال من فلسطين والتحق بفلاحي شعاره الذين انتقلوا الى سورية وظل يعيش بلا أوراق تعريف سواء جزائرية أو فلسطينية أو سورية الى الخمسينات حيث منحته الأمم المتحدة بطاقة لاجيء فلسطيني.. كما هو متواتر بين الجزائريين أنفسهم خاصة كبار السن في مخيم اليرموك، وأكد لي عدد من كبار السن من قرية معذر وبلدة سمخ الحادثة وأسبابها، وأكد لي السيد ممدوح المبارك واقعة مقتل عمه الشيخ جعفر بالخطأ وأكد نصوح الكبير مسألة منح عمر بن يوسف بطاقة لاجئ فلسطيني باعتبار أن نصوح كان مسؤولاً عن مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين بالقنيطرة.

لقد اقترف عبد الرزاق عدة جرائم ليس في فلسطين وحدها بل حتى في الجزائر نفسها حيث تسلل الى منطقة ذراع الميزان ليشارك في الفتنة الجهوية التي حدثت عام 1963 اثر استقلال الجزائر، وذلك حسب مايورده كوندات في كتابه الثورة والقيادة السياسية الجزائرية[7] (ص280) ومن المعروف أن عبد الرزاق عبد القادر يعتبر نفسه شيوعياً صهيونياً وله عدة مؤلفات في هذا الباب منها (النزاع العربي اليهودي - اليهود والعرب يواجهون المستقبل) وقد توفي عام 1968 في اسرائيل.

وأما في قرى الجزائريين في منطقة صفد فلانجد نجاحاً يذكر للاستيطان الصهيوني في هذه القرى رغم تركيزهم خاصة على قرية التليل على شاطئ بحيرة الحوله حتى بعد عام 1948 إذ حاول اليهود احتلال هذه المنطقة لتجفيف البحيرة وتحويل مجرى

نهر الأردن.. وقامت معارك قتالية بين عائلة الكبير الجزائري(8) وبين الجيش الاسرائيلي وقد شهدت الأمم المتحدة على هذا الصراع وتدخلت فيه حيث تمسكت عائلة الكبير برفضها بيع أو تأجير أرضها في هذه المنطقة.. ولدينا عدد من الوثائق حول هذه القضية التي عرفت عالمياً.. غير أن نصوح بن موسى الحاج حسين الكبير صرح لمجلة الجندي الفلسطينية ملخصا هذه القضية كالتالي:

«في عام 1951 قام اليهود بمحاولة لتحويل مجرى نهر الأردن على الضفة الشرقية من المنطقة المجردة فقمت أنا وأخي وبعض رجال الحكومة السورية بمهاجمة اليهود ودامت المعركة 24 ساعة أوقفتها لجنة الهدنة بشرط أن تنسحب اسرائيل من المنطقة مع القتلى وأدوات الحفر. ثم طلب منا كبير المراقبين اثبات ملكيتنا لتلك الأراضي فتم ذلك ولكن اسرائيل عاودت العمل فتصدينا لها. عندها طلبت اسرائيل شراء تلك المنطقة عن طريق هيئة الأمم. وقدم وفد كي يفاوضنا بذلك وعرض علينا مبلغا كبيرا جدا فرفضنا وبقينا نشارك في حماية تلك المنطقة حتى مأساة عام 1967 حيث نزحنا الى دمشق».(9)

ومهما يكن من أمر فإن المهجرين الجزائريين في فلسطين تمسكوا بأراضيهم حتى الرمق الأخير ودفعوا الكثير من أموالهم الى المحامين مثل: البستاني، الشقيري، عطا الله، الطبري للدفاع عن ملكيتهم التي كان يشكك بها دائما عبد الرزاق.

وقد أثر هذا الموقف الشجاع من المهجرين الجزائريين في فلسطين على تدني نسبة مبيعات الأراضي للصهاينة في منطقة الجليل التي ركزت الحركة الصهيونية عليها كل الجهد وكل الضغط.

وتتبين هذه النسبة المتدنية من خلال الكشف الذي أوردته الدكتورة خيرية قاسمية عن مساحات الأراضي المباعة حيث يتضح أن كل الفلاحين في الجليل الأسفل باعوا 12000 دونم بينما لم يبيعوا شيئا في الجليل الأعلى. وهذا هو الكشف كما أوردته هذه الباحثة الفلسطينية المعروفة.(10)

| دونم | المنطقة |
|---|---|
| 304.000 | في الجنوب في ضواحي يافا والرملة وغزة |
| 326.000 | سهل الشارون (ضواحي نابلس وطولكرم وقلقيلية) |
| 300.000 | مرج ابن عامر |
| 172.000 | الجليل الأسفل (في ضواحي طبريا) |
| 88.000 | الجليل الأعلى (في ضواحي صفد) |
| 1200.000 | المجموع |

وقد ابتاعها اليهود من الملاكين ومن الفلاحين على النسبة التالية:

من الملاكين      من الفلاحين

| | | |
|---|---|---|
| في الجنوب | 32.000 | 272.000 |
| سهل الشارون | 31.500 | 304.500 |
| مرج ابن عامر | 00000 | 300.000 |
| الجليل الأسفل | 12.000 | 160.000 |
| الجليل الأعلى | 00000 | 88.000 |
| المجموع | 75.500 | 1.124.5000 |

من الواضح أن المهجرين الجزائريين دافعوا دفاعاً مستميتاً عن أراضيهم في فلسطين كما أنه من الواضح أن بعض زعاماتهم التقليدية متمثلة في عبد الرزاق لعبت دوراً خيانياً علنياً، أما والده الأمير سعيد فلما يزل الغموض يلف سلوكه في قضية بيع الأراضي، فبعض الوثائق الصهيونية تقول أنه باع فعلاً، لكن سلوكه مع قبيلة أولاد سيدي عيسى ومع ولده عبد الرزاق ومع مجمل القضية الفلسطينية والحركة الوطنية السورية والحركة الوطنية الجزائرية يناقض هذا السلوك.

**ثورة البراق الشريف:**

فإذا كان الشعب العربي الفلسطيني قد بدأ نضاله ضد بريطانيا والحركة الصهيونية منذ عام 1919 أي بعد مدة قصيرة من الاحتلال البريطاني، فإن الثورة الواسعة الأولى ضد هذا العدو المشترك اندلعت في عام 1929 ومن حارة المغاربة بالقدس وتعرف بثورة البراق الشريف وكان للجزائريين في تلك الحارة وللأمير سعيد دور في مجرياتها وفي الصراعات التي تبعتها. ذلك أن «حارة المغاربة» ملاصقة للجدار الغربي من المسجد الأقصى والذي يدعي اليهود أنه حائط المبكى، وكانت هذه الحارة ومايتبعها من مساكن أو حوانيت. إما من الأملاك الشخصية للمغاربة وخصوصاً الجزائريين منهم، وإما هي وقف إسلامي لزاويتهم المعروفة بزاوية المغاربة (زاوية سيدي الغوث أبومدين) ولما حاول الصهاينة الاستفزاز والاعتداء على حرية الأقصى وعلى أملاك المغاربة في الحي، قاومهم هؤلاء على الفور وبالقوة اللازمة لردعهم. ولأن الأمير محمد سعيد الجزائري هو ممثل الجاليات المغربية كلها من ليبيا حتى شنقيط وسواء كانت في القدس أو في دمشق أو بيروت، فقد أرسل اليه الحاج أمين الحسيني رسالة يطلب اليه الحضور الى القدس بصفته ممثلاً للمغاربة أصحاب الحي والحق، وأن يتدخل لحل المشكلة مع اليهود!. وبالفعل فإن الأمير سعيد الجزائري حضر الى القدس وقدم مذكرة واضحة الى لجنة التحقيق التي كونتها بريطانيا وقد نشرت هذه المذكرة جريدة الجامعة العربية الصادرة في القدس بتاريخ 3 ربيع الأول عام 1349 الموافق 28 تموز 1930م العدد 414 وهذا نص المذكرة:

**مقدمة:**

إنني مع تكرار احتجاجي على الحالة التي أوجدها في بلادنا حلفاء العرب وعدم إقرارنا مشروعية هذه السيطرة بشكلها الحاضر المسماة بصك انتداب فلسطين وبالنتيجة

عدم اعترافنا بتلك الصلاحية التي استندوا عليها في هذا الموضوع الاسلامي اقبل فقط في سرد وجهة نظرنا الموضحة بهذا الكتاب دون التقيد بأي قرار تصدره لجنتكم المحترمة يكون مخالفاً لحقوق المسلمين في هذه القضية.

**الموضوع:**

إن المغاربة هم سكان حي البراق الشريف (الحائط الغربي للمسجد الأقصى) وهم أقرب الناس لرؤية حقيقة موقف اليهود عندما كانوا يأتون حائط البراق الشريف للبكاء على ذكريات مجد مندثر.

والمغاربة هم أحرص الناس على قدسية هذا المكان الذي يتعلق بهم مباشرة وبالدرجة الأولى بسبب علاقته بوقفهم الخاص عدا كونه لايتجزأ عن الحرم الشريف المقدس، وهم لايعترفون مطلقاً بمدعيات اليهود القائلة اليوم بأنهم كانوا بمواقف بكائهم أمام الحائط يقومون بطقوس دينية تشبه صلاة كنائسهم رغماً عن أن ادعاء كهذا من اليهود اليوم يدحضه العقل والمنطق وتكذبه الحقيقة الراهنة، والواقع نقول بأن المغاربة لو رأوا أثراً من الصحة لما يرونه اليوم من مظاهر موقف الباكين لكانوا أول من حرمهم ولوج باب هذا الاستعطاف ولسدوا في وجوههم مداخل أملاكهم وممر أوقافهم ومنعوهم من تخطي هذا الجزء المقدس من الحرم الشريف فعدم ممانعتهم لليهود حينما كانوا يقفون للبكاء أمام الحائط فيما مضى لأكبر دليل ساطع على نفي مايدعيه هؤلاء المستعطفون ويؤيد بأنه لم يكن هنالك من طقوس دينية أو أمور عبادة ينتج عنها معنى السيطرة على ذلك المحل الاسلامي المقدس أو ادعاء أي حق من الحقوق فيه لليهود.

إن اليهود كانوا يبكون فقط وليس من يعلم ماكانوا يضمرون وماسيضمرون بعد استجابة طلبهم ومدعياتهم في لندن. أما نحن العرب وأنا بالنيابة عن المغاربة بينهم نقول أن تمادي اليهود في هذه المدعيات يجعلنا نقرر عدم الاستقرار على التسامح السابق الذي عاملنا به هؤلاء القوم عندما كانوا يستعطفوننا، وسندافع عن حقوقنا ومقدساتنا هذه أمام كل مغتصب بكل ماعندنا وماأوتينا من قوة بأرواحنا ولولادنا، وأرجوكم أن تسمحوا لي الفات نظر لجنتكم الموقرة من أن هذا التحدي لحقوق المسلمين ومقدساتهم سوف يتردد صداه بين سكان شمالي افريقيا المسلمين عموماً وستؤثر هذه المدعيات اليهودية الباطلة على علائق اخواننا المسلمين. هناك أيضاً مع اليهود، وتقع مسؤولية جميع النتائج التي تستوجبها هذه المداخلة على عاتق القائمين بهذا الادعاء أمامكم من ممثلي اليهود وكذلك على من آتايهم بهذا الادعاء الغريب الوهمي الذي يدون منكم اقراراً كحق رغم ارادة أرباب الحل وأصحاب هذا المكان المقدس وليست الشهادات المناقض بعضها البعض التي أتوكم بها والدلائل الواهية المخالفة لمبادئ أبسط القضايا الحقوقية التي تذرعوا بها في مدعياتهم أمامكم سوى حجج دامغة لتأييد حق المسلمين واثبات تهجم هؤلاء ومداخلتهم استناداً على وعد بلفور الجائر بمقدسات ثلاثمائة وستين مليوناً من المسلمين منتشرين في

مشارق الأرض ومغاربها.

وإني ألخص لكم معلوماتنا في الموضوع المدعي به بالبنود الآتية:

1. وقوف اليهود أمام حائط المسجد الأقصى والبراق الشريف ومرورهم بأوقاف المغاربة الخاص كان عن طريق التساهل وللبكاء فقط.
2. لم يكونوا بعددهم مايلفت الأنظار أو ينبه الأفكار فلم يكن يزيد عددهم مجتمعين عند الحائط للبكاء على عشرين شخصاً.
3. لم يكن هناك شيء مطلقاً من مظاهر الطقوس الدينية التي يدعونها اليوم.
4. ان المسلمين كانوا أثبتوا في جميع ظروف حكمهم، وكما هم في بلادهم الذين يشكلون أكثريتها المطلقة اليوم لايفرقون بين المسلم بقية الطوائف فيمايتعلق بالعدل والانصاف والمساواة على أن لاتكون هناك مساغ لاحلال قوم محلهم واستباحة مقدساتهم والتعدي عليها بهذه المدعيات المستنكرة... الى آخر المنكرة).

ويبدو أن الأمير محمد سعيد الجزائري حضر مؤتمراً خاصاً بالقدس وبالبراق الشريف وتعرض لمساومة ومحاولة ابتزاز من الصهيوني المعروف (كلفرسكي) حيث أدلى بالتصريح التالي لاحدى الصحف قائلاً:

«لقد اجتمعت أولاً الى سماحة الحاج أمين والى كاظم باشا رئيس المؤتمر، وتحدثنا عن قضية البراق، ثم طلب الزعيم الصهيوني (كلفرسكي) مقابلتي فاجتمعت اليه – وكان سعادة أحمد زكي حاضراً – فاعرب كلفرسكي عن رغبته بالصلح وأظهر ميلاً شديداً مفاوضة وطلب الي بصفتي صديق زعماء فلسطين التوسط بأمر الصلح، وقد قال في عرض حديثه أن اليهود أغنياء يستطيعون – إذا تم الصلح تقديم كل مساعدة للعرب، و[illegible]اق الأموال الطائلة في سبيل نشر الدعاية لفكرة (الامبراطورية العربية) في أوروبا!! أن عرب فلسطين سيستفيدون من اليهود كثيراً إذا تم الوفاق.

وقد أجبته على ذلك بأن الصلح هو أفضل شيء، وقلت أن اليهود يقيمون في فلسطين منذ أجيال الى جانب العرب، وأن الصلح لايمكن أن يتم إلا إذا ألغى وعد بلفور المشؤوم. ووعدته بمفاوضة سماحة الحاج أمين الحسيني بهذا الشأن.

وقد اجتمعت بسماحته وكان رأيه كرأيي تماماً فأعلمت مسيو (كلفرسكي) بالأمر الواقع من هؤلاء القوم موجهاً على حقوقها القومية والمقدسة تكون أكثر اعتدالاً مماترونه اليوم من المسلمين ومن يمثل الرأي العام الاسلامي أمامكم للادلاء بوجهة النظر فقط. لذلك فإني مقتنع كل الاقتناع بأن ماسمعتموه وتحققتموه هنا في هذه المدة الوجيزة التي قضيتموها بين ظهرانينا سيكون فرصة أخرى بعد فرصة لجنة (شو) لتفهم الرأي العام الأوروبي عموماً والبريطاني خصوصاً فظاعة وعد بلفور الجائر ومغالاة اليهود الذين استحصلوا على هذا الوعد المشؤوم لقاء مابذلوه من المساعي حينما كان العرب يريقون دماءهم في سبيل حريتهم واستقلالهم ومايأملونه من عدل».(11)

ثورة 1936-1939:

في 1935/10/11 استشهد الشيخ عز الدين القسام الذي كان قد قطع شوطاً في التنظيم والتهيئة لاندلاع ثورة فلسطينية عارمة ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية، ويبدو أن استشهاده جعل زملاؤه يسرعون في اعلان هذه الثورة التي لم يكن أحد يدري شيئاً عن الموعد الذي حدده لها الشيخ الشهيد. وهكذا أعلن الفلسطينيون ثورتهم الكبرى عام 1936 والتي امتدت حتى اعلان الحرب العالمية الأولى عام 1939.

وتخبرنا المراجع والوثائق المختلفة عن أن المهجرين الجزائريين في فلسطين وسورية شاركوا مشاركة واسعة في هذه الثورة، ويبدو أنهم كونوا فرقة من ثلاثة فصائل مسلحة.

وكانت هذه الفرقة بفصائلها قد تأسست اثر اجتماع جرى في قرية معذر في منزل المختار (عيسى الحاج أحمد الرقايقي) أصله من البويرة، وحضره عدد من وجهاء الجزائريين مثل (موسى الحاج حسين الكبير) وأصله من سيدي موسى بالبليدة و(مصطفى يخلف) وأصله من معسكر (ومحمد رشيد الداسي) وهو حفيد شقيق أحمد بن سالم خليفة الأمير الشهير و(عمر قويدر) وأصله من وادي البردي في البويرة، والحاج (وحش ارغيس)، وأصله من أم البواقي، و(محمد بن عيسى) وأصله من سيدي عيسى، و(محمود صالح) وأصله من دلس واتفقوا على أن يكون موسى الحاج حسين والأمير صلاح بن عبد الله بن عبد القادر ممثلين لهم في قيادة الثورة ومقرها دمشق وأن يكون محمود الصالح قائد الفصيل في منطقة صفد ومحمد بن عيسى قائداً للفصيل في منطقة طبريا والحاج وحش ارغيس قائداً للفصيل في منطقة حيفا.

وقد لعب (الأمير سعيد) والشيخ (عبد القادر المبارك) والأمير (صلاح بن عبد الله الجزائري) وغيرهم دوراً واضحاً في تزويد الثورة بالأسلحة عبر قرى الجزائريين المتاخمة للحدود السورية واللبنانية (التليل، الحسنية، ديشوم، سمخ) برعاية موسى الحاج حسين وأبو عاطف محمود سليم الصالح ومحمد رشيد الدلسي والطاهر يخلف وعلي الحاج طاهر.

ويتحدث حسين عمر حمادة عن دور الجزائريين في سمخ في مقالة له بعنوان: «قائد سمخ مات في مخيم اللاجئين بدرعا» في العدد 284 من مجلة الطلائع بدمشق تاريخ 1976/4/20 فيقول:

«على الأراضي الشامية وعند الحدود المتفق عليها بعد الانجليز والافرنسيين تحددت مهمة الشيخ المجاهد، فلقد كان صلة الوصل بين مجاهدي الداخل في فلسطين وقيادة الثورة المتواجدة على الأراضي السورية والعراقية، فقام برحلات عدة بكلا الاتجاهين بالاتفاق مع المجاهدين مصطفى يخلف «أبو السنوسي» زعيم المغاربة وعيسى أبو زيد وطاهر يخلف. ولقد كان الشيخ محمود يقوم بنقل السلاح والمجاهدين من الحمة

ووادي خالد لسمخ ومنها لحيفا وجبل نابلس والخليل وسيلة الظهر، كما أنه شكل تهديدا واضحا للمطار العسكري المنشأ في سمخ على أساس أنها نقطة حدود مهمة بين فلسطين وسوريا والأردن، وهاجم المستعمرات اليهودية المنشأة في المنطقة باستمرار».

**التنكيل بقرى الجزائريين في فلسطين:**

كتب السيد أكرم زعيتر في يومياته بتاريخ 1939/12/3 عن قرية التليل مايلي:

«وقد تشرد أهلها المغاربة الى سورية وأحرقت حواصل، قرية العلمانية، وفي الوقت ذاته ذهبت قوة أخرى الى قرية العموقة العائدة للمغاربة وسألت عن شخص يدعى أبو عاطف فأجابوا: أنهم لايعلمون عنه شيئا. وحينئذ أخذت القوة تنهب القرية مبتدئة بدار سليم الصالح (وهو مغربي)».(12) كما أورد هذا الكاتب الذي كان أحد قادة هذه الثورة التقرير التالي:

**تقرير عن تنكيل القوات البريطانية بقرى المغاربة في الشمال (1938-1939):**

لم تكتفي السلطات البريطانية مافعلته بقرى المغاربة الجزائريين بفلسطين من نسف دورهم وحرقها وتخريب موجوداتها واعتقال أبنائها ولم تقف أعمال السلطات عند هذا الحد بالانتقام من الجزائريين فقد عاودت انتقامها مرارا بنسف دار وجيه المغاربة الكائنة في التليل وقتل حيواناته وحرق أشياءه ودخول الجيش البريطاني لمزرعته الدريجات الكائنة بالأراضي السورية ونهب مزارعيه مرتين، ولما رأت هذه السلطة الغاشمة أن أعمالها الانتقامية هذه ماأضعفت من هزيمة المغاربة الأشاوش فإنها واصلت مساعيها المتوالية مع الحكومة الافرنسية للنكاية بالوجيه المذكور السيد موسى الحاج حسين فأصدرت الأخيرة أمرا نفت به الموما اليه الى تدمر بصورة اجبارية وحذرت بقية عائلته المقيمين في القنيطرة وأنذرتهم بالنفي للجزيرة والغريب من هذا كيف أن حكومة فرانسا الفخمة أجابت طلب الحكومة البريطانية.

والأغرب من هذا أن السيد موسى الذي صدر بحقه أمر النفي هو من الرعايا الافرنسية وصاحب أملاك في سوريا.

ولما بدأت الثورة في فلسطين نزح السيد مع أفراد عائلته تاركا أملاكه وأراضيه الذي يعتاش منها ملتجئا للحكومة الافرنسية ليكون أمينا على حياته وأملاكه وسكن القنيطرة فماكان إلا نسف داره ودخول الجيش لمزرعته الدريجات ولم تكتف حتى بالزامه السكون في تدمر بصورة اجبارية. فأين العدل والانصاف».(13)

وهاهنا تقرير ثالث:(14)

**تقرير من اللجنة الاصلاحية في قرية العموقة، في قضاء صفد، عن عدوان الجيش البريطاني على القرية في 1939/1/19:**

الى قيادتنا العليا المحترمة:

استيقظ أهالي قرية العموقة قضاء صفد في صباح أمس على أصوات أزيز

الطائرات وهي تحوم فوق قريتهم وقد ألقت الطائرات مناشير على القرية تحذر الأهالي من الخروج خارج القرية وقد أخذت هذه الطائرات في القاء القذائف على أطراف القرية فسببت قتل بعض الحيوانات والمواشي. وبعد قليل حضرت قوة كبيرة من الجيش البريطاني وطوقت القرية المذكورة ودخلت لداخلها وعملت ماعتادته هذه القوات من العمل بالقرى العربية فقد دخل الجند لجميع بيوت هذه القرية وحرقوا مفروشاتها وكسروا أثاثاتها وخلطوا الزيت بالطحين والسكر مع الملح وكسروا الأواني ونهبوا جميع ماستحصلوا عليه من نقود بالبيوت ولم يتركوا لا صغيرة ولا كبيرة بالبيوت إلا وأتلفوها. ولم يكن أصحاب البيوت بداخلها بل كان جميع أهالي هذه القرية تحت حراسة فرقة ثانية خارج القرية، ولما انتهت الفرقة من عمليات التخريب أخبرت القائد بانتهاء عمليتها فجاء القائد الى الأهالي وطلب منهم طعاما للجند فأجابوه ماتركتوه بالبيوت خذوه وكلوه فزاد انتقامه منهم وخاطبهم قائلا هذا قليل وفي مرة ثانية سوف لانكتفي بهذا بل سوف نقتل الرجال وننسف البيوت. وبعد أن أمر جنده بضرب الأهالي هجم جنده عليهم وأوسعوهم ضرباً بأرجلهم وبكعاب البنادق دون تفريق بين الامرأة والطفل وبعد أن اعتقلوا عدة أشخاص غادروا القرية بعد أن تركوها خراباً.

وهكذا رغم هذه الأعمال البربرية التي يقوم بها الجيش بفلسطين يأتي وزير الحربية البريطانية ويذيع مايبرئ جيشه عن ارتكاب مثل هذه الأعمال.

9/ذي الحجة/1357 هجري

**اللجنة الاصلاحية بقرية العموقة عنهم**

**(توقيع) سليم الصالح**

وفي 1939/3/7 كتب أكرم زعيتر مايلي:

«كنت أشرت في يومياتي الى ماقترفته السلطات البريطانية في قرى المغاربة من هدم وتخريب واعتقال وهدم دار وجيه المغاربة الجزائريين في التليل وهو السيد موسى الحاج حسين، ومع أن السيد موسى مقيم في القنيطرة السورية التي نزح اليها مع أفراد عائلته تاركاً أملاكه وأراضيه لاجئاً الى الحكومة الفرنسية ليأمن على حياته من انتقام الانكليز، فإن السلطة لم تكتف بنسف داره واتلاف مزرعته بل بذلت مساعيها لدى السلطة الفرنسية فأصدرت هذه أمراً بنفيه الى تدمر والاقامة الجبرية فيها وأنذرت بقية أفراد عائلته المقيمين في القنيطرة بالنفي الى الجزيرة إذا بدا منهم أي نشاط. هذا مع العلم أن الوجيه المذكور هو من الرعوية الفرنسية وله أملاك في سوريا»..(15)

فصيل صفد:

كان فصيل الجزائريين في منطقة صفد /أكراد الخيط فصيلاً نشيطاً وتمتد عملياته في كثير من الأحيان حتى طبرية بل انه شارك في معركة طرد اليهود من هذه المدينة وكان بقيادة محمود سليم الصالح أبو عاطف «الذي ماتزال عائلته موجودة في الجزائر

بمنطقة «تلس بن نعمان» والذي كان دائم التنقل بين صفد ودمشق وبيروت وخاض معارك عديدة وأعاد الكرة في ثورة 1947-1948 واستشهد في معركة الشجرة الشهيرة.

ويورد أكرم زعيتر النص التالي(16) عن بعض عمليات هذا الفصيل عام 1938 في رسالة كتبها أبو لطفي الذي هو موسى الحاج حسين من التليل.

**رسالة من صفد تتضمن تقريراً عن عمليات المجاهدين في 1938/12/30:**

أخي العزيز (أبو عاطف) وفقه الله آمين.

سلام وتحية وبعد:

إن سألتم عنا فنحن بخير نحن وجميع الاخوان ولاينقص علينا إلا مشاهدتكم التي نريدها على الدوام، أخي لحد الآن أنا موجود بمعية العم أبو محمد وإن شاء الله بعد أن يكتفي من مرافقتي أتوجه لطرفكم.

أخي في ليلة (8) ذو القعدة 1357 هجري هاجم فريق من فصيلك النورية على طريق صفد ميرو وكانت مؤلفة من مصفحتين ومكنة نسف ودامت الهجوم مدة ساعتين ويعتقد أنه أوقعوا اصابات بالجند لأن الجند كان يرسل اشارات النجدة بكثرة هائلة وفي نفس الليلة هاجم فريق آخر من فصيلك دورية على طريق الحدود بالغرب من كسب صلحا وتبادلوا معهم اطلاق النار مدة ثلاث ساعات كان في خلالها الجند يطلق عليهم مدافعه الرشاشة والجبلية وفي الحادثتين لم يحدث مايكدر اخوانك الحمد لله.

هذا مالدي من معلومات أخبرتكم ودمتم مع اهداء سلامي لأبو العبد وسعيد والأخ عبد الرحمن افندي والأخ موسى أبو سليم وجميع من يسأل عنا بطرفكم ودمتم موفقين أخي.

**أخيكم أبو لطفي**

ولتوثيق بعض تاريخ هذا الرجل حاولت أن أتحدث الى ولديه عاطف الموظف في مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين بدمشق، وهاني الطبيب في مخيم اليرموك فوجدنا أنهما كانا صغيرين في ذلك الوقت فلجأت الى الحاج أبو علي «سليمان حمام». وهو من مشاهير رجالات الثورة الفلسطينية 1936-1939 ثم 1948/47 فأجريت معه لقاءاً استغرق أصيل يوم الثلاثاء 1989/8/8 ولما أفصحت عن رغبتي بمعرفة تاريخ محمود سليم الصالح «أبو عاطف» قال: أنتم المغاربة الجزائريون تحبون بعضكم، فكثيراً ماجاءني الأخ يحيى يخلف ليسألني عن تاريخ بعض الأشخاص، وقد أحسنت صنعاً بالمجيء إلي لأن عاطف وهاني كانا صغيرين لايعرفان تاريخ والدهما المناضل. وأضاف أبو علي:

كان المغاربة الجزائريون يعرفون بيننا كمهاجرين جزائريين مع الأمير عبد القادر الجزائري، وأعطتهم الحكومة العثمانية أرض سجلت باسم الأمير، وكان هؤلاء المهاجرون يتضامنون مع شعبهم الفلسطيني ويقومون بواجبهم النضالي معنا ومنهم موسى الحاج حسين الرجل الداهية المحنك ومنهم أبو عاطف محمود سليم الصالح وشقيقه محمد

من العموقة.

وكان أبو عاطف قائد فصيل متجول في منطقة صفد الحولة، الجاعونة، وسائر المناطق المجاورة للعموقة، خاض عدة معارك خلال ثورة 1939/36 ورغم الصداقة القلبية التي بيننا لكننا لم نشترك معا في معركة واحدة، إلا أنه شارك في عدة معارك كبيرة مثل معركة طبرية لكن في نهاية الثورة حين أعلنت الحرب العالمية الثانية في 1939/8/3 بقي أبو عاطف في دمشق، وحين أعلنت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق بتاريخ 1941/4/21 ذهبت الى بغداد ورافقني أبو عاطف، ثم اتصلنا بالقنصل الفرنسي في الموصل لاعتبارنا لاجئين سياسيين فاعتقلونا.. وطلبوا منا التعاون كحلفاء ورفضنا بحث الموضوع ونحن في الاعتقال، وقلنا أننا نريد مجلس ثورة فلسطين وعلم فلسطين وحكومة فلسطينية... كنا نعرف مناوراتهم. وهم ينقلوننا من سجن الى سجن بين سوريا ولبنان.. حيث كانت حكومة فيشي هي المسيطرة، وأخيراً أطلقوا سراحنا فقررنا العودة الى فلسطين عبر بيروت، جبيل، فقرى الجزائريين ديشوم والعموقة وبالفعل بقينا في العموقة حيث أرسلت رسالة مع محمد سليم شقيق محمود الى عكا لكل من فضل كتمتو وأحمد الشقيري فطلبا منا الذهاب الى غزة بعيداً عن الأنظار.. وجاء السيد سعدي الشوا ورافقنا الى يافا وبقينا (6) أشهر.. ثم عدت الى عكا عبر ترشيحا وأبو عاطف عاد الى العموقة ثم ذهبت الى غزة واختفيت ثلاث سنوات تقريباً حتى عام 1945 حتى حصل لي الاخوان في القيادة على عفو من بريطانيا.. ثم ذهبت الى الناصرة وقابلت مساعد حاكم اللواء البريطاني وطلبت العفو عن أبو عاطف وأبو ابراهيم الصغير، توفيق ابراهيم وأحمد التوبة.. وبعد جهد نجحنا في ذلك وكفلناهم.

ويضيف أبو علي سليمان:

في مرحلة 1947-1948 اشتغل أبو عاطف مع أبو ابراهيم لما أنا قدعيت للجامعة العربية لشراء الأسلحة، واستشهد أبو عاطف في معركة الشجرة المشهورة».

**فصيل طبرية:**

وأما بخصوص الفصيل الجزائري في منطقة طبرية الذي كان يقوده محمد بن عيسى وبعد استشهاده سلمت القيادة لولده أحمد، فذهبت الى أحمد المذكور في منزله بمخيم اليرموك فوجدته قد جاوز الثمانين من العمر وله ذاكرة قوية، فحدثني قائلاً:

«بعد حوالي 20 يوماً من استشهاد والدي، محمد بن عيسى قائد فصيل المغاربة الجزائريين في منطقة الشفا في شهر شباط 1937، أرسل لي موسى بن الحاج حسين يطلب إلي التوجه لمقابلته في دمشق وتوجهت فعلاً الى مقر قيادة الثورة في حي الميدان وكان في الاجتماع أبو ابراهيم الكبير (خليل عيسى) وأبو ابراهيم الصغير (توفيق ابراهيم) وأكرم زعيتر ومحمد عزة دروزة وسلموني أمراً مكتوباً بتولي مهام والدي، بصفتي كنت ملازماً لوالدي في كل عملياته.

وظللت على اتصال دائم بهم وكنت أرسل اليهم الجرحى بالقطار مع شخص جزائري يدعى محمد العالم وشخص جزائري آخر يدعى بن حواء، وكلاهما من جزائريي سمخ التي فيها محطة قطار درعا - حيفا، أما ملابس وكسوة الفصيل فكان يلتزم بها شخص جزائري أيضاً ولكنه يقطن الناصرة واسمه صالح عون الله، أما كاتبي فقد كان يدعى أحمد الشيخ جزائري من معذر.

وأما المراسل الحربي الذي كنت أرسل معه الرسائل الى القيادة في دمشق فهو عبد القادر الخثير من جزائريي عولم ومن الجزائريين الذين كانوا معي محمود أبو خروبة لم يزل حياً، عمر الحاج، عبد الله رابح، علي قاسم الجليل، محمد العربي، ابراهيم بن موسى، وكنا نعطي لعائلة الشهيد عشرة جنيهات فلسطينية، وأما الطعام والخدمات المشابهة فكانت تتكفل به القرى الجزائرية في فلسطين وسوريا «حوران» ولم نكن نعاني من أزمات في هذه المسائل لأننا نتحرك بينهم وكلهم أهلنا وأقاربنا.

وكانوا يزودوننا بالمعلومات عن تحركات اليهود والجيش البريطاني.. لذلك كان تأثيرنا بالعدو واضحاً.

ويضيف:

كانت مهمتنا الأساسية هي نسف خطوط البترول وكان فصيلنا يتكون من مائة مجاهد فيهم بعض الفلسطينيين من غير الجزائريين، وكنت حين أقوم بالنسف آخذ عشرة أو خمسة عشر فقط، أقسمهم الى ثلاث مجموعات: مجموعة للحفر والنسف، والثانية: عن يمينها، والثالثة: مهمتها إعاقة أية دوريات للعدو والاشتباك معها حتى يتم النسف ثم ننسحب لقرية أخرى غير التي انطلقنا منها.

ويقول أحمد بن عيسى:

كانت قرية معذر هي القاعدة السرية للفصيل «العبيدية قاعدة شبه علنية» حيث تم تأسيسه فيها إذا اجتمع كبراء الجزائريين في فلسطين ومنهم موسى بن الحاج حسين الكبير من التليل، وعمر قويدر من سمخ، ومحمد رشيد الدلسي من صفد، وعلي محاد من معذر وغيرهم، في بيت عيسى بن الحاج أحمد الرقايقي بمعذر. وقرروا تكوين الفصيل من الجزائريين وأعطوا قيادة منطقة صفد لأبي عاطف وقيادة هوشة للحاج وحش ارغيس، وقيادة منطقة الشفا لوالدي محمد بن عيسى لأنه صاحب تاريخ نضالي في ثورة عام 1922 وحكمت عليه بريطانيا غيابياً بخمسة عشر عاماً لكنه تمكن من الهرب الى القرى الجزائرية في سورية ومنها الى الأردن، ولكن ألقي القبض على الذين كانوا معه مثل محمد الدراجي وشحادة الادريسي ومحمد اليونسي، والهاشمي وغيرهم.

وكانت القرى الجزائرية هي الماء الذي نسبح فيه. فالمعلومات والاختفاء والحركة والتخزين وانقاذ الجرحى كل ذلك بمساعدتهم، فحين يجرح جزائري من أولاد عيسى مثلاً يتداوى عند أولاد سيدي خالد وغيرهم في معذر أو عند أولاد يونس وغيرهم في عولم،

فيرعونه رعاية عالية، ليس لأنه مجاهد وحسب، بل لأنه ابن عمهم أيضاً والناس في ذلك الوقت عشائر وعصبيات وكانت النتيجة مبهرة، فالشهداء في صفوفنا قليلون جداً، ولم نكن نرسل الى القيادة غير الجرحى الذين يحتاجون الى عناية يعجز عنها الطب العربي الذي يتقنه الجزائريون بالوراثة منذ حرب السيد مع الفرنسيين (الجيل الكبير مثل أحمد بن عيسى لايلفظون اسم الأمير عبد القادر مجرداً فهم دوماً يشيرون اليه بالسيد لانحداره من سلالة الرسول) مع الفرنسيين.

وعن موقف عائلة الأمير عبد القادر يقول الشيخ أحمد بن عيسى كان الأمير صلاح مؤيد حقيقي للثورة في فلسطين، وكنت أجتمع به في دمشق ويزودني بتوجيهاته وأكثر ماكان يلح عليه هو الحفاظ على أرواح المجاهدين».

ولما سألت السيد أحمد سهيل الفصيل من جزائريي دمشق عن دور الأمير صلاح أكد لي معلومات السيد أحمد بن عيسى وأوضح أن الأمير صلاح عاش في أواخر أيامه بدمشق بعزلة تامة، وتوفي في عزبته.

وأما أكرم زعيتر فقد أورد في يومياته عن محمد بن عيسى وفصيله مايلي:

«وتلقيت رسالة من السيد موسى النجمي وطيها تقرير بتوقيع /ن.س. فصيل أبو سعيد في العبيدية» ويقول موسى: «هذا التقرير كتبه ووقعه القائد الذي استشهد وكتبنا نعيه» أحسست برهبة واجلال وأنا أقرأ تقرير قائد كتبه ثم استشهد، وفيه يخبرنا أنه وجماعته هاجم مستعمرة بما وتبادل مع خفرائها الرصاص، وقتل منهم خفيران وانسحب المجاهدون بسلام.

ويضيف زعيتر:

وفي رسالة إخرى كتاب آخر بقلم الشهيد أبو سعيد نفسه عن معركة خاضها ولخوانه في 16 كانون الثاني مع يهود كانوا آتيين بباصات تحت حراسة الجند الانكليزي أسفرت عن مقتل خمسة يهود وجرح ستة، وعن معركة أخرى على طريق عطوشة التابعة لطبريا حتى سوم اشتركت فيها طائرتان لنجدة باصات اليهود، دامت أربع ساعات قتل فيها نحو عشرة يهود وجرح مساعدان.

وفي التقرير:

«طوقت القوة قرية معذر (طبريا) واقتحموها ووجدوا محمد اعراب المغربي عند أمه التي ليس لها غيره ووجدوا في البيت بندقية كان اشتراها من ماله الخاص وهو من المجاهدين الذين يعتمد عليهم فحين رأوه قتلوه».

وهكذا نرى الشهيد أبا سعيد ينعي لنا زميلاً له قبل استشهاده هو رحمهما الله. هذا، وقد توليت نعي هذا القائد بعد أن أذاعت محطة اذاعة فلسطين نبأ استشهاده وقلت في النعي:

«المكتب ينعي الى الأمة العربية البطل محمد بن عيسى – قائد منطقة الشفا من

قضاء طبريا.

لقد استشهد وثلاثة من اخوانه حينما طوقت قوات الجيش قرية عولم فاقتحم الجند واصطدم بالجيش حتى ظفر واخوانه بالشهادة، وهو شيخ مغربي جليل جاوز الستين من عمره اشتهر بمصادماته مع دوريات الجند وتفجير البترول».(17)

**فصيل حيفا:**

أما الفصيل الثالث في منطقة حيفا فقد كان بقيادة الحاج وحش ارغيس في قرية هوشة – حيفا الذي كان أحد مريدي الشيخ عز الدين القسام في جامع الاستقلال والذي اختاره وقريته هوشة لتكون واحدة من القواعد السرية للثورة التي كان يعد لها هذا الشيخ الثائر المولود على الساحل السوري، مستفيداً من وضع المهاجرين الجزائريين القانوني في هذه القرية بصفتهم من الرعوية الفرنسية، ومن جسارتهم وشجاعتهم وجهاديتهم، ومن وضع قريتهم الجغرافي.

كان الحاج وحش ارغيس الذي تعود أصوله الى أم البواقي بالجزائر، وقرية هوشة كلها تقوم بعبء ثقيل في ثورة 1939، حيث كانت تستقبل الأسلحة التي يقوم بايصالها موسى الحاج حسين الكبير وأبو عاطف ومحمد رشيد الدلسي من دمشق وصيدا عبر القنيطرة، جسر بنات يعقوب فالتليل وديشوم ثم الى هوشة، فيتم توزيعها الى حيفا ويافا وغزة والقدس والخليل والناصرة حيث صالح عون الله من جمعية المقاصد الخيرية المغربية في فلسطين وكانت درجة الأمان عالية في هذه القرى كما في القرى الجزائرية الأخرى حيث لعبت اللهجة الشاوية الجزائرية دورها كلغة شيفرة فكانت صيحة طفل يلعب تكفي لتنبيه القرية قبل أن يفهم الجنود البريطانيون ماالذي قاله الطفل.. كما لم يستطع اليهود المغاربة الذين استعملهم الجيش البريطاني والعصابات اليهودية فهم اللهجة الشاوية. وهكذا كانت القرية تستقبل قادة الثورة الفلسطينية ووجهاء الجزائريين وتمرير السلاح الى أواسط وجنوب فلسطين بسرية تامة.

واضافة الى هذا الدور الخطير الذي كان يقوم به الفصيل الجزائري في قرية هوشة بقيادة الحاج وحش ارغيس، كان يخوض عدة معارك قتالية منها معركة وادي العروس الشهيرة، فأضحت القرية مثلها مثل قرية عولم في منطقة الشفا/طبريا وقرية العموقة في منطقة كراد الخيط/ صفد هدفاً دائماً للطائرات البريطانية، ففقدت القرية عدداً من الشهداء مثل محمد بن سي أحمد الشيخ، ولم يستطع المحاميان هنري كتن وأحمد الشقيري انقاذ رقبة المناضل أبو زيد الطيب من حبل المشنقة.

كما نفي الى مرسين بتركيا (علي سعيد بوضياف)، وحكم بالسجن لمدة (9) أشهر على كل من (حمادي ارغيس، الشيخ أحمد الصديق الحاج الطيب، موسى بن أحمد بن علي، يوسف قوجيل، رشيد حسين بن ناصر، محيميد الصغير، والحاج وحش نفسه) وستلعب هذه القرية في عام 1948 دوراً نضالياً آخر. ويجدر بنا أن نشير الى أن عدداً

من المجاهدين الجزائريين القادمين من الوطن لهذه الغاية بتشجيع من الحركة الوطنية الجزائرية التحقوا بهذه الثورة وبعضهم بالفصائل الجزائرية، وبعض هؤلاء جاء من فرنسا نفسها ومنهم من وصل الى فلسطين مشياً على الأقدام.. وكان من بين الذين يقومون بتأمين الأسلحة للثورة الفلسطينية الكبرى 1936-1939 على ظهر البواخر في مرسيليا المناضل الجزائري المعروف بشير بومعزة ومن الذين يجمعون لها التبرعات في الجزائر نفسها شاعر الثورة الكبير مفدي زكريا بصفته مناضلاً في حزب الشعب الجزائري.

**ثورة 1947-1948:**

انتهت ثورة 1936-1939 بنداء وجهة الملوك والأمراء العرب الى الشعب الفلسطيني يدعونه الى السكينة اعتماداً على حسن نوايا بريطانيا التي كانت تستعد لخوض غمار الحرب العالمية الثانية والتي استغلتها الحركة الصهيونية استغلالاً تاماً ودقيقاً لصالحها، ومن بين ذلك الاستغلال تدريب وتأسيس القوة العسكرية المقاتلة. بينما ضيقت بريطانيا الخناق على الفلسطينيين خاصة لجهة تسليحهم حتى الى مابعد انتهاء الحرب.

وما أن جاء عام 1947 حتى وجد الفلسطينيون أن الصهيونية صارت قاب قوسين أو أدنى من التهام البلد، فبدأوا ينظمون صفوفهم من جديد ولم يجدوا إلا بقايا مجاهدي ثورة 1936-1939 ليحملوا السلاح مرة أخرى.

وابتدأ شكل منظم الى حد ما على يد المجاهد عبد القادر الحسيني في مايعرف بجيش الجهاد المقدس، وجاء متطوعون عرب في مايعرف بجيش الانقاذ، ثم تداخلت الأنظمة العربية الى أن كانت نكبة 1948 المعروفة، وتكاد المراجع تنكر أن الذي حدث عام 47 هو ثورة أخمدتها هذه الجيوش عام 1948. لكن الذي يهمنا هو دور المهجرين الجزائريين في هذه المرحلة من نضال الشعب الفلسطيني.

يقول محمد طارق الافريقي أحد رجالات ثورة 48/47 في كتابه «المجاهدون في معارك فلسطين» مايلي:

«راجعني زعماء وقادة المناضلين المغاربة في غزة ومنطقة الخليل وبيت لحم طالبين الانضمام الى مجاهدي القدس تحت قيادتي وعددهم (5650) فحولت طلب الزعماء الى الحاكم العسكري أحمد حلمي باشا الذي حوله بدوره الى مقامات عليا ولم يقبل لأسباب أجهلها.

وتجاه هذه الحالة اضطررنا الى الاكتفاء بالموجود والمثابرة على المقاومة رغم قلة قواتنا أمام قوات اليهود المتفوقة والمجهزة بأحدث التجهيزات.

ولو قبل طلب أولئك المجاهدين المغاربة وانضموا الى مجاهدي القدس لتغير الوضع العسكري في منطقة القدس».(18)

إن هذا النص الذي أورده الافريقي والذي يعتقد أنه جاء من ليبيا يجعلنا نطالب كافة المؤرخين من كافة الجنسيات العربية وغير العربية بتفسيره، لماذا رفض الطلب،

وعلى أية أرضية سياسية وعسكرية كان ذلك، ومن هي المقامات العليا التي رفضته، وماهي حكمتها في رفضه؟ ومن هم قادة المناضلين المغاربة الذين تقدموا به. بل إننا نطالب بتفسير لقيام «اسرائيل» بهدم كافة قرى الجزائريين في صفد وطبريا عن بكرة أبيها، وماهو السر في هذا الحقد؟

إن هذه المطالبة ليست من حقنا كفلسطينيين وحسب، بل ومن حقنا كجالية جزائرية ناضلت وقدمت الكثير بصفتها هذه على درب الوحدة العربية، وحدة الدم العربي، ابرازا للحقيقة العلمية فإن المؤرخين من الشبان الجدد في اسرائيل يتهمون الجيل الذي أرخ لقيام اسرائيل بأنه جيل أخفى الوثائق التي تدل على اتفاق الحركة الصهيونية مع بعض الحكام العرب لتقسيم فلسطين وتهجير أهلها بقصد اسباغ البطولة والشرعية على قيام دولة اسرائيل (إذاعة لندن بالعربية في 1989/9/22 العالم هذا الاسبوع) ولاشك أن من بين الوثائق الفلسطينية التي أخفيت وثائق البطولة التي أبداها الشعب الفلسطيني ومعه الجزائريين في قراهم، كقرية هوشة التي تقول فيها الموسوعة:

«اتخذت هوشة وخربة الكساير قاعدة للمجاهدين العرب في معارك 1948 بعد أن أخليت من الشيوخ والأطفال والنساء. وفي كانون الثاني عام 1948 هاجم الصهيونيون هوشة الكساير ثانية، واحتلوها، وعاد العرب فهاجموا هوشة، واستمر القتال من السادسة حتى الخامسة مساء وأجبر الصهيونيون على الانسحاب ليلاً الى الكساير بعد أن نسفوا معظم منازل القرية، وقتل في هذه المعركة عدد كبير من أفراد الوحدات الصهيونية المحاربة، واستشهد (35) عربياً، ولكن الصهيونيين عادوا فاحتلوها وطردوا سكان العرب ودمروها سنة 1948».(19) وقد اشترك في القتال ضد الصهاينة دروز شفا عمرو واستشهد مختار قرية هوشة السابق أحمد ارغيس ومختار الكساير حسن خضر وجرح كثيرون.

وليست معركة هوشة وحدها التي خاضها أو اشترك فيها الجزائريون فهناك عشرات المعارك مثل طبرية، لوبية، الشجرة، عولم، سمخ، العموقة، ديشوم، الصبح، رأس المرج، وغيرها على امتداد خريطة الجليل الفلسطيني بقسميه الأعلى والأدنى، إلا أنه يلاحظ أنهم من الناحية العسكرية كانوا يستعملون ذات التكتيك العسكري المتوارث من عهد الأمير عبد القادر حيث كان يحول القرية التي يريد العدو اقتحامها الى فخ فيخليها من الأطفال والنساء والشيوخ ويباغت العدو فيها فيحصره بين تضاريسها التي يعرفها أكثر منه فتكون خسائر هذا العدو كبيرة للغاية سواء خلال مباغتته أو خلال انسحابه.

كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين:

ولايقف الأمر عند اشتراك المهاجرين الجزائريين في القتال ضد الصهاينة مع الفرق الفلسطينية المناضلة، بل قام الأمير محمد سعيد بصفته زعيم الجالية الجزائرية خصوصاً والمغربية عموماً بتأسيس (كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين) كجزء من فرقة

الأمير عبد القادر وقد وصل تعدادها الى عشرين ألف مقاتل حسب بعض المصادر تم تدريبهم في معسكرات قطنا القريبة من دمشق.

وحدثني السيد محمد فاتح نجل الأمير محمد سعيد أن هذه الكتيبة كان يصرف عليها والده من ماله الخاص، وأن والده أسسها بالاتفاق مع السيد شكري القوتلي - رئيس الجمهورية السورية وقد استقدم لها مدربين ومتطوعين من مصر والعراق وانضم اليها متطوعون قدموا من الجزائر ودول الغرب العربي اثر نداء خاص وجهه الأمير سعيد وبعد أن تم تدريب هذه الكتيبة والصرف عليها لعدة أشهر من جيبه الخاص قام بدمجها مع قوات جيش الانقاذ الذي ظهر على الساحة وتبنته جامعة الدول العربية.

هذا وقد نشرت جريدة الاصلاح الجزائرية في عددها رقم (71) تاريخ 25/ربيع الأول/ الموافق لـ 5/فبراير - شباط/1948م نص النداء الذي وجهه الأمير سعيد الى عموم أهل المغرب العربي والذي يبدو أن المتطوعين الجزائريين من الوطن الأم قدموا الى المشرق بناء عليه، وهذا هو نص النداء:

«الحمد لله وحده:

يامغاربة افريقيا الشمالية..... ياأبناء الأبطال الصناديد!

إن أعظم نكبة حلت بفلسطين خاصة وبالمغرب عامة هي نكبة دخول الصهاينة الى الأراضي المقدسة وشرائهم الأراضي بكافة الحيل والدسائس وقد بح صوتي وأنا أحذر الحكومة والأمة الى هذا الخطر العظيم والكارثة العظمى التي تحل بالبلاد العربية كافة من جراء هذا الخطر الذي يعاني العرب اليوم شدائده، وكاد هؤلاء اليهود يظفرون بأهم قسم من أرض سوريا التي هي مطمح أنظارهم أيضاً وعندما ارتكبت أوروبا أعظم جناية عرفها التاريخ ولم يرعو ترومن وزملاؤه عن غيهم ويعلمون أن هذه الكارثة وهذا العدوان سوف يجر أوروبا الى حرب تشيب لهولها الولدان وسوف ترى أوروبا أن هذه الحرب لاتشبه غيرها، لأنها صراع في سبيل الموت أو الحياة بل هي حرب مقدسة فرض على المسلم أن يبيع نفسه رخيصة في هذا السبيل وقد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله ويقتلون.

وقد عجب الناس من سكوتي مدة طويلة بينما الخطب والحماسة أخذت مأخذها من الشيوخ والشباب، وماكنت أحسب أن العرب يصبرون على الذل والهوان وقد صبروا صبراً طويلاً بينما أن السكين وصل الى العظم وقد بلغ السيل الزبى، أما وأن دور الحماس قد انتهى ومابقي لدينا إلا حمل السيف فأني ادعوكم يأخواني المغاربة الى حمل السلاح وقد عرفتكم البلاد بالشدائد وكنتم ولازلتم في مقدمة المجاهدين في مواطن الجهاد والدفاع عن الشرف وهذا يومكم أيها المغاربة وأنتم الذين ذقتم من مظالم الافرنسيين أعظم المصائب وأفدح النوائب، وها أن الاستعمار شتتكم في كل البلاد ولم يرحمكم حتى في دار هجرتكم وهو يحاربكم بأموالكم وأولادكم وبكل الوسائل الفتاكة ليميت فيها روح الوطنية

وينزع من قلوبكم حب الوطن ويجعل طموحكم الى أوطانكم أمرا عسيرا صعب المنال وهيهات تنسينا المصائب والكوارث بلاداً فيها رفات أجدادنا وتراب أسلافنا وأرواحهم المقدسة تنادينا في كل لحظة الى الثأر الى الجهاد ياأبنائي البررة، فياخواني عرب افريقيا الشمالية هنا وبفلسطين وفي كل أنحاء البلاد العربية أن الواجب يدعوكم الى الجهاد والى الدفاع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين بالنفس والنفيس، وإذا ماكتب الله النصر لنا وهذا ماوعدنا الله به لقوله تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ وإذا مارجعنا الى الله واتبعنا أوامره واتكلنا عليه حق الاتكال ونبذنا الشحناء والضغائن وقمنا يدا واحدة. فالنصر حليفنا، وإذا ماحقق الله الأماني وقد أصبح العرب روحا وجسدا واحدا فسوف يكون جزاؤنا من ذا الجهاد أن ندخل بلادنا فاتحين والله معنا والعرب جميعا وراءنا، وهذه أمنية والله أعز منها لأن الاستعمار هو الموت بعينه، ولا معنى للحياة مع الذل والاستعباد، وإذا مانديتكم للجهاد فلست محمسا ولا مشجعا بل أكون في طليعة القوم كما كان أسلافي الطاهرين البررة، وقد قال المغفور له الأمير عبد القادر في تلك:

ألا فاسئلي عني الفرنسيين بأن مناياهم بسيفي وعسالي

ومن عادة السادات بالجيش وبي بحتمي جيشي وتحرس

هذه سجايا أسلافكم الاطهار أيها المغاربة، فهبوا جميعاً الى حمل السلاح ولا حاجة للاكتتاب بالتطوع، فيد الله مع الجماعة، والله ولينا وناصرنا وعليه فليتوكل المتوكلين.

الأمير محمد سعيد الحسني الجزائري – حفيد الأمير عبد القادر

وفي القاهرة كانت جريدة البلاغ المصرية قد نشرت في عددها رقم (8033) تاريخ 4/ربيع الأول/1367هـ الموافق لـ 5/يناير – كانون الثاني/1948م الرسالة التالية لمراسلها من دمشق تحت عنوان كتيبة المغاربة لتحرير فلسطين.

«هنا في دمشق حيث يقع الجسر الأبيض، يقيم ذلك الأسد الرابض ألا وهو سمو الأمير سعيد الجزائري حفيد البطل الثائر عبد القاد الجزائري مدوخ الاستعمار وقاهر الاستعباد.. وفي ذلك القصر الضخم المنيف تقيم تلك الشخصية التي لم تنجب الدنيا مثله إلا كل عدة قرون مرة.

ولقد شهدت دمشق بالأمس أفخم واروع اجتماع طبع بطابع الثورة والعروبة والجهاد هذا الحفل الرائع العظيم الذي أقيم تكريماً لسمو الأمير سعيد. وفي تلك الحفلة الفخمة التي جاءت آية من آيات الروعة والجلال أعلن سمو الأمير نبأ تشكيله (كتيبة المغاربة) لتحرير فلسطين والتي يربو عدد أفرادها على العشرين ألف مقاتل مغربي بكامل عدتهم وسلاحهم، ووسط عاصفة من التصفيق الحاد تقلد سموه سيف جده الأمير البطل عبد القادر الجزائري معلناً تطوعه للجهاد في سبيل فلسطين والابقاء على عروبتها وحريتها.

وقد كان بين الحضور سعادة قنصل مصر في دمشق وعدد من النواب

والزعماء والعلماء ورؤساء الأحزاب والشباب القومي، وعندما أعلن افتتاح هذا الاجتماع التاريخي وقف الجميع عندما عزف النشيد الملكي المصري فالنشيد السوري فنشيد سمو الأمير ثم نشيد فلسطين العربية. وقد تبارى الشعراء والخطباء والهتافات العالية كانت تتعالى الى عنان السماء هاتفه بحياة ملوك وزعماء الدول العربية والأمين العام لجامعة الدول العربية وبحياة فلسطين حرة مستقلة وبسقوط قوى العدوان والاستعمار الأجنبي أياً كان نوعه وسقوط الصهيونية المجرمة.

وكانت أعلام الدول العربية ترفرف متعانقة وتصاوير ملوك وزعماء العرب هنا وهناك تبعث في النفوس نشوة النصر المؤكد لقضية العرب وسحق الصهيونية المعتدية».(20)

**تهجيرهم من فلسطين:**

لم يكد يكتمل قرن على بدء تهجيرهم من الجزائر عام 1847م حتى وجد الجزائريون أنفسهم يهجرون ويطردون من قراهم وممتلكاتهم في فلسطين اعتباراً من 1948/5/15م بعيد معركة الشجرة التي شارك فيها رجالاتهم لكنها حسمت لصالح العدو الصهيوني الذي بدأت عصاباته الارهابية مثل الهاجانا وشتيرن وغيرها عمليات طرد وتقتيل واسعة ووحشية في الوقت نفسه.

ووصل المهجرون الجزائريون حفاة عراة الى شرقي بحيرة طبرية والحولة ونهر الأردن وجنوب لبنان، وصلوا الى الأراضي السورية والأردنية واللبنانية. ولم يستقر بهم مكان، فمن قرية الى قرية ومن واد الى جبل، وكنت وقتها دون السادسة من عمري لكنني مازلت أتذكر تلك الأيام الأقسى من جهنم من جوع وعطش ومشي على الأقدام ومبيت في العراء.. هذا العذاب الذي لم يخف قليلاً إلا بعد سنوات حين ظهرت وكالة الغوث الدولية للاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة.. وبدأت الخيام تتصب لكنها سنوات زادت من عدد الأرامل والأيتام والثكالى فقد مات كثير من الرجال والنساء والأطفال بعوامل المرض والأوبئة والجوع والقهر النفسي أيضاً.

تفرق جزائريو فلسطين في هذه الفترة مابين الأردن حيث سكنوا منطقة اربد القريبة فالزرقاء وبعضهم وصلت بهم الهجوم الى عمان، وسورية حيث سكنوا الجولان والزويّة والسويداء وفي لبنان سكنوا الجنوب اللبناني خاصة منطقة صيدا وبعضهم وصل الى بيروت.

غير أنهم كعادتهم سرعان ماأعادوا تجمعهم في مناطق رئيسية لهم. ففي سورية سكن قسم منهم بلدة الحمة الفلسطينية القريبة من سمخ والتي تمكن الجيش السوري من الحفاظ عليها وعدم تمكين العدو منها. وقسم آخر ساعدته الظروف الأسطورية ليسكن دمشق.

فبينما كانت الشرطة السورية تشرف على نقلهم الى احدى المخيمات في سورية،

سمع الضابط حسين فرحات الجزائري الأصل بعضهم يتحدث باللهجة الشاوية فسألهم من أنتم فعرفوا أنهم من جزائري هوشة الفلسطينية الذين تعود أصولهم الى أم البواقي فأمر بنقلهم الى ذات المكان الذي استقبل آباءهم حين هجروا من الجزائر.. الى رباط المغاربة في حي السويقة الذي تشرف عليه جمعية المقاصد الخيرية المغربي التي هو من مؤسسيها فاتخذت الجمعية قرارها باسكانهم في غرف الرباط التي لاشك أنها أرحم من الخيام.

وأما أهالي قرية عولم الفلسطينية الذين تعود أصولهم الى سور الغزلان فأرسلت لهم الصدفة الأسطورية ذاتها وزيرا في الحكومة الأردنية من مغاربة القدس يدعى خلوصي الخيري فأسكنهم مساكن مشروع جسر المجامع ومنحهم أراض زراعية حوله وأبقارا وأغناما مقابل سحب بطاقات الاعاشة التي وزعتها عليهم الأمم المتحدة.

ومشروع جسر المجامع، هو المشروع الذي يعرف باسم روتنبرج وقد أقيم على مصب نهر اليرموك في نهر الأردن بقصد توليد الكهرباء في فلسطين، ولم يكتمل المشروع لأنه كان في الأساس موجها لخدمة الحركة الصهيونية فقاومه عرب فلسطين، دون أن يتمكنوا من ايقافه.. وكانت خدمات المشروع مثل المساكن العمالية قد أقيمت على الضفة الشرقية للنهر القريبة من بلدة الشونة الشمالية التابعة لمدينة اربد.. وهذه المساكن هي التي أعطيت لجزائريي عولم ومعظمهم من أولاد يونس من بلدة سور الغزلان.

وفي كل الأحوال فإن هذه التجمعات في السويقة والحمّة وجسر المجامع شكلت شيئا يشبه العنوان للمهجريين الجزائريين من فلسطين حيث بدت كجسور للتلاقي بين الأهل الذين تشتتوا من جديد.

وبقي الوضع في السويقة الى الستينات تقريبا حيث ظهر مخيم اليرموك قرب دمشق وبدأوا يتجمعون من كل المناطق تقريبا باستثناء الحمة التي ظلوا يسكنونها حتّى عام 1967 حين احتلت من جديد، وكذلك الأمر في مشروع جسر المجامع الذي غادروه الى اربد اثر القصف الصهيوني المركز عليه عام 1967 حيث كان منطلقاً للفدائيين الفلسطينيين.

وقدّم الجزائريون في سورية كل مساعدة ممكنة لاخوانهم الجزائريين المهاجرين من فلسطين، وخاصة في مجال الحصول على عمل وهنا يبرز دور الدكتور محمد المبارك الذي تعود أصوله الى دلّس وكان وزير للأشغال العامة حيث وظف العديد منهم في أجهزة البلدية، إذ كانوا بالاجماع تقريباً لايجيدون غير الفلاحة فلا مهن ولا تعليم يؤهلانهم لأعمل أكثر مردودية.

لكنهم سرعان ماتداركوا هذا النقص واتجهوا الى الحرف والتعليم ووصلت أجيالهم التي ولدت في دمشق الى مستويات تعليمية عليا، وقلّما تجد فيهم الآن من لايتقن حرفة أو حرفتين.

إنه يمكن القول أن المهجرين الجزائريين كانوا في الفترة التي أعقبت عام 1948

كمن فتحت عليه بوابات جهنم السبع.. ولعل الشيء الذي الذاكرة أن هؤلاء القوم وجدوا لديهم روحا لتقديم أنفسهم الى جبهة التحرير الووطني الجزائري ليتطوعوا كمجاهدين في صفوف جيشها حين طلبت ذلك، وأن يواصلوا العمل المسلح من أجل فلسطين في الوقت عينه وأن يدشنوا افتتاحية المشهد الثوري الفلسطيني مع الاصرار على جزائريتهم.. كما سنرى بعد قليل.

**العمل الفدائي 1948-1965:**

يبدو أنه إذا كان التاريخ الوطني الفلسطيني كجزء من حركة التحرر القومي العربي قد سجل للمهاجرين الجزائريين بصمت شرف أول صدام مع طلائع الاستيطان الصهيوني على أرض فلسطين في أوائل النصف الثاني من القرن الماضي، فإنه سجل لهم بصمت أيضا شرف بدء الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني في العقد الخامس من هذا القرن قبل اعلان الثورة الفلسطينية المعاصرة عام 1965.

فلقد هجر الجزائريون من فلسطين ثانية عام 1948 وهم أشد فقراً من سائر الفلاحين الفلسطينيين لعدة أسباب منها:

1. أنهم - أصلاً - أكثر فقراً من الفلاحين الفلسطينيين لقرب عهدهم بالهجرة (لم ينقطع سيل الهجرة الجزائرية حتى عام 1920 تقريبا) ولم تكن الفترة من عام 1852 حتى بداية عهد الانتداب البريطاني عام 1918 تساعد على استقرارهم الاجتماعي فضلاً عن المادي.
2. كانت قراهم طوال عهد الانتداب البريطاني هي الأكثر تعرضاً للمداهمات والتنكيل الانتقامي سواء من الجيش البريطاني أو عصابات الصهاينة على حد سواء.
3. كانت فلسطين كلها - وهم من ضمنها - واقعة تحت استنزاف وافقار مخطط مقصود عبر مجموعة من القوانين البريطانية الشكل الصهيونية المحتوى.

وحين تمت الهجرة من فلسطين في عام 1948 برز عنصر آخر جديد زاد في بؤسهم تمثل في عدم وجود أية امتدادات اجتماعية عشائرية أو سلطوية فاعلة يمكنها مساعدتهم على التخفيف النسبي من حجم الكارثة الواقعة بهم، فعائلة الأمير عبد القادر كان تأثيرها في أضعف حالاته. لكن مجموعة المهجرين من قرية هوشة بحيفا كانت تتحدث بلهجتها الشاوية أثناء قيام الشرطة السورية بترتيب تنقلاتها الى المخيمات.. فسمع ذلك الحديث الضابط حسن فرحات عضو جمعية المقاصد الخيرية المغربية الأصل فأسكنهم رباط المغاربة التابع لهذه الجمعية في حي السويقة بدمشق كما هوثابت من محاضر هذه الجمعية التي لدينا.

وفي هذه الفترة البائسة ظهر من جديد عبد الرزاق بن سعيد، فبعد أن فشلت اتصالاته بالمهجرين منهم الى شرقي الأردن، اتصل بالمهجرين الى بيروت ودمشق ليقدم لمجموعة المهجرين من هوشة باسم السفارة الفرنسية، باعتبارهم كانوا حتى تلك اللحظة

على التابعية الفرنسية ومعظمهم تعود أصوله الى البواقي، عرضا لبيع أراضيهم في فلسطين أو تبديلها بأرض في البقاع اللبناني أو في الجزائر.

قام رجلهم المعروف حمادي ارغيس على رأس مجموعة منهم بالاتصال بوزارة الداخلية السورية «مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين» وتحديداً بكل من المسؤولين سليم اليافي وموفق الجندي، وشرحوا لهما ماكان من أمر العرض والرفض وأبلغوهما بأن المهاجرين الجزائريين لايتنازلون لا عن هويتهم الجزائرية ولا عن أراضيهم في فلسطين.. فإذا كانت المسألة مسألة «هويتان» فالوطن وطن واحد فنصحهما هذان المسؤولان بابلاغ الرسول أنهم يطلبون العودة الى فلسطين.. وطبعا كان ذلك طلباً مستحيلاً وتم اثر ذلك تسجيلهم في مؤسسة اللاجئين الفلسطينيين التي أصبحت في وقت لاحق تابعة للأمم المتحدة، تسجيلهم كلاجئين فلسطينيين من أصل جزائري ويعرفون بهذه الصفة حتى الآن.

ثم اتصلت مجموعة حمادي ارغيس بوزارة الدفاع السورية «فوزي القطب وبرهان بولص» ليفتح هذا الاتصال واحدة من أنصع صفحات التاريخ النضالي في المنطقة. فقد كان المهجرون الجزائريون قد بدأوا منذ عام 1948 بالتسلل الى أراضيهم القريبة من الحدود السورية لاستخلاص مايمكن استخلاصه من بقايا مزروعاتهم وأشيائهم أو حيواناتهم التي استولى عليها الصهاينة، ويعرضون أنفسهم لمخاطر شديدة، يدفعهم الى ذلك البؤس الشديد من جهة وروح التحدي الوطني من جهة أخرى.

وكانت نتيجة اتصالات حمادي ارغيس وغيره من المهجرين الجزائريين بالمسؤولين السوريين أن تكونت فرقة العمليات الخارجية ثم كتيبة الفدائيين التي اتخذت من رسم القدس شعاراً لها وكانت برئاسة الضابط أكرم الصفدي.

لقد بدأ أبطال أفذاذ من المهاجرين الجزائريين من هوشة وديشوم وكفرسبت وغيرها، أمثال: حمادي ارغيس، ابراهيم بوزيد، عبد القادر ارغيس، عمر بوزيد، عمر العريفي، عبد الله الأخضر، مفلح سالم، وأبو علي الأخضر افتتاحية الكفاح الفلسطيني المسلح المعاصر، هذا الكفاح المجيد الذي ظهر - بعد ذلك مشهده الأول في تاريخ 1965/1/1 فقد نفذ أولئك الأبطال من المهجرين الجزائريين بصمت شديد عمليات بطولية مؤثرة في صفوف العدو.

لقد صنعت تلك العمليات الجريئة بداية التاريخ الناصع لحركة التحرر الوطني العربي في تلك الفترة، فمن جهة شدت تلك البطولات الجريئة غير المعلن عنها، من عزيمة الشعب الفلسطيني المكافح وأعادت له الثقة في نفسه، ومن جهة أخرى أفزعت اسرائيل، فاتخذتها ذريعة للاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر وواصل هؤلاء دربهم النضالي حتى بدأت الفصائل السرية الفلسطينية المسلحة بالظهور مما أفزع أيضاً الدول العربية ودعاها - حسب أقوال أدبيات تلك الفصائل - الى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964 بقصد احتواء تلك الفصائل.

ولم يتوقف دور المهجرين الجزائريين من القرى الفلسطينية في الخمسينات عند هذا الحد، فإنهم في عام 1958 حين بدأ الغزو الامبريالي يعود الى المنطقة من جديد من خلال نزول القوات الأمريكية في لبنان والقوات البريطانية في الأردن لبوا نداء الواجب القومي وعضدوا الفصائل اللبنانية المقاتلة ضد الانزال الأمريكي المؤيد للطائفية التي كان يتزعمها آنذاك كميل شمعون، كما أنهم في ذات الوقت سجلوا أسماءهم في سجل المتطوعين حين طلب اليهم مكتبهم «مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائري بدمشق» الذي قاده محمد الغسيري وعبد الحميد مهري، وظلوا في انتظار الايعاز لهم بالانتقال الى الجزائر، الأمر الذي لم يتم.

إن مشهد المهجرين الجزائريين في خمسينات هذا القرن لايختلف كثيراً عن مشهدهم في عشريناته أو حتى في أربعينات القرن الماضي بقيادة أميرهم عبد القادر الجزائري.. فهم في كل هذه المشاهد يحاربون الاستيطان الأجنبي والامبريالية العالمية والمتعاونين معها، كانوا جزءاً نشيطاً من حركة التحرر العربي بل في طليعة المدافعين عن التراب العربي مغرباً ومشرقاً على حد سواء. وكان من الطبيعي أن يفقد المهاجرون الجزائريون وبصمت بالغ عدداً من أبطالهم يستشهدون في الأرض الفلسطينية المحتلة أو يسجن بعضهم.

لقد تشكلت قوات العمليات الخارجية وكتيبة الفدائيين في معظمها من هؤلاء المهجرين الجزائريين، ويقول المناضل عمر محمد ارغيس مواليد «هوشة» بفلسطين وأصله من أم البواقي في الجزائر وهو يروي لهذا الكاتب ذكرياته عن تلك المرحلة:

«كان العمل الفدائي في الخمسينات بقيادة كمال الدين رفعت – الوزير المصري وعضو مجلس قيادة الثورة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر وذلك في منطقة غزة وأما في سوريا فبقيادة برهان بولص وأكرم الصفدي وهيثم الأيوبي، يجمع عدداً من شباب المهاجرين الجزائريين سواء من حدود الأردن «الغور الشمالي» أو من لبنان أو من سورية أو من غزة. وقد اعتبرت «اسرائيل» تلك العمليات حجتها في الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر 1956 كما اعتبرت بريطانيا تأميم قناة السويس حجتها في ذلك واعتبرت فرنسا تأييد مصر للثورة الجزائرية حجتها للقيام بذلك العدوان.

لكن العمل الفدائي الفلسطيني والعمل التحرري العربي في المشرق أصيب بنكسة الانفصال في عام 1961 وقد سجنت لمدة 6 أشهر بتهمة أنني «وحدوي» وكان ذلك من تاريخ 22 تموز – يوليو عام 1962 الى تاريخ 1962/12/10 في سجن المزة بدمشق ثم القلعة.

وكانت الثورة الجزائرية قد أنجزت مهمتها بالاستقلال، وكنت على صلة بقيادة الثورة الجزائرية من خلال المبعوثين والزوار الجزائريين إذ قابلت عدداً منهم مثل الكولونيل عمارة والكولونيل عمران والغسيري والهبري ومحمد القادري وغيرهم، وكنا

ننسق معهم.

ثم التقيت الضابط الفلسطيني في الجيش العربي السوري أحمد جبريل، المتخرج حديثاً من الكلية الحربية في مصر واتفقنا على تأسيس جبهة على غرار جبهة التحرير الوطني الجزائري أسميناها جبهة التحرير الفلسطينية وكان ثلاثة من سبعة في قيادة هذه الجبهة من الجزائريين.

أخذنا في تلك الفترة الحرجة (1962-1965) نتدرب في بيوتنا التي تراها أمامك هنا في حارة المغاربة - شارع بولعيد بمخيم اليرموك بدمشق، هذه البيوت التي تضم معظم المهاجرين الجزائريين من هوشة وديشوم ومعذر وغيرهم من القرى الجزائرية العشر وتجمعات سمخ وطبريا وغيرها في فلسطين وقبائلهم من أولادي سيدي ارغيس - أم البواقي واولاد سيدي عمر وأولاد سيدي خالد (منطقة البويرة) وأولاد سيدي عيسى (بلدة سيدي عيسى / المسيلة) وغيرهم، كنا نتدرب... وكانت أجهزة المخابرات العالمية والعربية بشتى أنواعها تخترق المخيمات بحثاً عنا.. هنا في هذه البيوت الغارقة في البؤس، كنا نتدرب فلسطينيون ومهاجرون جزائريون لا فرق ورعتنا جميعا أمهاتنا واخواتنا.

وكانت لهجتنا الجزائرية هي لغة الشيفرة التي يحذرنا بها أطفالنا حين يرون مشبوهين.. لقد كان ذلك ولايزال واجبنا، وفي أواسط الستينات ظهرت فصائل فلسطينية أخرى ومنها فتح التي دخلنا معها حواراً توحيدياً لإعلان الثورة الفلسطينية المعاصرة حيث بدأت مرحلة جديدة في الكفاح الفلسطيني مختلفة تماماً.

ويضيف عمر ارغيس:

كنا في ذلك الوقت «جبهة التحرير الفلسطينية وحركة فتح» قد خطونا خطوات وحدوية ومن بينها قيادة مرحلية مؤقتة أذكر أنه كان من بين أعضائها عثمان حداد وعلي بوشناق وأحمد جبريل عن جبهة التحرير الفلسطينية ويوسف عرابي وخليل الوزير «أبو جهاد» وآخرون عن فتح، ولما لم يتم التوحيد ذهبت الى الأخ ياسر عرفات في مقره السري آنذاك في منطقة الأزبكية بدمشق، وسألته عن توقف هذه المحادثات الوحدوية برفقة أحمد جبريل ويوسف طبل وفرح ارغيس، ففهمنا أن السبب يعود لاختلاف الطرفين حول البند المالي.

**الثورة الفلسطينية المعاصرة 1965-1993:**

على كل حال فإن تعثر المحادثات الوحدوية لم يمنع أي طرف من الطرفين من مواصلة نضاله فأعلنت فتح الثورة في 1965/1/1 عبر عملية عسكرية قامت بها في عيلبون، وأعلنت جبهة التحرير الفلسطينية الثورة في 1965/4/11 عبر عملية قامت بها في ديشوم احدى القرى الجزائرية قرب الحدود اللبنانية وكذلك في عمليات عبر الضفة الغربية وقطاع غزة.

ويقول عمر ارغيس:

«وكنت أذهب سراً من سورية الى الأردن – الضفة الغربية وتحديداً الى منطقة الشونة الشمالية حيث جسر المجامع الذي يسكنه مهاجرون جزائريون من أهالي عولم بفلسطين هاجروا اليها من سور الغزلان، والى جنين حيث المناضل الحاج وحش ارغيس الذي انتقل اليها من لبنان والذي كان يذهب سراً الى فلسطين المحتلة عام 1948 وخاصة الى منطقة الناصرة ومرج ابن عامر ويقوم بتنظيم الخلايا. الى أن تم اعتقالي مع بعض اخواني المناضلين في الأردن لمدة 6 أشهر قضينا منها (45) يوماً في سجن العبدلي و(20) يوما في سجن المحطة والباقي في سجن الزرقاء، أضربنا خلالها مرتين عن الطعام. الأول لمدة (9) أيام، والثاني لمدة (11) يوماً، أعلنا خلالها طلبات سياسية كثيرة من بينها فتح الحدود العربية للعمل الفدائي الفلسطيني، وقد حكم علينا (دون أن نمثل أمام أي قاضي أو أية محكمة) لمدة (6) أشهر، انتهت في نيسان – ابريل – عام 1966، حيث عدت لممارسة النشاط العسكري والقيام بالعمليات الفدائية مع بعض اخواني في الجبهة، وفي نفس الوقت كان الأخوة في فتح يقومون بعملياتهم حتى نكسة حزيران عام 1967، وبعدها دخل العمل الفدائي والثورة الفلسطينية طوراً جديداً وعلنياً».

ما أن حلت نكسة 1967 حتى نهضت فصائل الثورة الفلسطينية المعاصرة وكان المهجرون الجزائريون قد انضموا بكثافة الى جيش التحرير الفلسطيني الذي أسسته منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة أحمد الشقيري عام 1964 وبنفس الوقت يشاركون في عمليات هذه الفصائل السرية وأهمها في الفترة التي سبقت نكسة 1967 فصيلا فتح وجبهة التحرير الفلسطينية. وبعد 1967 ظهرت قوات الصاعقة وقد انضم اليها أيضاً بعضهم سواء من الأردن أو من سورية أو من لبنان. كما بدأت بنفس الوقت حالات من الصراع والشرذمة بين هذه الفصائل التي كثرت وتوالدت توالد الأرانب، وانضمت جبهة التحرير الفلسطينية التي يتزعمها أحمد جبريل والتي يشكلون جسمها العسكري الأساسي الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزعامة الدكتور جورج حبش ثم انفصلت جبهة التحرير الفلسطينية لتعرف باسم الجبهة الشعبية /القيادة العامة وظل أحمد جبريل على رأسها ثم انفصل قسم آخر من هذه القيادة العامة بزعامة أبو العباس وعاد الى الاسم القديم جبهة التحرير الفلسطينية.

وقد ظل المهجرون الجزائريون في غالبيتهم يناضلون مع عدة فصائل مثل جيش التحرير الفلسطيني وشخصيتهم البارزة فيه الضابط عدنان العالم ومع قوات الصاعقة وشخصيتهم البارزة فيها الشهيد سعيد محاد وأما حركة فتح فشخصيتهم البارز فيها الكاتب يحيى يخلف وأما شخصيتهم في الجبهة الشعبية /القيادة العامة فهو محمود قوجيل.

وشارك الجزائريون في عمليات الثورة الفلسطينية ومعاركها سواء داخل فلسطين المحتلة أو في الأردن ولبنان وقد قدموا العديد من الشهداء والعديد من الأسرى أيضاً.

ولعله من الطريف أن نذكر أن بعض هؤلاء المجاهدين وجدوا أنفسهم على أرض وطنهم الأم الجزائر حين تم نقلهم من بيروت عام 1982 يأبى إلا أن يؤكد بأن الوطن واحد.

وقد شهدت هذه المسيرة الكفاحية منذ عام 1967 نفس ماشهدته المسيرة التي انتهت عام 1948 انضمام عدد من المجاهدين الجزائريين من الوطن الأم الجزائر الى المنظمات والفصائل الفلسطينية واستشهدوا في اطارها وبعضهم من قدماء المجاهدين في الثورة الجزائرية نفسها. ولعل أشهرهم الشهيد أحمد بوديه الذي اغتالته المخابرات الصهيونية في أوروبا في السبعينات. عدا عن مشاركة الجيش الوطني الشعبي الجزائري في معارك 1967 و 1973 وتقديمه الشهداء من مختلف المراتب.

وكان قد حدثني الدكتور علي زغدود الضابط السابق في جيش التحرير الوطني الجزائري أن بعض الفلسطينيين كانوا قد عملوا تحت امرته في هذا الجيش وبعضهم التحق بعد استقلال الجزائر وظهور الفصائل الفلسطينية.. بهذه الفصائل.. فهل هناك أبلغ عن الدم دليلاً على الوحدة.

ولعل تفاصيل هذه المرحلة واختلاط الدم الجزائري والدم الفلسطيني سواء عبر الجزائريين في الوطن أو في المهجر منذ الاستقلال وحتى اليوم هو في وثائق الدولة الجزائرية وأرشيفها الوطني، وسيكون جميلاً لو أن مؤرخاً أو باحثاً جزائرياً يقوم بدراسة هذه المرحلة خاصة وأن الجيش الوطني الشعبي فتح مستودعات أسلحته للفلسطينيين وتم تدريب الآلاف منهم في معسكرات هذا الجيش فضلاً عن المشاركة السياسية والاعلامية والدعم المالي الذي قدمته الجزائر. ولعله من الجميل أن نرى داخل المنظمة الوطنية للمجاهدين الجزائريين فرعاً أو قسماً للمجاهدين الجزائريين في فلسطين سواء كانوا من الوطن الأم أو من المهجر.

## الهوامش

1. الموسوعة الفلسطينية / القسم الأول ص941.
2. أفنيري، أريه، ل: دعاوى نزع الملكية – الاستيطان اليهودي والعرب 1878–1948، ترجمة بشير البرغوثي، عمان ص19.
3. نفسه ص83.
4. نفسه ص.186
5. نفسه ص96.
6. نفسه ص187.
7. كوندات، وليم.ب: الثورة والقيادة السياسية الجزائري 1954–1968 ومن ذكر اسم المترجم، دمشق 1981 ص280.
8. انظر صورة مرسوم منح الجنسية السورية لهذه العائلة الذي ينص على أنها من التابعية الجزائرية حتى تاريخه.
9. الجندي، مجلة يصدرها جيش التحرير الفلسطيني في سورية تاريخ 1983/1/25.
10. قاسمية، د. خيرية: المواجهة الاقتصادية مع الصهيونية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق العدد المزدوج 36/35 تاريخ مارس – جوان 1990.
11. الجزائري، الأمير محمد سعيد: مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الاسلامي – الجزائر 1968 ط2 عدة صفحات.
12. زعيتر، أكرم: يوميات أكرم زعيتر الحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939، ص267 بيروت 1980، ط1 ص577.
13. الحوت، بيان نهويض اعداد /وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية من أوراق أكرم زعيتر/ بيروت 1979، ص.
14. نفسه ص597.
15. يوميات أكرم زعيتر، مصدر سابق ص579.
16. الحوت، بيان نهويض، مصدر سابق ص543.
17. نفسه ص552.
18. الافريقي، محمد طارق: المجاهدون في معارك فلسطين 1367–1948، دمشق 1951 ص149.
19. الموسوعة الفلسطينية، القسم الأول المجلد الرابع، حرف هـ، ط1، 1984 ص550.
20. الجزائري، الأمير محمد سعيد: مصدر سابق عدة صفحات.

## الفصل الثالث

# دور المهجريين الجزائريين في الحياة العقلية للشام

مد:

قام المهجرون الجزائريون بتتابع أجيالهم بدور واسع في الحياة العقلية للمشرق العربي بعامة والشام بخاصة، وهو دور مشهور ومعترف به من طرف جميع المصادر.

ففي هذا الدور أخذ الجزائريون على عاتقهم مقاومة سياسة التتريك ونشر اللغة العربية على أوسع نطاق ممكن، حتى أصبح استعمال اللغة العربية في الإدارة التركية مطلباً سياسياً للأحزاب والقوى القومية، وقد نشروها على نطاق جماهيري واسع بعكس مافعلته الارساليات الأوروبية حيث حصرت اللغة العربية في النخبة المسيحية بينما أوصل الجزائريون اللغة الى الأرياف في سورية وفلسطين ولبنان عبر المدارس الدينية والعصرية التي برعوا في تأسيسها.

كما أننا نجدهم في هذا الدور قد وقفوا في وجه البدع والطرق الصوفية التي كانت تخدم الاحتلال العثماني وليس الدين نفسه إذ لايمكن أحد أن ينكر أن الذي أدخل المفاهيم العلمية الحديثة والمفاهيم الوطنية على الدراسات الدينية هم الجزائريون من أمثال الشيخ طاهر الجزائري وبن يلس والهاشمي، بل أن الشيخ محمد المبارك وقف متحدياً الذين ينادون بعدم تعليم الفتاة وأسس مدرسة لتعليم البنات يدرس فيها الى جانب الدين واللغة العربية علوم الرياضيات واللغة الفرنسية واللغة العثمانية أما الشيخ طاهر الجزائري فهو الذي أقنع الوالي العثماني مدحت باشا بإدخال التعليم العصري الى الشام فكانت مدرسة عنبر، وهو الذي أسس أول مكتبة وطنية وجمع الكتب والمخطوطات من المساجد والزوايا... ولاتزال هذه المكتبة قائمة الى اليوم.

وقد امتد دور الجزائريين في الحياة العقلية للشام الى تأسيس المدارس وتأليف الكتب في العديد من نواحي المعرفة التي كانت معروفة آنذاك.

**تأسيس المدارس:**

من الثابت لدينا أن المهجرين الجزائريين لم يضيعوا وقتهم، فمنذ لحظات وجودهم الأولى في دمشق بدأوا دورهم في المساجد ذاتها وفي المدارس الملحقة بها أو تلك المدارس والزوايا المنفصلة منها، ومنهم من كانت له أكثر من حلقة تدريس مثل الأمير عبد القادر الذي كان يعطي دروساً في المسجد الأموي وفي المدرسة الجقمقية وفي دار الحديث وفي منزله أيضاً.

وقد شرع المهجرون الجزائريون في نفض الغبار عن تلك المدارس التي خلت من تلامذتها ومدرسيها بل وصارت تستعمل لغير أغراض العلم ومن أمثلة ذلك أن الأمير عبد القادر فض نزاعاً كان قائماً حول احدى المدارس التي اشتراها رجل نصراني وحولها الى خمارة فاعترض شيخ يدعى يوسف المغربي فوقفت السلطة العثمانية الى جانب الشاري رغم تهديد هذا الشيخ بالهجرة من البلاد إذا تم الأمر، فقام الأمير عبد القادر بشراء المدرسة من النصراني بأضعاف سعرها وأعادها مدرسة كما كانت وصار مدرساً فيها.

ومن الأمثلة المتأخرة أيضا أن زاوية الصمادية كانت قد تحولت الى مخزن للتبن كما تعلمنا بذلك جريدة المقتبس فمنحتها السلطات العثمانية الى الشيخ محمد بن يلس الذي أعادها مدرسة دينية تخرج فيها كثيرون.

لقد شمر المهجرون الجزائريون منذ لحظاتهم الأولى عن ساعد العمل فأحدثوا في دمشق ذلك الانقلاب الثقافي الواسع فقد تحلق الدمشقيون حول الشيخ محمد مهدي السكلاوي في الزاوية الخيضرية ومن بعد حول تلميذه محمد المبارك، وحول محمد بن عبد الله الخالدي في دار الحديث وأما الحاج محمد الخروبي القلعي والشيخ صالح بن أحمد السمعوني فقد انتفع بهم خلق كثير.

لقد أعاد المهجرون الجزائريون الحياة الى كثير من الزوايا كما أعادوا للمسجد دوره التعليمي كما في جامع الجراح بالحيواطية وجامع الدرويشية وجامع العناية وجامع البريدي وغيرها من الجوامع والمساجد.

ثم أسس محمد المبارك المدرسة الريحانية التي أصبحت احدى مدارس دمشق المشهورة وأخرى في الحيواطية فأضاف الى ألقابه لقب ناشر العلم والتعليم وأسس ولده محمد بن محمد المبارك مدرسة النهضة العلمية الصباحية والمسائية التي كانت تدرس اللغتين الفرنسية والعثمانية والعلوم الحديثة جنباً الى جنب مع العلوم الدينية وكذلك فعل سعيد الينيوي الذي قام بعمل جليل استفادت منه بلاد الشام كلها، فإنه لما آنس ذكاء بعض تلاميذه عمد الى بيع بستان له في منطقة المجتهد وأرسلهم الى استانبول فتخرج من بينهم علماء أفذاذ.

كما أن الشيخ محمد شريف اليعقوبي الذي أنشأ عدة مدارس في دمشق بالاشتراك مع آل مبارك مد نشاطه الى بيروت ولبنان فبنى كثيراً من المساجد في العديد من القرى وخاصة جنوب لبنان وضواحي بيروت وأقام ثانوية شرعية بقصد تخريج الأئمة وهذه الثانوية هي نواة جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية القائمة حتى اللحظة في بيروت وقد ساعده في ذلك بالطبع بعض رجالات لبنان وخاصة الشيخ القباني صاحب ثمرات الفنون.
كما أن الشيخ الهاشمي فتح مدرسة الارشاد والتعليم وغيره كثير من المهجرين الجزائريين الذين فتحوا عدة مدارس.

وإذا كانت دمشق تحفظ للمهجرين الجزائريين جهدهم في اعادة الدور التعليمي

للمسجد ونفض الغبار عن المدارس القديمة المهملة وتأسيس المدارس الدينية، فإن كتابها يفخرون ويعتزون بدور هؤلاء المهجرين في فتح المدارس العصرية الحكومية لأول مرة في تاريخ بلاد الشام، حيث يفتخر مؤرخو دمشق في القرن العشرين بالشيخ طاهر الجزائري الذي أقنع في القرن التاسع عشر الوالي التركي مدحت باشا بأن يعتمد عليه وعلى الجمعية الخيرية في دمشق بفتح المدارس ففعل الرجل الذي كان صدراً أعظم للسلطان عبد الحميد وكان اصلاحياً كبيراً، فاندفع الشيخ طاهر بتأسيس المدارس في كل من سورية وفلسطين وتغلب بحنكة وسرعة على كل المستفيدين من الجهل الذين عارضوا مشروعه خاصة بقايا تلك العائلات التي كانت تعارض مشروعه في نشد العلم بين الناس، فاستولى على كل الأبنية المهملة أو التي كانت مدارس فاستعملت لغير مابنيت له وأعاد لها دورها وفتح مدارس جديدة.

ورفد هذا الجهد بجهد آخر هو انجازه العديد من الكتب للتلاميذ وللمدرسين.. وإذا كان جهد الشيخ طاهر الجزائري في هذا الميدان عظيماً ويبعث على الاعتزاز فإنه لم يكن بلا ثمن، لقد دفعت الأمة كلها ثمن هذا الجهد وأول الغارمين كان الشيخ نفسه فإنه لم يتمكن من انجاز مؤلفات تتفق وغزارة علمه وقد قال عنه صاحب «نفحة البشام في رحلة الشام» (الأستاذ الأوحد والعلامة الأمجد الشيخ طاهر أفندي الجزائري المغربي مفتش جمعية المعارف بولاية سوريا السنية حالاً وهو من الذكاء والفطنة على جانب عظيم وبواسطته تقدمت المعارف والمدارس في الولاية الى الغاية، فقد سعى في تمهيد طرق التعليم بأحدث الطرق السهلة في التفهيم حتى أنه جمع كتباً سهلة المأخذ من فنون شتى كالأدب والطبيعة والتاريخ وغيرها لتكون أقرب لفهم المبتدئين من التلامذة».(1)

وأعتقد أنه عليّ هنا واجب القول أن القرى الجزائرية في الشام (سورية وفلسطين) كانت قد استفادت استفادة هامة من حركة الشيخ طاهر الجزائري حيث أنه أسس في كل قرية منها مدرسة أغارت عليها السلطات بعده - خاصة السلطات البريطانية في فلسطين وأغلقتها في عملية لا تحتاج الى كثير من الذكاء لمعرفة أسبابها...

وقد سار على درب الشيخ طاهر من بعده الأستاذ أحمد الهاشمي الذي نذر نفسه لعلم الرياضيات حتى سماه الأتراك أحمد جودت الرياضي أي أحمد الرياضي الجيد ونذر نفسه لتطوير وتوسيع وزارة المعارف السورية التي ظل أمينها العام ردحاً من الزمن، وكان يرفض منصب الوزير الذي عرض عليه أكثر من مرة ليتمكن من مواصلة جهده وقد سميت احدى ثانويات دمشق باسمه ويقول عنه الفرفور في كتابه:

«عالم بالرياضيات، درّس بالمدارس التجهيزية بدمشق، وتولى الأمانة العامة لوزارة المعارف السورية وتوفي في دمشق، ألف كتباً في الرياضيات بعضها وحده وبعضها مع زملائه وكان فيها مجلياً وسميت المدرسة التجهيزية الكبرى بدمشق باسمه تخليداً لذكراه»(2) وكان أحمد جودت الهاشمي من مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية

المغربية بدمشق وكان يتمنى أن يعود للجزائر وهو على أرض الجزائر يحضر احتفالات الاستقلال الأولى يقول القاسمي:

«كان أعظم مثال للمجد الكامل وما كانت الرياضيات التي قضى معظم حياته يدرّسها، هي التي فرضت عليه هذا الجد الذي خلق منه، والجبلة التي ركب منها، عاش للعم وحده، ولم يعرف عنه لهو، وربما لعب الشطرنج أحياناً».(3)

ويجب أن نذكر هنا بحروف ساطعة أن أحمد جودت الهاشمي بعد تخرجه رفض العمل في استامبول وأصرّ على دمشق، وكان ضد سياسة الدولة العثمانية في ابعاد الكفاءات عن دمشق، فأرسلته الى بيروت كنوع من العقوبة، فدرس في مدرسة المقاصد الخيرية، ثم في مدرسة الصلاحية بالقدس في فلسطين، وأخيراً عاد الى دمشق بعد انحسار الحكم التركي وصار مدرساً فمديراً لمكتب عنبر (المدرسة الثانوية الوحيدة بدمشق آنذاك) وحين وضعت فرنسا مناهج وزارة المعارف وألغت تدريس الرياضيات باللغة العربية وفرضت تدريسها بالفرنسية بدعوى أن اللغة العربية ليست لغة علم، ونفتقر الى المصطلحات الرياضية (نفس مقولاتها في الجزائر) قام بتوجيه ضربة ساحقة لهذا التوجه الفرنسي، فألف كتب الرياضيات باللغة العربية، واستعاد المصطلحات العربية القديمة في الرياضيات ونحت مصطلحات جديدة، فقوّض المساعي الفرنسية بفرنسة سوريا كما قوّض الشيخ طاهر المساعي التركية بتتريكها، وكان عبد القادر المبارك قد عرّب مع آخرين المصطلحات الادارية والعسكرية مع مطلع الحكم العربي في دمشق.

وكانت السلطات الفرنسية قد عيّنت أحمد جودت الهاشمي مديراً للمعارف في أواخر حزيران 1942 رضوخاً لمطالب المدرسين السوريين الذين شنوا اضراباً. وقد لقي تعيينه في هذا المنصب صدى واسعاً من الارتياح، كما نشرت ذلك صحف دمشق مثل الانشاء والأيام تاريخ 27 حزيران 1942. وحين وفاته أبّنته دمشق كلها وعلى رأسها وزارة المعارف كما نشرت صحف الفيحاء والمنار وغيرها بتاريخ 29/نيسان/1955 وفي تواريخ لاحقة نبذات عنه. كما أبّنه الشعراء، وقرر مجلس المعارف الأعلى بقراره رقم 335 تاريخ 1955/4/5 اطلاق اسمه على مدرسة التجهيز الأولى والتي كانت «مكتب عنبر» في العهد التركي وكان مديرها في العهدين، ليصبح اسمها «ثانوية جودت الهاشمي» ونشرت جريدة البعث بتاريخ 1965/11/22 ذكريات لأحد المثقفين السوريين «صميم الشريف» عن المواقف الوطنية لأحمد جودت الهاشمي ضد الاحتلال الفرنسي.

ولأن هذه الأمة العربية أمة واحدة تشاء الأقدار أن يلتحق خلال الثورة الجزائرية ومطلع الاستقلال، تلامذة جزائريون بهذه الثانوية التي حملت اسم الجزائري أحمد جودت الهاشمي، ومنهم صديقي المهندس الجزائري محمد حسين طولبي وصديقي الأستاذ علي بوصبيع.

ويتحدث القاسمي في كتابه «مكتب عنبر» عن أساتذته في هذه المدرسة ومنهم من

الجزائريين عدا عن أحمد جودت الهامشي مدير المكتب محمد علي الجزائري المهجّر الجزائري الذي شغل كما يقول القاسمي منصب وزير للمعارف في أفغانستان ويقول أنه كان أيضاً عالماً بالرياضيات، وخاصة منها الجبر القديم ومنهم الشيخ عبد القادر المبارك الذي تعرفه دمشق كلها.(4) وأود أن أتساءل ألا يثير وجود وزير معارف جزائري في أفغانستان روح البحث عن البعض؟

لقد أسس المهجرون الجزائريون الكثير من المدارس من جهة وامتهنوا مهنة التدريس الحكومي والديني في العديد من المدارس والجهات. وأما في حي السويقة - بعد حي الحيواطية - فقد أسسوا في رباط المغاربة التاريخي الذي كان مقر اجتماع الأمير عبد القادر بهم، مدرسة دعوها مدرسة ابن خلدون وكانت تشرف عليها جمعية المقاصد الخيرية المغربية وتمنح التلاميذ الفقراء الكتب والملابس وقد تخرج فيها عدد لابأس به من التلاميذ الذين أكملوا دراساتهم العليا في الخارج وصاروا من رجالات سورية المعروفين.

كما تجدر الاشارة الى أن تعليم الفتيات في سورية إذ انطلق من مدرسة محمد المبارك «النهضة العلمية» فإن السيدة عادلة بيهم الجزائري زوجة حفيد الأمير (مختار بن محمد بن عبد القادر الجزائري) هي التي رسخت هذا الخط في مدرستها «دوحة الأدب» وتعتبر عادلة من رواد الحركة النسائية الوطنية في المشرق العربي وقامت بدور سياسي في هذا الميدان في المؤتمر النسائي العربي.(5)

وأعتقد أن علي في هذا المكان أن أشير الى جهودهم في نشر المعرفة الدينية من خلال مئات الكتب والرسائل الدينية التي أصدروها والتي لم يجمع الكثير منها بعد ولكن بين أيدينا مجموعة مهمة من الكتب المطبوعة فضلاً عن كتب الأمير عبد القادر نفسه مثل المواقف، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، المقراض الحاد، هناك كتب محمد المبارك منها نظام الاسلام، الاسلام والفكر العلمي، الفكر الاسلامي الحديث، وكتب جواد المرابط منها: التصوف والأمير عبد القادر، فتوى الفندلاوي وفقهها، المختار من أحاديث سيد الأبرار، وهناك قائمة كتب ابراهيم اليعقوبي ومخطوطاته. وسأشير الى كتب هؤلاء وغيرهم في فقرة لاحقة.

أما في فلسطين، فقد عمدت - كما أشرنا - سلطات الانتداب البريطاني الى اغلاق المدارس الابتدائية التي افتتحها الشيخ طاهر الجزائري ابان ولاية مدحت باشا في القرى الجزائرية في الجليل، فعمد الجزائريون الى أن يظل المسجد فاتحاً أبوابه يستقبل التلاميذ على مدى النهار فتدخل مجموعة من التلاميذ مع معلمها فتنصرف المجموعة التي سبقتها، وقد نجح هذا الأسلوب في التقليص من أمية الحرف المطلقة بين جزائري فلسطين قياساً بمن جاورهم من القرى الفلسطينية في تلك الفترة.

لقد توارث المهجرون الجزائريون حب العلم والتعليم ولايزال للمدرس عندهم بقايا

من حظوة يفتقدها المدرسون اليوم في الشرق العربي كله لذلك رأيناهم يندفعون بحماس شديد نحو السفارة الجزائرية في دمشق اثر اعلان الاستقلال وبدء عملية التعريب وساعدهم في ذلك الديبلوماسي الجزائري محمد سعيد الشريف. وقد بقي كثير منهم في الجزائر باعتبارها الوطن الأم وبعضهم استعاد جنسيته الأصلية وعاد الى أهله وذويه بعد طول شتات. إن رغبة الجزائريين في مهنة التدريس والدراسة تستحق في نظري أن تُحفز وتستفز بشتى صنوف التحفيز والتشجيع والاثارة.. إنها صمام الأمان الأبدي لكل مجتمع ولكل فرد يريد أن يتطور شخصاً ووطناً.. لقد فهم ابن باديس هذه الرغبة لدى شعبنا الجزائري فانظر ماذا فعل -جزاه الله كل خير. ففي أوائل هذا القرن أتم في الجزائر الرسالة التي بدأها في الشام أواخر القرن التاسع عشر الشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله. ولذلك يعد ابن باديس ثالث الثلاثة: محمد عبده في مصر والطاهر الجزائري في الشام وابن باديس في المغرب.

**الآداب والتاريخ والعلوم الانسانية:**

كما يبرز دور المهاجرين الجزائريين في الآداب والعلوم الانسانية في التاريخ حيث تذكر لنا المصادر أربعة من المؤرخين هم صالح السمعوني الذي لم أعثر بعد على كتابه في التاريخ الذي تحدث عنه البيطار، والثاني أحمد بن محي الدين شقيق الأمير عبد القادر الذي طبع له تاريخ عن «كيف دخل الفرنسيون الجزائر».

وأما المؤرخ الثالث ولعله الأهم هو محمد بن الأمير عبد القادر الذي أنجز كتاباً عن والده بعنوان «تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر» وهو أحد أهم الكتب التي تؤرخ للأمير عبد القادر والمقاومة الجزائرية.

أما المؤرخ الرابع فقد برز في القدس وهو القاضي مجاهد مسعود مجاهد الذي اختص بكتابة تاريخ الجزائر خاصة خلال الثورة الجزائرية.

وكذلك يمكن بشيء من التجوز اعتبار الأمير محمد سعيد بن علي بن عبد القادر من كتاب التاريخ حيث أنه اهتم باصدار كتب عن والده الأمير علي ثم كتب مذكراته التي عنوانها مذكراتي عن القضايا العربية التي صدرت في طبعتها الأولى ببيروت والثانية في الجزائر.

أما الشخص الخامس والمهتم بجانب الآثار من التاريخ فهو الأمير جعفر بن الأمير طاهر بن الأمير أحمد والذي درس علم الآثار في فرنسا وتولى منصب مدير الآثار والمتاحف في سورية وقدم في ميدانه عدة دراسات آثارية واكتشف آثاراً في تدمر وبصرى وأنشأ ثلاثة متاحف في دمشق وحلب وتدمر.

كما أنه حقق ونشر مخطوطاً مهماً هو «كتاب الدارس في تاريخ المدارس» للنعيمي.

وظل الأمير جعفر يشغل حتى وفاته عام 1970 منصب نائب رئيس المجمع

العلمي في دمشق وأدخل الى المجمع عدة اصلاحات تحدثت عنها الكتب التي تناولت تاريخ المجمع، قال عنه أحمد قدامة في معالم وأعلام:

«أنشأ متاحف دمشق وحلب وتدمر، وكشف خرائب تدمر، ومسرح بصرى، وقصر الحير العربي، ومثل سورية في مؤتمر الآثار الدولي في القاهرة، وترأس وفد المجمع العلمي الذي دعي لزيارة الاتحاد السوفييتي. من آثاره العلمية باللغة العربية دليل مقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق، تحقيق ونشر كتاب الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي في مجلدين، مقالات وأبحاث ومحاضرات كثيرة نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي وغيرها من المجلات العربية، بعد من سنوات معجما جغرافيا تاريخيا للقطر السوري».(6) وله بالفرنسية عدة رسائل عن الآثار السورية والنقود الاسلامية وغيرها.. وكذلك الأستاذ هاني المبارك أستاذ التاريخ في دور المعلمين وثانويات دمشق والجامعات الليبية والسعودية، وكذلك محمد سعيد شريف أبو يعلى الزواوي عضو جمعية العلماء المسلمين في الجزائر الذي كتب خلال وجوده في دمشق كتابا بعنوان «تاريخ الزواوة» وقد طبع الكتاب في دمشق سنة 1340 هـ على نفقة أحد رجال الجالية الجزائرية فيها وكان الزواوي صديقا للشيخ طاهر الجزائري إذ يقول الزواوي:

«ولما اجتمعت به بمصر وسكنا معا مدة خمسة أعوام تقريبا كلفني بتحرير مقالات كثيرة وبتأليف في النحو وآخر في الزام الشبان الأصحاب التدين وألح عليّ في اثبات مذكراتي ونظراتي في السياسة وكان معجبا بها شهادة الاخوان الشاميين والمصريين الذين هم بقيد الحياة، وكان يرسل اليّ شبان من تلاميذه وخواصه لتلقي المواعيظ والارشادات الى غير ذلك..».(7)

ولست أدري إذا كان من الممكن اعتبار الشهيد سليم المسعوني من المؤرخين، فبالإضافة الى كتابه في المنطق فإنه دوّن تاريخا مخصوصا في حادثة رمضان الشهيرة بدمشق التي كاد يقتل فيها الشيخ رشيد رضا حيث يقول صاحب منتخبات التواريخ: «وقد دوّن لهذه الحادثة أحد الأفاضل سليم بك الجزائري تاريخا مخصوصا بها وطبعه في مصر..».(8) غير أني لم أقف على هذا التدوين بعد.

كما يبرز الشيخ محمد الهاشمي في مؤلفاته الدينية مثل معراج التشوف الى حقائق التصوف، ومفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة، وشرح شطرنج العارفين للشيخ محي الدين بن عربي، أما الشيخ ابراهيم اليعقوبي فقد ترك مكتبة كاملة في المؤلفات الدينية واللغوية إذ بلغت كتبه المطبوعة حوالي عشرة كتب بين مؤلف ومحقق ومثلها في الكتب المخطوطة وقد أوردناها في فهرسته.

وأما في القصة القصيرة والرواية فقد برز منهم السيد يحيى يخلف حيث قدم في القصة المهره، نورما ورجل الثلج وقدم في الرواية «نجران تحت الصفر»، «تفاح المجانين» وغيرها كما أنه أثرى الصحافة العربية بمقالات أدبية وسياسية كثيرة.

وكذلك كاتب هذا البحث الذي قدم في الرواية «دلال عاشقة البحر والزيتون» و «الرقص من أول السطر» وفي النقد الأدبي قدّم «الرواية العربية في الجزائر» «الكتابة على جبين الشمس» - دراسة في رواية الحرب العربية 1967 - 1977 وغيرها.

وأما في مجال الشعر فيمكنني القول أن معظم المهجرين الجزائرين الأوائل وعلى رأسهم الأمير عبدالقادر هم من الشعراء الكبار وكذلك الأجيال اللاحقة.. مثل الأمير عز الدين الجزائري والأمير محي الدين(9) والشيخ طاهر الجزائري وغيرهم كثير.

على كل حال فإن هناك عدداً من الأدباء شعراء وقصاصين ودارسين ينضوون في اتحاد الكتاب العرب بدمشق واتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين كأعضاء كاملي العضوية.

وفي الدراسات الفلسفية برز الدكتور أسعد عربي درقاوي المحاضر في جامعتي دمشق والجزائر ووزير الثقافة الأسبق في سورية حيث اهتم بالفلسفة الألمانية فأصدر دراسة في المعطى المحض في فلسفة برجسون وترجم له كتاب «المادة والمذاكرة» وراجع ترجمة لكتاب «الفكر الألماني».

وفي المنطق ترك الشهيد سليم السمعوني الجزائري كتابه في المنطق الموسوم (ميزان الحق).

**الصحافة والفن والترجمة:**

يعرف الباحثون في صحف بلاد الشام أن أقوى صحيفة عربية مناوئة للاستبداد التركي الطوراني كانت صحيفة المفيد التي أسسها الشهيد عبد الغني العريسي في بيروت تلميذ الشيخ طاهر السمعوني الجزائري، ويعرفون أن أبرز كتاب الافتتاحية في هذه الجريدة كان الشهيد العقيد سليم السمعوني الجزائري.. ولم تكن افتتاحيات سليم السمعوني هي النشاط الصحفي السري الوحيد للمهجرين الجزائريين فقد كان لهم نشاط صحافي سري وعلني دؤوب في العديد من صحف بلاد الشام.. لذلك ظهر منهم العديد من الصحافيين فالأمير سعيد مثلاً اعتبره مترجموه من الصحافيين ويبدو أن هذا الرجل الذي لم يفصح في مذكراته عن تفاصيل ومواقف كثيرة في حياته، كان على صلة واسعة بصحفيي عصره ليس في الشام وحسب بل وفي مصر وبلدان المغرب العربي وخاصة الجزائر وكان يكتب المقالات في العديد من هذه الصحف، وهو بالمناسبة كاتب رفيع المستوى نظراً لثقافته العالية، لكن تصنيفه كصحافي جاء من تأسيسه للصحف فقد ورد في ترجمته في «من هم في العالم العربي» مايلي:

(أصدر مجلة «الوحدة الاسلامية» التي راجت أعظم رواج في العالمين الاسلامي والعربي وقد صادرتها السلطة الفرنسية ببيروت بعد أن صدر منها عدوات، وقد دلت على طول باع سمو الأمير في السياسة والأدب...).(10)

ويبدو أن الأمير سعيد كان هو المالك الفعلي لجريدة المهاجر حيث أشارت اليه في

احدى مقالاتها بعبارة «صاحب هذه الجريدة» ومن المعروف أن الأمير علي والد الأمير سعيد هو الذي مول الجريدة وأسسها وإن كانت تعلن أن صاحب امتيازها ومديرها المسؤول هو محمد بن التهامي شطة الجزائري كما يتضح ذلك من معلومات العنوان الذي يذكر أيضاً أنها جريدة يومية سياسية أدبية علمية تجارية فكاهية تخدم العثمانية والاسلام.

ومن المؤسف أنه ليست لدينا معلومات كافية عن هذا الصحفي محمد بن التهامي.

وقد اختصت اسبوعية المهاجر بالجالية الجزائرية خصوصاً والمغاربة عموماً فهي دائمة الاشارة اليهم، كما أنها ظلت على الدوام ترفع لواء القضية الجزائرية والوطنية الجزائرية وهي بذلك سجل طيب ومصدر مهم عن أوضاع الجزائريين في المشرق العربي، وكذا نضال وتطور الحركة الوطنية الجزائرية ولعلي أتمكن ذات يوم من تقديم دراسة ما عن هذه الجريدة، خاصة وأنها كانت صدى للكفاح في الوطن الأم ضد فرنسا الاستعمارية.

ومن الصحافيين الجزائريين المرموقين في بلاد الشام الصحفي سعيد بن قاسم الجزائري محرر عدة صحف في دمشق مثل: الاستقلال، الجزيرة، الأيام، القبس، الكفاح، النظام، النقاد، هنا دمشق، دمشق المساء، وعصا الجنة وغيرها.

وسعيد الجزائري اذاعي محترف كما هو صحفي محترف له عدة برامج اذاعية أسس عصبة الساخرين في الأدب الساخر، وكان يوقع بعض مقالاته باسم «جهينة» حيناً و«س.ج» حيناً آخر كما أنه قام بترجمة عدد من الكتب وألف أخرى.(11)

ومن الصحافيين أيضاً يحيى يخلف الأمين العام السابق لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطيني والذي نشر العديد من المقالات الصحفية ذات الطابع السياسي على الأغلب فضلاً عن كتاباته الأدبية التي تحدثنا عنها.

ومن الصحافيين أيضاً كاتب هذا البحث. وهناك الصحفي محمد بوغرة.

وفي المجال الاذاعي برز عدد من الاذاعيين بينهم عدنان الراشدي الذي تقلد منصباً هاماً في الاذاعة السورية ومنهم عبد الهادي المبارك الذي عرفته إذاعات دمشق والجزائر ودبي وبغداد.

وأما على المستوى الفني فقد ظلت أمي تحدثني عن منشد جزائري مهاجر يدعى أحمد زروق كان يحضر لمنزل والدها ويقيمان مع المشايخ الأذكار الصوفية، وأن هذا الرجل كان صاحب صوت رخيم وصاحب براعة في الانشاد الديني، ودلتني على منزله قرب منزل أخواله آل مبارك في حي العمارة.. وظلت تملي علي بعضاً من أناشيده التي تحفظها.. وبينما أنا أبحث في المصادر كعادتي في تدقيق معلومات والدتي عن المهجرين الجزائريين وجدت لهذا الشيخ الفنان أكثر من ترجمة في أعلام الأدب والفن وأعلام دمشق وغيرها فإذا به أستاذ للموسيقى في مكتب عنبر بدمشق وفي مدارس القدس حيث قضى أكثر من عشرين عاماً يدرس الموسيقى في سورية وفلسطين وأن شيخ الاسلام في

الاستانة «أبو الهدى الصيادي» استضافه لرخامة صوته لمدة شهرين من عام 1898م.

وأما في ميدان التمثيل والمسرح فقد برزت الشقيقتان سامية وصباح الجزائري في التمثيل المسرحي التلفزيوني ولهما في ذلك شهرة خاصة مع الفنان السوري المعروف دريد لحام، حيث مثلت صباح مع دريد مسرحية كاسك ياوطن التي ضربت شهرتها الآفاق العربية كما تجدر الاشارة في ميدان الفن الى المنتج السينمائي الشهير صبحي فرحات الذي أنتج الكثير جداً من الأفلام العربية ومنها محاولة لإنتاج فيلم عن الأمير عبد القادر.

**مخطوطاتهم وكتبهم المطبوعة:**

تنقسم مخطوطات الجزائريين في الشام الى قسمين رئيسين:

**الأول:** المخطوطات التي أتوا بها من الجزائر لمؤلفين جزائريين ومغاربة وأندلسيين كما يشمل هذا مخطوطاتهم التي كتبوها في الجزائر.

**الثاني:** المخطوطات التي اكتشفوها أو حصلوا عليها أو خطوها بأيديهم في الشام لمؤلفين مغاربة ومشارقة.

أما كتبهم المطبوعة فهي تنقسم الى أقسام ثلاثة:

**الأول:** ما ألف وطبع ونشر في حياة مؤلفه.

**الثاني:** ما ألف ولكنه طبع ونشر بعد وفاة مؤلفه.

**الثالث:** الكتب الحديثة التي يتم نشرها الآن دون العناية بالمخطوط المكتوب باليد وذلك بعد انتشار الآلة الراقنة والطباعة.

ولا أستطيع الادعاء بأني أحطت بمخطوطاتهم سواء تلك التي ألفوها أو خطوها أو امتلكوها، وأعتقد أن باحثاً متخصصاً يمكنه الخروج بكتاب هام تحت عنوان «مخطوطات جزائرية في الشام» لو تتبع هذا الموضوع بصبر وأناة فأنا أعلم أن احدى العائلات الجزائرية تمتلك مائة مخطوط.. قد تقبل أن تتخلى عن الحياة نفسها ولا تتخلى عن مخطوط واحد منها.. كما أن الأمر يتطلب نوعاً من الدقة، فكلمة مغربي مثلاً الملحقة بأسماء بعض المؤلفين... وإن كانت تعني على الغالب الأعم جزائري، فهناك بعض من المغاربة من مراكش وتونس وليبيا لهم اسهاماتهم الثقافية أيضا ويلحقون كنية مغربي بأسمائهم. كما أن الأمر يستلزم معرفة خاصة بالعلاقات الجزائرية وأسمائها ورغم ادعائي بمعرفة الكثير من هذه العائلات وتطور أسمائها إلا أن التحوّط واجب خشية الوقوع في المتشابهات؟ إضافة الى أنه ليس في الوطن العربي كتاب سنوي يصدر بانتظام عن انتاج المطابع، تصدره جهة رسمية معتمدة.. بل أن مثل هكذا مطبوع يصعب الحصول عليه حتى عبر البريد الشخصي حيث الرقابة الصارمة على المطبوعات في الوطن العربي... فنحن في نظام عربي كل شيء فيه فوضى إلا القمع.

وحاولت متابعة قوائم المطبوعات التي تنشرها دور النشر الخاصة والعامة، غير

أني اكتشفت أن بعض هذه الدور تسجل في تلك القوائم كتباً لمّا تنشرها بعد.

كما حاولت متابعة المخطوطات العربية.. لكن تلك المتابعة لم تكن انسيابية فإن موظفي البريد العربي يفتقدون كثيراً الى الأمانة في الأداء الوظيفي.

كما أن بعض المثقفين الجزائريين لديهم من غزارة الانتاج بحيث يجب أن نخصص لهم دراسة خاصة مثل الشيخ طاهر الجزائري ومحمد المبارك والدكتور مازن المبارك وغيرهما.

كما أن هناك مؤلفات لم أستطع العثور عليها فلم أستطع البت بأمرها هل هي مخطوطة أم أنها طبعت مثل مؤلفات الشيخ صالح السمعوني والد الشيخ طاهر الجزائري.

ولما كان الجزائريون قد لعبوا ذلك الدور السياسي والثقافي الهام في حركة التحرر القومي العربي، فلا شك أن مؤلفاتهم ومخطوطاتهم تعرضت لما تعرضوا له من تنكيل.. فإن أحداً حتى الآن لم يخبرنا أين ذهبت مكتبة سليم الجزائري الذي داهمت السلطات التركية منزله. بل وأين هي مكتبة الأمير عبد القادر الجزائري نفسه الذي داهمت تلك السلطات قصره في دمر فدمرته عامدة متعمدة ثم شنقت ولده الأمير عمر بطريقة واضحة الجبن!!. إن هذا الجانب في تدمير الأتراك للمكتبات في دمشق والأخص منها مكتبات الجزائريين لم يجد من يكتب عنه بعد، ويثبت أن المغول لم يكونوا وحدهم.. بل أن الكتاب الفرنسيين الذين «تفضلوا» بالكتابة عن الجزائريين في دمشق لم يتطرقوا الى هذا الجانب خوفاً من أن نسألهم عن مكتبة الشيخ محمد بن يلّس وغيره من علماء دمشق جزائريين وغير جزائريين.. إن «السادة البيض» لم يكونوا أكثر شرفاً من هولاكو.. وهنا أستطيع الادعاء بأنه انتابني ذات فترة هوس البحث عن مكتبات الجزائريين، وبالطبع فإنه قادني الى البحث عن المخطوطات والمكتبات الاسلامية.. فوجدت أن بعض الجزائريين في جزيرة رودس اليونانية كانوا يرسلون بمخطوطاتهم الى بعض أهلهم في دمشق.. ويبدو أن جهة ما أصدرت حكماً بإعدام تاريخ الشام.. والشرق كله.. ومعه تاريخ المغرب.. لصالح «استحداث تاريخ آخر».. وكل هذا جزء من معركة شرقنا العربي الذي ألقي مرة في مياه دجلة ومرة في مياه المتوسط.

إن قصة مخطوطات الجزائريين في الشام تحفر الذاكرة وتعيد اليها قصة المخطوطات الأندلسية والعربية عموماً.

لذلك كله ليس بالإمكان حصر مخطوطات الجزائريين أو كتبهم المطبوعة حصراً احصائياً دقيقاً، واتباعاً لقاعدة المثال يغني عن المقال، أقدّم هنا بعض الأمثلة، وإذا كان الحكم على الشيء جزء من تصوره، فإن الأمثلة التي أوردها تساعد على التصور والحكم

| اسم المؤلف | عنوان الكتاب | مكان الطبع | تاريخ الطبع | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ابراهيم مجاهد الجزائري | على ضفاف السراب<br>ثورة حياة | حلب<br>حلب | 1955م<br>1958م | |
| ابراهيم اسماعيل اليعقوبي | قواعد التصوف<br>شفاء التباريح<br><br>الأنوار في شمائل النبي المختار<br>الفرائد الحسان في عقائد الايمان | دمشق<br>دمشق<br><br>بيروت<br>بيروت | 1968م<br>1986م<br><br>1989م<br>بلا | ضبط وتحقيق<br>حكم الشريعة في الطب الجراحي<br>تحقيق |
| أحمد جودت الهاشمي | الجبر الابتدائي<br><br>الحساب والجبر<br><br>المسائل الرياضية<br><br>الهندسة | حلب<br><br>دمشق<br><br>دمشق<br><br>دمشق | 1934م<br><br>1930م<br><br>1933م<br><br>1344هـ | كتاب مدرسي مع آخرين<br>كتاب مدرسي مع آخرين<br>كتاب مدرسي مع آخرين<br>كتاب مدرسي مع آخرين |
| أحمد بن محي الدين المصطفى «شقيق الأمير عبد القادر» | نثر الدرويسطة في بيان كون العلم نقطة | بيروت | 1924م | |
| أحمد التلمساني | الحدائق الندية | دمشق | 1355هـ | |
| ايناس محمد بشير جزائرلي | أهم اضطرابات من اليأس ومعالجته | دمشق | 1984م | دكتوراه في الطب |
| الأمير جعفر بن الأمير طاهر الجزائري | دليل مختصر لمقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق<br>خطابان في مجمع اللغة العربية بدمشق<br>الدارس في تاريخ المدارس | دمشق<br><br>دمشق<br><br>دمشق | 1930م<br><br>1962م<br><br>1948م | <br><br><br><br>تحقيق |

| جواد المرابط | من أحاديث الرسول | بلا | 1954م | |
|---|---|---|---|---|
| | البزعي اليمني الشاعر والفقيه | بيروت | 1978م | |
| | التصوف والأمير عبد القادر | دمشق | 1966م | |
| | المختار من أحاديث سيد الأبرار | دمشق | 1968م | |
| | عبر وعبرات من دمشق الأندلس | بيروت | 1969م | |
| | وصية العام الجديد 1391هـ-1971م | دمشق | 1970م | |
| | السرى السقط | بيروت | 1978م | |
| | فتوى الفندلاوي وقصتها | بيروت | 1966م | |
| الأمير سعيد بن الأمير علي | تاريخ حياة طيب الذكر | دمشق | 1918م | |
| | بيان لجنة الدفاع عن الخط الحديدي الحجازي في العالم الاسلامي | دمشق | 1921م | |
| | مذكراتي عن القضايا العربية والعالم الاسلامي | بيروت | 1968م | |
| سعيد بن قاسم | المخابرات والعالم | دمشق | 1978م | |
| | الماسونية مالها وماعليها | دمشق | 1986م | |
| | أحجار على رقعة الشطرنج (ترجمة) | بيروت | 1986م | |
| | ملف الثمانينات عن حرب الخسارات (ترجمة) | دمشق | 1988م | |
| سعيد بن محي الدين «شقيق الأمير» | اتقان الصنع في شرح رسالة الوضع | بيروت | بلا | |
| سعيد بن شريف أبو يعلي الزواوي | تاريخ الزواوه | دمشق | 1340هـ | |
| سليم بن محمد سعيد الجزائري | ميزان الحق في المنطق | دمشق | 1920م | |
| سهيل الخالدي | الثورة الزراعية في | بيروت | بلا | |

| المؤلف | العنوان | المكان | التاريخ | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| | الجزائر | الكويت | 1979م | |
| | دلال عاشقة البحر | الكويت | 1980م | |
| | والزيتون | الكويت | بلا | |
| | الرقص من أول السطر | | | |
| | الرواية العربية في الجزائر | | | |
| | 1971-1981 الأرض | | | |
| الجزائري، طاهر بن صالح | إرشاد الالبا | بيروت | 1321هـ | |
| | أشهر الأمثال | مصر | 1919م | |
| | بديع التلخيص | دمشق | 1296هـ | |
| | التبيان | مصر | 1334هـ | |
| | تدريب اللسان على تجويد | بيروت | 1321هـ | |
| | القرآن | مصر | 1919م | |
| | التقريب لأصول التعريب | مصر | 1920م | |
| | تلخيص أدب الكاتب | بيروت | بلا | |
| | التمرين على البيان | ولاية | 1304هـ | |
| | والتشبيب | سورية | | |
| | تمهيد العروض الى فن | مصر | 1328هـ | |
| | العروض | دمشق | 1298هـ | |
| | | دمشق | 1298هـ | |
| | توجيه النظر الى أصول | بيروت | بلا | |
| | الأثر | القدس | 1320هـ | |
| | الجواهر الكلامية | دمشق | 1301هـ | |
| | حديقة الأذهان | شام | 1299هـ | |
| | ديوان خطب ابن نباته | دمشق | | |
| | مبتدأ الخير في مبادئ علم | | | |
| | الأثر | | | |
| | مد الراحة لأخذ المساحة | | | |
| | مدخل الطلاب الى فن | | | |
| | الحساب | | | |
| | منير الأذكياء في قصص | | | |
| | الأنبياء | | | |
| محمد نور الدين | الهمزية والبردة المحمدية | دمشق | 1990م | تدقيق |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| عرفان الجزائري | تأليف البوصيري<br>ولله الأسماء الحسنى | ودبي<br>المدينة<br>المنورة | 1980م | |
| محمد غسان الجزائري | الأصول المؤكدة في قلع الأسنان الموقتة | دمشق | 1984م | رسالة دكتوراه في طب الأسنان |
| محمد بشير الجزائري | الصناعات الكيماوية | دمشق | 1962م | |
| مطيع المرابط | التذكرة الهروية في الحيل الحربية | دمشق | 1972م | |
| مسعود مجاهد الجزائري | انهيار خطط الاستعمار الفرنسي بالجزائر<br>تاريخ الجزائر | دمشق<br>القدس | بلا | |
| نبيه الجزائري | الانحياز /قصة العلاقة السرية بين أمريكا واسرائيل (ترجمة)<br>التوازن العسكري في الشرق الأوسط (ترجمة) | بلا<br>عمان | 1986م<br>1984م | |
| نعيم المرابط | الهندسة التكميلية<br>موجز علم المثلثات<br>علم المثلثات<br>التحليل الرياضي<br>الجبر | دمشق<br>دمشق<br>دمشق<br>دمشق<br>دمشق | 1954م<br>1953م<br>1953م<br>1953م<br>1953م | كتاب مدرسي<br>كتاب مدرسي<br>كتاب مدرسي<br>كتاب مدرسي<br>كتاب مدرسي |
| مازن عبد القادر المبارك | الايضاح في علل النحو<br>الموجز في تاريخ البلاغة<br>مجتمع الهمذاني من خلال مقاماته | دمشق<br>بيروت<br>دمشق<br>بيروت | 1959م<br>1968م<br>1968م<br>1971م | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | العلة النحوية نشأتها | دمشق | 1972م | |
| | وتطورها | بيروت | 1973م | |
| | مغني اللبيب عن كتب | | | |
| | الأعاريب | بيروت | 1974م | |
| | اللغة العربية في التعليم | | | |
| | العالي والبحث العلمي | بيروت | 1979م | |
| | الرماني: النحو والصرف | دمشق | 1981م | |
| | في ضوء شرحه لكتاب | دمشق | 1984م | |
| | سيبويه | | | |
| | نحو وعي لغوي | دمشق | 1985م | |
| | النصوص اللغوية | دمشق | 1987م | |
| | الزجاجي: حياته وآثاره | | | |
| | ومذهبه النحوي من خلال | بيروت | 1988م | |
| | كتابه الايضاح | | | |
| | اللامات للزجاجي | دمشق | 1953م | |
| | المباحث المرضية المتعلقة | دمشق | 1988م | |
| | بـ من الشرطية | | | |
| | الألفاظ المهموزة، عقود | | | |
| | الهمز لابن جنى | | | |
| | قواعد اللغة العربية | | | |
| | المقتضب في اسم المفعول | | | |
| | من الثلاثي | | | |
| محمد بن محمد المبارك | غريب الأنباء في مناظرة | دمشق | 1884م | |
| | الأرض والسماء | | | |
| | نضرة النهار في محاورة | بيروت | 1893م | |
| | الليل والنهار | | | |
| محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري | ذكرى ذوي الفضل في | مصر | 1327هـ | |
| | مطابقة أركان الاسلام | | | |
| | للعقل | مصر | 1327هـ | |
| | الفاروق والترياق في تعداد | | | |
| | الزوجات والطلاق | بيروت | 1336هـ | |
| | نخبة عقد الأجياد في | استامبول | 1323هـ | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | الصافنات الجياد<br>عقود الدرر في تلخيص سيرة سيد البشر<br>تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر<br>سوق عكاظ فيما تكلموا فيه من اللغات والألفاظ | <br>الاسكندرية<br><br>الكويت | <br>1903م<br><br>1976م | <br><br><br>المخطوط الأصلي موجود في مكتبة الأسد 1-3-412 |
| محمد بن الهاشمي بن عبد الرحمن التلمساني | الحل السديد لما استشكله المريد<br>شرح شطرنج العارفين<br>عقيدة أهل السنة | بلا<br>دمشق<br>دمشق | 1382هـ<br>1938م<br>1929م | له عدة كتب أخرى لم نذكرها |
| محمد خيري الحسني الجزائري | شرح القانون الاجرائي | دمشق | 1931م | |
| محمد بن عبد الله الخالدي «محرر» | المقراض الحاد لقطع لسان منتقص ودين الاسلام بالباطل والالحاد | بيروت | بلا | الكتاب من تأليف الأمير عبد القادر الجزائري |
| محمد عبد الله الجزائري | موسوعة المعارف العلمية للأطفال | دمشق ودبي | 1990م | |
| محمد بن محمد المبارك | بهجة الرائح والغادي في أحسن محاسن الوادي<br>التربيع والتدوير/عمرو بن الجاحظ | بيروت<br><br>القاهرة | 1890م<br><br>1906م | |
| محمد بن عبد القادر المبارك | الجاحظ وفن القصص<br>نظرة الاسلام العامة الى الوجود<br>الأمة العربية في معركة تحقيق الذات<br>من منهل الأدب الخالد | دمشق<br>دمشق<br>دمشق<br>بلا<br>القاهرة | 1940م<br>1958م<br>1959م<br>1960م<br>1960م | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | خصائص العربية ومنهجها | دمشق | 1960م | |
| | الأصيل في التجديد والتوليد | دمشق | 1958م | |
| | فقه اللغة | | | |
| | أثر الوحدة في الحضارة | دمشق | 1961م | |
| | العربية الحديثة | دمشق | 1970م | |
| | نحو انسانية سعيدة | | | |
| | آراء ابن تيمية في الدولة | دمشق | بلا | |
| | ومدى تدخلها في المجال | بيروت | 1962م | |
| | الاقتصادي | بيروت | 1978م | |
| | الأمة والعوامل المكونة لها | بلا | بلا | |
| | ذاتية الاسلام أمام المذاهب | دمشق | بلا | |
| | والعقائد | بيروت | 1970م | |
| | الاسلام والفكر العلمي | | | |
| | عبقرية اللغة العربية | | | |
| | الدولة ونظام الحسبة عند | | | |
| | ابن تيمية | | | |
| | الفكر الاسلامي الحديث في | | | |
| | مواجهة الأفكار الغربية | | | |
| أمير عبد القادر | ذكرى العامل وتنبيه الغافل | بلا | 1271هـ | هناك عدة |
| زائري | | | | طبعات من |
| | | | | هذا الكتاب |
| | | | | في مكتبتي |
| | | | | الأسد |
| | المواقف في الوعظ | مصر | 1328هـ | والظاهرية |
| | والارشاد | مصر | 1328هـ | |
| | نزهة الخاطر في قريض | | | باشراف |
| | الأمير عبد القادر | دمشق | 1328هـ | ولده |
| | وشاح الكتائب وزينة | | | |
| | الجيش الغالب | دمشق | بلا | باشراف |
| | | بيروت | بلا | حفيده سعيد |
| | ديوان الأمير عبد القادر | | | |
| | الجزائري | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| | المقراض الحاد في قطع لسان منتقص دين الاسلام بالباطل والالحاد | | | |
| عبد القادر بن محمد المبارك | احدى العبر بين البشر<br>فرائد الأدبيات العربية<br>بكر الشرق | دمشق<br>دمشق<br>دمشق | 1924م<br>1950م<br>بلا | |
| عبد القادر بن الكبير الجزائري | هدية الشرق الى الغرب | دمشق | 1930م | يتحدث عن اكتشاف المسك |
| الأمير علي بن الأمير المختار الجزائري | تاريخ سورية الاقتصادي | دمشق | 1342هـ | |
| غسان ماهر الجزائري | عالم واسع فسيح الأرجاء | دمشق | 1980م | مسرحية |
| وجيهة بنت عبد القادر المبارك | ديوان مسكين الدارمي | دمشق | 1959م | تحقيق |
| يحيى بن حسن يخلف | نجران تحت الصفر<br>نشيد الحياة<br>نورما ورجل الثلج<br>المهرة<br>تفاح المجانين | بيروت<br>بيروت<br>بيروت<br>بغداد<br>بيروت | 1975م | |

# فهارس الجزائريين الاعلام في بلاد الشام

## 1-ابراهيم الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: ابراهيم الأب: مجاهد الجد: محمد خالد

مكان الولادة: استامبول تاريخ الولادة 1883

مكان الوفاة: حلب تاريخ الوفاة: 1968

**التعليم:** تعلم في مدرسة دار الشفقة باستانبول

**الوظائف والمناصب التي شغلها:** معاون قاضي، رئيس محكمة بداية دير الزور، ثم مدافع حلب، محامي في حلب

**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:**

على ضفاف السراب مطبعة الضاد

ثورة حياة مطبعة الضاد

**مصادر ترجمته:**

من هو

معجم المؤلفين السوريين ص98

## 2-هاني بن أحمد جودت ينيوى الهاشمي

اللقب: ينيوى الهاشمي الاسم: هاني الأدب: أحمد جودت الجد: محمد الينيوى

مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 14 كانون الأول1924

**التعليم:** المدرسة العربية العليا (الترجمة عربي افرنسي) عام 1941

البكالوريا السورية فرع علمي عام 1941

البكالوريا السورية فرع رياضيات عام 1942

الهندسة المدنية من جامعة القاهرة (فؤاد الأول) عام 1947

**النشاط:** عضوية النادي العربي بدمشق - عضو نقابة المهندسين السوريين - عضو في جمعية المقاصد الخيرية بدمشق - عضو في جمعية تحرير المغرب العربي.

**الآثار:** تصميم أو الاشراف على تنفيذ مشاريع هندسية في سورية أهمها:

بناء العباسية وفندق سمير اميس لصالح الخط الحديدي الحجازي بدمشق

بناء مديرية الجمارك العامة والمخافر الجمركية على حدود سوريا ولبنان

تجفيف سهل الغاب وعمل المصرف الرئيس فيه لصالح مؤسسة المشاريع الكبرى

بناء معمل النايلون ومعامل شركة الشرق للألبسة بدمشق

وغير ذلك من المشاريع العمرانية العائدة للأهالي

تعهد إنشاء خزانات مدينة دمشق الجديدة (المزة) لصالح مؤسسة الفيجة

تعهد تغذية وتمديد قساطل الى خزانات المزة ومنطقة شمال شرقي دمشق لحساب الفيجة وغيرها.

**مصادر ترجمته**

كتب لنا هذه الترجمة بيده

## 3-أحمد جودت ينيوي الهاشمي

اللقب: ينيوي الهاشمي　　الاسم: أحمد جودت　　الأب: محمد

دولة الولادة: سورية　　مكان الولادة: دمشق　　تاريخ الولادة: 1877م

دولة الوفاة: سورية　　مكان الوفاة: دمشق　　تاريخ الوفاة: 1955/2/5

**التعليم:** الابتدائية بدمشق والثانوية باستانبول والجامعية بفرنسا

**وظائفه ومناصبه:** مدرس في بيروت والقدس ودمشق ثم مدير مكتب عنبر ومدير التجهيز الأولى بدمشق «سميت باسمه بعد وفاته، ثانوية جودت الهاشمي» ثم أميناً عاماً لوزارة المعارف السورية، عرضت عليه الوزارة عدة مرات فرفضها.

**نشاطه ومواقفه:**

- يعتبر أحمد جودت الهاشمي حاملاً للواء نشر التعليم وتأسيس المدارس مواصلاً رسالة الشيخ طاهر الجزائري من قبله.
- تحدي الاستعمار الفرنسي وقام بتعريب الرياضيات وقضى عمره في تأليف كتب الرياضيات المدرسية.
- وضع امكانياته في خدمة الثورة السورية 1925-1927 ومنع السلطات الفرنسية من اقتحام المدارس.
- حصل على وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى عام 1950
- من مؤسسي جمعية المقاصد الخيرية المغربية بدمشق 1929 ورئيساً لمجلس ادارتها.
- عرف بنزاهته الشديدة واصطدامه مع رؤساء الدول في سورية

**مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:**

1. ترجمة وافانا بها ولده المهندس هاني
2. أعلام دمشق ص8
3. معجم المؤلفين السوريين ج1 ص185
4. الصحف السورية لشهر شباط فبراير 1955 حيث نعته وكتبت عنه المطولات
5. مكتب عنبر عدة صفحات من الكتاب

## 4-جواد المرابط

اللقب: المرابط الاسم: جواد الأب: عبد الرحمن الجد: يوسف
دولة الولادة: سورية مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1905
بلدته الأصلية في الجزائر /الجزائر العاصمة
**التعليم:** ليسانس في الحقوق
**الوظائف والمناصب التي شغلها:** مترجم في حاكمية دمشق الادارية، أمين عام حاكمية دمشق الادارية، مدير الغرفة الخاصة، مفتش اداري، محافظ الفرات 1939، محافظ حوران، رئيس بعثة الحج 1945، محافظ دمشق 1948، وزير مفوض بالسعودية والباكستان، أحيل الى التقاعد عام 1957.
**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:**

1. التصوف والأمير عبد القادر الحسني الجزائري
2. المختار من أحاديث سيد الأبرار
3. من أحاديث الرسول
4. الثائر المجهول
5. فتوى العندلاوي
6. عبر وعبرات من دمشق الأندلس
7. وصية العام الجديد
8. صلاة ركعتين
9. مكتب عنبر نار ونور

## 5-محمد الهاشمي التلمساني

اللقب: الهاشمي التلمساني الاسم: محمد الأب: أحمد

الجد: عبد الرحمن بوجمعه مكان الولادة: سبدو/تلمسان

تاريخ الولادة: 1298هـ 1881م مكان الوفاة: دمشق

تاريخ الوفاة: 1381هـ 1961/12/19م

**معلومات أخرى:** هاجر من الجزائر مع أستاذه الشيخ محمد بن بلس في 20 رمضان 1329هـ الموافق 14 سبتمبر 1911 بالباخرة عن طريق طنجه ومرسيليا.

التعليم: تلقى تعليمه في الجزائر على الشيخ محمد بن بلّس شيخ الطريقة الدرقاوية، عبد القادر الدكالي، وفي دمشق على المحدث بدر الدين الحسني، محمد جعفر الكتاني أمين سويد وغيرهم وأجازوه.

**وظائفه ومناصبه:** اشتغل بالتدريس والتأليف الديني.

**آثاره العلمية المطبوعة:**

معراج التشوف الى حقائق التصوف

الحل السديد لما استشكله المريد

شرح نظم عقيدة أهل السنة

مفتاح الجنة في شرح عقيدة أهل السنة

شرح شطرنج العارفين للشيخ محي الدين العربي

البحث الجامع والبرق اللامع والغيث الجامع فيما يتعلق بالضعة والضائع

سبيل السعادة في معنى كلمتي الشهادة

الدرة البهية

لقول الفصل القويم في بيان المراد من وصية الحكيم

الأجوبة العشرة

**نشاطاته ومواقفه:**

يعتقده أهالي دمشق ويعظمونه تعظيماً بالغاً وكان يـوم وفاتـه يـوم حـزن عميـق، يـزورون قبره ويتركون به حتى اليوم ويضعون أغصان شجر الآس على قبره كعادتهم.

شارك في التدرب على حمل السلاح وفي المقاومـة الشـعبية فسـن بذلـك سـنة بيـن علمـاء دمشق.

نفته السلطات العثمانية من دمشق الى أضنة مدة عامين

سافر لأداء الحج سنة 1350هـ

**مصادر ترجمته وتصنيفه وتوصيفه لدى مترجميه:**

حقائق عن التصوف — معجم المؤلفين السوريين

تاريخ علماء دمشق — أعلام دمشق

## 6-محمد أبو الهدى اليعقوبي

اللقب: اليعقوبي الاسم: محمد أبو الهدى الأب: ابراهيم
الجد: اسماعيل دولة الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1962
بلدته الأصلية في الجزائر آيةسعادة

**التعليم:** تعلم في مدارس دمشق وتلقى علومه الشرعية واللغوية على والده. أجازه وكثير من العلماء مثل والده والشيخ المكي الكتاني، والشيخ البوديلمي، والقصاب، والخطيب، وعيون السود، وعبد الرحمن الكتاني وغيرهم. يجيد اللغات الفرنسية والانكليزية والألمانية ويحضر للدكتوراه في جامعات السويد.

**الوظائف:** خطيب مسجد الطاووسية في دمشق ومدرس في ادارة الافتاء العام وفي المعاهد الشرعية.

**الآثار العلمية:**

اللغة الماردينية في شرح الياسمينية، تحقيق ودراسة
التسعير في الفقه الاسلامي - دراسة مقارنة
القضاء بالعلم - دراسة فقهية
سبط الماردينى حياته ومؤلفاته
الأمثال العامية الدمشقية وأصولها اللغوية
الأعين الروانى الى حديث تخمير الأواني - رسالة
شعر عقيل بن علقمة المري - تحقيق
ديوان شعري
عدة مقالات منشورة

**مصادر ترجمته**

كتب لنا هذه الترجمة بخط يده.

## 7-ابراهيم اليعقوبي

اللقب: اليعقوبي الاسم: ابراهيم الأب: اسماعيل **الجد: محمد الصديق**

دولة الولادة: سورية مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: **1342هـ 1924م**

دولة الوفاة: سورية مكان الوفاة **تاريخ الوفاة: 1406هـ 1985م**

بلدته الأصلية في الجزائر: آيتسعاده

التعليم: تعلم على يد والده، وعمه الشيخ شريف **اليعقوبي وخاله الشيخ محمد العربي** اليعقوبي وعلى يد الشيخ محمد الهاشمي، أحمد بن يلس، **محمد المكي الكتاني، هاشم** الخطيب، محمد العربي العزوزي.

وله اجازات عالية من معظم شيوخة

**الوظائف والمناصب:**

امام المالكية والحنفية في المسجد الأموي

مدرس في مديرية الأوقاف

مدرس في ادارة الافتاء

خطيب جامع الطاووسية

**الآثار العلمية:**

للمترجم آثار كثيرة منها ماهو مطبوع **ومنها ماهو مخطوط، وقد عكف ولده محمد على** نشر بعض مخطوطاته.

**ومن الآثار المطبوعة:**

العقيدة الاسلامية، الفرائد الحسان في عقائد الايمان، **الحكم العطائية «تحقيق»، قواعد** التصوف لأحمد زروق «تحقيق»، **الفتح الرحماني في فتاوى السيد ثابت أبي المعاني** «تحقيق»، صلة الموصول بحديث الرسول **«تحقيق»، الذكر والذاكرون «مراجعة وتقديم»، الأنوار في شمائل النبي المختار «تحقيق وتخريج»، شفاء التاريخ والادواء في حكم التشريح ونقل الأعضاء.**

**ومن آثاره المخطوطة:**

**الكوكب الوضاء في عقيدة أهل السنة الغراء**

**معيار الأفكار وميزان العقول والأنظار**

**التذكرة**

**ديوان شعر**

**ردود ومناقشات**

**المنتخب الحسامي لحسام الدين السغناقي في أصول الفقه «تحقيق»**

**البديع في أصول الفقه لابن الساعاتي الحنفي «تحقيق»**

المغني في أصول الفقه لجلال الدين الجنادي
مذكرات عن الهجرة الجزائرية الى دمشق
**مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:**
أعلام دمشق، صفحات مشرقات، مقدمة كتابة الأنوار، مخطوط بقلم ولده محمد

## 8-محمد يلس

اللقب: يلس «التلمساني» الاسم: محمد الأب: يلس الجد: بن شاويش
دولة الولادة: الجزائر مكان الولادة: تلمسان تاريخ: 1847م-1264هـ
مكان الوفاة: دمشقتاريخ الوفاة: 1927م

**معلومات أخرى:**

هاجر الى دمشق سنة 1911/1329 وتعرف عائلته بالجزائر باسم الشاويش، حيث كان يحاول تنظيم ثورة ضد فرنسا بسبب تجنيدها للجزائريين، فعملت على مضايقته.

**التعليم:** في الجزائر على يد محمد البوزيدي، محمد الهبري، أحمد بن مصطفى عليوه

**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:**

له ديوان شعر مطبوع ولم نعثر عليه.

**نشاطاته ومواقفه:**

يبدو أنه أفتى بالهجرة حين بدأت فرنسا بتجنيد الجزائريين لخوض حروبها الاستعمارية وهاجر مع عائلته وتلاميذه من تلمسان الى طنجة فدمشق عام 1911 وواصل مقارعتهم في دمشق فسجنوه في القلعة فهاجت دمشق حتى أطلق سراحه.

**أهم تلاميذه ومريديه:**

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الهاشمي، الشيخ أحمد القصيباتي، أحمد الشميساني، وأعطته السلطات العثمانية زاوية الصمادية المهجورة فدمشق فأعاد اليها نشاطها العلمي الديني فانتفع به جيل كامل.

**مصادر ترجمته:** أعلام دمشق، علماء دمشق و غيرها.

## 10-هاني المبارك

اللقب: مبارك الاسم: هاني الأب: عبد القادر الجد: محمد
دولة الولادة: سورية مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1929
بلدته الأصلية في الجزائر: دلس
**التعليم:** اجازة جامعية في التاريخ من جامعة دمشق، واجازة من المعهد العالي للمعلمين ودبلوم في التربية
**الوظائف والمناصب:** مدرس في ثانويات ودور المعلمين في دمشق، ومدرس للتاريخ الاسلامي في الجامعة الليبية وجامعة الرياض.
**المواقف والنشاطات:** من المؤسسين لجمعية أصدقاء دمشق وأحد أعضاء لجنتها الثقافية.
**مصادر ترجمته:** كتب لنا هذه الترجمة بخط يده.

## 11-مازن المبارك

اللقب: المبارك　　الاسم: مازن　　الأب: عبد القادر　الجد: محمد دولة
الولادة: سورية　مكان الولادة: دمشق　　تاريخ الولادة: 1930م
بلدته الأصلية في الجزائر/دلس

**معلومات أخرى:**

أخو محمد بن عبد القادر المبارك «الوزير» انظر ترجمته في هذا الفهرس

**التعليم:** تلقى التعليم الديني على يد والده ثم أخيه محمد وتعليمه النظامي في مدارس دمشق وجامعتها حتى حصل على دبلوم في التربية والتعليم بعد حصوله على شهادة الليسانس.
ثم حصل من جامعة القاهرة على شهادة الماجستير ثم الدكتوراه في اللغة العربية.
ومن أساتذته في دمشق: شفيق جبري أمجد الطرابلسي، سعيد الأفغاني
وفي القاهرة: محمود شاكر، طه حسين، شوقي ضيف، مصطفى السقا، وعبد الحليم النجار.

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

درس في جامعة دمشق، وجامعة الرياض والجامعة اللبنانية وجامعة قطر وكلية الدعوة الاسلامية في طرابلس ولايزال مدرساً في جامعة دمشق وقطر ودبي.

**آثاره العلمية:**

الزجاجي: حياته وآثاره ومذهبه من خلال كتابه «الايضاح».
النصوص اللغوية من كتابي الخصائص لابن جني، والزهر في علوم اللغة للسيوطي.
النحو العربي، العلة النحوية
الموجز في تاريخ البلاغة
مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصاري
الايضاح في علل النحو لأبي القاسم الزجاجي
الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه
نحو وعي لغوي
كتاب السلامات للزجاجي
مجتمع الهمذاني
اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي
المباحث المرضية لابن هشام
المقتضب لابن جني
رسالتان لابن جني الألفاظ المهموزة وعقود الهمز

**مصادر ترجمته:**

**معجم المؤلفين السوريين، وقد [illegible] الترجمة بخط يده.**

## 12-عبد القادر المبارك

اللقب: المبارك    الاسم: عبد القادر الأب: محمد    الجد: محمد المبارك مكان

الولادة: دمشق    بتاريخ 1259هـ 1876م

مكان الوفاة: دمشق    بتاريخ 1364هـ 1945م    بلدته الأصلية في الجزائر / دلس

**التعليم:** تلقى تعليمه على يد والده الشيخ محمد المبارك ثم الشيخ أمين سويد، والمحدث الشيخ بدر الدين الحسني والشيخ عطا الكسم. درس بعض الوقت في المدرسة الرشدية العسكرية ثم عاد الى التعليم الديني. أتقن اللغة العربية والتركية وألم بالانجليزية.

**وظائفه ومناصبه:** افتتح في عام 1905 (1323هـ) مدرسة خاصة في زقاق نقيب حي العمارة أرقى أحياء مدينة دمشق القديمة ثم درس في ثانويات دمشق وفي المدرسة السلطانية الأولى 1910 وفي المدرسة الحربية مدرساً للغة العربية. عضو المجمع العلمي العربي بدمشق منذ تأسيسه عام 1919 عضو لجنة التعريب في عهد حكومة فيصل الأول التي عربت المصطلحات العلمية والادارية. مدرس اللغة العربية في مدرسة الآداب العليا (نواة جامعة دمشق) 1930-1940 وبعد تقاعده عهد اليه بتدريس اللغة العربية والدين في دار المعلمين 1942.

**آثاره العلمية المطبوعة:**

فرائد الأبيات العربية

المعلومات المدنية/مترجم

احدى العبر بين البشر

بكر الشرق

**المخطوطة:** شرح المقصورة الدريدية

**نشاطه ومواقفه:** بالاضافة الى نشاطه التربوي واللغوي العلني حيث عرف بالقاموس السيار لأنه كان يحفظ قاموس المحيط وغيره عن ظهر قلب، كان للشيخ عبد القادر المبارك نشاط سري عظيم ذلك أنه:

1. ارتبط بعلاقات مع الجزائريين المجندين بالجيش الفرنسي الذي احتل سورية، فكان يحصل منهم على السلاح والمعلومات ويساعد بعضهم على الهرب لفائدة الثورة السورية الكبرى 1925-1927 بقيادة صديقيه المجاهدين محمد الأشمر وسلطان باشا الأطرش.
2. ارتبط مع الجزائريين المناضلين في فلسطين خاصة خلال ثورة 1936 وقدم مع صديقه المجاهد محمد الأشمر كثيراً من المساعدات لهذه الثورة الفلسطينية.
3. كان ذا منزلة شعبية كبيرة يؤمه الناس لقضاء حوائجهم عند ذوي الشأن.

**مصادر ترجمته:** اعلام دمشق، أعلام «الزركلي»، مجلة المجمع العلمي العربي، معجم المؤلفين السوريين، الاعلام الشرقية، مكتب عنبر، معجم المؤلفين، علماء دمشق، رجالات في أمه، مفكرون عرفتهم وغيرها.

## 13-محمد المبارك

اللقب: المبارك    الاسم: محمد    الأب: محمد المبارك    الجد: محمد بن محمد الصالح  مكان الولادة/ بيروت بتاريخ 1263أهـ 1847م

دولة الوفاة: سورية العثمانية   مكان الوفاة: دمشق بتاريخ 1330هـ 1912م

مقبرته: الصالحية/سفح جبل قاسيون. بلدته الأصلية في الجزائر: دلس

**التعليم:**

تعلم على يد الشيخ محمد المهدي السكلاوي: انظر ترجمته في هذا الفهرس وعلى يد والده الشيخ محمد المبارك وعلى يد الشيخ طاهر الجزائري ومحمد الطنطاوي.

**وظائفه ومناصبه:**

درس في زاوية الخيضرية ودرس في قرية داعل بحوران. نال رتبة قاضي ازمير، أسس مدرسة اسماها العلمية نهارية - ليلية عام 1324هـ وهي من أوائل المدارس المنتظمة بدمشق وكانت من جملة مدارس أسسها كالحيواطية والريحانية.

**آثاره العلمية المطبوعة:**

غريب الأنباء في مناظرة الأرض والسماء

لوعة الضمائر في رثاء الأمير عبد القادر

غناء الهزار في محاورة الليل والنهار

**آثاره العلمية المخطوطة:**

معارج الارتقاء الى سماء الانشاء

بهجة الرائح والغادي في أحسن محاسن الوادي

لمقامة اللغزية والمقالة الأدبية

مقامات العشر لطلبة العصر

بهى مقامه في المفاخرة بين الغربة

**مصادر ترجمته**

حلية البشر، علماء دمشق، معجم المؤلفين، أعيان دمشق، المعاصرون، تعطير الشام، أعلام الفكر الاسلامي، معجم المطبوعات، معجم الشيوخ، أعلام الزركلي، منتخبات التواريخ.

## 14-عز الدين الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: عز الدين الأب: محي الدين الجد: المصطفى
مكان الولادة: دمشق بتاريخ 1316هـ 1898م وفي مصادر أخرى 1901
مكان الوفاة: غوطة دمشق بتاريخ 1927/5/27
**التعليم:** تلقى تعليمه في مدرسة اللاييك في بيروت
**نشاطه ومواقفه:**

الأمير عز الدين هو سبط الأمير عبد القادر حيث أنه ابن ابنته زينب، وأما جده المصطفى فهو شقيق الأمير عبد القادر. التحق بالثورة السورية في مطلعها حيث كان يزود الثوار بالمعلومات السرية عن تحركات الجيش الفرنسي، الى أن تم اعتقاله. وبعد الافراج عنه التحق بالمقاتلين وقاد فصائلهم في غوطة دمشق ومناطق السويداء وحوران وظل يقود الثوار في منطقة غوطة دمشق حتى قتل على يد ضابط شركسي من مرتزقة جيش الاحتلال الفرنسي، وكانت الطلقة الأخيرة هي التي أفرغها في صدر قاتله الشركسي فقتله، وكانت آخر طلقة في الثورة السورية الكبرى.

اعترف الجنرالات الفرنسيون بشجاعته ومهارة تكتيكاته وأدوا له التحية العسكرية عند احضار جثمانه.

**مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:**

معالم وأعلام
ذكريات خالدة - الأمير عز الدين الجزائري
تاريخ الثورات السورية
كل الكتب التي تناولت تاريخ سورية في فترة الاحتلال.

## 15-جعفر الجزائري الحسني

اللقب: الجزائري الحسني الاسم: جعفر للأب: طاهر الجد: أحمد عبد القادر الأمير
دولة الولادة: سورية تاريخ الولادة: 1895/5/14م 20 ذي القعدة 1312هـ
مكان الوفاة: دمشق بتاريخ 1970/7/7

**التعليم:**

في مدرسة الاباء العازاريين بدمشق

والمدرسة العلمانية ببيروت

ومدرسة الآثار القديمة بباريس اللوفر

واختصاص في الآثار

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

أمين المتحف العربي، مدير عام الآثار، محافظ السويداء، عضو المجمع العلمي ثم أمين سره ثن نائب رئيسه فرنيسه.

**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»**

دليل مقتنيات دار الآثار الوطنية بدمشق

الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي

المعجم الجغرافي التاريخي للجمهورية العربية السورية (مخطوط)

له عدة دراسات ومقالات ورسائل في كثير من الصحف العالمية المتخصصة عسى أن يقوم أحد المهتمين بجمعها.

**نشاطاته ومواقفه:**

عدته السلطات العثمانية من دمشق الى باريس

تشف خرائب في تدمر وبصرى

- رسائل بالفرنسية عن الآثار السورية والنقود الاسلامية

**مصادر ترجمته:**

اعلام الزركلي، مجلة المجمع العلمي، من هم في سورية، معالم واعلام، معجم المؤلفين السوريين، اعلام دمشق، تعريف مكتوب بخط يد نجله طاهر.

## 16-طاهر الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: طاهر الأب: أحمد الجد: عبد القادر
تاريخ الولادة: 1872 مكان الولادة: دمشق مكان الوفاة: دمشق 1936

**الوظائف والمناصب:**

اهتم بادارة أملاكه الزراعية، وبالعمل السياسي السري، عضو مجلس الشورى في حكومة فيصل.

**أهم النشاطات والمواقف:**

كان من مخططي الحركة القومية العربية، اعتقله الأتراك، وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤقتة وفي المرة الثانية حكم بالسجن المؤبد، أطلق سراحه بعد أن وشى به شيخ عشيرة الرولة نوري الشعلان، وكان مختبئا عنده، كان عضو مجلس الشورى في حكومة فيصل، كان من مخططي الثورة السورية 1925-1927، حمى المسيحيين أثناء القصف الفرنسي لدمشق.

**مصادر ترجمته:**

شهداء الحرب العالمية
معالم وأعلام

## 17-خالد الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: خالد الأب: الهاشمي الجد: عبد القادر دولة
مكان الولادة: دمشق بتاريخ 14 المحرم 1292هـ 20 شباط 1875م
مكان الوفاة: دمشق بتاريخ 1355هـ 10 كانون الثاني 1936م.

**معلومات أخرى:**

توفي والده الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر في مدينة «بوسعادة في الجزائر».

**التعليم:**

درس في دمشق ثم في ثانوية لوى لوجران بباريس وفي كلية سان سير العسكرية فيها.

**وظائفه ومناصبه:**

نال رتبة قبطان في الجيش الافرنسي في ماي/أيار سنة 1908/ربيع الثاني 1326هـ.
وهو في الغرب الأقصى وساند ثورة عمه عبد المالك هناك ضد فرنسا
رحلاته وأسفاره ونشاطاته ومواقفه:
خدم في الجيش الفرنسي
عاد الى الجزائر محرضاً على الثورة ضد فرنسا وأصدر في الجزائر سنة 1920 جريدة الاقدام حتى سنة 1923 حيث نفته السلطات الى فرنسا ذاتها في باريس من ذلك العام. وأسس حزب نجمة شمال افريقيا، نسق مع سلطان الأطرش في سورية للقيام بثورة مشتركة ضد فرنسا، نفته فرنسا مجددا الى مصر حيث حوكم أمام المحكمة القنصلية الفرنسية بتهمة حمل جواز سفر مزور بنية الهروب الى أوروبة - عاد الى دمشق، كان مؤيداً للحركة القومية العربية في الشام للحصول على الاستقلال الذاتي - اللامركزية - عرب.

**مصادر ترجمته وتصنيفه وتوصيفه لدى مترجميه:**

-تاريخ الصحافة العربية، تاريخ الجزائر العام، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، الحركة الوطنية الجزائرية وغيرها كثير.

## 18-عبد القادر الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: عبد القادر (الشهير بعبدو) الأب: علي الجد: عبد القادر الأمير دولة الولادة: سورية مكان الولادة: دمشق

مكان الوفاة: دمشق بتاريخ 1918/12/27 اغتيالاً.

**نشاطاته ومواقفه:**

نفي الى بورسه في الأناضول، وفر منها والتحق بفيصل بن الحسين في الثورة العربية الكبرى، اختلف مع ضابط الاستخبارات البريطاني لورنس المهيمن على فيصل. كان أحد الذين اقنعوا الدروز بالانضمام الى فيصل، ورفع العلم العربي فوق جبل الدروز، أعلن وشقيقه الأمير محمد سعيد الحكومة العربية المستقلة في دمشق، لكن ذلك لم يرق للورنس فأقال الحكومة، ثم دبر مؤامرة اغتياله على يد الشرطي العميل مصباح المصري، فهاج المهاجرون الجزائريون ومعهم أهالي دمشق وكادت تسقط الحكومة الفيصلية اللورنسية، فأطلقت اشاعة أن قاتله غير معروف، في الوقت الذي سجنت فيه شقيقه سعيد قبل تنفيذ جريمتها بساعتين. وكانت هذهالحادثة بداية نهاية العهد الفيصلي الذي لم يعمر في سوريا. كان لورنس يرتعد خوفاً منه ومن شقيقه الأمير سعيد. كان محبوباً لدى الدمشقيين والجزائريين على حد سواء وينادونه «عبدو» تحبباً.

**مصادر ترجمته:**

يقظة العرب، الحكومة العربية في دمشق، تاريخ سورية، شهداء الحرب العالمية الأولى.

## 19-كاظم الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: كاظم الأب: محمد الجد: الأمير عبد القادر
تاريخ الولادة: 1894

**التعليم:** في استانبول وفي المدرسة الزراعية بتونس والجامعة السورية

**وظائفه ومناصبه:**

مفتش في وزارة المالية السورية
السكرتير السري لرئيس الدولة السورية
رئيس ديوان وزارة الأشغال
رئيس ديوان رئاسة الدولة
مدير وزارة الخارجية
رئيس مجلس ادارة البنك التجاري
ممثل خطوط أنابيب الشرق الأوسط
وزير مفوض

**نشاطاته:** حصل على عدة أوسمة منها.

ميدالية حرب 1914-1918 العثمانية
وسام جوقة الشرف الفرنسي من رتبة فارس
الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى
الاستحقاق اللبناني الفضي ذو السعف

## 20-عبد المالك الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: عبد المالك الأب: عبد القادر الجد: محي الدين مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1285هـ

مكان الوفاة: المغرب

**مناصبه ووظائفه:**

بكباشي «عقيد» في الجيش العثماني

قائد الشرطة الشريفية في طنجة بالمغرب

**مواقفه ونشاطاته:**

قاد الثورة في المغرب ضد فرنسا، وأعلن الاستقلال واتخذ فاس مقراً لامارته.

**مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:**

تاريخ المغرب

معجم أعلام الجزائر

الحركة الوطنية الجزائرية

تاريخ الثورات السورية

## 21-علي الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: علي الأب: عبد القادر الجد: محي الدين

مكان الوفاة: تركيا 1918.

**وظائفه ومناصبه:**

نائب في مجلس المبعوثان التركي

قائد المجاهدين في طرابلس الغرب ضد الاحتلال الايطالي

**مصادر ترجمته وتصنيفه لدى مترجميه:**

1. تاريخ حياة طيب الذكر الأمير علي
2. أعلام دمشق
3. حوران الدامية
4. جريدة المهاجر
5. جريدة المقتبس

## 22-عمر الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: عمر الأب: عبد القادر الجد: محي الدين
دولة الولادة: سورية العثمانية مكان الولادة: دمشق بتاريخ 1871م
مكان الوفاة: دمشق تاريخ الوفاة: 1915/5/6 بإعدامه.

**معلومات أخرى:** نفيت أسرته الى الأناضول، وكان الأمير عمر عضواً في جمعية العربية الفتاة.

**وظائفه ومناصبه:**

نائب دمشق في مجلس «المبعوثان» بالاستانة.

يقظة العرب، معالم وأعلام، تاريخ سورية، شهداء الحرب العالمية الأولى.

## 23-سليم السمعوني الجزائري

اللقب: السمعوني الجزائري الاسم: سليم الأب: محمد الجد: صالح مكان

الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1296هـ/1879م

مكان الوفاة: أعدم في دمشق تاريخ 1915/5/6. لمشاركته في الثورة العربية الكبرى.

**التعليم:** تتلمذ على يد عمه الشيخ طاهر السمعوني الجزائري الذي رباه وفي المدارس الدمشقية ثم في المدرسة الحربية في الاستانة. أتقن العربية والتركية والفارسية والانكليزية والألمانية والفرنسية وتخرج في الهندسة البرية.

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

قائمقام «عقيد» في الجيش العثماني، خاض حرب البلقان، وحرب اليمن، قاد الجيش العثماني.

**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:**

ميزان الحق «منطق».

**نشاطاته ومواقفه:**

كان مناهضا قويا لسياسة التتريك وهو أحد مؤسسي الجمعيات العربية الداعية لاستقلال الوطن العربي عن تركيا، حكم عليه الأتراك بالاعدام شنقاً هو ومجموعة من رفاقه ونفذ الحكم، وتحتفل سورية بذكرى استشهادهم بعيد الشهداء 6 أيار مايو من كل عام، اخترع فرجاراً هندسياً.

**مصادر ترجمته:**

عجم المؤلفين، الاعلام للزركلي، معالم واعلام، الموسوعة العربية الميسرة، أعلام شق، شهداء الحرب العالمية الأولى، يقظة العرب، الثورة العربية، تاريخ سورية، هداء أيار وكافة المراجع التي تناولت الحرب العالمية الأولى والثورة العربية.

## 24-محي الدين الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: محي الدين الأب: عبد القادر الجد: محي الدين
دولة الولادة: الجزائر مكان الولادة: القيطنة تاريخ الولادة 1259هـ 1843م.

**التعليم:**

تلقى تعليمه في دمشق وشيوخه محمد بن عبد الله الخالدي، محمد الجوخدار، محمد الطنطاوي اضافة الى والده الأمير عبد القادر.

**وظائفه ومناصبه:** عضو مجلس التفتيش العسكري العثماني، لقب باشا.

**رحلاته وأسفاره ونشاطاته ومواقفه:**

سافر الى اسطنبول 1281 فأكرمه السلطان عبد العزيز
وسافر الى الاستانة سنة 1305 وايطاليا وسويسرا وفرنسا حيث استقبله نابليون الثالث ومصر وعاد الى الجزائر متخفياً وأعلن الثورة على فرنسا عام 1289هـ معاضداً ثورة المقراني في الجزائر.
أعطاه السلطان عبد الحميد رتبة في السلك العسكري وأغق عليه الهدايا تقرباً اليه لابعاده عن السلطات الفرنسية ومنحه عدة نياشين وأوسمة منها رتبة ازمير، وميرميران، وروملي بيكلر، كما منحه نابليون الثالث وساماً. له شعر لم يجمع في ديوان.

**مصادر ترجمته وتصنيف وتوصيفه لدى مترجميه:**

حلية البشر وهي ترجمة مطولة، أعلام الجزائر، أعلام دمشق، علماء دمشق، الاعلام الشرقية، الاعلام للزركلي.

## 25-محمد الجزائري

اللقب: الجزائري الاسم: محمد الأب: عبد القادر الجد: محي الدين
مكان الولادة القيطنة، وهران تاريخ الولادة: 1840م-1256هـ
مكان الوفاة: الاستانة 1913م/1331هـ

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

فريق في الجيش العثماني.

**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:**

تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، عقد الأجياد في الصافنات الجياد، نخبة عقد الاجياد، مجموع فيه ثلاث رسائل الأولى: ذكرى ذوي، الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل، الثانية: كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب، الثالثة: الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق.

**مصادر ترجمته :**

علماء دمشق، الاعلام «الزركلي»، الاعلام الشرقية ، معالم واعلام.

# 26-أحمد الجزائري الحسني

اللقب: الجزائري الحسني الاسم: أحمد «أخو الأمير» الأب: محي الدين الجد: مصطفى مكان الولادة: القطيفة «وهران» تاريخ الولادة: شعبان 1249هـ مكان الوفاة: دمشق تاريخ الوفاة: 17 ربيع الثاني 1320

**التعليم:**

تعلم في الجزائر ثم في دمشق على يد اخوته محمد السعيد والأمير عبد القادر وتفقه بالفقه المالكي على يد الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي وأخذ في دمشق عن محمد الطنطاوي وعلي الكيلاني وقاسم الحلاق واجازوه جميعاً.

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

مدّرس في جامع العنابة بدمشق.

**الآثار العلمية التي تركها «المطبوعة»:**

نشر الدر وبسطه في بيان كون العلم

نخبة ماتسر به النواظر وأبهج مايسطر في الدفاتر في بيان سبب تولية الأمير عبد القادر في اقليم الجزائر

رسالة الجني المستطاب والزبرجد

شرح على الأبيات التي أولها فأتيت في مستنقع الموت رحله

**نشاطاته ومواقفه:**

نفته فرنسا الى عنابة شرقي الجزائر مدة خمس سنوات، ثم انتقل الى دمشق سنة 1283هـ.

**مصادر ترجمته:**

علماء دمشق، ذيل روض البشر، منتجات التواريخ، اعلام الزركلي، أعلام دمشق، الاعلام الشرقية، حلية البشر، أعلام الجزائر، تعريف الخلف، معجم المؤلفين، أعيان دمشق.

## 27-أحمد سهيل الفضيل

**اللقب:** الفضيل     الاسم: أحمد سهيل الأب: قاسم     الجد: الصغير

مكان الولادة: دمشق     تاريخ الولادة: 1921م بلدته الأصلية في الجزائر يوسف واعلي

**معلومات أخرى:**

هاجر والده من الجزائر سنة 1904 من قرية واعلي منطقة عين الحمام تيزي وزو وكان اماما في جامع الشهداء بدمشق من حفظة القرآن.

**التعليم:**

تلقى تعليمه في دمشق على حساب جمعية المقاصد الخيرية المغربية حتى حصل على شهادة الثانوية العامة.

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

توظف سنة 41 في وزارة الاعاشة والتموين فترة الحرب العالمية الثانية، ثم انتقل في بداية 1946 الى وزارة الدفاع وظل فيها حتى سن التقاعد سنة 1980.

**رحلاته واسفاره:**

سافر الى الجزائر عدة مرات ومصر وروسيا وألمانيا وانجلترا، اليونان، بلغاريا، الكويت، فلسطين، الردن، تركيا.

**نشاطاته ومواقفه:** تجلى نشاطه منذ عام 1938 في تأسيس وادارة الجمعيات الجزائرية والمغاربية مثل دار الجزائر، النادي الأدبي، جمعية تحرير المغرب العربي، جمعية المقاصد الخيرية المغربية، جمعية الدفاع عن افريقية العربية، وكان يشغل منصب أمين السر في هذه الجمعيات وكان عضواً في الوفد المرافق لرفاة الأمير عبد القادر حين نقل الى الجزائر.

## 28-محمد سعيد العربي

اللقب: العربي الاسم: محمد سعيد الأب: حسن الجد: أحمد

دولة الولادة: سورية مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1915

**التعليم:** ليسانس في الحقوق من جامعة دمشق

ماجستير في التجارة والمصارف: جامعة نيويورك

دكتوراه في التجارة والمصارف: جامعة نيويورك أيضاً.

**الوظائف والمناصب:** أستاذ الاقتصاد في جامعة الرياض.

**النشاطات والمواقف:**

عضو جمعية تحرير المغرب العربي

عضو جمعية دار الجزائر

عضو جمعية المقاصد الخيرية المغربية

عضو جمعية إغاثة الفقير

عضو لجان دعم الجزائر والمغرب العربي

**الآثار العلمية:** مجموعة من الكتب الجامعية مثل:

الاقتصاد التطبيقي، الاقتصاد الزراعي، الاقتصاد الاسلامي، تطور الفكر الاقتصادي، الاقتصاد الاجتماعي.

**مصادر ترجمته:** زودنا الدكتور محمد سعيد العربي بترجمته بنفسه.

## 29-محمد المهدي السكلاوي

اللقب: السكلاوي   الاسم: محمد المهدي   مكان الولادة:جرجرة

تاريخ الولادة 1200هـ   مكان الوفاة: دمشق   تاريخ الوفاة: 1278

**معلومات أخرى:**

أفتى وقاد هجرة العلماء الجزائريين الى بلاد الشام عام 1847م 1263هـ بأمر من الأمير عبد القادر واستقبله الناس هو والمهاجرين استقبالا كبيرا، أثار تحفظ السلطات العثمانية وكان بصحبته عياله وولده الشيخ محمد الصالح.

**مصادر ترجمته:**

حلية البشر، أعيان دمشق و غيرها.

## 30-أحمد زروق

اللقب: زروق　　الاسم: أحمد　　الأب: علي　　الجد: محمد

مكان الولادة: دمشق 1874م/1291هـ　　مكان الوفاة: دمشق.

**التعليم:** درس على خاله الشيخ محمد المبارك ودرس في مساجد دمشق.

**الوظائف والمناصب التي شغلها:**

أستاذ الموسيقى والتواشيح في مكتب عنبر مدة 22 سنة.

أستاذ في مدرسة الصلاحية بالقوس في فلسطين لمدة 3 سنوات

مدرس مرة أخرى في مكتب عنبر

**نشاطاته ومواقفه:**

يعتبر من رواد الحركة الفنية في سوريا خاصة بمايعرف بالموسيقى الدينية كما أنه من رجالات التصوف.

**مصادر ترجمته:**

أعلام دمشق، أعلام الأدب والفن.

## 31-أسعد درقاوي

**اللقب:** درقاوي الاسم: أسعد اسم الأب: عربي

دولة الولادة: سورية مكان الولادة: حلبتاريخ الولادة: 1929

**التعليم:** دكتوراه في الفلسفة

**النشاط والوظائف:**

أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق

وزير الثقافة في سورية

محاضر في أكثر من جامعة

أستاذ في جامعة الجزائر

**مؤلفاته:**

له عدة مؤلفات بالعربية والفرنسية وعدة ترجمات منها ترجمته لكتاب برجسون المادة والمذاكرة ومراجعته لترجمة الفكر الألماني ودراسة في المعطى المحض في فلسفة برجسون.

**مصادر ترجمته:**

معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين.

## 32-عبد الرحمن خليفاوي

اللقب: خليفاوي الاسم: عبد الرحمن اسم الأب: أحمد

مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1930

**التعليم:**

تخرج في الكلية العسكرية بحمص في سورية

دورة ضباط في الاتحاد السوفياتي

دورة ضباط في فرنسا

**الوظائف والمناصب:**

لواء في الجيش السوري، محافظ درعا، محافظ حماة، عضو المكتب العسكري لحزب البعث العربي الاشتراكي، ممثل سورية في القيادة العربية المشتركة في القاهرة 64-67، رئيس المكتب العسكري 1967-1968، وزير 1968-1970، وزير الداخلية 1970-1971، رئيس الوزراء 1971-1972، رئيس الوزراء 1976-1978.

**مصادر ترجمته وتوصيفه لدى مترجميه:**

Who`s Who of the Arab Warld - Landon

الموسوعة السياسية

## 33-محمد الخالدي

اللقب: الخالدي الاسم: محمد الأب: محمد الجد: عبد الله

مكان الولادة: دوار سيدي خالد تاريخ الولادة: 1836 تقريبا

مكان الوفاة: دمشق تاريخ:1926

بلدته الأصلية في الجزائر دوار سيدي خالد بلدية الهاشمية محافظ البويرة

**التعليم:**

تلقى تعليمه على يد والده محمد بن عبد الله الخالدي قاضي المهجرين الجزائريين ثم رافقه الى المدينة المنورة فدمشق حيث أخذ عن الأمير عبد القادر الطريقة الخلوتية والشاذلية ولازم الشيخ محمد المبارك، وأمضى في الأزهر سبع سنوات.

**وظائفه ومناصبه:**

ولاه الأمير عبد القادر قضاء المهجرين الجزائريين بعد والده محمد بن عبد الله الخالدي. وبعد الغاء هذا المنصب من طرف الحكومة العثمانية ولسّة مناصب الافتاء والتدريس في معان وقطنا وصفد.

وبعد رحيل العثمانيين تولى منصب افتاء المالكية والتدريس في جامع السنانية بدمشق الى أن توفي.

**مصادر ترجمته:**

بالإضافة الى المصادر التي ترجمت لوالده، هناك عدة صحف سورية مثل المقتبس وأوراقنا الخاصة وحديث والدتنا عائشة حيث أنه والدها.

## 34-محمد بن عبد الله الخالدي

اللقب: الخالدي الاسم: محمد الأب: عبد الله الجد: عبد الملك
دولة الولادة: الجزائر مكان الولادة: جبل هلاله تاريخ الولادة: 1218هـ
دولة الوفاة: سورية مكان الوفاة: دمشق تاريخ الوفاة: 1283هـ
بلدته الأصلية في الجزائر: دوار سيدي خالد/وادي البردي/ البويرة.

**التعليم:**

درس على يد والده القاضي عبد الله الخالدي، ثم في مازونة غربي الجزائر ثم في قسنطينة ثم في الأزهر الشريف، أخذ عن كبار علماء الاسلام في عصره مثل محمد المبارك، علي بن عيسى، محمد السنوسي، الباجوري، عليش، السقا، المبلط، وأخذ الطرق الصوفية عن الأمير عبد القادر.

**وظائفه ومناصبه:**

خليفة الأمير عبد القادر في سطيف، قاضي المهجرين السوريين في بلاد الشام، مفتي المالكية بدمشق، مدرس في دار الحديث العصرونية في دمشق، مدرس أولاد الأمير عبد القادر في الفقه المالكي، محرر مؤلفات الأمير.

**نشاطه ومواقفه:**

كان أحد رجالات الأمير عبد القادر أثناء المقاومة المسلحة، مبعوثه السري الى السنوسين في عسير وقبيلة حرب في نجد والى منطقة صور الغزلان بعد هجرته الى دمشق وساعده في اخماد فتنة 1860 في دمشق.

**آثاره:**

كان الأمير عبد القادر يملي عليه كتبه إذ عرف بحسن الخط ومن هذه «القراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الاسلام بالباطل والالحاد».

**مصادر ترجمته وتصنيفه وتوصيفه لدى مترجميه:**

ثبت الأمير، حلية البشر، معجم اعلام الجزائر، روض البشر، أعيان دمشق، الهجرة الجزائرية الى المشرق العربي.

**ملاحظة:** وجدت في فهارس مخطوطات الظاهرية عدة مخطوطات فيها كتب عليها تملك باسمه، بعضها في الشعر والأدب والفقه، وقد أخبرتني والدتي أن كثيراً من كتبه «حيث أنه جدها» قد بقي في فلسطين.

## 35-محمد ممدوح الحسيني الجزائري

**اللقب:** الحسيني الجزائري الاسم: محمد ممدوح الأب: محمد علي

**الجد:** محمد الشريف مكان الولادة: دمشق تاريخ الولادة: 1930

**التعليم:** اجازة في العلوم الحيوية 1949 من دمشق

دكتوراة فلسفة في العلوم الزراعية اختصاص حشرات من كاليفورنيا 1963

**الوظائف والمناصب:**

رئيس قسم أبحاث الحشرات في سورية 53-1963

أستاذ وكيل كلية الزراعة جامعة حلب 63-1967

أستاذ في جامعة الرياض 67-1968

رئيس قسم كلية البنات في جامعة دمشق 1965-1970

مدير مشروع اقليمي لدى منظمة الأغذية والزراعة الدولية في بماكو جمهورية مالي 1970-1974

مدير مشروع ومستشار رئيسي لدى وزارة الزراعة الجزائريين 1974-1982

عضو مجلس العلوم الأعلى ومستشار هيئة الطاقة الذرية 1982

**المؤلفات:**

الآفات الزراعية وطرق مكافحتها 1962

الحشرات الاقتصادية في سورية 1966

مبادئ علم الحشرات 1965

المعدات المستعملة 1987

## الهوامش

1. القاياتي، محمد عبد الجواد: نفحة الشام في رحلة الشام. بيروت 1965 ط1 ص.
2. الفرفور، د. عبد اللطيف: أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري. دمشق 1987.
3. القاسمي، ظافر: مكتب عنبر – صور وذكريات عن حياتنا الثقافية والسياسية والاجتماعية، بيروت 1964
4. نفسه
5. تقديرا لهذه المرأة أطلق إسمها على إحدى مدارس دمشق.
6. قدامه، أحمد: معالم وأعلام، دمشق 1960 ط1
7. الزواوي، أبو يعلى: تاريخ الزواوة
8. الحصني، تقي الدين: منتخبات التواريخ لدمشق، بيروت 1974 ط1
9. انظر صورة مخطوطة لاحدى قصائده
10. فارس، جورج: من هم في العالم العربي، دمشق 1957
11. عياش، عبد القادر: معجم المؤلفين السوريين في القرن العشرين، دمشق 1985 ط1

الفصل الرابع

# الأحوال الإقتصادية و المدنية للمهجرين الجزائريين في الشام

## الأحوال الإقتصادية:

### أ- في العهد العثماني:

كانت الأراضي التي منحتها الدولة العثمانية للمهجرين الجزائريين من الأراضي الخصبة لقربها من أنهر الأردن واليرموك وبردى وكانت في مساحتها أكثر من قدرتهم على الاستثمار.

لكن الدولة العثمانية - كلها - كانت متخلفة ولم تتطور الزراعة فيها منذ عشرات القرون، وبخصوص بلاد الشام فإن اقتصادها كان يتعرض لضرب مبرمج سواء من الأستانه أو الدول الكبرى.

غير أن إعفاء المهجرين الجزائريين من الخدمة العسكرية لمدة طويلة نسبياً، وابتعادهم عن الوظائف الحكومية أسهم في إبقاء الأيدي العاملة في الأرض.

لكن تخلف الزراعة وكثرة القلاقل في البلاد كانت عوامل تجعل هذه الجهود الفردية لاتعطي ثمرة كبيرة، أما حين يضطرب الموسم فالجهود تذهب أدراج الرياح.

وكانت عشرية 1870-1880 من أسوأ عشريات القرن التاسع عشر في المنطقة ... أن حركة موانئ التصدير في بيروت وحيفا ويافا وصلت الى أدنى حدها وفي العشريتين الأخيرتين من القرن التاسع عشر والعشرية الأولى في القرن العشرين بدأت الصراعات السياسية في الأستانة نفسها، وما أن دخلت العشرية الثانية وهي عشرية جوع في بلاد الشام حتى كانت الحرب العالمية الأولى.

لقد كان من المؤكد أمام هذه الحقائق أن أعداداً كبيرة جداً من المهجرين الجزائريين ستموت جوعاً.. لولا ذلك الموقع الممتاز الذي اختاره الأمير عبد القادر بالقرب من تلك الأنهار.. لذلك فإن المجاعة التي ضربت المنطقة كانت أقل تأثيراً عليهم من غيرهم خاصة من مهاجري أوروبا غير أن معاناتهم الحقيقية بدأت مع الانتدابين الفرنسي والبريطاني.

### ب- تحت الانتداب الفرنسي:

ضغطت فرنسا طوال احتلالها لسورية 1920-1946 على الجزائريين وعموم المغاربة ضغطاً اقتصادياً رهيباً بقصد تطويعهم واجبارهم على تغيير مواقفهم ضدها.. فقد نشرت جريدة القبس الدمشقية (وهي غير المقتبس العثمانية) الخبر التالي:

«قابل وفد من المغاربة المقيمين في دمشق سعادة المندوب السامي نهار أمس وطلبوا منه ايجاد عمل لهم اما بالانخراط في الجيش واما بتوظيفهم حراساً في البلدية أو السماح لهم بالهجرة الى تركيا التي تكرم وفادتهم على مايقال وتمنحهم الأراضي الزراعية، وقابلوا أيضاً فخامة رئيس الوزراء في الموضوع نفسه».(1)

ومن الواضح أن فرنسا زادت من ضغوطاتها الاقتصادية على الجزائريين وعموم المغاربة في سورية في أعقاب الثورة السورية الكبرى 1925 -1927 بسبب مشاركتهم الواسعة في هذه الثورة فزادت حالات الفقر بينهم.

فأسسوا عام 1929 جمعيتهم «جمعية المقاصد الخيرية المغربية» التي ماتزال قائمة حتى الآن. ويظهر بيان تأسيس هذه الجمعية أن حالات الفقر هي من الأسباب الموجبة لهذا التأسيس.

والى ذلك الوقت كانت هذه الجمعية تستعين بالجزائريين في فلسطين للتبرع فترسل مندوباً كل عام ليجمع تبرعات عينية من المحاصيل الزراعية كما يتضح من رسالتها الموجهة الى القنصل البريطاني في دمشق. كما يجمع تبرعات نقدية كما يتضح من الجدول المثبت في تقريرها السنوي لعام 1931.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية زار الجنرال ديغول كل بلاد الشام. ويبدو أنه تبرع لهذه الجمعية بمبلغ مائة ليرة سورية حسب نسخة الايصال الموجه اليه على شكل رسالة شكر.

غير أن الضغوطات الاقتصادية الفرنسية عليهم لم تنجح في تغيير موقفهم خاصة بالنسبة لمجموعة سكان دمشق.. لعدة أسباب من بينها اعتمادهم منذ 1847 على أنفسهم وتوجههم نحو الحرف وليس نحو الوظيف العمومي إذ لجأ الجزائريون بعد الفلاحة الى المهن، فعدا عن المهنة التي يقدرها الجزائري عادة حيث التدريس في المساجد «الطالب» كانت هناك مهنة تجليد الكتب التي كان يعتاش منها أبرز علمائهم مثل محمد المبارك، فهذا الرجل رغم مستواه العلمي والجهادي آثر أن يعيش من مهنته، ومحمد بن عبد الله الخالدي كان رغم توليه قضاء المهجريين الجزائريين يعيش من نسخ الكتب. لذلك فإننا نجد عدداً كبيراً من مجلدي وناسخي الكتب في دمشق خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر هم من بين هؤلاء وتبرز هذه الحقيقة بمخطوطات مكتبة الظاهرية نفسها.

وقادت هذه المهنة الى أن الأجيال اللاحقة تحولت الى تجارة الكتب والى الطباعة، فظهرت مع مطلع القرن العشرين عدة مكتبات ومطابع في دمشق وبيروت يمتلكها أو يشارك فيها جزائريون، وحتى السنوات الأخيرة كانت عائلة شوبان المهجرة من منطقة البليدة ذات سمعة في مضمار الطباعة في دمشق.

أما مهنة التدريس في المساجد فأدت الى فتحهم عدداً من الكتاتيب في دمشق، والتي أدت بدورها الى فتح المدارس العصرية على يد الشيخ طاهر الجزائري، فإن هذا كله أدى الى أن تمتهن أعداد هائلة منهم مهنة التدريس في كل مستوياته، ولعل هذا هو الذي يفسر نسبة الأساتذة الجامعيين من أصول جزائرية في الجامعات السورية، ويمكن القول أن تطور التعليم في سورية فترة العشرينات حتى الخمسينات من القرن العشرين يعود في جزء كبير منه الى أحمد جودت الهاشمي البنيوي الذي أدار مكتب عنبر أول مدرسة عصرية في دمشق والتي تسمى الآن باسمه (ثانوية جودت الهاشمي) وكانت هذه المدرسة أو المكتب قد أسست بجهود الشيخ طاهر كما بينا في بحث سابق وقد نشر تلميذان بارزان من تلاميذ هذه المدرسة كتابين عنها الأول كتبه ظافر القاسمي أحد رجالات القومية العربية باسم «مكتب عنبر» والثاني كتبه مطيع المرابط (وهو من أصل جزائري) بذات العنوان تقريباً وتحدثت كل منهما عن الأساتذة الجزائريين الذي درسوه في هذه المدرسة.

**ج- تحت الانتداب البريطاني لفلسطين:**

أما الجزائريون في فلسطين، وخاصة في القرى العشر التي سكنوها، فقد ظلوا في عهد الانتداب البريطاني على فلاحتهم التي ازدادت تخلفاً على تخلف، ولم يتح لهم أي باب من أبواب التطور، فقد أغلقت بريطانيا تلك المدارس الابتدائية التي فتحت في عهد

الشيخ طاهر، ولعل الذين تمكنوا من تعليم أولادهم في مدارس المدن كصفد وطبريا يعدو على أصابع اليد الواحدة..

أما الحرف والمهن فقد تعلم بضعة أنفار منهم مهنة سياقة السيارات أو الميكانيك وغيرها من المهن.. لكنها مهن لم تكن ذات مردود حقيقي يمكنهم من الانفصال عن الأرض ويحار المرء في تحليل هذه الظاهرة بينهم، فإن سياسة بريطانيا والحركة الصهيونية في فلسطين كانت ترمي الى تشجيع الفلاحين الفلسطينيين للتخلص من أراضيهم عبر رفع الضرائب وخفض أسعار المحاصيل وفتح قنوات لأجيال الفلاحين الجديدة للالتحاق بالمدن واحتراف المهن الجديدة.. إلا أن هذه الحرف لم تظهر بين الجزائريين في فلسطين. كما أنه لم تسجل بينهم إلا حالات فردية نادرة بالالتحاق بالأجهزة العسكرية التي أنشأتها بريطانيا مثل «الشرطة» و«قوات الحدود».

**د- بعد استقلال سورية ونكبة فلسطين:**

حين أخرجت فرنسا من سورية عام 1946 كان الجزائريون فيها قد تمكنوا من الحصول على قسط وافر من التعليم ومن لم يتجه نحو التعليم اتجه نحو الحرف والمهن وساعد الاستقرار النسبي بعد 1927 الفلاحين منهم في غوطة دمشق وحوران على تحسين فلاحتهم وأما في حلب وحمص فقد بدأت تظهر عائلتا درويش والهواري كعائلتين صناعيتين - تجاريتين.

وحين هجر الجزائريون من فلسطين لم يجدوا بأيديهم بعد فقدان الأرض مالاً أو مهنة أو علماً يمكن أن يعتاشوا منها، وقد شكلت هذه الحالة إرباكاً للوزير محمد المبارك وهو يسعى لتشغيلهم سواء في الوزارات التي شغلها (الأشغال، الزراعة) أو في الوزارات والدوائر الأخرى فلم يجد أمامه سوى تشغيلهم في البلدية بأعمال الطرقات وقد اعتبر ذلك في نظر غيرهم من الفلسطينيين الذين في نفس الحالة امتيازاً يحسدون عليهم.

لكن هؤلاء الجزائريين المهجرين من فلسطين سرعان ماانتقموا من الزمان الذي وقف ضدهم نحو تعلم المهن والحرف ابتداءاً من مهنة البناء البسيطة ودفعوا بأطفالهم الى مدارس وكالة الغوث وحصل عدد لابأس به من هؤلاء الأطفال في وقت لاحق على شهادات جامعية.

ولعل المرء هنا يعجب بقدراتهم المعنوية فإنه إذا كان حسين فرحات قد ساعد بعضهم في السكن برباط المغاربة ومحمد المبارك ساعد بعضهم في الحصول على عمل، فإنهم لم ينسوا أن يقوموا بواجبهم بعد اندلاع الثورة الجزائرية بالتسجيل فيها كمتطوعين أو بتقديم التبرعات المالية لها عبر دار الجزائر كما لم ينسوا واجبهم في فلسطين وبدء أعمالهم الفدائية.

وما أن جاء عقد الستينات حتى بدأت الهوة بين جزائري فلسطين وسورية تضيق.. وقد أتيح لعدد من المدرسين في هذه الجالية بشقيها المشاركة في التدريس في الجزائر بعد

استقلالها وعلى رأس هؤلاء المدرسين الدكتور أسعد العربي الدرقاوي وزير الثقافة في سورية والذي درّس سنوات في جامعة الجزائر وكذلك اتجه عدد مهم من الجزائريين لمهنة النسيج على الأنوال وربما حتى مطلع الخمسينات كانت الأنوال لما تزل منصوبة في حي السويقة، وتطورت هذه المهنة الى تجارة الأقمشة والملابس وحتى الآن لاتزال أسماء الجزائري ملحوظة على محلات في سوق الحميدية وتفرعاته.

كما عمل الجزائريون ولايزال بعضهم حتى الآن في مهنة «التصفير» أي الطرق على النحاس وكثير من النحاسيات الشرقية التي تشتهر بها سورية اليوم هي من صنع هؤلاء أو ممن تتلمذ على أيديهم.

ولعل من المهن التي أثار اتقانهم لها دهشتي هي صناعة الحلوى، فمن المعروف أن الشوام أكثر شعوب العالم تفننا في فنون المطبخ ومنها الحلوى الشرقية ذات الشهرة الواسعة لقد دخل الجزائريون هذه المهنة وأتقنوها.. وكثير من محلات الحلوى تعود الى هؤلاء، بل أن بشير شرفاوي يملك اليوم في قرية عالقين مصنعاً للبسكويت يصدّر منتجاته الى أوروبا.

غير أن المهنة التي تخلب لب الجزائري الى جانب مهنة «الطالب» مهنة «العسكرية» فرغم أن تركيا كانت تعفيهم من الخدمة العسكرية سنوات طويلة، ضمن سياستها لابعاد العنصر العربي عن الجيش، ورغم أنها لم توافق عام 1860 على تكوين فرقة عسكرية منهم، إلا أنه برزت منهم كفاءات عسكرية مرموقة في العهد العثماني مثل البكباشي «العقيد»سليم السمعوني الجزائري الذي هو حسب تعريفه بنفسه في مقدمة كتابه في علم المنطق الموسوم «ميزان الحق» مهندس أيضاً وقد اخترع كما يقول آلة الفرجار اللطيفة.

وفي عهد الاستقلال السوري ظهر الضابط حسين فرحات ثم بزغ نجم اللواء «الجنرال» عبد الرحمن خليفاوي الذي تسلم رئاسة الوزراء مرتين، وكذلك برز الضابط عدنان العالم عدا عن المراتب العسكرية الأخرى.

ولعل من الملفت للنظر اليوم كثرة أعداد أصحاب المهن الرفيعة منهم جنباً الى جنب مع أصحاب الحرف، فهناك عدد معتبر من الأطباء والمهندسين والمحامين بجانب عمال البناء والحرف الأخرى.

## هـ- قائمة ببعض رجالات الجزائريين في الشام

| سياسيون | محامون | صحفيون |
|---|---|---|
| عبد الرحمن خليفاوي | أنور بوكلي حسن | سعيد الجزائري |
| هشام المجد | أحمد الحسني | يحيى يخلف |
| محمد خير جزائري | محمد صهيب الجزائري | سهيل زرقين الخالدي |
| هشام جزائري | أسامة العربي | محمد أبو عزة |
| حسن جزائري | بشير جزائرلي | سعيد فرحات |
| | عمر جزائرلي | أحمد فرحات |
| | محمد قشطوني | مسلم جزائرلي |
| | ضرار رباح | صباح جزائري |
| | | سامية جزائري |
| | | تحسين جزائري |

| أساتذة جامعات | مهندسون | أطباء |
|---|---|---|
| مازن المبارك | محمد عبد الله الجزائري | عدنان جابر |
| هاني المبارك | موفق ساريح | جمال الدين جزائرلي |
| سعيد العربي | سامر سالم | محروس الهلالي |
| خالد جزائري | موفق فرحات | سمير سالم |
| زهير الهاشمي | نزار فرحات | ميهوب الأخضر |
| فاروق الهاشمي | | زاهر المبارك |
| سمير سعيد العربي | | أحمد خليفاوي |
| عيد يعقوبي | | مولود المغربي |
| مظهر يعقوبي | | هاني صالح |
| محمود قويدر | | |

| تجار ورجال أعمال | موظفون كبار | وجهاء |
|---|---|---|
| صبحي فرحات | ممدوح المبارك | رابح مزيان |
| بشير شرفاوي | خليل محجوب | محمد سعيد يماش |
| محمد علي الجزائري | محمود جزائري | شريف جابر |
| سعيد فرحات | يحيى الهلالي | سعيد جمعة |
| تيسير شوبان | أحمد سهيل الفضيل | سليم يعقوبي |
| بشير شوبان | مصطفى العالم | سعيد جزائري عماره |
| | عدنان علاّم | خليل فليس |
| | عدنان المبارك | محمد خير فليس |
| | | حسن عكور |
| | | الأخضر بن محمد بن يطو |
| | | محمود ارغيس |
| | | محمود كوجيل |
| | | عمر ارغيس |

**الأحوال المدنية**

**أ- من الهجرة حتى الحرب الأولى:**

دون ريب أن المهجرين الجزائريين وجدوا أنفسهم، خاصة مع تزايدهم، بحاجة الى من يحل لهم مشكلاتهم ويتولى شؤونهم المدنية، وحل المنازعات بينهم، ولدينا وثيقة تقول أن الأخوين حسين وناصر من عائلة الكبيرقد تنازعا فيما بينهما حول مبلغ من المال وتمت تسوية هذا النزاع باتفاق مكتوب وعليه شهود ومصادق عليه من الأمير عبد القادر شخصياً.(1) بل يلاحظ في وقت لاحق حسب الوثائق التي بين أيدينا أن هذه العائلة في التليل كان لها نشاط مشاغب، حيث أن هناك رسالة من الأمير علي بن عبد القادر الى زعيم هذه العائلة موسى الحاج حسين يوبخه فيها على موقف غير ودي من الدروز(2) ورسالة أخرى من الأمير جعفر بن طاهر الى نفس الشخص وشخص آخر يدعى سعيد عمر ينتقدهما فيها على الموقف اللاتضامني الذي يسود المهجرين.

ويبدو أن الأمير عبد القادر تنبه في وقت مبكر الى ضرورة وجود قاض خاص بالجزائريين فأوكل الافتاء الى السيد مصطفى التهامي وأوكل مهمة القضاء ثم الافتاء الى السيد محمد بن عبد الله الخالدي حيث يقول صاحب حلية البشر في ترجمته للخالدي [.. وتصدّر للافتاء وفصل القضايا بين المهاجرين المغاربة بأمر سيدنا المرحوم الأمير عبد القادر الحسني] وقد توفي هذا الشيخ في أواخر جمادى الثانية سنة ألف ومائتين وثلاث وثمانين للهجرة أي حوالي 1882 للميلاد قبل الأمير عبد القادر بحوالي عام، فأمر الأمير بأن يتولى ولده محمد بن محمد بن عبد الله الخالدي هذه المهمة، التي ظل يشغلها الى أن قامت الحكومة التركية بالغاء منصب قاضي المهجرين ونقلت محمد بن محمد بن عبد الله الخالدي الى معان. حسب جريدة الأمة(3). وتقع معان جنوب بلاد الشام وليس فيها أي مهاجر جزائري وأوكلت اليه مهمة الافتاء والتدريس معاً، وصرف الجعالات الشهرية التي كانت تسمى الصر، الى القبائل البدوية التي كانت تتعرض للقطار قبل هذه الجعالات. لكن الحكومة التركية حافظت على منصب الافتاء المالكي في دمشق.

وهكذا منذ مطلع القرن العشرين تقريباً بدأت ترد أسماء الجزائريين في دمشق كمتقاضين أمام المحاكم العثمانية فهناك وثائق عن منازعات دخل الجزائريون طرفاً فيها مدونة في سجلات المحاكم الشرعية بدمشق كالسجل رقم 1321 الذي اطلعنا عليه في دار الوثائق التاريخية بدمشق وغيره من السجلات المحفوظة في هذه الدار.

لكن الأمر لم يكن كذلك في القرى الجزائرية سواء في حوران أو الجليل ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي ومن بعده ولده محمد اتخذا صفة القاضي الجوال. إذ ينتقل من مقره في دمشق الى حوران فيقيم فترة في قرية عالقين وأخرى في قرية غباغب واتخذ في فلسطين قرية معذر في الجليل الأدنى وقرية التليل في الجليل الأعلى، فيأتيه الجزائريون ليوثق لهم بيوعاتهم وزيجاتهم وكل منازعاتهم وتقول نادية طرشون في ذلك:

«ولم يكن المهاجرون الجزائريون بحاجة للاتصال بالسلطات المدنية أو القضائية فكل معاملاتهم من زواج وطلاق وارث وشراء وبيع كانت تتم برعاية الأمير عبد القادر وقد عين لهم هذا الأخير الشيخ محمد بن عبد الله الخالدي المالكي الجزائري ليتصدر للافتاء وفصل القضايا بينهم».(4)

وقد ظل أمر الجزائريين في هذه القرى على هذا النحو لايذهبون الى القاضي العثماني سنوات أخرى بعد الاحتلال الفرنسي لسورية والبريطاني لفلسطين. وهكذا يمكن القول أنه ظلت للجزائريين شخصيتهم المستقلة عن السلطة العثمانية حتى مطلع القرن العشرين، وحافظوا على سلوك رفيع المستوى في التعامل اليومي والعلاقة مع المجتمع الشامي لكن مع تردي الأحوال الاقتصادية في الشام منذ مطلع القرن العشرين وكثرة أعداد المهجرين بدأت تظهر المخالفات الأخلاقية كالاعتداء على الآخرين، ويبدو أن بعض مرتكبيها ممن حملوا الجنسية العثمانية كانوا يدعون أمام الشرطة بأنهم تحت الحماية الفرنسية وأنهم يحملون جنسيتها حيث تورد جريدة المقتبس في باب أخبار الشرطة الخبر التالي:

«قبض على محمد سليمان الجزائري من محلة السويقة لجرحه أحمد بن ابراهيم السيد حوا بيده اليسرى وقد سلم الى قنصلاتو فرنسا لأنه ادعى الحماية الفرنسوية فمالبث أن أعيد الى الدائرة لأنه اتضح من البحث أنه عثماني».(5)

ومعروف أن الجزائريين انقسموا في الشام بعد وفاة الأمير من حيث الجنسية الى قسمين قسم ظل على التابعية العثمانية حاذين حذو الأمراء محمد وعلي ومحي الدين وهو القسم الأعظم وقسم آخر تحوّل الى التابعية الفرنسية حاذين حذو الأمراء الهاشمي وعبد المالك وغيرهما وهو القسم الأقل وقد أزعج ذلك السلطات العثمانية حتى أن جيشها الرابع كان يهاجم بين فترة وأخرى القرى التي فيها نسبة كبيرة من أصحاب هذه التبعية كقرية هوشة قرب حيفا حيث لدينا وثيقة هي رسالة بعث بها هؤلاء الى الأمير مصطفى تفيد باقتحام الجيش العثماني والدرك لقريتهم واجبارهم القرية على اطعام العسكر وذبح الذبائح حتى [ضاقت به أحوال الموجودين في قرية هوشة والنسوان كلت وملت من الخبز (..) وما فضل في القرية شيء عند المهاجرين حتى يقدموه لهم والشعير ذهب عليق الى الخيالة ومابقي باليد حيلة حتى إذا طال المطال وبقى الأمر على هذه الأموال ترحل عن بكرت (كذا) أبيها] والرسالة مؤرخة حسب التقويم الميلادي الشرقي 18 ايلول (سبتمبر) 1325 وهو يوافق عام 1910 بالتقويم الميلادي الغربي.(6)

**ب- من الحرب الأولى حتى استقلال الجزائر:**

وبعد الحرب الأولى ظهرت المملكة العربية وعاصمتها دمشق عام 1918 لحظة رفع الأمير سعيد الجزائري العلم العربي باسم الملك فيصل بن الحسين وأنزل العلم التركي، وأعلن الحكومة العربية المستقلة، التي سرعان ما اغتالها لورنس وباسم الملك

فيصل نفسه.

ولم تكن مشكلة جنسية المواطنين قد أثيرت في ذلك الوقت فالكل عرب من جهة، ومن جهة ثانية لم تتمكن هذه المملكة المؤيدة من جميع العرب من تنظيم أمورها فقد كان الحلفاء جادون في تطبيق اتفاقية سايكس - بيكو واقامة مجموعة من الدول في بلاد الشام.

ولهذا الغرض دخل الجنرال الفرنسي غورو عام 1920 دمشق محتلاً بعد معركة يائسة في ميسلون، وبدأ الاحتلال الفرنسي يمزق سورية فيقيم دولة في الساحل السوري الذي كان قد احتله عام 1918 وأخرى في حلب وثالثة في دمشق.. لكنه فشل في ذلك فشلاً ذريعاً..

وخلال الثورة السورية 1925-1927 بدأ الاحتلال الفرنسي في ضبط الحالة المدنية.. ولم يفكر هذه المرة بجنسية الجزائريين، فقد انتهى أمرها كورقة يلعبها في وجه الأتراك العثمانيين. وقد أصبحت هناك جنسية سورية، كما وجدت جنسية لبنانية ومنذ عام 1924 ظهرت الجنسية الشرق أردنية، وفي عام 1922 بدأت بريطانيا بإبراز الجنسية الفلسطينية وهكذا وجد الجزائريون الذين كانوا عثمانيين حتى عام 1918 تفرض عليهم 4 جنسيات جديدة لم يختاروها كما لم يختارها مضيفوهم واخوانهم العرب الشوام.

لكن الذي يثير السؤال من خلال تفحصنا لسجلات 1926 التي قام بها الاحتلال الفرنسي في دمشق، هو وضع الجزائريين من حملة الجنسية الجزائرية الفرنسية. حيث سجلوا في سجل الأجانب دون أن يشار الى أن جنسيتهم فرنسية وأما في فلسطين، فنجد حالة أخرى، فقد أقر الانتداب البريطاني بجزائرية أولئك الذين كانوا عثمانيين، وبفرنسية الذين يحملون الفرنسية منهم..

وهدف البريطانيين والفرنسيين واضح، فهو حجب أية جنسية عن هؤلاء، واعتبارهم أجانب عن هذه البلاد، وصولاً الى مقولة الصهيونية أن فلسطين أرض بلا شعب، وأن معظم السكان من جهات خارج فلسطين، جزائريين، مصريين، لبنانيين.. الخ.

ولأن الخريطة الصهيونية لفلسطين كما ظهرت في المؤتمرات الصهيونية تشكل كل بلاد الشام وجزءاً من العراق ونجد وسيناء. ولما كان الجزائريون يسكنون وسط بلاد الشام حوران والجليل علينا أن نفهم أبعاد التلاعب الذي تعرضت له جنسيتهم، فالعثمانية انتهت، وفرنسا لا تعترف بجزائريتهم أو فرنسيتهم في سورية ولا تعترف الصهيونية بفلسطينيتهم في فلسطين.

لكن الوقائع أفشلت كل الخطط الاستعمارية في الايقاع بين الجزائريين والشوام، فقد التحموا جميعاً كعرب وخاضوا غمار الحرب الضروس التي مازالت مشتعلة حتى الآن، وما أن أطل العقد الرابع حتى حمل الجزائريون في الشام جنسية الدولة التي سكنوها، وأما الجزائريون في فلسطين الذين يحملون الفرنسية، فقد أهمل كثير منهم هذه الجنسية بعد ما رأوا أن السفارات الفرنسية تساومهم على أراضيهم في فلسطين، وفي عام 1950 تخلت

عائلة الكبير عن جنسيتها وحصلت على الجنسية السورية بمرسوم جمهوري رقم 875 تاريخ 1950/5/9 ونشر في عدد الجريدة الرسمية رقم 27 تاريخ 1950/5/18 في الصفحة رقم 18230. وبعد افتتاح مكاتب جبهة التحرير الوطني الجزائري في المشرق العربي قدّم الجزائريون أنفسهم الى هذه المكاتب.

وكنت من بين المترددين مع كبار السن على مكتب الجبهة في عمان «جبل اللويبدة» الذي كان يديره الشيخ عبد الرحمن العقون، وكان يرأس المترددين شخص يدعى علي بوزيد لم يكن لديه أولاد، وفجأة رزق بولد فأسماه صلاح تيمناً باسم أحد أبناء الشيخ عبد الرحمن العقون نفسه. وأما في دمشق مركز ثقل الجزائريين فقد كانت دار الجزائر برئاسة ممدوح المبارك هي امتداد لمكتب جبهة التحرير الوطني الذي كان يديره الأستاذ عبد الحميد مهري كما تحدثنا في بحث آخر.

ويجب أن نذكر هنا بوضوح لا لبس فيه وباعتزاز عروبي وحدوي أصيل، أن سورية، على وجه الخصوص، سواء في عهد الاحتلال الفرنسي ممثلة بأحزابها الوطنية وطبقتها السياسية أو في عهد استقلالها ممثلة بحكوماتها وهيئاتها السياسية في مختلف المراحل لم تنظر إلى هؤلاء الجزائريين نظرة تختلف عن نظرة الشعب السوري نفسه، فقد عاملتهم كسوريين تماماً واجباً وحقوقاً بل أعطتهم أيضاً حق الضيف. فوصلوا الى أعلى المراتب، فبعضهم شغل أكثر المناصب في الدولة حساسة مثل منصب السكرتير السري لرئيس الجمهورية السورية ومنصب رئاسة الوزارة التي تقلدها لمرتين اللواء السيد عبد الرحمن خليفاوي وشغل قبلها منصب وزارة الداخلية ومحافظ حماه، وقبله شغل جعفر الحسني منصب محافظ السويداء وشغل مختار الجزائري منصب محافظ في شمال سورية وشغل محمد المبارك منصب وزارة الزراعة وكذلك منصب وزير الأشغال وشغل السيد أسعد العربي الدرقاوي منصب وزير التعليم العالي ناهيك عن المناصب الأقل حساسية.

كما أطلقت أسماؤهم على عدة ثانويات مثل ثانوية جودت الهاشمي وثانوية الشيخ طاهر الجزائري وثانوية عبد القادر المبارك وعلى عدة شوارع مثل شارع عز الدين الجزائري..

كما أن عدة شخصيات منهم تترشح للانتخابات النيابية، فكان محمد المبارك عضواً شبه دائم في البرلمان السوري نائباً عن مدينة دمشق حيث ينتخبه أبناؤها وكان في أكثر الحالات من نواب المعارضة. وفي انتخابات عام 1990 ترشح منهم حوالي 7 مرشحين عن مدينة دمشق وحدها، فالشعب الذي بايع الأمير عبد القادر ليكون ملكاً عليه دون أن يقول أنه جزائري والشامي أولى منه، واصل المسيرة، والجزائري الذي اعتبر الشام جزءاً من الجزائر واصل الطريق. فضرب الطرفان مثالاً ساطعاً وميدانياً على أن الوحدة العربية حقيقة لاتقبل التشكيك وأن الدولة العربية الواحدة من شنقيط حتى حضرموت آتية لاريب فيها، رغم سخافة الموقف الفرانكوفوني بعد استقلال الجزائر، ورغم سياسات أوروبا

وأمريكا المعادية للوحدة العربية.

ومع استقلال الجزائر عام 1962 وتحول مكاتب جبهة التحرير الوطني الجزائري الى سفارات، ورغم سيطرة الفرانكوفون على الادارة في الوطن الأم، إلا أن الجزائريين في الشام اعتقدوا أن سفينة عودتهم الى وطنهم الأم تستعد لنشر أشرعتها، أو هكذا فهموا بعض الاشارات، ومنها:

1- اشراكهم في الانتخابات الرئاسية عام 1963 وانتخابهم للسيد أحمد بن بللا الذي كتب ذات يوم الى أمين سر جمعية دار الجزائر أحمد سهيل الفضيل بأن الثورة الجزائرية فخورة بما قام به الجزائريون في المشرق، كما أن مشاركة عدد من شخصيات الثورة الذين يعرفون جزائريي الشام ودورهم في الثورة، مشاركتهم في السلطة كانت سببا آخر يدعو الى الشعور بأن سفينة العودة تستعد.

2- قيام السفارات الجزائرية بإحصاء أعداد وممتلكات هؤلاء ضمن وثائق رسمية صادرة عن السفارات في دمشق(7) وعمان وبيروت، وكنت من بين الذين أسهموا في إعداد الكشوفات للسفارة الجزائرية بعمان، رغم أن السفارات لم تقدم توضيحات حاسمة للقصد من هذه الاحصاءات، كما لم توضح من قبل القصد من اشراكهم في الانتخابات.

لكن معظم الناس اعتبروا هاتين الاشارتين كافيتين لحزم حقائبهم.. بل أن بعضهم لم ينتظر الاجراءات الرسمية وعاد الى الجزائر ووصل الى «الدشرة» التي هاجر منها جده.

غير أن النكسة أصابتهم وهم في قمة الأمل ففي عام 1966 تم نقل رفات الأمير عبد القادر في احتفالات مهيبة من دمشق الى الجزائر وكان وفد الجالية الجزائرية المرافق برئاسة حفيد الأمير عبد القادر الأمير سعيد بن علي بن عبد القادر، ويتكون الوفد في معظمه من أعضاء جمعية دار الجزائر. وقد أجرى الوفد محادثات مع حزب جبهة التحرير الوطني حول موضوع الجنسية ووافق الحزب - حسب تصريحات السيد أحمد سهيل الفضيل لهذا الباحث- على قرار لإعادة الجنسية لجزائريي الشام وأن تنفذه وزارة الداخلية التي وصل مندوب منها الفندق الذي يقيم فيه الوفد.. لكن وقت الزيارة انتهى وعادوا الى الشام ولم تنفذ الوزارة قرار الحزب، بل ليس من المؤكد إذا ماصدر القرار ونشر عبر الطرق القانونية.

وهكذا تحول الانتظار الجماعي لسفينة العودة الى عمل فردي باتجاه تحقيق هذا الحلم، وبدأت المحاكم في الجزائر تشهد قضايا مرفوعة من هؤلاء لاستعادة جنسيتهم الأصلية، وبدأ منزل خالي الشيخ أحمد الخالدي في حي عيشة بكار في بيروت يستقبل العديد من الجزائريين للحصول منه على تفاصيل وعناوين عائلاتهم في الجزائر باعتبار أن والده وجده كانا على التوالي يشغلان منصب قاضي الجزائريين في المشرق العربي

وبالتالي لديه كثير من الوثائق والمعلومات التي يمكن أن تعين هؤلاء في الاتصال بجذورهم، وكانت حالتهم تشبه حالة عبيد أمريكا الذين يبحثون عن جذورهم في افريقيا كما تحدثت رواية «الجذور» الشهيرة، كما نشطت مراسلات العائلات أصولاً وفروعاً.

وفي عام 1970 صدر قانون الجنسية الجزائرية رقم 85/70 تاريخ 1970/12/15 وتتحدث المادة 32 عن اجراءات استرداد الجنسية الجزائرية الأصلية بالنص الآتي:

[عندما يدعي شخص الجنسية الجزائرية كجنسية أصلية يمكن اثباتها عن طريق النسب لوجود أصلين ذكرين من جهة الأب مولودين في الجزائر ومتمتعين بالشريعة الاسلامية. ويمكن أيضاً اثباتها بكل الوسائل وخاصة عن طريق حيازة الحالة الظاهرة.

وتتضمن الحالة الظاهرة للمواطن الجزائري من مجموعة الوقائع العلنية المشهورة المجردة من كل التباس والتي تثبت أن المعني بالأمر وأبويه كانوا يتظاهرون بالصفة الجزائرية وكان يعترف لهم بهذه الصفة لا من طرف السلطات العمومية فحسب بل وحتى من طرف الأفراد.

إن الأحكام السابقة لاتمس الحقوق الناتجة عن اكتساب الجنسية الجزائرية بفضل القانون].

لقد شجعت هذه المادة وخاصة الجزء المتعلق منها بالحالة الظاهرة العديدين للذهاب الى الجزائر وطرق أبواب القانون.

وقد شهدت المحاكم الجزائرية في العديد من المدن مثل: الجزائر العاصمة، تيزي وزو، البويره، سطيف، وهران، قسنطنطينة، تلمسان وغيرها دعاوى مرفوعة من أفراد من المهاجرين الجزائريين من سورية وفلسطين ولبنان والأردن لاسترداد جنسيتهم الأصلية، غير أن الغالبية منهم لم تتمكن من ذلك.

وقد لاحظ بعض الذين قابلتهم لفائدة هذا البحث ممن لم يكسبوا قضاياهم الملاحظات التالية:

1- ان التسجيل المدني لم يبدأ في الجزائر إلا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر وهكذا فإن الأمير عبد القادر الجزائري ومن هاجر معه وبعده فليس لديهم سجلات مدنية في الجزائر، فلا يستطيعون اثبات جزائريتهم عبر هذا الطريق، كما لم يستطيعه أولئك الذين طالت عروشهم وقبائلهم أنظمة التفتيت الفرنسية.
2- إن أكثر المحاكم في الجزائر لاتأخذ في الحالة الظاهرة التي نصت عليها المادة 32 بل إنها تصر على ضرورة وجود السجل المدني «الدفتر الأصلي».
3- ان تغيراً في الألقاب حصل في العائلة الواحدة فباعد بينها. فالجزائريون في الوطن الأم تعرضوا لضغوط فرنسية أدت الى تغيير الألقاب، والمهجرون الى الشرق أضافوا الى ألقابهم ألقاباً تؤكد انتماءهم الى الجزائر مثل الجزائرلي، الجزائري،

المغربي ولم يكن الجزائريون في الوطن الأم بحاجة الى مثل هذا التأكيد.. لذلك فإن الأخوين حملا لقبين مختلفين.

4- ثم ان الحياة خلال القرن ونصف القرن الماضي كانت في الجزائر وفي بلاد الشام حياة مضطربة مليئة بالحروب والاحتفاظ بالأوراق مسألة لاتبدو مهمة في نظر عامة الناس، كما أن انتشار الأمية، وسوء سمعة عمليات التسجيل العثماني والفرنسي، وحدوث عدة هجرات داخل بلاد الشام أمور زادت المسألة تعقيداً.

5- ان المستوطنين الأوروبيين الذين طردوا وهجروا الآباء والأجداد وصادروا أراضيهم ونهبوا الوطن كله.. هؤلاء المستوطنون الأوروبيون الذين غادروا الجزائر لحظة نيلها الحرية عام 1962 وتخلصت من فظاعتهم ووحشيتهم، نجدهم يحاولون العودة الى الجزائر ويدعون أنها وطن أباءهم وأنهم جزائريون، فهل يحق للمجرم أن يطالب بحقوق الضحية.. هل يحق لهؤلاء المستوطنين المطالبة بالجنسية الجزائرية والعودة الى الجزائر ولا يحق للمهجرين الجزائريين؟

ومهما تكن درجة أهمية ملاحظات هؤلاء فإن بعضهم يواصل السعي لاسترداد جنسية الآباء الأصلية.

ويستخرج بعضهم نسخاً من الدفتر الأصلي، ويحصلون على شهادات شرفية من قبل أقاربهم من قراهم الأصلية وعلى شهادات من السلطات المحلية في الشام، كما يحتفظ كثير منهم بشجرات نسبهم العائلي التي تذكر من أين هاجروا والى أين، كما أنهم كثيراً مايتحدثون حول هذا الموضوع مع الدبلوماسيين الجزائريين ويرفعون العرائض الى السفارات بهذا الخصوص.

وصرح السيد رابح آمزيان مختار الجالية الجزائرية بمحلة السويقة المعروفة بدمشق لهذا الباحث فقال:

(كثيراً مايراجعني أشخاص من الجالية الجزائرية لإعطائهم شهادات بأنهم من أصول جزائرية وذلك حسب منطوق المادة 32 من قانون الجنسية الجزائرية والذي يتحدث عن الحالة الظاهرة ولما كنت بطبيعة الحال كجزائري أعرف معظم العائلات الجزائرية ولها سجلات عندي، ولما كنت أحتفظ بسجلات العائلات الجزائرية العثمانية والفرنسية فإني أعتمد على هذه السجلات.

ويضيف السيد آمزيان:

وكثيراً ماحدثت السفراء المتعاقبين وكتبت الى الجهات المختصة في الجزائر لحل هذه المسألة التي يزيد عمرها عن قرن. وكثيراً ماتستمزج السفارة الجزائرية رأي في بعض الحالات.. ولكن المسألة لم تزل بحاجة الى حل جذري).

وقد صرّح لهذا الكاتب السيد محمد سعيد بن ابراهيم يمّاش - مختار قرية نوله الواقعة في الغوطة الشرقية بدمشق بقوله:

الواقعة في الغوطة الشرقية بدمشق بقوله:

(منذ عام 1984 تقريباً بدأنا نعاني من مشكلة جديدة فنحن جزائريون وأوراقنا جزائرية ومسجلين لدى السفارة الجزائرية، لكن منذ ذلك التاريخ لم تعد السفارة تجدد بطاقاتنا وجوازات سفرنا الجزائرية، مما عقد أمورنا في المعاملات اليومية ومعاملات البيع والشراء التي تحتاج لمثل هذه الأوراق.. ونحن لانعرف سبباً لهذا التغيير في موقف السفارة علماً بأن عددنا في قرية نوله (25) عائلة جزائرية).

وقد قام هذا الباحث بمراجعة السجلات العثمانية والفرنسية(8) التي تحدث عنها المختار السيد رابح آمزيان وطابقها مع سجلات الجمعيات الجزائرية التي أنشأت في المنطقة، ومع كتب التراجم التي ترجمت للعديد من المهجرين الجزائريين، ومع الصحف التي أصدروها، وغير ذلك من مراجع وسجلات فخرج بانطباع يؤكد أن هذه القيود تشكل سجلاً فريداً من نوعه ليس في حفظ أسماء عائلات وأفراد المهجرين فحسب، بل وفي امداد الباحث بمعلومات قيمة عن سلوكهم الاجتماعي ووضعهم الاقتصادي. إذ بيّن السجل العثماني أماكن سكنهم في دمشق بأحياء مثل العمارة والحيواطية والسويقة وغيرها كما بيّن السجل انتقال بعض الأفراد من دمشق الى مناطق أخرى مثل الآستانة أو فلسطين وبين رجوع بعضهم الى الجزائر، وأما السجل الفرنسي فقد بين درجة ثقافتهم.. بل ان السجل العثماني بيّن في عدد من الحالات الزوجات والبنات، والخدم من الجزائريين في بيوت الميسورين مثل عائلة الأمير عبد القادر، كما تكررت أسماء بعض هذه العائلات في سجلات الحسابات والرواتب التي كان يوزعها الأمير عبد القادر والموجودة بعضها عند بعض أحفاده في دمشق.

وفي حدود معلوماتي فإن الجالية الجزائرية تعتبر في هذا الاطار هي الأكثر تنظيماً من بين الجاليات التي وصلت الى الشام خلال العهد العثماني حتى من بين الجاليات «المغاربية» الأخرى، وقد شعر كثيرون بالألم وهم يرون اخوانهم التونسيين والليبيين والمغاربة يستردون جنسيتهم، بل ان أول رئيس لوزراء ليبيا بعد ثورة الفاتح من سبتمبر 1969 هو السيد محمود المغربي من مواليد فلسطين ومهاجريها وظل الجزائريون على وضعهم، بينما عادت معظم الـ 174 عائلة ليبية التي كانت بينهم الى وطنها بعد الاستقلال الليبي عام 1952.

كما آلمهم أن الحكومة الملكية المغربية أضافت الى تسهيلاتها لإعادة الجنسية المغربية الى مهاجريها مثل عائلة العلمي في فلسطين والكتاني في سورية أضافت محاولة تجيير نسبة «مغربي» التي يتكنى بها معظم أهل المغرب العربي الكبير في المشرق لصالحها واعتبار الجميع من رعاياها واستعمال ذلك كورقة سياسية ليس في المشرق وحسب بل وفي المحافل الدولية وبالتالي الاستحواذ على كل التاريخ بمافيه الأمير عبد القادر الجزائري نفسه الذي كان يوصف أحياناً بـ «المغربي» وهكذا فإن شمولية

«المغربي» تستعمل لأهداف تجزيئية تفتيتية غير وحدوية، وقد أسف هؤلاء الجزائريون لهذا الأسلوب وهم الذين يعتبرون أنفسهم من صناع استقلال المغرب، فعدا عن جمعية تحرير المغرب العربي فإن نضالهم مع علال الفاسي وعبد الكريم غلاب وقيادة حزب الاستقلال ليس أقل من نضالهم مع يوسف رويس والحبيب ثامر وقيادة الحزب الدستوري وكذلك قيادة الحزب الوطني في ليبيا.. والحركة السنوسية قبله، كما بينا في بحث آخر.

ومع كل محاولات الاستقطاب المغربية هذه، ظل جزائريو الشام يصرون على جزائريتهم بينما الادارة الفرانكوفونية في الجزائر وضعت أصابعها في آذانها لئلا تسمع أصواتهم.. وأكثر ماكان يزعج الطرف الفلسطيني منهم، تلك الاشاعات التي كانت تصلهم من أن الرئيس هواري بومدين رحمه الله، هو الذي أمر باهمالهم حفاظاً على القضية الفلسطينية، مع أنهم يعرفون أنه رحمه الله كان أكثر الناس اطلاعاً على نضالهم وكفاحهم في فلسطين.

وقد ذكرت الصحف(9) أن والد الشهيدة الفلسطينية - الجزائرية (من تلمسان) «دلال المغربي» كان طلبه باسترداد جنسيته قد أهمل.. الى أن استشهدت ابنته في تلك العملية البطولية الذائعة الصيت، وما أن علم الرئيس بقصة هذه العائلة المقيمة في لبنان حتى أمر بتلبية ذلك الطلب المهمل، وظل أفراد العائلة يقاتلون من أجل فلسطين بما فيهم شقيقتها رشيدة التي تحمل رتبة ضابط فلسطيني وكتب لها أن تعيش بهذه الصفة العسكرية فترة في الجزائر نفسها.. إن التضليل البشع الذي مارسته قوى الفرانكوفونية اضافة الى الاهمال كان يزيد من عزم هؤلاء للحصول على جنسيتهم التي لم يتنازلوا عنها يوماً.

**جـ- كيف أعيدت لهم الجنسية الجزائرية:**

في عام 1989 عين الصديق الأستاذ عبد القادر حجّار سفيراً للجمهورية الجزائرية في دمشق، وفي أحد لقاءاتنا وتحديداً يوم 1989/10/3 عرضت عليه بعض ماتوصلت اليه من البحث في تاريخ وواقع هذه الجالية وأن ما من شخص التقيته إلا وحدثني عن موضوع استعادة الجنسية الجزائرية فأبدى رغبة في الالتقاء بهم علّه يجد طريقاً لمساعدتهم.

وفي يوم الجمعة 1989/10/6 تم اللقاء في منزلي بحي التضامن بدمشق، وكان الحضور يمثلون السوريين والفلسطينيين من أصل جزائري، وعرضوا عليه مطلبهم باستعادة الجنسية الجزائرية الأصلية فأمر بتقديم عريضة اليه ليتمكن من رفعها الى الجهات المختصة.(10)

وفي يوم 1989/10/20 رافقته في زيارة الى بيت الأمير عبد القادر في حي العمارة(11)، وطرحت عليه فكرة أن تستملك الجزائر بيوت الأمير عبد القادر في دمشق وتحوله الى متحف وأن تقام جمعية انسانية وثقافية باسم الأمير عبد القادر فرحب بالفكرة أيضاً ووعد بالسعي لتحقيق هذه الأفكار بالرغم من أن الجزائر كانت تمر منذ اكتوبر

1988 بظروف غير مشجعة. وبالفعل فقد أقيمت الجمعية في مدينة معسكر بالجزائر.

ثم قابلت السيد عبد الرحمن خليفاوي رئيس الوزراء الأسبق في منزله بحي المزة بدمشق وطرحت عليه موضوعي الجنسية والاستملاك فلم يجد فيهما ماهو سلبي وفي 1989/10/22 قمت بتسليم العريضة(12) الى سعادة السفير عبد القادر حجار والمؤرخة في 1989/10/11 والموقعة من طرف الأشخاص الذين تم اختيارهم لهذا الغرض في لقاء 1986/10/6.

وفي 1989/12/11 أبلغني سعادته أن على «الجالية» ارسال وفد لمقابلة رئيس الجمهورية السيد الشاذلي بن جديد والسيد وزير العدل، وأن على هذه الجالية اختيار أعضاء الوفد. وتم يوم الخميس 1989/12/21 اجتماع في منزل السيد علي بهلول في حارة المغاربة بمخيم اليرموك حضره مايزيد عن 50 رجلاً وتم الاتفاق على أن يتكون الوفد من:

ممدوح المبارك رئيساً - أحمد سهيل الفضيل - رابح آمزيان - سهيل الخالدي - عمر ارغيس

وقابل الوفد سعادة السفير الذي طلب التريث بعض الوقت بسبب الأوضاع في الجزائر، وأثناء فترة التريث ظهرت سلوكات غير حميدة من بعض معتادي التشويش والذين لم يحالفهم الحظ يوم 1989/12/21 ليكونوا ضمن الوفد المقترح رغم محاولاتهم القوية للحصول على أصوات، لكن أحداً لم يستجب لمحاولاتهم تلك.

وعدت مجدداً لاستكمال بحوثي هذه، وما أن شعرت بأنها صارت مهيئة للاعلان عنها حتى ودعت صديقي الأستاذ حجار وعدت الى أرض الوطن يوم 1991/5/1 بمساعدة فعالة من الأستاذ الصديق محمد الأخضر عبد القادر السائحي ومن الأستاذ الصديق محمد دحو من هيئة اتحاد الكتاب الجزائريين دعيت لإلقاء محاضرة عن الدور الثقافي للمهجرين الجزائريين في المشرق العربي حضره عديد من الشخصيات المهتمة مثل المرحوم مولود قاسم نايت بلقاسم/ والسادة الشيخ عمران ومحمد ملوح وقوبلت بنقاش أثرى معلوماتي، ونشرت جريدة السلام مقابلة معي أعلنت فيها رغبتي بتدقيق معلومات الكتاب على الواقع في أرض الوطن.

واستدعاني السيد رمضان بودلاّع مدير العلاقات الخارجية برئاسة الجمهورية وحدثته عن مشروعي هذا فشجعني على المضي فيه قدماً.

والى ذلك كنت التقيت بالأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله حسب اتفاق في مراسلات بيننا وسلمته المخطوط لكتابة مقدمة وهو الباحث المعروف بدقته.

وواصلت طرح الموضوع برمته في عدة صحف أولاها جريدة الشعب حيث هاجمت أولئك الذين يسعون لإعادة «الحركة والاقدام السوداء» الى الجزائر وتناسي الجالية الجزائرية في المشرق، كما دعتني جمعية الجاحظية الثقافية لإلقاء محاضرتين الأولى في

قصر الثقافة والثانية في قاعة الموقار. ووصلت الى الصحراء حيث استدعتني جمعية الأمين العمودي في الواد وألقيت أكثر من موضوع وفي ادرار جنوب غربي الجزائر القيت محاضرة وكذلك نشرت بحثاً في مجلة الوحدة الصادرة في الرباط بالمغرب.

ومما كتبته في جريدة الشعب الخميس 1991/8/1 ضد محاولات عودة الأقدام السوداء ومجموعة الخونة (الحركة) وتناسي الجزائريين في المشرق العربي مايلي:

«وإذا كان هؤلاء قد تحركوا ووجدوا في الديمقراطية الجزائرية ثغرة ينفذون منها، فالسؤال هنا: لماذا لايتاح ذات المجال لمن هم أحق وأولى.. لأولئك الجزائريين الذين ماتوا واستشهدوا دفاعاً عن الجزائر والوطن العربي والأمة الاسلامية.

في اعتقادنا أن جالية الأمير عبد القادر الجزائري في المشرق العربي أحق وأولى، فهي التي وقع عليها العذاب المباشر من قبل المستوطنين الأوروبيين والاقدام السوداء وصودرت أملاكها وأراضيها وتعرضت للتعذيب والتقتيل والنفي كباقي أفراد الشعب الجزائري وهي:

1- رفعت لواء القضية الجزائرية عربياً واسلامياً وعالمياً

2- قادت الكفاح ضد العثمانيين.

3- أقامت الجمعيات لنصرة الجزائر.

4 - أعلنت الكفاح في الجزائر والمغرب وليبيا وتونس.

5 - أعلنت الكفاح ضد الفرنسيين في سوريا.

6 - أعلنت الكفاح ضد البريطانيين والصهاينة في فلسطين.

7 - غذت الحركة الوطنية الجزائرية بمجموعات من الأبطال مثل الأمير خالد الهاشمي.

8- أسهمت اسهاما واسعا في الثورة الجزائرية 1954-1962 سياسيا وماليا وتنظيمياً واعلامياً ولاتزال الوثائق، وثائق الثورة الجزائرية، تشهد بذلك.

9- أسهمت اسهاماً ثقافياً واسعاً ولاتزال في الفكر العربي والانساني

10- عاد البعض من أفراد هذه الجالية الى وطنهم الأم الجزائر ولم يطالبوا بأية امتيازات سياسية رغم ماضيهم وماضي آبائهم المشرف، وبعضهم يعتبر من الاطارات العالمية مثل ادريس الجزائري وممدوح الحسني ومؤيد الدلسي وعشرات غيرهم عاشوا يعيشون كالمواطنين الجزائريين.

11- أسهموا في توطيد العلاقة بين الجزائر والدول الأخرى عربية وغير عربية من خلال مواقفهم المتميزة كماهو الحال مع السيد عبد الرحمن خليفاوي الذي تبوأ منصب رئاسة الوزراء في سورية مرتين.

مع أن جالية الأمير عبد القادر الجزائري لم تتخل عن جنسيتها الجزائرية الأصلية لا كجماعات ولا كأفراد فالجنسيات التي تحملها الآن (سورية، لبنانية، أردنية، فلسطينية)

فرضت عليها فرضاً بعد اتفاقية سايكس – بيكو فإن هذه الجالية آثرت بكل محبة أن تخضع لقوانين الوطن الجزائري الأم وهاهي وزارة العدل وقصر العدل ومختلف المحاكم في مناطق الوطن تغص بملفات العائلات الجزائرية التي تطالب باسترداد الجنسية الجزائرية وتلاقي من العنت والتلاعب والمماطلة والاهمال الشيء الكثير..».

وهكذا بدأ موضوع الجالية الجزائرية في المشرق يستقطب اهتمام المواطن الجزائري خاصة وأن السيدة بايه الهاشمي انتجت حصة تلفزيونية حول أوضاع الجالية في دمشق أعلن الأشخاص الذين تحدثوا فيها عن تمسكهم الشديد بجذورهم الجزائرية وذلك في الوقت الذي كانت الأعاصير تعصف بهذا الوطن المجاهد.

ثم اتصل بي المخرج الجزائري عبد الكريم بابا عيسى الذي كان يعد حلقات تلفزيونية عن جذور الصهيونية واستطعنا معاً أن ننجز عملاً جيداً ضمناه دور الجزائريين في مكافحة العنصرية الصهيونية.

لكن الصحف الفرانكوفونية في الجزائر لم يرق لها هذا العمل وخاصة صحيفة لوماتان فهاجمتني بشدة وكان الأستاذ الدكتور الصديق عبد الله ركيبي قد بدأ ينشر أبحاثه حول «الفرانكوفونية» وهي الأبحاث التي اشتملها كتابه «الفرانكوفونية مشرقاً ومغرباً» وفضح فيه موقف الفرانكوفونيه من هذه الجالية وعدم ترحيبها بها كجزء من موقفها تجاه أهل المشرق العربي حتى ولو كانوا جزائريين.

ومماقاله د. ركيبي أن هذه الجالية «لو كان توجهها غربياً فرانكفونياً لوجدت الامتيازات والترحيب مثلما وجدته الأقدام السوداء ولكنها جالية عربية عاشت في أرض عربية وقاومت المحتلين ووقفت مع ثورة نوفمبر بكل ماتملك وشاركت في النضال العربي وفي النهضة الثقافية للأمة العربية، وهذا هو خطؤها الوحيد الذي لاتنساه لها الفرانكوفونية ولاحماتها في البلد الأصلي أو في الجزائر. فلو كانت جالية تدافع عن الفرانكوفونية والفكر الغربي لوجدت من يهتم بأمرها ويساعدها مادياً ومعنوياً ولكنها كما قلت جالية عروبية ووطنية وتاريخها مشرف للعرب عامة وللجزائريين خاصة».(13)

كما طرح الموضوع إذاعياً وتلفزيونياً في عدة مناسبات ومنها حصة تلفزيونية أعدها الزميل الأستاذ محمد فريد الأطرش بعنوان «أوراق مهربة من الذاكرة» شاركت فيها الى جانب سعادة السفير سورية بالجزائر الدكتور عبد الجبار الضحاك والمستشار الاقتصادي عدنان المبارك وشاركت في هذه الحملة عدة صحف جزائرية مثل الأمة، الشروق العربي، الإذاعة وغيرها.

لقد أخذ المجتمع الجزائري علماً بموضوع الجالية وتبناه بحماس كما تبنته مستويات متنفذة في السلطة الجزائرية، وبدأت تطرح المسألة كاحدى القضايا الوطنية، فهذا الجزائري الذي في الخارج، أليس من الإنصاف أن يكون له مرجعية وطنية، سواء كان في كاليدونيا من سلالة الذين نفتهم فرنسا إثر ثورة المقراني 1871 أو الذين في الشام موضوع بحثنا أو حتى الذين وصلوا الى أمريكا وكندا وغيرها بعد الاستقلال.. فلماذا التركيز فقط على الجالية الجزائرية في فرنسا وتناسي غيرها.. وبدأت السلطة السياسية في الجزائر تنظر الى موضوع الجزائريين في المشرق العربي والعالم بمنظار أوسع.

ويبدو أن ذلك لم يمر بالنسبة لشخصي دون مضايقات من طرف بعض الخلايا

الفرانكوفونيه حيث ضويقت كثيراً في عملي بجريدة الشعب.. لكن لم يعد ذلك مهما بعد أن سائد قضيتي الشارع والقوى الوطنية الجزائرية برمتها.

وفي أواخر عام 1994 ذهبت في مهمة صحفية الى الكويت وعين الأستاذ الدكتور عبد الله ركيبي سفيراً للجزائر في العاصمة السورية دمشق، والذي كان قد أشار في كتابه «الفرانكوفونيه مشرقا ومغربا» الى موقف العداء المجاني الذي وقفه الفرانكوفون في الجزائر من هذه الجالية ليس من حيث اعادة جنسيتها اليها وحسب بل حتى على صعيد الاستفادة الديبلوماسية من وجودها في قلب المشرق العربي ومؤهلاتها الثقافية، وكنا قد قبسنا في مواقع سابقة من هذا البحث فقرات من كتاب الدكتور ركيبي.

وهكذا ما أن عين سفيراً حتى طرح الموضوع على السيد اليامين زروال رئيس الدولة آنذاك وتم فتح الملف بشكل جدي وقام سعادة السفير بزيارة هؤلاء في بيوتهم سواء في أحياء دمشق وحلب أو في القرى وأدار معهم حوارات واسعة كانت نتيجتها الفورية أن استعادت السفارة الجزائرية حيويتها ونشاطها اللذان كانا يميزان مكتب جبهة التحرير الوطني ابان الثورة المجيدة 1954-1962، خاصة وأن السفير فتح أبواب السفارة متجاوزاً الأساليب البيروقراطية المعهودة.

وبخصوص الجنسية وموضوعها أمر السفير بتشكيل لجنة إحصاء أعداد الجالية، أشرف عليها مباشرة القنصل أحمد عماره.

وفي 1995/5/16 انتهى عملي في الكويت وحضرت الى دمشق، بعد رسالة بالفاكس من سعادة السفير ركيبي واصطحبني سعادته في 1995/5/18 الى لقاء مع هذه الجالية في منزل أحد وجهاءهم بمخيم اليرموك وهو المربي العريق محمود ارغيس وتم في ذلك اللقاء تسليم سعادته السجلات الاحصائية لهذه الجالية وقد زاد عدد المسجلين عن اربعة آلاف شخص. وهنا نذكر أن استجابة الجانب الفلسطيني كانت أكبر من استجابة الجانب السوري.

ورفع السفير هذه السجلات الى وزارة الخارجية الجزائرية التي كانت قد عقدت في النصف الأول من شهر ماي - آيار 1995 ملتقى للجاليات الوطنية في الخارج حضرها ممثلون عن الجالية الجزائرية في سورية ولبنان ممن يحملون الجنسية الجزائرية فعلاً، وطرحوا خلال هذا الملتقى مشكلة اخوانهم الذين لايحملونها، وأعيد طرح الموضوع على وفد المجلس الوطني الانتقالي الذي زار دمشق في اكتوبر 1995 وكتب عضو الوفد الشاعر عمر برناوي سلسلة من المقالات في جريدة السلام منبهاً الى هذه الجالية.

ومع مطلع عام 1996 شكلت حكومة جديدة في الجزائر برئاسة السيد أحمد أو يحيى ظهرت فيها وزارة منتدبة للجاليات الوطنية في الخارج وتشكلت لجنة تضم ممثلين عن الجهات المعنية في وزارتي الخارجية والعدل وغيرهما لمتابعة موضوع الجنسية هذا.

وبدأت في دمشق مرحلة ثانية وهي تسجيل الاستمارات وتعبئتها وتنظيمها حسب

اقتراحات اللجنة المكلفة على مستوى وزارة الخارجية، وقد أنيطت هذه المهمة في البداية بمكتبي في دمشق لتنظيمها في الحاسوب، غير أنه ارتؤي في اللحظات الأخيرة أن تناط بمجموعة من المعنيين أنفسهم.

وقد استغرق اعداد هذه الاستمارات حوالي سبعة أشهر ومجموعة العمل كان حصيلتها حوالي 512 ملفا رفعها السفير د. ركيبي في أواخر شهر ابريل 1996 الى وزارة الخارجية لتنظر في اعادة الجنسية الجزائرية لهاته العائلات.

وكنت خلال ذلك قد قدّمت الى القنصل معلومات مفصلة عن قرى وممتلكات الجزائريين بفلسطين وأنماط معيشتهم في تلك القرى حتى عام 1948 مأخوذة من أفواه كبار السن فيهم ومن وثائقي الخاصة، ومن المراجع الفلسطينية والبريطانية والاسرائيلية، وأشرت الى الأمكنة التي توجد فيها الوثائق المتعلقة بهؤلاء سواء كانت في الأرشيف التركي أو البريطاني أو الاسرائيلي أو الأمم المتحدة نفسها وذلك حتى تكون الخارجية الجزائرية على المام واسع بوضعيتهم، وقد رفع القنصل هذه المعلومات الى الخارجية الجزائرية كما أخبرني بذلك فعلا.

وأثناء هذه الفترة كان الأستاذ عبد الله ركيبي مهتما بجانب آخر من حياة هذه الجالية وهو جانب تراثها المادي والروحي. فحضرت في النصف الأول من شهر نوفمبر/تشرين ثاني 1995 لجنة تمثل عدة جهات ثقافية ومالية وعاينت بيت الأمير عبد القادر الجزائري في حي العمارة الذي حمى فيه المسيحيين عام 1860، وقد رأت أن بعضه يشغله سكان اعتياديون وبعضه الآخر تشغله جمعية خيرية يرأسها السيد ممدوح المبارك الذي ترجمنا له في موقع آخر وكذلك عاينت قصره في دمر الذي بويع فيه سرا ملكاً على العرب عام 1877، وكان أحد مراكز حركة القومية العربية مطلع هذا القرن حيث كان يشغله الأمير عمر بن الأمير عبد القادر. فقام والي دمشق «جمال السفاح» بتخريبه وبشنق الأمير عمر بن عبد القادر في مطلع العشرية الثانية من هذا القرن. وهو الآن عبارة عن منتزه سياحي لأحد المستثمرين خواص.

وقابلت اللجنة عدداً من الوارثين والمالكين لهذه البيوت واستمعت الى وجهة نظر سعادة السفير وأبلغني رئيسها في مقابلة معه أن الحكومة الجزائرية مهتمة جداً بتوصيات السفير ركيبي لاستملاك هذه البيوت بصفتها تراثا مادياً للجزائر.

وفي جانب التراث الروحي كلفني يوم 1996/3/9 بتنظيم مكتبة في السفارة من تلك الكتب المهملة في مستودعها والتي علاها الغبار وبدأ يأكلها قمل الكتب، وقد قمت بالمهمة وتم انقاذ مؤلفات كبار كتاب الجزائر مثل أبي القاسم سعد الله، رشيد بوجدره، الطاهر وطار، مولود قاسم، محمد الأخضر عبد القادر السائحي، ولعله من الطريف أن اذكر أن الشخص الذي أمر بإنشاء هذه المكتبة لم أجد له فيها سوى كتاب واحد، ممايدل في نظري على أن الدكتور ركيبي وهو صاحب التآليف الكثيرة، كان يفكر في غيره من

الكتاب الجزائريين.

كما تم انقاذ بعض الأطروحات والرسائل العلمية التي تقدم بها طلبة جزائريون في الجامعات السورية مثل جامعة دمشق وجامعة حلب ومنها أطروحات في الطب والكيمياء والجغرافية والتاريخ وكذلك بعض الحوليات.

ولما لم أجد من بين هذه الكتب أي كتاب يعود لمؤلفين جزائريين في دمشق، حيث لم تكن هناك أية نسخة من كتب د. مازن المبارك وهو الذي له حوالي ثلاثين كتابا في اللغة أو لشقيقه المرحوم د. محمد المبارك الذي زادت كتبه المطبوعة عن العشرين أو لوالدهما عبد القادر أو جدهما محمد المبارك، كذلك لم أجد أي كتاب للشيخ طاهر الجزائري أو للشيخ ابراهيم اليعقوبي أو محمد الهاشمي التلمساني أو حتى للأمير عبد القادر نفسه، ولما كنت أعلم أين توجد كتب هؤلاء ومخطوطاتهم، بل والمخطوطات التي جاء بها أجدادهم من الجزائر نفسها أو تملكوها أو نسخوها هنا في الشام، قدمت اقتراحاً لسعادة السفير بمحاولة الحصول على هذا التراث إما بالشراء أو بالتصوير فأنا أعلم مثلاً أن مكتبة المرحوم الشيخ ابراهيم اليعقوبي تحتوي على مالايقل عن مائة مخطوط سواء من تأليفه أو من تأليف غيره. وقد أبلغني سعادة السفير يوم 1996/5/4 أنه رفع الى الخارجية الجزائرية توصية قوية لمنحه الإذن بالمضي قدماً في جمع التراث الروحي لهذه الجالية.

وهناك جانب ثالث أولاه السفير ركيبي اهتماماً كبيراً وهو جانب تنظيم هذه الجالية في المشرق تنظيماً داخلياً من جهة وتنظيماً ينسق علاقاتها مع الجزائر فحتى كتابة هذه الصفحات يسعى لتحقيق فكرتين في الجانب التنظيمي:

1- لجنة تضم ممثلين عن الجالية في كل المناطق دمشق، حلب، حمص وغيرها تتولى المسألة الداخلية.

2- رابطة أخوة جزائرية - سورية تهتم بالعلاقات الاقتصادية والثقافية بين القطرين الشقيقين.

ولابد من القول أن السفير د. ركيبي في هذا الجهد قد حقق الكثير في وقت قصير جداً، لكن ذلك لم يمنع بعض المعاناة، فقد ظهر بعض الأشخاص من ذوي التفكير العائلي المحدود والضيق وبعض الذين يسعون الى المكاسب المادية وأخذوا يشيعون في أوساط الجالية اشاعات تافهة، مثلاً د. ركيبي يطرح موضوع الجنسية كتكتيك كاذب للحصول على أصوات لصالح السيد اليامين زروال في انتخابات 199.5/11/16. وللحقيقة أود أن أقول أنني كنت مقرراً لمكتب التصويت الانتخابي، وكان السيد رابح آمزيان رئيساً له وكانت لدينا تعليمات واضحة من السفير والقنصل أن لانسمح لأي خطأ أو تدخل، وهكذا كنت كمقرر شديد القسوة في تسجيل الناخبين تدقيقاً على السجل القنصلي، وقمت بتصوير كل ناخب تقريباً وهو يدلي بورقته من الصندوق، ولم يكن مطلق الاشاعة من بين

المسجلين قنصلياً وبالتالي لا صوت له.

وعند فرز الأصوات في ساعة متأخرة من الليل قمت شخصياً ورابح آمزيان نفسه أمام أعداد من الجالية بفتح الصندوق وفرزه ورقة ورقة وأبرقت النتائج فوراً الى المقر المركزي في القاهرة.

ودعانا السفير مع آخرين من الجالية الى منزله في المزة لمشاهدة لحظة اعلان النتائج على التلفزيون الجزائري، وبعد المشاهدة قمت فوراً رغم الإرهاق والقيت كلمة قصيرة لافتا النظر الى أن ذات النتائج والنسب التي أفرزها الصندوق هنا، هي التي أفرزها الصندوق في الوطن الأم، فقد أعطى الجزائريون هنا أصواتهم بالترتيب الى زروال، نحناح، بوكروح، د. سعدي. وبذلك ألجمت الحقيقة أولئك النفر من ضيقي الأفق ومطلقي الاشاعات وعلى رأسهم في الشام المدعو سعيد السعدي. وحتى هذه اللحظة التي أدون فيها هذه الواقعة لايعلم السفير ولا القنصل مصدر الاشاعات والمتاعب التي كنا نصدها خدمة للوطن الذي كان يمر بصعوبات حقيقية سببها الفرانكوفون والتخلف وكنا نرى أن الانتخابات الرئاسية واعادة ربط الجزائري أياً كان بوطنه من أبواب الحلول للتغلب على تلك الصعوبات.

وهكذا شاءت الأقدار أن يضع أحد رموز الفكر العروبي في الجزائر أستاذ الجيل د. ركيبي توقيعه على خاتمة مأساة الجالية الجزائرية في الشام وإن ناله في ذلك بعض العنت والعناء سواء في الجزائر أو الشام وطالني شخصياً رذاذ من تلك المتاعب.

غير أنه في يوم الجمعة 1996/5/11 التقى عدد من مثقفي هذه الجالية ضمن سعيهم لإعادة تنظيمها داخلياً(13) وقرؤا بياناً يعلنون فيه اعتزازهم وشكرهم لما أنجزه لهم د. ركيبي، أحمد عماره، ممدوح المبارك، أحمد سهيل الفضيل، رابح آمزيان، عمر ارغيس وسهيل الخالدي ويعلنون فيه أن المشوشين لايمثلون الجالية.(14)

ومن ناحيتي أعلن عن سعادتي بأن تكون خاتمة كتابي هذا عن الجزائريين في الشام موقعة عملياً بإمضاء د. عبد الله ركيبي المجاهد والباحث وأستاذ الجيل.. فإن ذلك شرف لم أكن أتوقعه.

لكن الذي يحز في نفسي أن والدتي عائشة بنت محمد الخالدي التي ألفت هذا الكتاب شفوياً كما قلت في مقدمتي، وتتمنى رؤيته مطبوعاً، كانت تلح علي بترتيب لقاء لها مع د. ركيبي وكنت أؤجل ذلك حتى تسترد صحتها وهي التي جاوزت القرن، لكن الله اختارها في تلك الليلة المحفورة في الذاكرة ولاشك أنها ستكون سعيدة في فردوسها بأن الدكتور ركيبي هو صاحب التوقيع العملي لهذه الخاتمة.. فعلى قداسة روحها فاتحة..

**دمشق في 1996/5/12**

## الهوامش

1. انظر صورة الاتفاق ممهوراً بخاتم الأمير من أوراقنا.
2. انظر صورة رسالة من أوراقنا.
3. يومية الأمة الصادرة في دمشق عدد 45 تاريخ 1910/1/27
4. طرشون، نادية: ص132
5. من الواضح أن فرنسا كانت تستغل موضوع "الحماية" في أكثر من موضوع.
6. انظر صورة رسالة جزائريي هوشة الى الأمير مصطفى
7. انظر صورة نموذج الاحصاء الذي قامت به السفارة الجزائرية بدمشق مع مطلع الاستقلال
8. انظر صور هذين السجلين
9. أنجزت رواية عن هذه الشهيدة بعنوان "دلال عاشقة البحر و الزيتون، طبعتها في الكويت و نفذت.
10. انظر صورة محضر حول ذلك.
11. تقوم هذه الجمعية بنشاط ثقافي هام أصبح معروفا في عموم التراب الوطني.
12. صورة العريضة من أوراقنا.
13. ركيبي، د. عبد الله: الفرانكوفونية مشرقاً ومغرباً - بيروت 1992 ط1 ص208.
14. حسب صورة البيان من أوراقنا.

# الفهرس

«لو سألت أحد المهاجرين الجزائريين خلال النصف الأول من القرن الماضي، لم تتوجه الى المشرق بينما غيرك يتوجه الى أمريكا بحثا عن الرزق والأمن والفرص، لربما قال بانه يكفيه أن يعيش في أرض الاسلام ويساكن أهل العروبة، اذ معهم هم الرزق والامن والفرص.

تبادر الى ذهني هذا التساؤل وأنا اتصفح تاريخ الهجرة الجزائرية منذ الاحتلال الفرنسي 1830 الى الحرب العالمية الأولى. ذلك أن معظم الهجرة كانت نحو الشرق العربي والاسلامي، أما منذ الحرب العالمية الأولى فقد أصبحت نحو فرنسا بالخصوص، وهي الهجرة التي ما تزال الجزائر تعاني نتائجها غربة وأخلاقا ودينا وتبعية أيضا...

أثناء عهد بوجو بالذات فكر الجزائريون وعلى رأسهم الأمير عبد القادر في الهجرة الجماعية نحو الشرق. لعل ذلك كان مجرد خاطر، ثم أصبح هما سياسيا. انهم استحضروا تاريخ المسلمين الأوائل وهجرتهم بدينهم الى الحبشة ثم الى المدينة المنورة..

ماذا فعل الجزائريون في الشام عبر رحلتهم الطويلة؟ وأين سكنوا وتوظفوا؟ وما علاقاتهم السياسية والاجتماعية؟ وما الدور الذي قاموا به من أجل وطنهم الأصلي ووطنهم القومي؟ ان هناك عدة دراسات حاولت أن تجيب على هذه الأسئلة وغيرها، لكن الاستاذ سهيل الخالدي فاجأنا بعمل شامل حول الموضوع..

.. ولعله من فضائل هذا الكتاب انك تقرأه وكأنك تقرأ قصة أو مقالا أدبيا عذبا. ولا غرو في ذلك فمؤلفه أديب ماهر وصحفي لامع في ميدان الصحافة الأدبية، التي نفتقر اليها نحن في بلادنا. اننا نقرأ في هذا الكتاب رحلة المهاجر الجزائري عبر الزمن والأرض وداخل الايديولوجيات والعقائد، انها ملحمة انسانية شاملة. اين منها رحلة التيه التي عاشها العبرانيون؟ واين منها رحلة الاوديسه وأسفار كولومبس؟ لقد جاب الانسان الجزائري الأقطار قسرا بينما الآخرون قد جابوها بمحض ارادتهم. وحيثما حل كان يعمر الأرض ويألف الناس ويبني الحضارة..

وما علينا الا أن نجزل الشكر للاستاذ سهيل الخالدي على هذا الجهد الضخم الذي سيكون بدون شك، مرجعا لكل من يتحدث عن هجرة الجزائريين أو تهجيرهم نحو المشرق في الوقت الذي كان فيه الاوروبيون يتوجهون الى أمريكا، أو الى الجزائر بحثا عن الرزق والحرية، ليغتصبوا أرضا ليست أرضهم ووطنا محتلا بالحديد والنار..»

الدكتور أبوالقاسم سعد الله

من التقديم

ISBN. 9961-67-017-5